المقدّمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. فكان الآية البينة، والمعجزة الظاهرة، والدلالة القاطعة على صدق الوحي، وعظمة الموحِي. والصلاة والسلام على رسوله الأمين، ونبيه العظيم، الذي أدى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح الأمة، فكان حجة الله على الخلق. ورضوان الله على الصحب الكرام، والأئمة الأعلام، الذين بذلوا وضحوا من أجل أن ينقلوا إلينا هذا الدين؛ أداءً للأمانة، ووفاءً للعهد؛ لننقله نحن لمن يأتي وراءنا من الأجيال وهكذا تستمر الحياة والرسالة، ويُحفظ الشرع، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا، وبعد:

فإن للأسلوب القرآني جمالاً لن تراه في غيره من الكتب السماوية السابقة، ولا حتى في نتاج فحول الأدباء والشعراء الذين اشتهروا بتملك زمام اللغة والتمكن والتصرف في أساليبها؛ لأن القرآن يظل جارياً على نظام ثابت من السموّ في روعة التعبير، ودقة الصياغة، وجمال اللفظ، وعمق المعنى، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة وقضايا متنوعة ومواقف متباينة من القصص والتشريعات والمواعظ والحجج، إضافةً إلى ذلك ما اتسمت به اللفظة القرآنية من اتساقها الكامل مع المعنى، وجمال وقعها في السمع، واتساع دلالتها ومعانيها لما لا تتسع له – عادةً – دلالات الكلمات الآخرى من المعاني والكلمات. وتلك حقيقة لا مراء فيها ولا جدال حولها، حتى حار في نظمه – وإلى الآن – فحول علماء العربية والبيان .

ولهذا أقبل المسلمون على القرآن الكريم بشغف منذ صدر الإسلام يتدبرون آياته، ويتفهمون معانيه التي تحتويها ألفاظه، فحفظوه عن ظهر قلب، وجمعوه في مصحف واحد، وعكف العلماء على تبيان معاني غريب مفرداته، ووضعوا فهارس ومعاجم لألفاظه، وكتبوا في تفسيره وبلاغته وإعجازه. ولاتزال مسيرة التأليف والبحث في هذا المجال مستمرة حتى أيامنا هذه؛ لأن كلمات الله – تعالى – لا تنفد معانيها، وسيظل الإنسان يجد في آياته معيناً لا ينضب لبحثه وفكره وعقله وحياته.

ولقد كثُر الكلام في وجوه إعجاز القرآن بل وأصبح من الواجب الشرعيّ. واجتهد المفسرون والمتكلمون، وبلغاء الأدباء المتأنقون، بدءاً من القرون الأولى يصنفون التصانيف في مشكله وغريبه ومجازه، حتى وضع الإمام عبد القاهر الجرجاني مؤسس علم البلاغة كتابيّه (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) لإثبات ذلك بطريقة فنية، وقواعد علمية، واشتهرت بعض كتب العلماء في هذا المجال، وبخاصة كتاب (إعجاز القرآن) للقاضي أبي بكر الباقلاني شيخ النُّظار والمتكلمين في عصره. وبدأت تظهر الكتب والمؤلفات تَتْرى حول القرآن بعناوينها المختلفة،

واهتماماتها المتعددة عبر تلك العصور؛ ولكن إن كان ذلك قد وفّى بحاجة الأزمنة التي صنعت فيها تلك الكتب، فهو لا يفي بحاجة هذا الزمان؛ إذ هي داعية إلى قول أجمع، وبيان أوسع، وبرهان أنصع في أسلوب أجذب للقلب، وأحلب للُّب، وأصغى للأسماع، وأدنى للإقناع، يتناسب مع عقول وأفهام هذا الزمان، وأدعى للإقبال بطريق أسهل، وعرض أيسر.

ويكاد يُجمِعُ العلماء على أنه لم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم، بيد أنه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية، إلا أن القرآن لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[1]؛ ولأن القرآن هو خاتم الكتب السماوية إلى يوم الدين، إذن ستظل معجزاته باقية ببقائه، لا تنفد عجائبه، ولا تنقضي غرائبه. ومن هنا فالقرآن زاخر بالمعجزات المتنوعة والمتعددة، ومهما أُعطي البشر جميعاً بلاغة في الخطاب، وقوة في البيان، وفصاحة في التعبير لن يأتوا بمثل ما جاء فيه ولو اجتمعوا ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2].

وأخص بالذكر منها المعجزات البلاغية واللغوية، التي تستحق أن نقف عندها مبجّلين ومسبحين بحمد بانيها وباريها. لتظل شاهداً ثابتاً على وحدانية الله -سبحانه وتعالى-.

- **موضوع البحث:**

ومن المنتظر لهذا البحث أن يكون حلقة من الحلقات ولبنة من اللبنات التي تكشف وتُثْبِت سر تفرد كلمات وألفاظ القرآن الكريم عامة، وأخص منها بالذكر في هذا البحث بعض الألفاظ والمفردات، التي جاءت على نحو غير مسبوق ونُظِّمت بطريق غير مكرر بين ثنايا آي القرآن الكريم، فتميزت بطريقة تركيبها، وتخصصت بنظم حروفها، وتفردت في سياقها، واتسقت بروعة عرضها، في نظام لغوي محكم من لدن حكيم خبير، والتي أطلق عليه العلماء قديماً " **الفرائد**"؛ لذا كان عنوانه بكل تحديد ووضوح: **الفرائد القرآنية"دراسة في الإعجاز اللغوي والبياني"**.

---

(١) سورة الكهف، آية رقم:(109).

(٢) سورة الإسراء، آية رقم:(88).

- **عمل الباحث فيه:**

و سيكون جُلُّ عمل الباحث – بإذن الله – في هذا البحث متمثلاً في الآتي:

* أولاً: تناول معاني هذا مصطلح الفرائد بالشرح والتعريف لتقريب معناها للقراء وتوضيحه لهم.

* ثانياً: تناول مصطلح الفرائد في التراث النقدي والبلاغي للوقوف على كيفية تناول القدماء لها وعلى كيفية تصنيفها لهم، وطريقة تعاملهم معها. مروراً بها عبر الأزمنة والقرون التاريخية المختلفة وصولاً بها إلى ما استقرت عليه عند المحدثين.

*ثالثاً: الدراسة المتأملة في الفريدة القرآنية على اختلاف اشتقاقاتها من خلال هيكلها التركيبيّ، وبنيتها الصرفية، ووقع أصوات حروفها، وما تشعه من ظلال دلالية على النص والذي لا يتأتى لغيرها من المرادفات المشابهة أو القريبة منها والتي تحمل نفس المعنى الدلالي.

*رابعاً: النظر الدقيق المتمعن في معرض الآية وجوّها التي سيقت فيه، وما أضافته هذه الفريدة من روابط سياقية، وتعلقات قوية بين ما قبلها وما بعدها بحيث لا يغني غيرها مكانها.

*خامساً: الربط بين كل هذا وذاك محاولاً الوصول إلى معرفة سرها البلاغيّ، وإعجازها البيانيّ، ولماذا لم يغن غيرها مكانها، وأخيراً العلة في عدم سردها وتكرارها هي هي في مقام آخر مشابه ومثيل لنفس مقامها.

- **أهمية الموضوع:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في جوانب مختلفة منها:

* إن مما يزيد على ربع هذه الألفاظ وتلك الكلمات لا تكاد تستخدم في كلام الناس وحتى في كتابات المثقفين، بل إن نسبة كبيرة منها هي ألفاظ غير مستخدمة، ومجهولة المعنى حتى لدى المتخصصين في اللغة، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يساعد في التعريف بهذه الكلمات كخطوة أُولى نحو تعميم المعرفة بها وباستخدامها، وهي– فيما أرى – خطوة مهمة لتيسير فهم القرآن، ومعايشته بطريقة مغايرة لما هي عليه الآن.

* إثبات وإظهار روعة البيان القرآني، والتعبير الحق البليغ عن أدق التفاصيل بأقل عدد من الكلمات بل من الحروف في نظام محكم بديع دون أن يُخِلَّ بالسياق في جرس موسيقي يأخذ بالألباب.

* إن معرفة الإعجاز القرآني وإدراك عظمة الكلام الرباني من أهم المعارف وأشرفها، ومن أجلِّ العلوم وأعظمها، فمن نظر في إعجاز هذا الكتاب المبين وضحت عنده أهميته وفضله، وقديماً

قالوا: (شرف العلم يتعلق بشرف المعلوم) والمعلوم هنا هو كتاب الله – تعالى – وكلامه ووحيه وبيانه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الذي لم يسمع بمثله بشر. فإظهار الإعجاز في هذا الكتاب وبيان العظمة في مبانيه ومعانيه من الأمور الواجبة والمهام الرائدة في كل زمان وفي هذا الزمان خاصة؛ لأمور منها:

- الحاجة الماسة إلى إظهار هذا الإعجاز للمسلمين وبيانه؛ حتى يخضعوا لأحكامه، وينافحوا عن حدوده، ويرغبوا فيه كما رغب أسلافهم.
- إن إظهار إعجاز القرآن وبيان أنه – قطعاً – كلام الله سبب عظيم من أسباب هداية الكافرين، وجذبهم لهذا الدين، والأمثلة على هذا – في عالمنا اليوم – كثيرة، خاصة في مجالات الإعجاز العلمي والتشريعي.
- وإن إظهار إعجاز القرآن كذلك مهم وضروري جدا للذين سقطوا ضحيةً للفكر الغربي الوافد من بني جلدتنا، الذين ردّوا ما جاء به القرآن من شرائع وحدود تحت دعاوى زائفة لا حصر لها، فما أن يلمسوا هذا الإعجاز يَعْظُم به يقينهم، ويقوى به إيمانهم، وبالتالي تصفو نفوسهم من تلك الشبهات، وترق أفئدتهم، ويعودوا إلى صوابهم.
- هناك في الأمة بقيّة تمسكت بلغتها، واطّلعت على أسرار بلاغتها، وعلمت فضلها وأهميتها يسرها الاطّلاع على مثل هذه البحوث اللغوية والبيانية، ويُثْلِجُ صدرها كلُّ بحث يكشف عن عظمة القرآن وسمو إعجازه، وهؤلاء بدورهم ينقلون إلى الناس ما استشعروه من جلال البيان القرآني، تأليفاً وحديثاً ومحاضرة وتدريساً؛ فيشيع في الناس علمهم، وينتفعون بآثارهم، كما رأينا من بعض الدعاة المعاصرين الآن.

* والفرائد باعتبارها تمثل ظاهرة واضحة في التعبير القرآني بحاجة إلى دراستها بشكل وافٍ في بحث مستقل؛ إذ لم تحظ من الدارسين قديماً إلا ببعض التعريفات المتواترة مع بعض الشواهد من القرآن والنثر والشعر، ولم يتطرق بحثهم فيها إلى وجودها كظاهرة في الأسلوب القرآني.

وفيما يتعلق بالدراسات لها حديثاً سيتم التعرض لها في مكانها من هذا البحث. ولكن جاءت دراستهم لها إما لغوية، أو جزئية أو معجمية أو بلاغية دون الوقوف على أسرارها وأسباب تفردها في سياقها أو الاقتصار فقط على عدد منها دون التعرض لها كلها، إضافةً إلى نظرة بعض المتأخرين من البلاغيين إليها، على أنها من الفنون العرضية التي تجلب لإظهار الاقتدار والتمكن والفصاحة لا البلاغة. ومع هذا فكلها دراسات لها وزنها وثقلها بل كانت نبراساً لهذا البحث وتم الاستفادة منها بشكل كبير.

ومن هنا يعتقد الباحث أن دراستها على نحو متكامل (لغوياً: أي من جهة معناها وما ذكرته المعاجم عنها – وصرفياً: أي من جهة اشتقاقاتها وفي أي قالب جاءت وعلى أي بنية تركيبية شُكِّلت – وصوتياً: أي من جهة صفات حروفها من شدة ورخاوة ولين وقوة وجهر وهمس وعلو واستفال وتفخيم وترقيق، وهل تناسبت وتناغمت أصوات حروف هذه الفريدة مع ما دلَّت عليه من معنى واتسقت مع الجو العام للآية التي وردت فيها – وبلاغياً: أي من جهة ما تنطوي عليه الفريدة من نكات بلاغية ولمسات بيانية وأسرار ولطائف فنية) يعتبر أمراً ضرورياً، يؤكد به إعجاز القرآن البيانيّ والبلاغيّ عن طريق التعبير بهذه الفرائد بين طيات سوره وآياته مع اختلاف المقامات والسياقات التي وردت فيها.

والموضوع لهذا يستحق الدراسة، ويأمل الباحث أن يضيف به إلى بحوث البلاغة القرآنية لبنة تساهم في إعلاء قدرها.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

1- حبي الشديد للقرآن الكريم، ورغبتي الملحة والمستمرة على الارتباط به بأي صلة، وبخاصة عند تلاوتي له ووقوفي المستمر عند بعض ألفاظه التي تسترعي نظري فأحاول – جهدي – أن أجد لها تفسيراً. فأجدها فرصة لإشباع نهم هذه الرغبة من خلال الغوص في أعماقه، والتبحر في مكنوناته، والكشف عن قلائده، والبحث في فرائده، وقضاء أكبر وقت ممكن بين جنباته، وفي رحابه، وتحت قبابه.

2- الإحساس بأن حقل الدراسات القرآنية في حاجة ماسة إلى المزيد من البحوث اللغوية والبلاغية التي تكشف عن أسراره وتجلي خواص الجمال في أسلوبه.

3- تعد ظاهرة الفرائد من أهم ما يلفت النظر، ويسترعي اللب في القرآن الكريم -ومع ذلك- فإنها لم تظفر– فيما أعلم – بدراسة مستقلة تشملها بجميع تقسيماتها اللفظية واشتقاقاتها اللغوية، تحاول رصد صورها، واستجلاء بعض ما تشعه في ذلك البيان الخالد من قيم وأسرار.

4- لقد أورد البلاغيون واللغويون كثيراً من صور تلك الفرائد في القرآن الكريم، غير أن إيرادهم لتلك الفرائد لم يكن – في الأعم الأغلب – من أجل تحليلها، والوقوف على دورها التعبيري والتأثيري في السياقات التي وردت فيها، ومعرفة الأسرار البلاغية التي تقف وراءها،

بل إما من أجل حصرها، أوإثبات عدم تكرارها أو ورودها في مقام آخر، أو الدفاع عنها بوصفها من مشكل، أو غريب القرآن، أو إعجازه اللغوي.

- **مشكلات البحث:**

ولقد تمثلت مشكلات هذا البحث فيما يأتي:

1- ماهية الفرائد القرآنية التي وردت في القرآن الكريم وتحتاج إلى الفهم، وتقسيماتها.

2- مكانة الفرائد القرآنية عند النقاد والبلاغيين وأهميتها، وإلى أي مدى تمت دراستها من قِبَل العلماء حتى الآن.

3- كيفية دراسة هذه الفرائد القرآنية من منظور لغويّ بلاغيّ سياقيّ من أجل إثبات تفردها في سياقها وأسباب هذا التفرد، وإظهار إعجاز القرآن في تناوله لمثل هذه الكلمات.

4- العلة في عدم تكرارها في سياق مشابه لسياقها، أو ذكر مرادف لها في مكانها.

5- النكات البلاغية والأسرار البيانية التي يمكن الكشف عنها من خلال الفرائد القرآنية.

- **أسئلة البحث:**

١ -ما تعريف الفرائد لغة واصطلاحاً؟

٢ -هل ورد ذكر للفرائد عند النقاد والبلاغيين والدراسات التي تناولت بلاغة القرآن؟

٣ -كيف تناول النقاد والبلاغيون الفرائد من خلال مؤلفاتهم، وهل هناك فرق بين ما ذكروه وبين ما جاء عند من تناولها حديثاً؟

٤ -كم عدد الفرائد الواردة في القرآن الكريم؟

٥ -ما أنواع الفرائد في القرآن الكريم؟

٦ -كيف تسهم دراسة الفرائد في الدراسات البلاغية الحديثة المتعلقة بالقرآن الكريم ؟

٧ -هل هناك حاجة إلى تحليلها وتفسيرها والوقوف على أسرارها؟ وإلى أي مدى يسهم هذا في فهم القرآن فهماً صحيحاً؟

٨ -ما مدى حاجة السياق القرآني إلى مثل هذه الفرائد؟ وهل يغني غيرها غناءها في هذا الموقع؟

9- هل اتسقت الفريدة مع سياقها ومقامها؟

- **أهداف البحث:**

1- التعريف بالفرائد لغة واصطلاحاً.
2- الوقوف على ما إذا ورد ذكر لمصطلح الفرائد عند النقاد والبلاغيين وكذلك عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم.
3- معرفة الكيفية التي تناول بها النقاد والبلاغيون الفرائد، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن.
4- حصر الكلمات التي لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، ولم يشتق من جذرها سواها.
5- الكشف عن تقسيمات هذه الفرائد في القرآن وأنواعها.
6- تقديم نموذج لتحليل شامل لبعض ألفاظ القرآن، ليكون نبراساً ومعيناً لتحليل آخر يشمل بقية ألفاظه بطريقة أكثر عمقاً، وأحسن عرضاً، وأشمل نفعاً.
7- التعريف بهذه الكلمات ولفت النظر إليها من الوجهة البلاغية، يساعد الدارسين والباحثين في تقديم بحوث جديدة تتناولها من جوانب آخرى، أو إضافة الجديد حولها.
8- إثبات حاجة السياق لمثل هذه الفرائد وليس لغيرها لتنسجم وتتناغم تماما مع ما قبلها وما بعدها التي لا يغني غيرها مكانها، ولإثبات شدة كمال اتساقها وتناسبها في موقعها.
9- دراسة كل فريدة قرآنية لغوياً وصرفياً وصوتياً، وما يترجح لها من المعاني التي يقتضيها السياق القرآني، ثم إظهار دورها في السياق لمعرفة سرها البلاغي، وإثبات ما لها من خصوصية وتفرد مكنّها هي وليس غيرها من التصدر في هذا المقام خاصة وبجدارة.

- **منهج البحث:**

إن من مسلمات البحث العلمي اعتماده المنهج المناسب لسياق الدراسة، وفي مثل هذا الموضوع نجد أن المنهج التكاملي الذي يمزج بين المنهج التاريخي الذي يتتبع الظاهرة في أصل نشأتها، ومن أول من أطلقها واستعملها مروراً بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن....إلخ، والمنهج التحليلي اللغوي والذي يفيد في تحليل الكلمات لغوياً لإدراك المعنى، ثم المنهج الوصفي والذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها، ثم المنهج الفني الذي يبين هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية، وسره البياني. ولذلك يقول الدكتور شوقي ضيف- رحمه الله -: " فالبحث الأدبي لا يكتفي بوصف أحاسيس الباحث إزاء الآثار الأدبية، بل يحاول أن يعلل هذه الأحاسيس، وأن ينتقل من التذوق إلى العلل والأسباب انتقالاً يحلل في تضاعيفه الأثر الأدبي

تحليلاً يوضح عناصر جماله، وتأثيره في النفوس، وإذا كان التذوق هو الأساس الذي يقوم عليه البحث الأدبي، فإن التحليل هو البناء كله، أو قل ينبغي أن يكون البناء كله "[1].

ولعلّ البحث في المعاني الدقيقة لفرائد القرآن هو خطوة من خطى التفسير البياني التي تأصلت أصوله في الدراسات الحديثة؛ إذ بدا للباحث بعد طولِ مدةٍ أنه يقع على منهج له في الدرس الحديث شبيه ومثيل، فقد اعتمدت على الأصل اللغوي لفهم حقيقة الألفاظ، ثم عولت على سر ورودها في القرآن الكريم باستقراء مواضعها، والاهتداء بهدي سياقها ونظمها المعجز، فضلاً عن تناولها موضوعياً مبتعداً عن أسلوب المفسرين في تتبع الآيات والسور دون تتبع الألفاظ والاستعمال القرآني، فألفيت نفسي ألتقي في هذه الشعاب مع منهج التفسير البياني من اعتماد الحس اللغوي المرهف، واستقراء مدلول الفريدة من القرآن الكريم، بالاحتكام إلى المقام والمناسبة لتحديد دلالة اللفظ التي لاتؤديها كلمة سواها، ومن ثم إثبات إعجازها البياني واللغوي.

وهناك نقاط تجدر الإشارة إليها في منهجية البحث وهي:

1- لقد اتبعت في سردي لهذه الفرائد ترتيب ورودها في القرآن من أول سورة البقرة وحتى سورة الفلق، ولم أشأ أن أقسمها حسب السور المكية أو المدنية أو الترتيب الأبجدي ليتسنى للقاريء الوصول إليها بسهولة.

2- ضربت الذكر صفحاً عن الفريدة التي تكرر جذرها في غير آية، أما الفريدة التي تكررت وذكرت مرتين في آية واحدة، ولم تتكرر في باقي آي القرآن فقد تعرضت له بالدراسة من مثل كلمة: (هيهات هيهات) فقد وردت مرة واحدة في القرآن ولكنها كررت في هذه الآية؛ ولذا بقيت متفردة لأنها لم تذكر في سياق آخر، ووردت في آية واحدة.

3- دراستي للفرائد القرآنية دراسة بلاغية تنبني على أسس لغوية؛ لاستخراج جمالها، وروعة تناسقها، وقوة اتساقها، وإظهار فصاحتها، وكذا سر تفردها – إن وجد وفتح الله به – فالله لا يُسأل عما يقول، وهو المالك الوحيد لأسرار كتابه فيفتح ما شاء متى شاء لمن شاء، فلست منوطاً بإثبات سر تفردها، مع أني أحاول جهدي في الوصول إلى ذلك وإمعان النظر في الفريدة من خلال (أصوات حروفها – بنيتها التركيبية – هيئتها الصرفية – تعريفها وتنكيرها– إفرادها أو تثنيتها أو جمعها – سياقها – موقع إعرابها) متسلحاً بكتب التفاسير وأقوال العلماء وبقدر كبير من الحيادية والبعد عن الانطباعات الشخصية، ولا يسعني هنا

---

(1) ضيف، شوقي.(1997م). **البحث الأدبي**. مصر:دار المعارف، ط8، ص63.

إلا أن أنقل كلام الباحث الذي سبقني في بحث بعض منها، فما واجهه هو في عناء البحث في الفعل المضارع قد تعرضت له، وشعرت بما اعترف هو به عندما قال: "   وأعترف بأن بعض الأفعال في هذا البحث كانت عَصِيَّة أَبِيَّةً فلم تبح لي بسر تفردها رغم إحساسي الغامض بهذا السر وشوقي العارم لمعرفته، وحينذاك كنت أكتفي بالطواف حول حصن هذا الفعل المنيع ألتمس بلاغة سياقه ومقامه. لعله في المستقبل يبوح لي أو لغيري من الباحثين بهذا السر، وليعذرني القاريء في ذلك، فحسبي أنني– فيما أعلم – أرود طريقا غير معهود ومجالا غير مسبوق"[١].

4- إن منهج البحث في هذا الموضوع يتباين تماماً عن مناهج البحث في غيرها من الموضوعات الأخرى التى تخضع للتقسيم ويتمكن فيها الباحث من التبويب لجزئياته، والتسلسل المنطقى لموضوعاته، وترتيب أفكاره، والذى يحفظ للبحث ترابطه، ويساعد على تماسكه، ويؤمن ووحدته، وتؤدى فيه المعطيات والمقدمات إلى الاستنتاجات، وذلك لأن الفرائد – موضوع هذا البحث – لا ترابط بينها، ولا توجد بينها قواسم مشتركة، ولا عوامل متشابه ة – فيما أرى –، فعوامل التفرد والتفرق فيها طغت على عوامل الاتحاد والترابط، بسبب كونها متناثرةً في ثنايا مواقف وسياقات شتى ، ولعله يأتي من الباحثين من يفتح الله عليه بتقسيم لها وتبويب.

وعلى الرغم من محاولاتي المتكررة من إيجاد عنوان واحد يجمع تحته مجموعة من الفرائد إلا أنها استعصت عليَّ، وكنت أشعر فى كل مرة أن فى هذا تكلفًا وتعسفًا، فما كان مني إلا أنني وضعتها تحت صورتها التي جاءت عليها في القرآن سواء أكانت اسما أم فعلاً أم اسم فعل، وآثرت الدخول مباشرة إليها حسب ترتيب ورودها فى سور القرآن الكريم بادئًا بسورة البقرة ومختتماً بسورة الفلق.

لذا فقد جاءت الدراسة في بابين، جاء الباب الأول أقصر من الباب الثاني؛ لأن الفرائد محل البحث فيه (الفعل الماضي – فعل الأمر – أسماء الأفعال) وعددها اثنتان وستون فريدة، بينما تناول الباب الثاني فرائد الأسماء وعددها مئتان وإحدى وثمانون فريدة؛ مما يجعل الباب الثاني أطول من الباب الأول؛ ولهذا أعتذر مُقدماً عن عدم تناسق حجم البابين نظراً لاختلاف عدد الفرائد فيهما

---

(١) إبراهيم،كمال عبد العزيز.(2010م).**بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم"المضارع نموذجاً"**.   القاهرة:الدار الثقافية للنشر.

- **الدراسات السابقة:**

لقد عنيت دراسات وأبحاث بتناول الفرائد القرآنية في دراسات سابقة، منها ما كان معجمي، ومنها ما كان لغوي، ومنها ما كان إحصائي، ومنها ما كان بياني بلاغي، وقد تناولت بعضٌ من هذه الدراسات الفرائد تناولاً بيانياً بلاغيا محاوِلةً الكشف عن سر إعجازها بل وسر تفردها في سياقها، ولكنها كانت تقتصر فقط على عدد من هذه الفرائد ولم تتناولها جميعها. أما بالنسبة لهذا البحث فيميل الباحث فيه إلى دراسة الفرائد كلها بدءا من سورة البقرة ومختتما بسورة الفلق محاولاً الكشف عمّا فيها من أسرار لغوية، وقيم تعبيرية، وخصائص فنية، ولطائف جمالية، ونكات بلاغية، مكَّنتها هي وليس غيرها من موقعها بين آي الذكر الحكيم. وكذا والوقوف على أسباب تفردها في سياقها ومجيئها على هذا النحو الخاص. ومن هذه الدراسات:

* **مفاريد الألفاظ في القرآن (دراسة لغوية)**(1):

أراد الباحث في هذه الرسالة تسليط الضوء على بعض القضايا والمسائل اللغوية من صوتية وصرفية ودلالية في هذه المفاريد القرآنية. وحدد لنفسه المنهج الوصفي لتتبع مثل هذه المسائل، وقسّم بحثه إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة ثم فهارس فنية متنوعة. أما المقدمة فقد ذكر فيها أهمية الموضوع ودوافعه لاختياره، ثم التمهيد وبيّن فيه المراد بمفاريد الألفاظ في القرآن الكريم، والكشف عن العلاقة بين المفاريد في القرآن الكريم ومصطلح المفاريد عند القدامى، كذلك تحدث فيها عن الأساس الذي تم في ضوئه جمع المادة اللغوية التي تقوم عليها الدراسة.

وجعل الفصل الأول في إحصاء وترتيب المفاريد حسب ورودها في القرآن الكريم، وصنع لها جداول موضحة لصورتها في رواية حفص لقراءة عاصم وصورها في غيرها من القراءات.

وجاء الفصل الثاني دراسة صوتية لهذه المفاريد واشتمل على خمسة مباحث، وهي: الإبدال، الإمالة والفتح، الهمز والتسهيل، التخفيف، وأخيرا المماثلة والمخالفة. وتعرض لكل ظاهرة صوتية من هذه الظواهر بالشرح والتحليل ثم ساق أمثلة من الفرائد عليها.

أما الفصل الثالث فكان دراسة صرفية في المفاريد، واشتمل على ثلاثة مباحث، وهي: صيغ الأفعال و(شمل الفعل الماضي ومستقبل الثلاثي ثم التجرد والزيادة)، والمبحث الثاني: القلب

---

(١) يونس،محمود عبد الله عبد المقصود.(1421هـ/ 2000م).**مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم (دراسة لغوية)**. رسالة ماجستير(مخطوطة)،كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر. مصر.

المكاني، والثالث: اختلاف الصيغة لاختلاف القراءة. وتناول كل منها بالتوضيح وذكر آراء العلماء فيها ثم تطبيقاتها على المفاريد.

وجاء الفصل الرابع دراسة دلالية في المفاريد، واشتمل على ثلاثة مباحث، وهي: العلاقات الدلالية في المفاريد ومنها: المشترك اللفظي، والأضداد، والترادف. وتناولها بعرض تعريفاتها وآراء العلماء فيها وأسبابها وساق أمثلة من المفاريد عليها، والمبحث الثاني: الفروق اللغوية، والثالث: التطور الدلالي في المفاريد.

وتحدث في الفصل الخامس عن مباحث فقه اللغة في المفاريد، واشتمل على أربعة مباحث، هي: مناسبة الألفاظ لمعانيها، قضية التعريب، الاشتقاق، ثم اختلاف أصل اللفظ باختلاف القراءة.

وأخيرا الفصل السادس والذي كان بمثابة معجما للمفاريد، رتب فيه الباحث المفاريد كلها ترتيبا ألفبائيا مراعياً الحروف الأصول دون غيرها، مع ذكر معانيها مسترشدا بأقوال أهل اللغة والمعاني.

ثم جاءت الفهارس، وأخيرا النتائج والتي منها: أن الترادف موجود في القرآن الكريم مادام قد ثبت في اللغة المشتركة. وأيضاً يرد البحث قول ابن دارستويه وابن فارس في إنكار وقوع القلب المكاني في القرآن الكريم، بدليل أنه وقع في بعض ألفاظ الفرائد، وغيرها من النتائج المفيدة والنافعة.

ومما تقدم نلاحظ أن هذه الدراسة تناولت الفرائد دراسة صوتية وصرفية ومعجمية بحتة بعيدة كل البعد عن الدراسة الفنية الجمالية في إطار سياقها كما أبان هو عن منهجه في مقدمة رسالته، وقد أوصى الباحث في خاتمتها بدراسة الفرائد من الناحية البلاغية الجمالية، فضلاً عن أنه لم يتعرض عن أسرار تفردها في مكانها كما هو متوقع لهذا البحث. إضافة إلى ذلك لم يتعرض لكل الفرائد في دراسته اللغوية بل كان يكتفي – في الأعم الأغلب – بذكر نماذج للتوضيح والتطبيق.

ولكن هناك جزءا متعلقا بهذه الدراسة التي نحن بصددها وهي معاني هذه الفرائد وما ورد عنها في المعاجم القديمة والحديثة، وعليه فإنه يمكن الاستفادة منه في طريقة تتبع الفريدة في المعاجم القديمة والحديثة. وكذلك يمكن الاستفادة منها في معرفة الدلالات اللغوية للفرائد والتي من الممكن أن تفتح الباب لهذا البحث عن سر تفردها والذي يتسق مع المعنى الكلي للسورة، والهدف المقصود من الآية.

* ومن الباحثين للفرائد والمهتمين بها باسل البسومي؛ حتى إنه خصص لها معجماً وسِمه بـــ: **معجم الفرائد القرآنية**[١]: ويقوم جُلُّ هذا البحث على رصد المفردات القرآنية، والعمل على استخراج

(١) البسومي، باسم سعيد.(1412هـ/2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.رام الله: مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية.

معانيها من المعاجم اللغوية، وكتب التفسير التي تتميّز بالتركيز على الجانب اللغوي، وفي حالات الاستشكال كان يقوم بالاطّلاع على مزيد من المراجع . ويعتمد الباحث في هذا العمل – كما ذكر في مقدمته – على ركنين أساسيين هما: الركن الأول: إحصاء الألفاظ القرآنية التي لم تتكرر إلا مرة واحدة فقط، ولم يشتق من جذرها اللغوي سواها . الركن الثاني: دراسة كل لفظة من هذه الألفاظ، وإعطاء المعنى اللغوي للكلمة، وما ترجح لدينا من المعاني التي يقتضيها السياق القرآني.

وكما لوحظ أن الدراسة معجمية بحتة فلقد قام فيها الباحث برصد الفرائد، وجمعها في كتاب واحد، وعمل على استخراج معانيها من المعاجم اللغوية القديمة، وكتب التفسير التي تتميز بالتركيز على الجانب اللغوي، وبحث كذلك عن جذر الكلمة، وكم مرةً ورد هذا الجذر في القرآن الكريم. وهذا بدوره يختلف عن هذه الدراسة؛ حيث ستتناول الفرائد من النواحي الجمالية والفنية إضافة إلى الجوانب اللغوية؛ لذا يتوقع أن تستفيد هذه الدراسة منها في استقصاء المعاني المرجّحة والمتفق عليها للفريدة في المعاجم اللغوية.

* ومن الذين لفت نظرهم ألفاظ الفرائد ولكنه لم يسمّها باسمها الذي اصطلح عليه القدماء والمحدثون الباحث: عاطف المليجي في كُتَيِّبِه الموسوم بـ (**الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها**)[١]:

وهذه الدراسة عبارة عن كتيب صغير، ذكر فيه الباحث أكثر فرائد القرآن حوالي (371) فريدة، كل فريدة مصحوبة بذكر معناها المعجمي بإيجاز شديد. والملاحظ أن هذه الدراسة لم تتطرق لأي لمحة جمالية بيانية أو نكتة بلاغية خاصة بالفرائد، والمادة العلمية فيه متواضعة جدا لم يقدم فيها الباحث أي جديد غير أنه جمع فيها عددا من الفرائد؛ لذا لن يلتفت إليها. وبالتالي ظهر جلياً الفرق بينها وبين هذا البحث من جهة أنه لم يتناول كل الفرائد في القرآن كله وهذا ما سيقوم هذا البحث به، فضلا أنه لم يتناول أسرار الإعجاز كما هو واضح من عنوان البحث.

* ومن الذين اهتموا بالفرائد حديثاً سارة العتيبي التي أعدّت رسالة لنيل الدكتوراه والموسومة بـ: **بلاغة الفرائد القرآنية**[٢]: أرادت الباحثة بهذه الرسالة أن تسهم في إثراء المكتبة القرآنية ببحوث

---

(١) المليجي،عاطف.(2002م).**الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها**.القاهرة: دار حورس الدولية للطباعة والنشر

(٢) العتيبي،سارة بنت نحر بنساير.(1430هـ/2009م).**بلاغة الفرائد القرآنية**،(رسالة دكتوراه)، كلية اللغة العربية،جامعة الإمام محمد بن سعود، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي .السعودية.

بلاغية ذات صلة يالقرآن الكريم. وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة. فالمقدمة تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختيارها له ومن سبقها بدراسات ذات صلة بالموضوع، ومنهجها في البحث، وخطته. وتناولت في التمهيد مفهوم الفرائد، وتناولت هذا اللفظ في كتب التفسير وعلوم القرآن.

ثم جاء الفصل الأول بعنوان: اصطفاء الفريدة القرآنية، واشتمل على عدة مباحث. وقد حددت من خلالها القوالب والأشكال والصور التي وردت عليها الفرائد القرآنية. وهذه المباحث هي: 1- المادة اللغوية 2- الصيغة الصرفية 3- الاسم والفعل 4- التذكير والتأنيث 5- الإفراد والتثنية والجمع 6- التعريف والتنكير.

وأثبتت فيه أن الفرائد قد صيغت في أنماط وأشكال مختلفة وهذا من أسرار تفردها وتميزها وساقت نماذج من الفرائد على كل مبحث من هذه المباحث السابقة.

ثم جاء الفصل الثاني: ولقد تحدثت فيه عن أثر الفريدة في بناء الجملة، وتتناولت فيه المواقع الإعرابية لبعض الفرائد وكيف كان الموقع الإعرابي ذا أثر في تميز الفريدة، وتناولت أيضا ما وقع من الفرائد في جمل خبرية وإنشائية، ومن تقديم وتأخير، وما جاء منها في جمل شرط، وما ورد فيها في جمل قصر، وما حدث فيها من إيجاز وإطناب. يعني تناولت نماذجاً من الفرائد ما يتماسّ ويتوافق مع علم المعاني.

ثم جاء الفصل الثالث: أثر الفريدة في بناء الصورة البيانية، وساقت أمثلة من الفرائد على التشبيه والمجاز والكناية، يعني ما يخص علم البيان.

وكان الفصل الرابع عن أثر الفريدة في التناسق الصوتي، وتعرضت فيه لأمرين، الأول: جماليات البناء الصوتي للفريدة، وأثبتت أن أصوات حروف الفريدة له أثر في الدلالة والمعنى، ويتناغم مع الجو العام للآية سواء أكان تهديد ووعيد، بشرى ونعيم....إلخ. والأمر الثاني: هو الجمال في الفرائد التي وقعت فاصلة في نهاية الآيات، وكيف أنها اتسقت مع المعنى وتناسبت مع جميع فواصل السورة.

ثم جاء الفصل الخامس: وتحدثت فيه عن خصائص الفرائد في الشكل والمضمون.

وأنهت بحثها بخاتمة أثبتت فيها جملة من النتائج منها: أن الفرائد اشتلمت على جميع علوم البلاغة من بيان وبديع ومعان، إضافة إلى أن الفرائد تميزت بدقة الاختيار، وأنها تنم عن سمات فنية متنوعة. ويحمد للباحثة أنها أردفت رسالتها بفهارس تمكن القاريء من سهولة الوصول إلى ما يريد.

ومن خلال هذا العرض تبين أنه بحث ثرّ يمكن الاستفادة منه فيما يتعلق بطريقة التحليلات البلاغية للفريدة وما انطوت عليه من جمال وحسن بديعي أو بياني أو معنوي.
والملاحظ أن ثمت فروقاً بين ما قامت به في بحثها وبين هذه الدراسة – برغم ما اتفقا عليه من الدراسة البلاغية للفرائد–. وهذه الفروق تتجلى من خلال الآتي:
* جاءت دراستها بلاغية بحتة – وإن تعرضت فيها أحياناً لبعض الفرائد صوتيا وصرفيا – أظهرت فيها ما انطوت عليه الفرائد من ألوان البيان والبديع والمعاني، ولم تتطرق إلى ماورد فيها من أسرار بيانية ونكات بلاغية ولطائف لغوية – إلا في القليل النادر – وأسرار تفردها، ولماذا لم يغن غيرها مكانها وهذا ما انبرى له هذا البحث. وهي حقيقةً قد حددت أن دراستها بلاغية فقط ولا تتطرق إلى أمور أخرى.
* اختارت أمثلة من الفرائد للتطبيق والاستشهاد، ولم تأت على الفرائد جميعها، وهذا ما سيقوم به هذا البحث.
* اقتصر البحث فقط على تناول مصطلح الفرائد في كتب التفسير وعلوم القرآن، ولم تتطرق إليه في كتب التراث النقدي والبلاغي القديم والحديث، وهذا ما سيقوم به هذا البحث.
وعليه فقد اتفقت الدرستان في شيء واختلفت في أشياء؛ ولذا سيحاول هذا البحث أن يتناول الموضوع بشكل أوسع وطريقة أشمل تتعاضد فيه العلوم اللغوية والبلاغية محاولا الوصول إلى أسرار الفرائد، وبيان وجوه إعجازها .

* ومن الدارسين للفرائد أيضاً الباحث:كمال عبد العزيز إبراهيم في كتاب له وسِمه بـ: **بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم"المضارع نموذجاً"** [1]. فهذه الدراسة —كما أشار مؤلفها في المقدمة – تسلط الضوء على الفعل المضارع الفذّ فتدرسه في سياقه وتتلمس بلاغة تفرده وعدم تكراره. وهذه الدراسة تتفق مع سيقوم به هذا البحث منهجاً وموضوعاً، ولكنها طرقت جانباً واحداً من الفرائد وهو الفعل المضارع، ولم تتطرق إلى التقسيمات الأخرى، أي لم تكن شاملة ووافية لكل الفرائد في كتاب الله – عز وجلّ – ، ولقد ذكر ذلك الباحث في المقدمة معللا ذلك بقوله لتحديد مجال البحث؛ حتى لا يتسع وليس لخاصية معينة في المضارع الفذّ، وقد بدأه بالفعل (ينعق) وختمه بالفعل (لنسفعن). وتوصل إلى في خاتمة البحث إلى أن العامل الأهم

(١) إبراهيم،كمال عبد العزيز.(2010م).**بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم"المضارع نموذجاً"**. القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

والأغلب في تفرد أي فعل هو سياقه ومقامه الذي يقتضي مجيئه ببنيته الصوتية والصرفية وبالنظم الذي ورد فيه. ويمكن الاستفادة منها في طريقة عرض الفريدة في سياقها وكذا طريقة تحليلها بلاغياً. وقد أردف الباحث في نهاية الدراسة قوائم ببقية الكلمات الفريدة التي تنتظر من يكشف عنها الستار. وهذا ما سيقوم به الباحث في هذه الدراسة بتوفيق الله وعونه.

* ومن البحوث ذات الصلة بهذا الميدان بحث بعنوان: **الظواهر اللغوية في معجم الفرائد القرآنية**(١).

لقد تناولت الباحثة الظواهر اللغوية التي وردت في كتاب (معجم الفرائد القرآنية)، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول عن ظاهرة الترادف، وتتبعت بشكل مختصر نشأة الترادف وأسبابه وأقوال العلماء فيه قديما وحديثا، واختارت عشر فرائد من المعجم والتي وقع فيها ترادف.

وكان المبحث الثاني عن ظاهرة الأضداد. وما فعلته في المبحث الأول فعلته في الثاني إضافةً إلى سرد بعض آراء المؤيدين لظاهرة الأضداد ومنكريها.

ثم المبحث الثالث بعنوان: الفروق اللغوية، وتحدثت فيه عن الفروق اللغوية وأهم من كتب فيها، وساقت خمس كلمات من الفرائد كنماذج على ذلك.

وأخيرا الخاتمة واشتملت على جملة من النتائج منها: اشتمال القرآن على ظاهرة الأضداد والتي وردت في بعض كلماته. ويمكن الاستفادة من البحث كمرجع لغوي تأسيساً على ما ورد عندها من مصادر ومراجع لغوية متنوعة.

وهكذا رأينا أن بحثها لغوي بحت لم تتطرق فيه إلى أيّ نواح جمالية أو فنية، وهذا واضح من عنوان البحث نفسه، من اقتصاره على الظواهر اللغوية في كتاب معجم الفرائد القرآنية.

* ومن المقالات التي تتعلق بالفرائد مقال للباحث سعيد جمعة بعنوان: **بلاغة الفرائد في القرآن الكريم**(٢). وقد لفت فيه الباحث النظر إلى تفرد الحياة بشكل عام ثم التفرد في القرآن الكريم

---

(١) رعد،هديل.(كانون الثاني/يناير.2012م).**الظواهر اللغوية في معجم الفرائد القرآنية** . بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم. مجلد(19).عدد(1).

(٢) جمعة،سعيد.26. 3. 2012م.**بلاغة الفرائد في القرآن الكريم** .مقال منشور في موقع قسم البلاغة والنقد كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر الشريف (فرع شبين الكوم) المنوفية.مصر.btt:montadarabia.com

(2) سرحان،عبدالله عبد الغني.(1433هـ/2012م).**الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية**.السعودية :مطابع نجد التجارية.

بشكل خاص، ومن الأشياء التي تفردت في القرآن القصة من مثل قصة سيدنا يونس – عليه السلام – والبقرة وهاروت وماروت والخضر، ومن الأحكام التي تفردت كذلك أحكام الدَّيْن التي لم تذكر في القرآن إلا مرة واحدة. ومن الأمور المتفردة في القرآن تفرد الجملة ثم تفرد الكلمة، ودعا الباحثين إلى أن مثل هذا الموضوع وهو تفرد الكلمات من الموضوعات التي يجب أن تدرس دراسة بلاغية لاستخراج دررها، واكتفى بهذه الدعوة ولم يزد عليها شيئا ولم يقم بدراستها .

* ومن الدراسات التي تناولت الفرائد بشكل مباشر **الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية**[١]
قصد الباحث في هذه الدراسة التنقيب عن الأسرار البلاغية التي تنطوي عليها الفرائد القرآنية،
ولكنه اقتصر على الفرائد التي وردت في القصص القرآني، وعلل هذا في مقدمة البحث بقوله: " لأنها من الغزارة والكثرة بمكان ".

وقد قسم خطة الدراسة إلى مقدمة وتمهيد واثني عشر مبحثاً وخاتمة. وقد تعرض في التمهيد لأسباب اختياره للموضوع وسر تسميته بهذا الاسم. وتناول في المباحث الفرائد التي وردت في القصص القرآني مبتدئاً بقصة سيدنا نوح ومختتما بقصة سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم – معرجاً على بعض القصص القرآنية الأخرى في نهاية البحث، التي اشتملت على بعض الفرائد.

وجاء المبحث الأول بعنوان: أسرار التعبير بالفرائد في قصة نوح، والثاني: في قصة هود، والثالث: في قصة صالح، والرابع: في قصة إبراهيم وإسماعيل ولوط، والخامس: في قصة يوسف، والسادس: في قصة موسى، والسابع: في قصة داود وسليمان، والثامن: في قصة يونس، والتاسع: في قصة زكريا، والعاشر: في قصة عيسى، والحادي عشر: في قصة سيدنا محمد– عليهم جميعا الصلاة والسلام –، والثاني عشر: في قَصَص قرآني متنوع. وأخيرا جاءت الخاتمة التي توصل فيها إلى نتائج منها: إن أكثر الفرائد القرآنية وردت في سياق قصص الأنبياء، واستعملت في معناها الحقيقي، واستخدم قليل منها في المعنى المجازي، ومنها أن الفرائد في كثير من قصص القرآن تشير من طرف خفي إلى العمل أو الحرفة التي كان يقوم بها النبي من مثل (دسر)، (السرد)، (أهش) ...وهكذا.

وعلى هذا فالمدقق في بحثه يجده اتفق مع هذه الدراسة موضوعا ومادةً، إلا أنه اقتصر فقط على الفرائد الواردة في القصص القرآني عامة مثل: قصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب القرية،

---

(١) سرحان،عبدالله عبد الغني.(1433ه/2012).**الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية**.السعودية: مطابع نجد.

وقصة الفيل، وقصة قابيل وهابيل، وفي قصص الأنبياء خاصة، وبهذا تكون دراسته جزئية لا تشتمل على الفرائد كلها، وهذا ما سيقوم هذا البحث به، إلا أنه يمكن الاستفادة منه في معرفة بعض أسرار الفرائد التي توصل إليها، والتي لم تبح لي عن سر مجيئها.

وللأمانة العلمية ينبغي أن أشير هنا إلى إفادتي من هذه الدراسات في تثبيت عدد الفرائد التي جمعتها، وقد استدركت عليهم بعضها بالزيادة، وحذفت منها ما أثبتوه على أنه فرائد وتبين بعد الدراسة والتنقيب والاستقصاء أنه ليس كذلك.

- **حدود البحث:**

ومحور دراسة هذا البحث وحدوده حول الكلمات التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة ولم تتكرر في سياق آخر، ولم يكرر جذرها، المسماة (بالفرائد)، والتي وردت في القرآن على قسمين القسم الأول: الأفعال: (الماضي والأمر واسم الفعل) والقسم الثاني: الأسماء. ويستثنى من الأفعال الفعل المضارع فقد قام بدراسته أحد الباحثين بشكل منفرد في دراسة مستقلة؛ لذا لن يدخل في موضوع الدراسة. ويتناولها من الوجهة البلاغية مستعيناً بجملة الوسائل التي تعين على ذلك من مناهج ومراجع ذات صلة بالموضوع.

بناءً على ما سبق وبعد هذا العرض الموجز لهذه الدراسات يتضح جلياً أنها إما جزئية، أو لغوية، أو معجمية، أو بلاغية ولكنها إما أن تكون قد تعرضت لعدد معين ومخصوص من الفرائد أو لم تتناول جميع الفرائد التي وردت في القرآن الكريم. وبالتالي تباينت هذه الدراسة عن سابقاتها بأنها ستتعرض لكل الفرائد القرآنية، وكذا دراستها من الناحية البلاغية، وفاءً للقرآن الكريم، وإثراءً للغته.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة مشفوعة بالمصادر والمراجع، وقد جاءت المقدمة مشتملة على: علة اختيار عنوان البحث ومشكلاته وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف الموضوع وأهميته وحدوده ومنهجية البحث فيه.

وذكرت في التمهيد حديثاً مجملاً عن الفرائد في التراث النقدي والبلاغي. ثم جاء الباب الأول وهو بداية الدراسة التطبيقية وقد تعرض الباحث فيه لفرائد الماضي والأمر وأسماء الأفعال.

وجاء الباب الثاني خاصاً بفرائد الأسماء.

وفي كلا البابين قمت بدراسة هذه الفرائد جميعها عن طريق التحليل اللغوي والبلاغي وتوضيح السياق لإثبات سر إعجازها وبيانها وتفردها.

وأخيراً جاءت الخاتمة: والتي أثبت الباحث فيها النتائج التي وصل إليها، ثم التوصيات والاقترحات وثبت المصادر والمراجع.

وعلى أية حال فهذا جهد متواضع أضعه بين أيدي القاريء؛ ليشجعني على صواب، أو يرشدني إلى خطأ، فإن جلال كلام الله يجعل المفسرين الثقات، والعلماء الأفذاذ يضعون أيديهم على قلوبهم حين يتصدرون لبيان شيء فيه، وأين أنا منهم؟ وما دفعني على الكتابة فيه إلا حب أكنه لهذا البيان السامق، وإلا عظمة وعزة وروعة وجمال يحسها فيه كل من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد. وحسبي أني مجتهد، والمجتهد لا يخلو من أجر. أصاب أو أخطأ، وفرق ما بين الأجرين فرق ما بين الصواب والخطأ. وحسْب هذا البحث أن يكون بناناً تومىء من بعيد إلى تلك البلاغة القرآنية في أجلّ مراتبها وأعلى رُتبها. وكأني أتمثل قول القائل: و خير من عجز المحيط طاقة المشير.... والحمد لله في الأولى والآخرة.

التمهيد

الفرائد القرآنية في التراث النقدي والبلاغي

١ –ماهية الفرائد

٢ –الفرائد عند النقاد والبلاغيين

٣ –الفرائد عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن

٤ –الفرائد عند منْ أفردها في أبواب خاصة بها

التمهيد

الفرائد القرآنية في التراث النقدي والبلاغي

أولاً: ماهية الفرائد[1]:

قبل الشروع فى هذا التمهيد يحسن إلقاء الضوء على عنوانه؛ ليتضح ما المقصود بكلمة الفرائد. فالفرائد فى اللغة: جمع فريد وفريدة. والفريد هو: الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضا، الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب فى العقد، وهى أيضا: الجوهرة النفيسة، ويقال: استفرد الغواص هذه الدرة، أى لم يجد معها أخرى. وتقول: فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرَّد[2].

ومن المعنى اللغوى للفرائد نستخلص أنها: الألفاظ القرآنية التي لم تأت إلا مرة واحدة فقط، ولم يشتق من جذرها سواها. وهذا المعنى يتفق مع المعنى الاصطلاحي للفرائد كما وردت فى كتب البلاغة والأدب والنقد[3].

---

(١) انظر:إبراهيم كمال، عبد العزيز.(2010م).**بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم** . مصر: الدار الثقافية للنشر.(بتصرف يسير).

(2) انظر: مادة: (فرد) عند: ابن منظور، محمد بن مكرم.(2000م).**لسان العرب** .بيروت: دار صادر.ص3373، الزمخشرى، محمود بن عمر.(1419هـ/1998م).**أساس البلاغة** .محمد باسل عيون السود(محقق).بيروت: دار الكتب العلمية.ج 2.ص184. والراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن** .صفوان عدنان داودي(محقق). بيروت: دار العلم.ص486،485. **والمعجم الوسيط** .. مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط.(2004م).مجمع اللغة العربية.مصر: مكتبة الشروق الدولية.ط4.ص679.

(3) ورد الحديث عن الفرائد كمصطلح بلاغى عند: الحلي، صف الدين.(1983م).**شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع** ، نسيب نشاوي(محقق).دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.ص 245، والحموي،علي بن عبدالله.(1987م).**خزانة الأدب وغاية الأرب**. عصام شعيتو(محقق).بيروت: دار ومكتبة الهلال.ص372، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (1387هـ / 1967م.).**الإتقان في علوم القرآن**. محمد أبو الفضل إبراهيم(محقق).مصر: مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.ج2.ص93، والسيوطي،جلال الدين بن عبد الرحمن.(1988م).**معترك الأقران في إعجاز القرآن** .بيروت: دار الكتب العلمية. ج2.ص93، السيوطى،جلال الدين عبد الرحمن.د.ت. **شرح عقود الجمان** .مصر: دارالفكر.ص 150، المدني، علي صدر الدين بن معصوم.(1388هـ).**أنوار الربيع في أنواع البديع** (مخطوط).شاكر هادي شكر(محقق).النجف الأشرف: م النعمان.ج5.ص267، النابلسي، عبد الغني.(1299هـ).**نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار بفن البديع**.دمشق مطبعة نهج الصواب.ص 269، ابن أبي الأصبع ،(1983م).**تحرير التحبير** .حفنى شرف (محقق).القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ص 576، 578، والسيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن.(د.ت). **المزهر في علوم اللغة**.....

وأول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبي الإصبع المصرى (585/ 654هـ) فى كتابه (تحرير التحبير) تحت عنوان: (باب الفرائد)[1]، وذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة، وحدد المصطلح بأنه: (إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعزَّ على الفصحاء غرامتها) أى خسرانها وفقدانها. ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبى نواس وأبى تمام و البحترى

فمن ذلك قول أبى نواس:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفاَ[٢]

ويعلق ابن أبي الإصبع على ذلك بقوله: "إن لفظة أشرأب من الفرائد التى لا نظير لها فى فصيح الكلام ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور".

ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مُصَدِّرًا لذلك بأن ما جاء فى الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها. ومما استشهد به لفظ (خائنة) من قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٣] معلقا عليها بقوله :(وهذه الفريدة فى هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة (خَآئِنَةَ) سهلة مستعمله كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها فى النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع فى شئ من فصيح الكلام شبهها ، وقد استمر ابن أبى الأصبع على هذا النهج ، وهو يستشهد بقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: (إذا ذكر الصالحون فحيَّ هلا بعمر) فقد أشار إلى أن لفظة (حيَّ هلا) من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح.

وأنواعها.محمد جاد المولى (محقق).مصر:ط الحلبي.ص 251، ومطلوب،أحمد.(1989م).**معجم النقد العربى القديم** .بغداد. ج2.ص160.

(1) ابن أبي الأصبع،(1983م).**تحرير التحبير**.(مرجع سابق). ص576، 578.

(٢) أبي نواس،الحسن بن هانئ.(1984م).**ديوان أبي نواس**. أحمد عبد المجيد الغزالى (محقق).ص432.بيروت: دار الكتاب العربى. واشرأب الدمع:ارتفع من شؤنه ليسيل وينحدر علي الخد، يَكِفَ:مضارع وَكَفَ بمعني سال . وأصل اشرأب:مَدَّ عُنُقَهُ وارتفع كى ينظر. والمعنى أنه في لحظة الوداع ارتفع الدمع وسال علي الخد.. ولعل السر في تفرد الفعل(اشرأب)هنا يرجع إلي تشخيصه وبعث الحياة والحركة فيه وجعله يحس ويتمني والمشبه به ورد في البيت الثاني هو:

رَشأٌ تَوَاصَيْنَ القِيَانُ بِهِ حتي عَقَدْنَ بِأُذْنِهِ شَنَفاً

(٣) سورة غافر، آية رقم: (19).

ولا يخفى تأثر ابن أبى الإصْبَع هنا بنظرية النظم التى أرساها عبد القاهر الجرجانى الذى ينظر إلى الكلمة وحدها فلا يجد لها أى مزية ثم ينظر إليها وهى فى النظم فيجدها قد اكتسبت من البلاغة والروعة حداً كبيراً. ولكن يؤخذ على ابن أبى الإصْبَع تعميم الكلام والاحتكام إلى الذوق الشخصى دون بيان الأسرار البلاغية التى أكسبت الكلمة تفردها وقيمتها.. وهذا ما حاولت فعله فى هذا البحث.

إذن الفرائد فى القرآن تعنى تلك الكلمات التى اكتسبت صفة الفردية بدايةً لكونها كلمات قرآنية انتظمت فى سلك النظم القرآنى البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقاً قوياً؛ بحيث لا يغنى غيرها غناءها فى موضعها وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها كما يقول ابن أبى الأصبع ثم هى اكتسبت ثانياً صفةً أخرى أكثر تخصيصاً وتقييداً وهى كونها (فذّة) أى متفردة لم ترد فى القرآن إلا مرة واحدة، ولم تتكرر فى أى سياق آخر رغم تشابه السياقات أحياناً.

ثانياً:الفرائد عند النقاد و البلاغيين

وقد استقرأت التراث النقدي والبلاغي للنقاد والبلاغيين الآتية أسماؤهم:

1- **الجاحظ**، أبوعثمان عمرو بن بحر (ت255): في كتابه "**البيان والتبيين**".

2- **ثعلب**، أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني (**ت291هـ**): في كتابه "**قواعد الشعر**".

3- **ابن المعتز**، عبد الله بن محمد (**ت296هـ**): في كتابه "**البديع**".

4- **قدامه بن جعفر** (**ت 337هـ**): في كتابه"**نقد الشعر**".

5- **ابن طباطبا**، محمد بن أحمد بن إبراهيم (**ت322هـ**): في كتابه "**عيار الشعر**".

6- **ابن وهب الكاتب**، إسحاق بن إبراهيم (**ت372**): في كتابه "**نقد النثر**".

7- **الآمدي**، الحسن بن بشر بن يحيى (**ت371هـ**): في كتابه "**الموازنة** ".

8- **القاضي الجرجاني**، علي بن عبد العزيز (**ت392هـ**): في كتابه " **الوساطة بين المتنبي وخصومه**".

9- **أبو هلال العسكري**، الحسن بن عبدالله (**ت395**): في كتابه "**الصناعتين**".

10- **ابن سنان الخفاجي**، عبد الله بن محمد (**ت466هـ**): في كتابه "**سر الفصاحة** ".

11- **ابن رشيق القيرواني**، أبو علي الحسن (**ت463هـ**): في كتابه " **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ".

12- **السكاكي**، يوسف بن أبي بكر (**ت626هـ**): في كتابه "**مفتاح العلوم** ".

13- **ضياء الدين بن الأثير**، نصر الله بن محمد (**ت637**):في كتابه "**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**".

14- **حازم القرطاجني**، حازم بن محمد(**ت684هـ**):في كتابه"**منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ".

15- **شهاب الدين النويري**، أحمد بن عبد الوهاب(**ت733هـ**):في كتابه " **نهاية الأرب في فنون الأدب** ".

16- **الخطيب القزويني**، محمد بن عبد الرحمن(**ت739هـ**):في كتابه " **التلخيص في وجوه البلاغة**".

ومن خلال استقرائي لكتبهم يمكننا ملاحظة ما يأتي:

أولاً: لم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد كما هو الأمر عليه الآن، ولم يخصصوا لها مباحث في كتبهم، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند ألفاظ الفرائد منه بشيء من الدراسة والتركيز، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائماً فيما يخص ألفاظ القرآن -في حال التعرض لها- أوصافاً ثابتة لا تتغير عند أي عا لم منهم وهي: الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو الذي سنحاول أن نطرقه في هذا البحث.

ثانياً: انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف....وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم، فضلاً عن مباحثها.

ثالثاً: كان تناولهم للقرآن، وإظهار إعجازه من خلال آيات المشاهد أو-إ ن شئت فقل- آيات الصور الكلية التي تحتوي على أحداث مختلفة في مشهد واحد، وعرض مترابط، كما في قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾"[(1)]، تناقلها الجميع، ومن تعرّض للإعجاز ذكرها وما شاكلها بالشرح والتحليل، وهكذا.

---

(١) سورة هود، آية رقم:(44).

رابعاً: حاول كثير منهم الانتصار للقرآن الكريم من خلال إثبات أنه يحتوي على كل علوم البلاغة من معان وبيان وبديع، فناً فناً، حتى وصل الأمر إلى حد لَيّ عُنق الآية، أو تحميلها ما لا تطيق من أجل إثبات وجهة نظره، وفكرته التي طرحها، وحُكمه الذي اتخذه، وربما الأمر لا يتطلب ذلك التعسف، وتلك الشدة في التعامل مع آيات القرآن، ومع هذا! تُحمد له نيته الحسنة، ودفاعه عن القرآن، وحرصه على إثبات أن القرآن ما فرَّط في شيء.

خامساً: قرأت غيرَ مرةٍ عند عدد غير قليل منهم في مقدمات كتبهم أسباب تأليفها، وكان منها إظهار وإثبات إعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته، وبعد رحلة في تقليب صفحات الكتاب، ومرافقة ما خطه بيمينه، ينسحب البساط –دون أن يشعر– من تحت قدميه، مخالفاً ما قد قطعه على نفسه في المقدمة من معالجة قضية الإعجاز؛ فينشرح صدرك، ويسيل لعابك، لما ستقتنصه من صيد سمين، سيُشبع نَهَمَك، ويَشفي غُلَّتك، وشيئاً فشيئاً تجد الأمر على غير المتوقع، من تناول قضايا أخرى– لا أقلل من شأنها –، وتأتي الرياح بما لم تشتهي السفن.

وهكذا لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلاماً صريحاً مباشراً عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة.

ثالثاً: الفرائد في الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن

لقد اطَّلعت على الكتب التي تعرضت لبلاغة القرآن وهي:

1- مجاز القرآن (لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى)

2- معاني القرآن (للفرَّاء)

3- معاني القرآن (للأخفش)

4-تأويل مشكل القرآن (لابن قتيبة)

5- النكت في إعجاز القرآن (للرماني)

6- إعجاز القرآن (للباقلاني)

7- إعجاز القرآن (للخطابي)

8- المغني في أبواب التوحيد والعدل (لأبي الحسن عبد الجبار الآسد آبادي)

9- الرسالة الشافية (للجرجاني)

10- أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز (لعبد القاهر الجرجاني)

11- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (للزمخشري)

12- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز (للرازي)

13- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن (لابن الزُّمْلكاني)

14- البرهان في علوم القرآن (للزركشي)

ومن خلال الوقوف عند هذه الكتب لم يجد فيها الباحث أي كلام عن الفرائد بشكل مركز ومحدد أو له علاقة مباشرة بالموضوع.

رابعاً: الفرائد عند من أفرد لها كلاماً أو أبواباً خاصة

1- تحرير التحبير لابن أبي الأصبع: لقد تحدث ابن أبي الأصبع (585- 654هـ) في كتابه (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر) في الجزء الرابع عن (الفرائد)، ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبي نواس وأبي تمام والبحترى فمن ذلك قول أبي نواس:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفاَ[١]

ويقول معلقاً:"إن لفظة أشرأب من الفرائد التى لا نظير لها فى فصيح الكلام ، ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور"[٢]. ثم استشهد من القرآن بآيات ليدلل على كلمه. ومن خلال كلام ابن أبي الأصبع، نتبين أن ابن أبي الأصبع لم يتحدث عنها كما قصدها الباحث هنا في هذا البحث.

2- شرح الكافية البديعية (لصفي الدين الحلي): لقد أثبت صفى الدين الحلى (67-750هـ) بابًا للفرائد فى شرح الكافية البديعية [٣]... معرفًا بها وممثلاً لها بشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر قائلاً: "وهو نوع مختص بالفصاحة دون البلاغة لأن مفهومه الإتيان بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، تدل على

(١) لتفسير ذلك انظر:هامش رقم:(2).ص21 من هذا البحث.

(٢) ابن أبي الأصبع، **تحرير التحبير**.(مرجع سابق). ص221. وإبراهيم، كمال عبد العزيز،(2006 م).**بلاغة الفرائد الفذَّة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)**.القاهرة: الدار الثقافية للطباعة والنشر، ص3،2.

(٣) الحِلِّي، صف الدين.(1983م) **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع** .(مرجع سابق). ص245.

فصاحة المتكلم وقوة عارضته، حتى إن تلك الكلمة لوسقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها، لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[١]، فقوله تعالى: (ٱلرَّفَثُ) فريدة لايقوم غيرها مقامها وبالتالي فهذا مختلف عما نحن بصدده في هذا البحث.

3- خزانة الأدب وغاية الأرب (للحموي): لقد ذكر أبو بكر علي بن عبدالله (767هـ-837هـ) الفرائد في كتابه قائلاً: " الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة "[٢]، وذكر أمثلة أخرى من الشعر، وهو بهذا يكون قد ذكر مصطلح الفرائد في كتابه، ولكن تناوله لها مختلف عما نحن بصدده، بالإضافة أنه لم يُحْصِها عددا.

4- شرح عقود الجمان (للسيوطي): وفى حديث السيوطى (ت 911هـ) عن الفرائد فى كتابه (شرح عقود الجمان) نلاحظ أنه نسبها إلى نفسه، ولم يشر إلى ابن أبى الأصبع أو إلى صفى الدين الحِلِّى، وزعم أن (الفرائد والتنكيت) من زياداته، قائلاً: " وهذان النوعان من زياداتى وهما تختصان بالفصاحة دون البلاغة ، فالفرائد أن يأتي بلفظة فصيحة تنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها " [٣]، وساق الأمثلة نفسها التى ذكرها المتقدمون عليه. ومما هو جدير بالذكر أن السيوطي تكلم عن الفرائد في كتابين آخرين له، الأول هو: المزهر في علوم اللغة وأنواعها[٤]، والثاني هو: معترك الأقران في إعجاز القرآن[٥]، ولكن لم يشأ الباحث أن يفرد لهما صفحات في هذا البحث؛ لأن كلامه عنها مكرور، وهو نفسه الذي قاله في هذا الكتاب مع زيادات طفيفة. وعليه فلم يتعرض له بمثل ما يتعرض لها هذا البحث.

5- أنوار الربيع في أنواع البديع (للمدني): لقد ذكر علي صدر الدين بن معصوم الدين المدني(ت1120هـ) مصطلح الفرائد في كتابه مردداً كلام من سبقه من العلماء قائلاً: " هذا

(١) سورة البقرة، آية رقم: (187).

(٢) الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله.(1987م).**خزانة الأدب وغاية الأرب**.(مرجع سابق).ص297.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. **شرح عقود الجمان**.(مرجع سابق). ص150.

(٤) السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن.(د.ت). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**.(مرجع سابق). ج1.ص251.

(٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.(1988م)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**.(مرجع سابق). ج1، ص407.

النوع يختص بالفصاحة دون البلاغة...، تتنزل منزلة الفريدة من القصيدة،...كقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾..."[١]. ونلاحظ أنه استشهد بآيتين من القرآن فقط – وقد نقلهما عن السابقين– وأكثر من الاستشهاد بالشعر، ولم يزد على هذا، وعليه فقد اختلفت الدراستان.

6- **كتاب نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار(بفن البديع)** [٢]:

وهذا الكتاب أو هذه البديعية التي ألَّفها الشيخ (عبد الغني النابلسي) على غرار ما مُدح به النبي– صلى الله عليه وسلم – في بردة البوصيري، وما تبعها من قصائد – سميت بالبديعيات – معارِضةً لها. ومن هنا نلاحظ أنه تحدث عن الفرائد، فوضع لها حدوداً، وأظن أنها لا تختلف كثيراً عما قاله السابقون، ولكنه لم يتعرض لفرائد القرآن في بديعيته. وبالتالي لا تتفق مع ما نحن بصدده في هذه الدراسة.

7- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (أحمد مطلوب)**: لقد تطرق الدكتور: أحمد مطلوب إلى الفرائد قائلاً: "والفرائد من مبتدعات المصري ، وهذا النوع مختص بالفصاحة دون البلاغة؛..."[٣]، وساق الأمثلة نفسها التي ذكرها الأولون، وهذا الكلام نفسه الذي ردَّده في كتابه معجم النقد العربي القديم [٤]، وبالتالي تناوله لها يختلف بدوره عما سنقدمه في هذه الدراسة.

8- **التفسير البياني للقرآن الكريم** [٥] : لقد تناولت بنت الشاطيء عدداً قليلاً من الفرائد الواردة في قصار السور في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) [٦] بجزأيه الأول والثاني؛ حيث ذكرت أنها من الصيغ الوحيدة مادة وصيغة، وعلّقت عليها تعليقاً لغوياً سريعاً.

---

(١) المدني.(1388هـ)، **أنوار الربيع في أنواع البديع**.(مرجع سابق).ص672، 673.

(٢) النابلسي، عبد الغني،(1299هـ)، **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار بفن البديع** .(مرجع سابق).ص5.

(٣) السابق، ص103، نقلاً عن كتاب **تحريرالتحبير**، ص576، **وبديع القرآن**، ص287.

(٤) مطلوب، أحمد،(1989م)، **معجم النقد العربي القديم**.(مرجع سابق). ص160، 161.

(٥) عبد الرحمن، عائشة.(1990م).**التفسير البياني للقرآن الكريم**.القاهرة: دار المعارف.ط7.

(٦) السابق.ج1.ص31، 106،116،111 .ج2.ص31، 59، 63، 139.

كما أنها وقفت عليها كذلك من حيث الناحية اللغوية وقوفا سريعا في كتابها: (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية) [1]. وعليه فلم تقف فيها على أسرارها وهذا ما ينتوي هذا البحث فعله، ولهذا اختلفت الدراستان.

(١) عبد الرحمن،عائشة.(1987م).**الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية**.القاهرة: دار المعارف.ط2.ص311، 333، 345، 387، 422، 436، 497، 535.

الباب الأول

فرائد الأفعال و أسماء الأفعال

أولاً:الفعل الماضي

ثانياً:فعل الأمر

ثالثاً:أسماء الأفعال

أولاً:الفعل الماضي

1- (رَبِحتْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾[١]. وسياق الآية هو التحدث عن المنافقين وصفاتهم من إظهار الإيمان استهزاءً، وخسران صفقتهم.

الرِبْحُ: الزيادة على رأس المال، وهو ضد الخسران[٢]، والربح ينتج عند التصدي للبيع والشراء؛ بغية تحقيق المكاسب، ولكنهم نظراً لما كانوا فيه من تيه وطغيان وعمى وجحود وإنكار خسروا صفقتهم وربحهم وهو الهدى، والربح هو الفضل على رأس المال، ولكنهم بصنيعهم هذا خسروا رأس المال نفسه فضلاً عن خسارة المكسب، وفيه إشارة ودلالة على غبائهم، ومدى استهزاء الله بهم، لأن مثل هذا غير مقبول عقلاً، وعبر بالفعل (ربح) بدلاً من: (كسب- فاز- حصل) أو بالفعل الحقيقي دون النفي كمثل: (ضاع- فقد- خسر- أخفق)؛ لأن الربح أعم من الكسب، ولأنه ثمرة الكسب، ونفي الربح فيه إشعار بضياع رأس المال كذلك؛ لأنه يتلف في النفقة والقوت وغيرها، ويشير كذلك أنهم ما ربحوا أي شيء وخسروا كل شيء، وتعبيره بلفظ التجارة وهو نشاط إنساني محبب إلى النفس تهتم له، وتنْشغل به، فيه إشارة إلى حبهم لهذا الضلال وتفضيلهم له، وتعلقهم به، والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح، وإسناد الربح إلى التجارة من الإسناد المجازي العقلي، ومعناه فما ربحوا في تجارتهم؛ إذ التجارة لا تربح، " ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازاً أتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحاً له. (وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ) لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يُربَح فيه ويُخْسر. والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما، فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة، وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بالأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر، ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح "[٣].

2- (أَفْضَى): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ﴾[٤]. وسياق هذه الآية هو كيفية معاملة النساء وخاصة عند الطلاق. والفعل أفضى من

---

(١) البقرة، آية رقم:(16).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق). ص21.

(٣) النسفي، عبدالله بن أحمد.(د.ت).**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**.د.ط.ص20.

(٤) النساء، آية رقم:(21).

الفضاء: الواسع من الأرض، أفضى: خرج إلى الفضاء، ثم عبّر بالإفضاء عن الجماع. والفعل (أفضى) معبر جداً عن مراده؛ حيث يلمس جانباً وجدانياً عميقاً في نفوس الرجال، وهي تذكيرهم بلحظات حانية، وأوقات ممتعة، وهي ذروة سنام النشوة واللذة عندهم، في تعبير موحٍ عجيب، والسياق القرآني " يدع الفعل: (أفضى) بلا مفعول محدد. يدع اللفظ مطلقا، يشع كل معانيه، ويلقي كل ظلاله، ويسكب كل إيحاءاته، ولا يقف عند حدود الجسد وإفضاءاته. بل يشمل العواطف والمشاعر، والوجدانات والتصورات، والأسرار والهموم، والتجاوب في كل صورة من صور التجاوب. يدع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركة آناء الليل وأطراف النهار، وعشرات الذكريات لتلك المؤسسة التي ضمتهما فترة من الزمان...، وهذا الحشد من التصورات والظلال والأنداء والمشاعر والعواطف يرسمه ذلك التعبير الموحي العجيب: وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ».. فيتضاءل إلى جواره ذلك المعنى المادي الصغير، ويخجل الرجل أن يطلب بعض ما دفع، وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحشد من صور الماضي، وذكريات العشرة في لحظة الفراق الأسيف"[1]. وبالتالي نجح هذا الفعل في الإيفاء بالغرض الذي سيق من أجله، واللفظ يتناسب مع جلال وجمال القرآن من التعبير عن أدق العلاقات الزوجية دون إسفاف أو تقصير أو تزوير، بل يختار ألفاظاً معبرة تماماً دون خدش للحياء، أو إثارة للغرائز أو تأجيج للعواطف، واللفظ أفضى يختلف عن قوله تعالى: (لامستم)؛ لأن دلالته اللغوية توحي بالاتساع ليدع لك فرصة توقع أي علاقة تتم بين الزوجين دون تصريح، فهي أبلغ من (الجماع)؛ لأن الجماع له مدلول واحد، ولكن (أفضى) تعبر عن كل ما يدور بين الزوجين من مشاعر وأحاسيس وعواطف مترجمة عملياً أو كامنة في القلب، أما (لامستم) فقد تنسحب على اللمس الحقيقي لأن من الفقهاء أمثال الشافعي من قال بأنه اللمس الحقيقي يعني الجلد بالجلد وليس شرطاً أن ينسحب على الجماع وحده، وسياق (لامستم) التي وردت فيه خاص بمواضع التي يجب فيها الطهارة، وليس خاصاً بالحديث عن علاقات زوجية وخلافه، وبالتالي كان الفعل (أفضى) أبلغ، إضافةً إلى ذلك هو استعمال حرف الجر بعده (إلى) أبلغ من (لـ) وكأنه نقلٌ كامل وتام لكل ما يربط الرجل بالمرأة؛ ولذا لا يغني غيره؛ لأن الإفضاء فيه اتحاد وامتزاج كلي، مع الستر والخصوصية، وكذا فيه دفء واحتواء وستر وزينة، وهذا ما لا يتوفر في الفعل (لامستم) الذي يوحي بالسرعة دون التركيز على المشاعر والعواطف والأحاسيس التي تخلل مثل هذه الأعمال. وأخيراً نلاحظ أن التعبير

---

(١) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ص606،607، القاهرة، د.ت.

القرآني يطرح مثل هذه الأمور بأسلوب حضاري مهذب؛ حيث يؤدي الغرض بطرحٍ فذٍّ فيه الفنية والجمالية والطرفة مع الحشمة والحياء.

3- (نَضِجَتْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا ﴾(١). والآية في الحديث عن جزاء الكافرين، ودوام عقوبتهم بتغيير جلودهم كلما احترقت.

والنُّضْجُ: "إدراك اللحم نهاية شَيِّه وطبخه"(٢)، ونضج معناها: استوى، وصوت الفعل وحروفه تجعلك تستدعي الصورة البشعة المخيفة التي يكون عليها جلد الإنسان، وما في التبديل والتكرار من المداومة والاستمرار على هذا الحال، وبالتالي يكون قد أدى هذا الفعل غرضه في هذا السياق من ردع وزجر لمن تسول له نفسه الكفر بآيات الله، وهذا مطلق عدله وحكمته مع المجرمين، وعبَّر ربنا بالجلود خاصة ولم يقل أي مكان آخر في الجسم؛ لأن الجلد هو مركز الاحساس كما توصلت إلى ذلك الأبحاث العلمية، والغرض من تبديل الجلد هو ديمومة الإحساس بالعذاب والشعور بالألم، " و التعبيرُ عن إدراك العذابِ بالذوق ليس لبيان قلّتِه بل لبيان أن إحساسَهم بالعذاب في كل مرةٍ كإحساس الذائقِ بالمذوق من حيث إنه لا يدخُله نقصانٌ بدوام الملابَسةِ أو للإشعار بمرارة العذابِ مع إيلامه أو للتنبيه على شدة تأثيرِه من حيث إن القوةَ الذائقةَ أشدُّ الحواسِّ تأثراً أو على سِرايته للباطن، ولعل السرَّ في تبديل الجلودِ مع قدرتِه تعالى على إبقاء إدراكِ العذابِ وذوقِه بحاله مع الاحتراق أو مع إبقاء أبدانِهم على حالها مَصونةً عن الاحتراق أن النفسَ ربما تتوهّم زوالَ الإدراكِ بالاحتراق ولا تستبعد كلَّ الاستبعادِ أن تكون مصونةً عن التألم والعذابِ صيانةَ بدنِها عن الاحتراق"(٣)، وهذا الفعل لايغني غيره غناءه من مثل: (كويت – احترقت – تهرأت)؛ لأن هذه الأفعال لا تتناسب مع السياق، لأنها كلها لا تستغرق زمناً بل تتم بشكل سريع، أما النضج فهو أبلغ، حيث يستغرق وقتاً وفيه بطء، وهذا – لعمر الله – يخدم التبديل والتكرار الذي تشير إليه الآية من تعليلٍ لإذاقة العذاب، فكلما طالت المدة طال الشعور بالألم وتجرعوا العذاب جرَّاء ما فعلوه، وأيضاً عادة النضج التأخر، وفيه تمام الاستواء والكمال، وبه يتم الهدف من إحراق الجلد بطريقة بطيئة؛ لإطالة مدة العذاب، والتعبير بالجلد – فضلاً عن أنه

---

(١) النساء، آية رقم:(56).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق). ص49.

(٣) أبوالسعود، محمد بن مصطفى العمادي.(د.ت). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** .بيروت: دار إحياء التراث العربي. ص101.

مركز الإحساس- فإنه مظهر من مظاهر الجمال عند الإنسان، وبما أن الكافر قد شوَّه آيات الله بالتكذيب؛ لذا جاء الجزاء من جنس فعله، فحقٌ لله أن يشوه جلده وهيئته.

4- (**أَذَاعُوا**): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾[(1)]. وسياق الآية هو إذاعة الأخبار من غير اعتماد على مصدر صحيح، وتحذير الأمة من التمزق بسبب إشاعة الأخبار الكاذبة[(2)].

وذاع الخبر: أي انتشر وشاع، وأذاعوا به: "نشروه وأشاعوه"[(3)]، و" حروف الذال والياء والعين تدل على إظهار الشيء وانتشاره" [(4)]، و"كلمة (أذاعه)غير كلمة (أذاع به)، فـ(أذاعه) يعني: قاله، أما (أذاع به) فهي دليل على أنه يقول الخبر لكل من يقابله، وكأن الخبر بذاته هو الذي يذيع نفسه، فكأن الإذاعة مصاحبة للخبر وملازمة له تنشره وتخرجه من طيّ محدود إلى طي غير محدود.. أو من آذان تحترم خصوصية الخبر إلى آذان تتعقب الخبر"[(5)]، والمتأمل لحروف الفعل والطريقة الاشتقاقية التي جاء عليها، يلحظ أنه جاء على صيغة الرباعي وقال أذاع ولم يقل ذاع، والزيادة في المبنى تعطي زيادة في المعنى، فتوحي بكثرة ترديده وتكراره. والفعل لم يغن غيره غناءه من مثل: (أشاع- أفشى- نشر) فكلها تدل على المحدودية في الزمان أو المكان، أما أذاعوا ففيه إشارة بالتكرار والنقل المستمر دون حدود، ووقوعه في أسلوب الشرط يؤكد ذلك، أي أنه كلما نما إلى علمهم خبر فإنهم سرعان ما يذيعونه على الملأ دون تفكير ولا روية، بقصد أو بدون.

5- (**ذَكَّيْتُمْ**):ورد في قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾[(6)].جاء هذا الفعل في إطار الإخبار عن المحرمات من المطعومات، ولله حكمة في تحريمها.

الذكاة لغةً: "حدةٌ في الشيء ونفاذ، واصطلاحا، الذبح الشرعي، أو ما يلحق به شرعًا، بحيث يحل أكل الحيوان المذكّى"[(7)]، وأصل (الذكاء) في اللغة: " تمام الشيء، وقولك: (ذكيت النار أو

---

(١) سورة النساء، آية رقم:(83).

(٢) الزحيلي، وهبة، (1422هـ) .**التفسير الوسيط**.دمشق: دار الفكر. ص351.

(٣) البسومي. **معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص21.

(٤) ابن فارس،أحمد بن زكريا.(1991م). **مقاييس اللغة**.عبد السلام هارون(محقق).مصر: دار الجيل. ج 2.ص365.

(٥) الشعراوي، محمد متولي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مصر: دار أخبار اليوم. ص1706

(٦) سورة المائدة، آية رقم:(3).

(٧) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص21.

أذكيتها)، أي: أتممت إشعالها، وعلى هذا فإن معنى (إلا ما ذكيتم) أي: ما أدركتم ذبحه على التمام". ويقول ابن فارس: " الذال والكاف والحرف المعتل أصل واحد مطّرد منقاس يدل على حدة في الشيء ونفاذ "[١]، وورد هذا الفعل في استثناء من المحرمات التي سبق ذكرها في الآية، وقال الزجاج: ومعنى التذكية: " أن تدركها وفيها بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب المذبوح الذي أدركت ذكاته"[٢]. ومعنى الفعل (إلا ما ذكيتم): أي أن ما أدركتموه بعد إصابته بشيء من هذه الأنواع وهي: (المنخنقة: وهي التي ماتت بخنق - والموقوذة: وهي التي ماتت بضرب - والمتردية: وهي التي ماتت بسقوط من عالٍ - والنطيحة: وهي التي ماتت بنطح) وفيه حياة مستقرة وذبحتموه، فإنه حلال؛ لأنه توفرت فيه شروط الذكاة. ومن خلال ما تقدم من المعنى اللغوي للفعل تبين سر تفرده ومنها: أن التذكية الشرعية أقرب إلى النفس البشرية من أنها تعود عليها بالراحة وبعث الطمأنينة بعد رؤية خروج الدم منها، وهذا يتحقق بالتذكية، فلا تتحقق تلك الدلالة المناسبة للسياق لو قال: (ذبحتم - قتلتم - أزهقتم روحها - أمتّم - قطعتم)؛ لأنها كلها تفيد فقدان الحياة، ولكن ربما لا يترتب عليها خروج الدم كله منها، وبالتالي يترتب عليها " مفسدة وضرر بالإنسان؛ ولهذا حرَّم الإسلام من الطعام مافيه ضرر ومفسدة ؛ فتحريم المنخنقة والموقوذة و النطيحة والمتردية يأتي لتلف أنسجتها واحتوائها على الكثير من المواد السامة ، نتيجة احتقان الدم في جسمها ، ومايتبع ذلك من تراكم الجراثيم بها"[٣]. ومن هنا نتبين الأهمية الصحية الكبيرة لقوله: (ذكيتم) لما للتذكية من أثر في طيب اللحم، وخلوه من الأمراض الشائعة التي تتركز دائماً في الدم، فعن طريقها يخرج هذا الدم بكل محتوياته ومكوناته، ويترك الجسد خالياً من أي شيء يعلق به، وبالتالي يكون طاهراً وصالحاً للأكل.

6- (سَكَتَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾[٤].

ورد هذا الفعل في سياق تبيين الله ماكان من موسى بعد غضبه.

يقول ابن فارس: "السين والكاف والتاء يدل على خلاف الكلام....وسكت الغضب بمعنى سكن"[٥]، والسكوت: "خلاف النطق، وسكت الغضب مثل سكن بمعنى فتر، وقيل على القلب والتقدير (وَلَمَّا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ)، ولكن القول بأن معنى سكت: سكن هو

---

(١) ابن فارس،**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج2.ص357.

(٢) الزجاج،علي إبراهيم.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه**.عبد الجليل شلبي(محقق).بيروت:عالم الكتب.ج2.ص145.

(٣)http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%88%D9%82%D9%88%D8%B0%A9.

(٤) الأعراف، آية رقم:(154).

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**. (مرجع سابق).ج3.ص89.

قول أهل العربية، وجعل الزجاج سكوت الغضب غير السكوت الذي هو خلاف النطق يقول: مصدر (سكت) الغضب سكْتاً، ومصدر سكَت الرجل سُكُوتاً، وهذا يقتضي أنه فعل على حدة وليس من سكوت الناس" [1]، وعبَّر ربنا عما يريده من خلال الاستعارة المكنية بتشخيص الغضب، وتشبيهه بكائن حي تلبس سيدنا موسى- عليه السلام- وأخرجه عن شعوره وجعل له صوتاً يرعد؛ طلباً للانتقام، ثم حذف المشبه به، وصرح بشيء من لوازمه وهو سكت أي اختفى، والفعل فيه إيحاء وإشارة إلى توبيخ صفة الغضب؛ لأنه يفعل بالإنسان الأفاعيل كما حدث مع موسى وخروجه عن شعوره، وإلقاء الألواح، وجر رأس أخيه، وماكان موسى ليفعل هذا إلا بسبب الغضب، والفعل فيه إشارة بتبرئة سيدنا موسى؛ لأنه عبر عن سكون الغضب وإطفائه بالسكوت تنبيها على أن الغضب كان هو الحامل له على ما فعل، والآمر له به والمغرى عليه، وهذا من البلاغة، والفعل لا يغني غيره مكانه من مثل: (زال - انتهى- هدأ — ذهب)؛ لأن التعبير بـ (سكت عن) أبلغ من ناحية أن الغضب انقطع بشكل كامل وكلي، وأن الغضب ليس شيئاً متأصلاً في شخص سيدنا موسى- عليه السلام -، ولكنه شيء طاريء عليه، والذي يؤكد هذا أنه قال:"سكت عن"، ولم يقل: "سكت في"، فهو شيء عارض سرعان ماجاء وسرعان ما ذهب، أما بقية الأفعال الأخرى فتوحي بأنه انقطع لفترة وسيعود لاحقاً والأمر ليس كذلك هنا.

7- (**فَانْبَجَسَتْ**): ورد في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ ﴾[2]، وسياق هذه الآية هو طلب قوم موسى السقاية منه.

قال ابن فارس: "الباء والجيم والسين: تفتح الشيء بالماء خاصة، وينقل عن الخليل: البجس: انشقاق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منها ماء، فإن لم ينبع فليس بانبجاس" [3]، في هذا الفعل وجوه إعجازية كثيرة منها: "ظهور الماء من حجر لا اتصال له بالأرض، فتكون مادته منه، وخروجه كثيراً من حجر صغير، ثم خروجه بقدر حاجتهم، وخروجه عند الضرب بالعصا،

---

(١) الرازي،محمدبن أبي بكر.(1910م).**مختار الصحاح**.مصر:الأميرية.ط2.ص253،الزبيدي،محمد بن عبدالرازق.(1994م).**تاج العروس من جواهر القاموس**.ج3.ص69، 71، الرازي،محمد بن عمر.(1993م).**مفاتيح الغيب**.بيروت: دار الغد العربي. ج13.ص294، 295.

(٢) الأعراف، آية رقم:(160).

(٣) ابن فارس،**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ص195.

وانقطاعه عند الاستغناء"[١]، والفعل هنا له خصوصية في السياق حيث لا يغني غيره غناءه؛ لأن الانبجاس أقل من الانفجار ويخرج بقلّة، وأكّد هذا ابن منظور في لسانه بأن الانفجار: "هو خروج الماء بشدة، أما الانبجاس فهو انصباب الماء بضعف" [٢]، فناسب هذا وجودهم في الصحراء للحفاظ على الماء؛ حتى لا يفقد كله، ولفظ الانبجاس أخص من الانفجار، فكل انفجار انبجاس من غير عكس، والمقام هنا أدعى فيه الانبجاس؛ لأن الماء قليل ولذلك لم يدعهم الله إلى الشرب بل قال لهم: " ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[٣]، ومشرب اسم مكان لايدل على الشرب، أما في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾[٤]، فالسياق مختلف ولذلك فقال ربنا: " فَانفَجَرَتْ "؛ لأنه قد دعاهم للشرب في الآية فقال:" كُلُوا وَاشْرَبُوا "، وذلك لكثرة المياه المترتبة عن الانفجار؛ لأن الطلب كان من موسى – عليه السلام – وهو دالّ على الكثرة، وأيضاً السياق في موقف تعداد النعم على بني إسرائيل؛ وبالتالي نلحظ أن للمقام دوراً في اختيار اللفظ. وفي هذا الفعل (انبجست) طلب السقيا من بني إسرائيل، فجاء الرد بقدر الحاجة، وعلى قدر الحفاظ على الحياة، بخلاف الآية في سورة البقرة، فجاء الطلب من النبي موسى– عليه السلام – مباشرة، فجاء الرد بما يفيض عن الحاجة ويزيد، لذا كان التعبير بـ (فانفجرت). فشتان بين طلب نبي وغير نبي، هل يستويان!، ولذا نلاحظ الدقة المتناهية في اختيار اللفظين.

8– (نَتَقْنَا): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾[٥]. وسياق هذه الآية هو إخبار سيدنا محمد بألوان التهديد والعقاب لقوم موسى ، وتذكيرهم بحادثة رفع الجبل فوقهم.

والنتق: "الزعزعة والقلع والنفض والجذب بشدة، وجاء في الخبر أن الجبل اقتلع من مكانه وجعل فوق رءوسهم"[١]، والفعل لا يغني غيره مكانه من مثل: (رفع– خلع – زعزع – نفض)؛

---

(١) الأندلسي،أبو حيان محمد بن يوسف.(1420هـ).**البحر المحيط**.صدقي محمد جميل(محقق).بيروت: دار الفكر.ص396.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**.(مرجع سابق).ص318.

(٣) سورة البقرة، آية رقم: (60).

(٤) سورة البقرة، آية رقم:(60).

(٥) الأعراف، آية رقم:(171).

لأن " هنا اختلاف بين « نتق » و« رفع »؛ لأن الجبل راسٍ في الأرض، وممسوك كالوتد؛ لذلك يحتاج قبل أن يرفع إلى عملية نزع واقتلاع من الأرض، ثم يأتي من بعد ذلك الرفع، و" نتقنا تعني نزعنا الجبل من مكان إرسائه حتى نرفعه، وقد رفعه الله ليجعل منه ظلّة عليهم، أي أن هناكَ ثلاث عمليات: نتق أي نزع وخلْع، ثم رفع، ثم جعله – سبحانه – ظلّة لهم، وهذا يحتاج إلى اتجاه في المرفوع إلى جهة ما. والنون والتاء متى استعملا فاءً وعيناً للكلمة فإن المعنى يحوم حول النزع و القلع والإخراج ومنه: (نتأ – نتج – نتخ – نتش – نتف)والحق يقول: (وإذ) أي اذكر إذ نتقنا الجبل، أي نزعناه وخلعناه من الأرض، ولا ننزعه ونخلعه من الأرض إلا لمهمة أخرى أي نجعله ظلة، وكان تظليل الغمام رحمة لهم من قبل، وصار الجبل ظلة «عذاب»؛ لأن الحق أنزل لهم التوراة على موسى فقالوا له: إن أحكام هذه التوراة شديدة"[٢]. وأسند الله الفعل إليه، فجاء بحروف قليلة مع عظم الجبل وكبره وثقله؛ لأن الله لا يعجزه شيء، وفيه إيحاء بطلاقة قدرة الله، وجاء بنون العظمة "زيادة في الترهيب"[٣]، وقدَّم الجبل على (فوقهم) إمعاناً في زيادة الرعب والخوف، عسى أن يرضخوا لأوامر الله تعالى، واختيار الله الجبل لما له من مكانة واستعظام في نفوسهم، فقد كانوا يرهبونه لكبر حجمه فضلاً عن أنه قريب لبيئتهم وقدَّم (إذ) على الفعل لما فيه من الفُجْأَةِ وإثارة الذعر و الهلع في نفوسهم، وانطوت الآية على ملمح بلاغي جميل وهو : تشبيه مرسل وفائدته هنا إخراج ما تجري به العادة إلى ما لا تجري به. وبناءً على ما تقدم نلمح سر تفرد اللفظ في هذا السياق.

9- (فَثَبَّطَهُمْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾[٤]. وسياق هذه الآية هو فضح أعمال المنافقين، من تخلف عن الحرب بغير عذر . يقول أبو إسحاق الزجاج: "والتثبيط:ردك الإنسان عن الشيء يفعله، والمعنى:كره الله أن يخرجوا معكم فردهم عن الخروج، ثم

---

(١) الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن** .صفوان عدنان داودي(محقق).بيروت: دار العلم.ص482.

(٢) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**. (مرجع سابق).ص3103.

(٣) البقاعي،أبو الحسن إبراهيم بن عمر.(1415هـ).**نظم الدررفي تناسب الآيات والسور**. عبد الرازاق غالب مهدي(محقق). بيروت: دار الكتب العلمية. ص146.

(٤) التوبة، آية رقم:(46).

أعلم – عزّ وجل– لم كره ذلك"[١]، وجرس الفعل ووقع أصوات حروفه تبعث في النفس الاشمئزاز واليأس منهم، فضلاً على أن حروفه ثقيلة في النطق، تعكس ما في أنفسهم من ثقل وتقاعس وكسل عن الجهاد؛ لذا جاء الجزاء وهو كره الله خروجهم لِمَا بدا من عملهم من كسل وتراخٍ، وضعف عزيمة، وقلة إرادة؛ لذا جاء الفعل شديد اللهجة، يحمل في طياته توبيخاً وتقريعاً لقبح ما جاءوا به، بل وزاد من قوة التثبيط مجيء الفعل على وزن (فعَّل) بالتشديد؛ لتوضيح غضب الله عليهم فأمعن في التأكيد على عدم خروجهم. وهذا الفعل لم يغن عنه غيره من مثل: (أجّلهم – أخّرهم – أجلسهم)؛ لأن المقام مقام إساءة وذم، وإظهار دخائل نفوسهم، أما بقية الأفعال فتشير بأن هناك قبولاً لتصرفاتهم وإقراراً لها، وهذا ما لايشير إليه السياق، وإمعاناً في رسم هذه الصورة الخبيثة والقبيحة لهم بنى الفعل للمجهول، ولم يسمِّ فاعله حتى نذهب به كل المذاهب، فقعدوا بإذن الرسول– صلى الله عليه وسلم – ظاهراً، أو أن الشياطين أوحت لهم بذلك، أو أن نفوسهم سولّت لهم ذلك، أو أصدقاء السوء، والتعبير بالمجهول كذلك يشير إلى أنهم يتلهفون لأي أمر بالقعود ومن أي أحد، "وأنهم يطيعون الأمر حقيقةً أو مجازاً كائناً منْ كان" [٢]، وجاء التثبيط كرد فعل سريع لكره الله لخروجهم؛ لذا عبر بالفاء في أول الفعل. والفعل فيه تحديد لمنزلتهم وقدرهم، إنهم" مع العجائز والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون الغزو، ولا ينبعثون للجهاد. فهذا مكانهم اللائق بالهمم الساقطة والقلوب المرتابة والنفوس الخاوية من اليقين"[٣].

10– (فَانْهَارَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٤]. وسياق الآية يأتي في الحديث عن مسجد الضرار الذي أسسه المنافقون في المدينة بغرض إيقاع التفريق بين المؤمنين وتحقيق الضرر والفتنة . " والبناء الذي أسس وإن كان مسجداً كغيره من المساجد . إلا أن أساس بنائه والغرض والنية من إقامته لا يخفى منها خبث المقصد وسوء النية. وقد جمعت الآية في تصوير فني رائع بين المعقول والمحسوس، وشبهت المعنوي المفهوم بالمادي الملموس، فمن أسس بناءه بغرض ونية النفاق والكفر، كمن وضع أساس مبناه

---

(١) الزجاج،على إبراهيم.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه**.عبد الجليل شلبي(محقق).بيروت: عالم الكتب. ج2.ص450.

(٢) البقاعي.(1415هـ). **نظم الدرر**.(مرجع سابق).ص328.

(٣) قطب، سيد.(1402هـ). **في ظلال القرآن**.مصر: دار الشروق.ط11. ج3.ص1663.

(٤) سورة التوبة، آية رقم:(109).

على شفا جرف هار، والنتيجة هي الانهيار المفاجئ والسريع للجرف والمبنى معا "[١] . ويقال: "هَارَ البناء، وتَهَوَّرَ: إذا سقط، ويقال: انْهَارَ فلان: إذا سقط من مكان عال"[٢]، والفعل (انهار) على وزن انفعل والتي تفيد المطاوعة، وفائدة المطاوعة أن الأثر يظهر على المفعول وكأنه قد استجاب له، والدلالة هي: كان البناء قد تعب وانفعل فانهار هو وصاحبه في نار جهنم، وصيغة انفعل تدل على أن البناء يحمل في طياته عوامل هدمه، فلا غرابة ولا عجب أن ينهار، والهاء حرف حلقي يخرج من أقصى الحلق ليدلك أن البناء ينهدم من جذوره وأساسه، ثم امتداد الهاء بالألف يشعرك بأنه سيأتي على كل البناء مع حركة الانهيار المتكررة المتمثلة في الراء، ومجيء الفاء في الفعل للتأكيد على أن الباطل وإن ظهر قوياً ومستمراً فهو لا أصل له ولا أساس، فسرعان ما ينهدم ويزول، ومجيء حرف الجر مع الضمير (به) للدلالة على أن الباطل سيزول وأهله معه في نفس الوقت، والآية ضمناً فيها اتهام لهم بالغباء والسذاجة في كيفية بنائهم ومكانه، فمن يؤسس لبناء يبحث عن أرض صلبة متينة، وهؤلاء بنوا على شفا جرف هار، وعبّر بهذه الثلاث خاصة لما فيها من إعجاز لغوي، فكلمة:(شفا) معناها:حرف، وكلمة: (جرف) معناها: وادي، وكلمة: (هارٍ) معناها: غير متين، وبالتالي جاءت النتيجة طبيعية بالانهيار والدمار. والفعل لم يغن غيره مكانه من مثل: (انهدم – دُمِّر– تكسر– سقط –وقع)؛ لأن هذه الأفعال ربما تحمل معنى التلكؤ والمرحلية وربما يأتي على بعض أجزاء البناء ويبقى كما هو، أما (انهار) ففيها أنه يسقط بأقصى سرعة ممكنة، وبأقصى كمية حركة، وفيه كذلك دلالة على قوة السقوط. و" التعبير القرآني الفريد يرسم هنا صورة حافلة بالحركة، تنبئ عن مصير كل مسجد ضرار يقام إلى جوار مسجد التقوى...، فلنقف نتطلع لحظة إلى بناء التقوى الراسي الراسخ المطمئن.. ثم لنتطلع بعد إلى الجانب الآخر!لنشهد الحركة السريعة العنيفة في بناء الضرار.. إنه قائم على شفا جرف هار.. قائم على حافة جرف منهار.. قائم على تربة مخلخلة مستعدة للانهيار.... «وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».. الكافرين المشركين، الذين بنوا هذه البنية ليكيدوا بها هذا الدين!إنه مشهد عجيب، حافل بالحركة المثيرة ترسمه وتحركه بضع كلمات!.. ذلك ليطمئن دعاة الحق على مصير دعوتهم"[٣]. وفي الآية"إشارات هندسية إلى أساسات المباني وطبيعة البناء التي تحكم درجة صمود

---

(١) غريب، يوسف محمد.(2011/12/4م). **من صور الإعجاز الهندسي في القرآن الكريم**.راجع موقع: http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/75-Issue-XVII/751-Images-engineering-miracles-in-the-Holy-Quran.

(٢) الأصفهاني.(1412هـ).**مفردات غريب القرآن**، (مرجع سابق).ص847.

(٣) قطب.(1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج3، ص1711.

البنيان ومتانته أو تؤدي إلى انهياره، وتضمنت عدة إشارات تمس جانباً من علم ميكانيكا التربة والأساسات، في الهندسة المدنية والإنشائية، وبينت الآية وجهاً من أوجه الإعجاز الهندسي في القرآن الكريم يمكن استنباطه من المفاهيم والإشارات الهندسية التالية التي وردت في نص الآية"[١].

11- (حَصْحَصَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[٢]، جاء هذا الفعل في مقام أحداث قصة يوسف -عليه السلام- مع امرأة العزيز.

يقول ابن فارس في ذلك الفعل: "الحاء والصاد في المضاعف أصول ثلاثة: أحدها النصيب، والآخر: وضوح الشيء وتمكنه، والثالث ذهاب الشيء وقلته، والكلمة من الأصل الثاني يقول: حصحص الشيء وضح"[٣]، وحصص الشيء: "بان وظهر، والحصحصة: بيان الحق بعد كتمانه"[٤]. والفعل اشتقاقياً عبارة عن مقطعين مكررين من نفس الحروف، والتكرار للتوكيد والتحقيق، وكأن الحق الذي خُفِّيَ فترة من الزمن لايطيق ولا يتحمل أن يبقى في طي السر والكتمان أكثر من ذلك، وكأنه إنسان انتفض من سُباته بعد أن نفد صبره، وأعلن العصيان على السكوت والظلم، فجاء الفعل بجرسه وحرفه معبراً عن هذا الموقف بما يحويه من مشاعر متداخلة بين جميع أطراف القصة. وجاء وزن الفعل على (فعلل) التي تدل على الظهور؛ فالعرب عندما تقول: (برعمت الشجرة) تعني ظهرت براعمها، وهذا يؤكد السياق الدلالي للكلمة. والمدقق في حروف الفعل يجد أن حرف الحاء حرف احتكاكي انفتاحي مهموس مخرجه من أقصى الحلق، ويجد المتأمل كذلك حرف الصاد وهو: " صوت رخو مهموس وهو من حروف الصفير" [٥]، والصفير فيه إذاعة وإشهار؛ لذا ناسب الفعل مقصود الآية من إعلان الحق وإظهاره، والفعل لا يغني غيره مكانه مثل: (بان- ظهر- بدا)، (فحصحص) فيها من القوة والاندفاع والانطلاق ما لا يتوفر لهذ الأفعال، "وصوت الصاد يؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة، فإننا نستمع إلى الصوت المدوّي؛ إذ كانت الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي. فكانت «حصحص» واضحة الظهور بانكشاف الأمر فيما يقهر الخصم على الإذعان، وهنا قد يتم لكك

---

(١) للمزيد انظر:غريب، محمد متولي.(د.ت). **إشارات هندسية في آيات قرآنية** .القاهرة: دار المجد للدراسات والبحوث، ص 47 وما بعدها.

(٢) سورة يوسف، آية رقم:(51).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج2.ص12.

(٤) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.(مرجع سابق). ج.ص1033.

(٥) أنيس، إبراهيم.(د.ت).**الأصوات اللغوية**.القاهرة: مكتبة نهضة مصر. ص76، 68، 69.

العجب لدى اختيار هذا اللفظ في أزيزه، ووضوح أمره مع القهر، فلا تردّ دلائله، ولا تخبو براهينه[١].

12- (غَلَّقَتْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴾[٢]. وسياق الآية هي ذكر محنة يوسف مع امرأة العزيز.

والمشهد هو غلق الأبواب للتمكن منه، " و الْغَلَقُ والْمِغْلَاقُ: ما يُغْلَقُ به، وأَغْلَقْتُ الباب، وغَلَّقْتُهُ على التّكثير، وذلك إذا أَغْلَقْتَ أبوابًا كثيرة، أو أَغْلَقْتَ بابًا واحدًا مرارًا، أو أحكمت إِغْلَاقَ باب "[٣]، والمدقق في حروف الفعل يجد أنه يبدأ بحرف الغين ويتم بمرور الهواء مع حالة تضييق مجرى الهواء محتكاً بأحد العضوين (اللهاة ومؤخرة الحنك) وهي تشبه حالة غلق الباب من احتكاك الباب نفسه بأحد جانبيه لإغلاقه، ثم يتوسطه اللام وهو: " حرف مجهور يحدث عن طريق التضييق الشديد لمجرى الهواء الذي يقارب الغلق الكامل "[٤]، ويحدث عندما يضرب اللسان للحنك الأعلى، وهي بمثابة محبس اللسان، ويسمى عندنا في بيئتنا العربية بـ (لسان الباب) الذي يتم عن طريقه غلق الباب، وسبحان الله جاء التشديد عليه إمعاناً في الإيثاق، ثم تأتي القاف وهي حرف إطباق، يحدث من خلال ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك اللين والتصاقه به، مما يؤدي إلى حصر الهواء بينهما حتى يلتصق باللهاة تماماً، وهو يشبه نفس حالة غلق الباب، ومن هنا نجد أن أصوات الفعل تعاضدت مع دلالة اللفظ في إرادته الاستعمالية، وغلّقت: " توضح المبالغة في الحدث؛ أو لتكرار الحدث، فهي قد أغلقت أكثرَ من باب. ونحن حين نحرك المزلاج لنؤكد غَلْق الباب، ونحرك المفتاح، ونديره لتأكيد غَلْق الباب. فهذه عملية أكبر من غَلْق الباب؛ وإذا أضفنا مِزْلاجاً جديداً نكون قد أكثرنا الإغلاق لباب واحد؛ وهكذا يمكن أن نَصِفَ ما فعلنا أننا غلّقنا الباب، وامرأة العزيز قامت بأكثر من إغلاق لأكثر من باب، فَقُصور العظماء بها أكثر من باب"[٥]، والفعل لايغني غيره غناءه مثل: (أغلق – سد – قفلت – غلق)؛ لأن (غلَّقت) أبلغ في الإيثاق وقوة الإحكام والمبالغة في الإغلاق وهذا يتناسب مع الجو النفسي لامرأة العزيز،

---

(١) الصغير، محمد حسين.(1420هـ).**الصوت اللغوي في القرآن**.بيروت: دار المؤرخ العربي. ص181.

(٢) سورة يوسف، آية رقم:(23).

(٣) الأصفهاني.(**المفردات في غريب القرآن**،(مرجع سابق) ص611.

(٤) الشيخ.(2004م).**مقدمة في علم الأصوات**.(مرجع سابق).ص65،66.

(٥) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**،(مرجع سابق). ص4387.

وأما هذه الأفعال فتدل على أنه باب واحد ولكن غلقته مراراً أو أحكمت غلقه فقط. ومجيء الفعل على وزن (فعّل) لتدل على المبالغة والتكثير.

13- (شَغَفَهَا): ورد في قوله تعالى :﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ ﴾(١). والآية في الحديث عن انتشار خبر حبّ زوجة العزيز لفتاها بين النساء.

والشغاف: "غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب، يقال: شغفه الحب أي بلغ شغافه، وقيل هي حبة القلب وسويداؤه والشغف: إحراق القلب مع لذة يجدها وهو شبيه باللوعة"(٢)، والمفسرون يذكرون أن: " امرأة العزيز قد أولعت بيوسف – عليه السلام – وأصبح اشتغالها بحبه حجاباً بينها وبين كل ما سوى هذه المحبة، فلا تعقل سواه ولا يخطر ببالها إلا هو، وحبه قد وصل إلى شغاف قلبها، وتمكن من سويدائه وغلب عليه" (٣)، والفعل هنا لا يغني غيره غناءه مثل: (أحبت – عشقت – ولهت)؛ لأنها كلها مراحل دون الشغف، و (شغف) معبّر جداً عن مشاعرها الملتهبة، وعاطفتها المتّقدة؛ لأن الشغف مرحلة ليست وليدة اللحظة، بل حصلت على فترات، فقد عايشته أكثر من عشر سنوات في القصر وشهدت انتقاله في أهم مراحل عمره إلى أن صار شاباً يافعاً ثم رجلاً ناضجاً، حتى تملك حبه من قلبها، وملك عليها حواسها. وسبب آخر لتفرد هذا الفعل (شغف) هو اشتقاقه من الشغاف، والقلب " يسمونه مَقَرّ العقائد المنتهية، والتي بحثها الإنسان واعتقدها بالفعل. فالإنسان منا يدرك الأشياء بحواسه الظاهرة، يرى ويشُمُّ ويسمع ويذوق ويلمس، فإذا أدرك بعضاً من الأمور؛ فهو يعرضها على العقل ليوازن بينها؛ ويختار الأكثر قبولاً منه، وبعد ذلك تذهب تلك الأمور المقبولة إلى القلب؛ لتستقر عقيدة فيه لا يحيد عنها"(٤). وجملة: (شَغَفَهَا حُبّاً) تؤكد أن عواطفها وأحاسيسها تجاه يوسف – عليه السلام – قد ثبتت في قلبها بعد مرورها على أكثر من مرحلة. فالأمر أخذ وقتا طويلا حتى وصل إلى ما هي عليه الآن، وعليه فلا يمكن خروجه أبدًا.

---

(١) سورة يوسف، آية رقم:(30).

(٢) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**.(مرجع سابق).ج12.ص307. مادة: (ش غ ف).

(٣) القرطبي،محمد بن أحمد.(1427هـ/2006م).**الجامع لأحكام القرآن**. عبد الله بن عبد المحسن التركي(محقق).مصر: مؤسسة الرسالة.ج4.ص3498.

(٤) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق).ص4399.

14- (اجْتُثَّتْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[1]. والآية في ذكر مثال من الواقع يبين فيه أحوال الأشقياء وأحوال السعداء.

ومعنى اجتثت: " أي استؤصلت من فوق الأرض، إذا الجث بمعنى القطع، وقيل قطع الشيء من أصله، وفسرت مع الشجرة الخبيثة بأنها المنتزعة المقتلعة "[2]، والفعل في صورة فنية هي واحدة من صور القرآن المدهشة التي تستوقف الباحثين بما تنطوي عليه من الأسرار الجمالية الممتعة، وبما تثيره من دلالات وايحاءات متنوعة، وبما تحفل به من طرافة وعمق وجدة، والفعل في تكوينه وتركيبه لم يغن غيره مكانه من مثل: (قطعت -كسرت - خلعت - اقتلعت) فكلها توحي بجزئية الاقتلاع والخلع، وربما تركت خلفها آثاراً وبقايا جذور تمتد من جديد، وهذا على عكس ما يفيده لفظ (اجتثت) الذي يفيد بأنه لم يبق لها جذور بل أصبحت جثة هامدة ثقيلة عفنة ذات رائحة كريهة غير مرغوب فيها، ويزيد الفعل بحروفه وجرسه المشهد فظاظة وغلظة، ويرسم صورة مقززة تأباها النفس، وتمجها الفطرة السليمة، وفيه إشارة وتلميح إلى مدى قبح صورة الكفر عند الله بل وفي الأرض كلها، فلا بقاء لها ولا قرار، والآية تنطوي على أسرار بلاغية منها تشبيه الكفر في صورةٍ ومشهدٍ حركي بالشجرة الخبيثة التي لافائدة منها، والتأكيد على أن الكلمة الخبيثة ليس لها ثبوت، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث، فلا تنفع نفسها ولا ينتفع بها غيرها. وعليه فالشجرة الخبيثة لا أثر لها إلا الشر والضر، وعبر ربنا بقوله: (ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ) فعبر بظرف المكان ولم يقل: (اجتثت من الأرض) للدلالة على أنه ليس لها أصل ولا جذر في الأرض، أما لو قال: (من الأرض) فمعناه بأن لها جذر ضارب فيها وهذا يتنافى مع مقصود الآية، وبنى الفعل للمجهول للتقليل من شأنها وتحقيرها. والآية فيها تشويق للكلام الطيب، وتنفير من الكلام الخبيث.

15- (جَاسُوا): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾[3]. والآية في الإخبار عن أحوال بني إسرائيل وتاريخهم القديم.

---

(١) سورة إبراهيم، آية رقم:(26).

(٢) الزجاج.**معاني القرآن وإعرابه**.(مرجع سابق). ج3.ص161.(ج ث ث).

(٣) سورة الإسراء، آية رقم:(5).

و"جاس جوساً وجوساناً: تردد، وفي الآية أي: ترددوا بينها للغارة... والجوس أيضاً طلب الشيء باستقصاء"[(١)]، وبين التردد والقتل والتفتيش والفساد دارت أقوال المفسرين، وهذا كله بسبب " إفسادهم في الأرض، ومخالفتهم للتوراة فسلط الله عليهم من لا يرحمهم " [(٢)]، والفعل لا يغني غيره مكانه من مثل: (داروا – جالوا – بحثوا – فتشوا)؛ لأنها كلها تعطي معاني البحث فقط دون أي أعمال فساد تُذكر أو الالتفاف والدوران بغير هدف، أما (جاسوا) فهي تعطي معنى البحث مع الاستقصاء، والتفتيش بحرص وعناية بالغة مع الإفساد والتخريب، وإشاعة نوع من الرعب والإرهاب إضافة إلى القتل والتردد، ويظهر هذا واضحاً عندما عبر بقوله: (خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ) ولم يقل: (في الديار) أو (حول الديار) وهي تؤكد معنى: (جاسوا) في البحث في كل بقعة وكل ثغرة، فيما يسمى حديثاً (بالتمشيط) أو المسح الكلي للمنطقة، وهذا يتماشى ومقصود الآية، علاوة على ذلك أن كلمة (خلال) توحي بمدى الوهن والضعف الذي كان بنو إسرائيل عليه؛ حيث سهولة التسلل والتحرك والانتقال من وإلى الديار دون مواجهة تذكر، فالأصل أنها محصنة ومجهزة من الرجال والسلاح ما يرد أي عدوان، و (الفاء) في الفعل هي فاء السرعة وهي نتيجة طبيعية لما قبلها من أنهم (أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ)؛ لذا جاسوا وعاثوا بسرعة لا يخافون أحداً، ودون أي متاعب. والفعل (جاسوا) يوحي بالقدرة والطلاقة والاستحواذ، ويوحي كذلك بقمة الضعف والاستسلام والذل لبني إسرائيل، ولأن الإفساد كان منهم من قبل فجاء الجزاء من جنسه وهو الإفساد فيهم.

16– (خَبَتۡ): ورد في قوله تعالى:﴿ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾[(٣)] . ورد في سياق عقاب الله للمشركين المعاندين المنكرين لبشرية الرسل. ويذكر المعجميون أن خبو النار: "إطفاؤها وإخمادها "[(٤)]، وحديث المفسرين لم يختلف عما ذهب إليه اللغويون فهي عندهم بمعنى خمدت وسكنت وأطفئت، وذكر ابن عباس: " أنه كلما فرغت النار من إحراقهم يسكن اللهيب القائم عليهم قدر ما يعادون، ثم يثور فتلك زيادة السعير" [(٥)]، والفعل بأحرفه القليلة يوحي بسرعة انطفائها، ومع هذا يأتي الفعل بعدها مزدحماً بالحروف التي توحي بالإعداد المحكم للنار فقال:

---

(١) الرازي.(1910م).**مختارالصحاح**.(مرجع سابق).ج3.ص5:9.

(٢) القرطبي.(1426هـ/2006م).**الجامع لأحكام القرآن**.(مرجع سابق).ج5.ص3944.

(٣) سورة الإسراء، آية رقم: (97).

(٤) الفيومي.أحمد بن محمد.(د.ت).**المصباح المنير**.بيروت: مكتبة لبنان.ص62.

(٥) الأندلسي.(1420هـ).**البحر المحيط**.(مرجع سابق).ج7.ص116.

(زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا)، ولم يقل: (زدناها)، فالهدف من العذاب هم وليس النار، لكن ما دام المراد من النار التعذيب، فلماذا تخبو النار أو تنطفئ؟ أليس في ذلك راحة لهم من العذاب؟ المتأمل في الآية يجد أن خفوت النار وانطفاءها مقصود لذاته؛ لأنه لَوْنٌ من العذاب؛ لأن استدامة الشيء يُوطِّن صاحبه عليه، و " استدامة العذاب واستمراره يجعلهم في إِلْف له، فإنْ خَبتِ النار أو هدأتْ فترةً؛ فإنهم سيظنون أن المسألة انتهت، ثم يُفاجئهم العذاب من جديد، فهذا أنكى لهم وآلم في تعذيبهم، وهذا يُسمُّونه في البلاغة « اليأس بعد الإطماع »، كما جاء في قول الشاعر:

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَقَابِضٍ... عَلَى المَاءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ[(١)]

وفي السجون والمعتقلات يحدث مثل هذا، فترى السجين يشتد به العطش إلى حَدٍّ لا يطيقه، فيصيح بالحارس ويتحنن إليه ويرجوه كوباً من الماء، فيأتي له بكوب الماء حتى يكون على شَفَتَيْه، ويطمع في أنْ يبلّ ريقه ويطفئ غُلَّته، فإذا بالحارس يسكبه على الأرض، وهذا أنكى وأشدّ في التعذيب"[(٢)] ، وقد عبر الشاعر عن هذا المعنى بقوله:

كَمَا أبرقَتْ قَوْمَاً عِطَاشاً غَمَامَةٌ... فَلَمَّا رَجَوْهَا أَقْشَعَتْ وتَجلَّتِ[(٣)]

أي: "ساعة أَنْ رأوْهَا، واستشرفوا فيها الماء إذا بها تنقشع وتتلاشى، وتُخيِّب رجاءهم فيها"[(٤)]. وتأسيساً على ما تقدم فالفعل لا يغني غيره مكانه مثل: (قلَّت- ضعفت- هدأت)، وهذه الأفعال تفيد بأنها ما زالت متقدة، ولكن فقط يتم زيادتها، وبالتالي لا تعطي نفس الدلالة السياقية للفعل (خبت) ، من العذاب النفسي الذي يتجرعونه قبل العذاب الحسي.

17- (اِشْتَعَلَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾[(٥)]. والآية في دعاء زكريا – عليه السلام – طالباً الولد وبشارته بيحيى. يقول ابن فارس: فارس: " الشين والعين واللام أصل صحيح يدل على انتشار وتفرق في الشيء الواحد " [(٦)]، والفعل فيه استعارة تبعية، شبه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب، واستعير الاشتعال للانتشار، وهذا من أحسن الاستعارات وأبدعها في كلام العرب، " والمتأمل في هذا التشبيه يجد أن

---

(١) بن الملوح،قيس.(1420هـ/1999م).**ديوان قيس بن الملوح**.بيروت: دار الكتب العلمية.يسري عبد الغني(محقق).ص98.

(٢) الشعراوي،محمد متولي.**تفسير خواطرالشعراوي**.(2012/7/6م).www.alro7.net/ayaq.php?aya=7&sourid=31.

(٣) الخزاعي،كثيربن عبد الرحمن.(1979م).**ديوان كثير عزة** إحسان عباس(محقق).بيروت: دار الثقافة.ص134.

(٤) الشعراوي،**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق).ص5319.

(٥) سورة مريم، آية رقم:(4).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج3.ص189.

النار أيضاً تتغذى على الحطب وتظل مشتعلة لها لهب يعلو طالما في الحطب الحيوية النباتية التي تمد النار، فإذا ما انتهتْ هذه الحيوية النباتية في الحطب أخذت النار في التضاؤل، حتى تصير جَذْوة لا لَهَبَ لها ثم تنطفىء، واشتعال الرأس بالشيب أيضاً دليل على ضعف الجسم ووَهَن قُوته؛ لأن الشعر يكتسب لونه من مادة مُلوّنة سوداء أو حمراء أو صفراء توجد في بُصَيْلة الشعرة، وتُمد الشعرة بهذا اللون، وضعْفُ الجسم يُضعِف هذه المادة تدريجياً، حتى تختفي، وبالتالي تخرج الشعرة بيضاء، والبياض ليس لوناً، إنما البياض عدم اللون نتيجة ضَعْف الجسم وضَعْف الغُدَد التي تفرز هذا اللون"[١]، و" ذكر سيدنا زكريا – عليه السلام – دليلاً باطناً وهو وهن العظم ودليلاً ظاهراً وهو شيب الشعر"[٢]، والفعل لم يغن غيره غناءه من مثل: (انتشر– كثُر– فشى– زاد) وكلها لا تدل على شيب جميع أجزاء الرأس، بل كثير منه، وبالتالي تشير بأن الجسم مازال فيه فتوة وقوة، أما (اشتعل) فتوحي بأن الشيب قد جاء على كل الرأس، وخاصة أنه نسب الشيب إلى الرأس، وكأنها هي التي أرادت ذلك، والفعل يتماشى ومقصود الآية من إظهار علامات الشيب الباطنة والظاهرة، وما يترتب عليه من ضعف تودداً إلى ربه؛ ليتحنن عليه ويقضي حاجته، وهذه الطريقة أدعى للإجابة، وفيه من فنون البلاغة وكمالِ الجزالةِ ما لا يخفى؛ حيث كان الأصلُ اشتعل شيبُ رأسي فأسند الاشتعالَ إلى الرأس كما ذُكر " لإفادة شمولِه لكلها، ولزيادة تقريرِه بالإجمال أولاً والتفصيلِ ثانياً ولمزيد تفخيمِه بالتنكير"[٣]، وعبّر بالشيب؛ لأن " الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته "[٤].

18– (وَعَنَتِ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[٥]. والآية في الحديث عن أحوال الأرض والجبال والناس يوم القيامة. وعنت: " أي خضعت وذلت " [٦]، وأصلها عني بالياء، أي: خضع وذل وانكسر. والمفسرون يذكرون أن " الجميع يخضع ويذل لله – عز وجل – لأن الملك و القهر له دون غيره، وبعضهم يخص هذا بوجوه العاصين؛ لأنهم يوم القيامة يعاينون

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق). ص5504.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر،(1999 م).**تفسير القرآن العظيم**.سامي محمد سلامة(محقق).الرياض: دار طيبة، ط2.ص1547.

(٣) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**.(مرجع سابق). ج4.ص297.

(٤) السعدي،عبد الرحمن بن ناصر.(2000 م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** .عبدالرحمن معلا اللويحق.(محقق). بيروت: مؤسسة الرسالة. ص489.

(٥) سورة طه، آية رقم:(111).

(٦) الأصفهاني.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن**.(مرجع سابق). ص349.

الخيبة والشقوة وسوء الحساب، فتصبح وجوههم عانية ذليلة خاضعة مثل وجوه الأسارى " [١]، و "ما يظهر على الوجوه من علامات الذلة والخضوع والخشوع والشقاء والنصب، وذلك عندما يتعرض أصحابها لمواقف محبطة أو مخيبة للآمال، أو يقعون تحت ضغوط القهر والتعذيب والإرهاق، وهذا أمر مشاهد في الدنيا لاتخطئه عين الخبير. ولكن الأمر في الآخرة أشد وأقسي، وخاصة على الكفار والعصاة الذين طالما حذروا من الحشر والعرض والحساب فلم يأبهوا، حتي إذا ووجهوا بذلك أسقط في أيديهم وظهرت هذه العلامات المذكورة على وجوههم " [٢]، وجاء الفعل بحروف قليلة ولكنه يحمل في طياته كل معاني الخضوع والذلة والانكسار، وفاعله هو الوجوه ولم يقل: (الأجسام أو الأشخاص)؛ لأن الوجه أشرف وأكرم شيء في الإنسان، وهو الذي يعطي الشخص السمة المميزة له؛ وحيث إن الأبدان متشابهة، أما الوجه فلا، فكل له وجه خاص به يميزه عن غيره، علاوةً عن أن التعبير به جاء دقيقاً؛ لأنه محط التوجيه والإرشاد والتفكير، وهو ناصية البدن، وكأن الوجوه مختارة لهذا العنو؛ لما تراه من مشاهد مهولة ومواقف مفزعة، لا يقدر عليها إلا الحي القيوم، وعنت فيه إشارة بالتسليم المطلق والكامل لله – عز وجل– بلا حرية ولا اختيار، والفعل لا يغني غيره مكانه من مثل: (ذلت – خشعت – خضعت)؛ لأن هذه الأفعال توحي بأنها خاصة بموقف معين سرعان ما ينتهي، أو لجزء معين من بدنه، ولكن (عنت) توحي بتمام الانقياد والانصياع مع التسليم المطلق باطناً وظاهراً، فكراً وعقلاً، بدناً وروحاً لله رب العالمين، الذي يتحقق معه التصرف في ناصيته والتحكم في مصيره، والآية فيها من البلاغة (المجاز المرسل) فعبر بالجزء وأراد الكل، فعبر (بالوجه) الذي لا يخضع في الحقيقة بل الإنسان، ولكن يظهر الخضوع على الوجه، وهو أكثر جزء في جسم الإنسان تبدو عليه الانفعالات والإشارات والمشاعر؛ لذا استعمله ربنا – عزّ وجلّ – هنا في هذا المقام.

19– (قَصَمْنَا): ورد في قوله تعالى:﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾[٣]. والآية في وعد الله – تعالى – للذين كذّبوا الرسل بعذاب الاستئصال. والقصم: كسر الشيء حتى يبين، ومعنى قصمنا: أهلكنا وأذهبنا، وقيل: حطمنا وهشمنا [٤]، والفعل بحروف وجرسه يشير إلى شدة

---

(١) الزمخشري،محمود بن عمر.(1424هـ/2003م).**الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. عبد الرازق المهدي(محقق).بيروت: دار إحياء التراث.ج2.ص554.(بتصرف).

(٢) إبراهيم، كمال عبد العزيز.(2000م). **بلاغة التعبير بالوجه في القرآن الكريم(بحث منشور)** .باكستان: مجلة الدراسات الإسلامية.الجامعة العالمية الإسلامية.العدد الأول.مج(35).شهر يناير. ص31.

(٣) سورة الأنبياء، آية رقم:(11).

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ج11.ص197.

الغضب ومدى السخط، فالفعل بدأ بالقاف وهو حرف انفجاري للدلالة على شدة الغضب، والصاد وهو حرف احتكاكي له أزيز يثير الرعب والفزع من فَجْأة المصيبة، والأصوات المترتبة على القصم، والميم حرف مجهور، ويزيد المشهد رهبةً وخوفاً من إضافة (نا) العظمة للفعل والتي توحي بشدة البطش والأخذ بلا رحمة ولا هوادة، والفعل لا يغني غيره مكانه من مثل: (دمرنا– فصمنا– فجرنا– أهلكنا)؛ لأنها كلها لا توحي بشدة الأخذ المترتب على شدة الغضب، أما (قصمنا) فأبلغ؛ لأن أصل القصم: كسر بتفريق الأجزاء وإبانة تلاؤمها، وهو يدل على غضب عظيم. أما " الفصم فلا يدل على تفريق الأجزاء، فهو كسر من غير إبانة "(١)، والقصم: "هو أشد حركات القطع، والتعبير به يشير إلى شدة وقع الضربة على تلك القرى " (٢)، وفيه ما لا يخفى من قوة الغضب وشدة السُخط. وَكَمْ خبرية تفيد كثرة وقوع ما بعدها، فهي صيغة تكثير قَصَمْنا، أي: أهلكنا مِنْ قَرْيَةٍ أي: أهل قرية كانَتْ ظالِمَةً كافرة، ووصف بها القرية لأنها أقيمت مقام أهلها، وهو من باب المجاز. وظهر الفعل هنا متفرداً على الرغم من تكرار نفس المقام من هلاكٍ للمنحرفين، فقد قال الله في مواضع أخرى: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾(٣) و لكن (قصمنا)–كما تقدم– انطوت على سر فني وملمح إعجازي أثبت تفردها في هذا المقام.

20– (فَتَقْنَاهُما): ورد في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾(٤). والآية في توبيخ الله الكافرين على عدم تدبر الآيات الكونية الدالة على وجوده. وفتق الشيء: شقه، وهو خلاف الرتق، وقال الفراء:" فتقت السماء بالمطر، والأرض بالنبت، والرتق مضاد الفتق، وهو من أحسن البديع؛ حيث يوضح المعنى ويؤكده، وقال الزجاج: "المعنى أن السموات كانت سماء واحدة مرتقة ليس فيها ماء، فجعلها الله غير واحدة، ففتق الله السماء فجعلها سبعاً، وجعل الأرض سبع أراضٍ بالتضاد "(٥). والفعل لا يغني غيره مكانه من مثل: (ففجرناهما)؛ لأن الفتق لا يكون إلا مع شيئين ملتصقين عكس الانفجار فليس شرطاً، والفتق أحسن من الانفجار؛ لأن الانفجار يؤدي إلى الفصل الكامل بين أجزاء الشيء الواحد مع الهدم والعشوائية والتخريب، أما الفتق فتعني التحكم التام مع الفصل بدقة

---

(١) الزحيلي، وهبة،(1422هـ).**المنير في العقيدة الشريعة والمنهج**.دمشق: دارالفكر المعاصر، ط2،ج17.ص23.

(٢) القطان، إبراهيم.(1404هـ).**تيسير التفسير**.عمر أبو حجلة(محقق).(د.ن).ص428.

(٣) سورة ص، آية رقم: (3)، سورة الأنعام، آية رقم: (6)، سورة طه، آية رقم: (128).سورة السجدة، آية رقم: (26).

(٤) سورة الأنبياء، آية رقم:(30).

(٥) الفراء،يحي بن زياد.(1983م).**معاني القرآن**.بيروت: دار الكتب.ج2.ص201.

وإتقان، والحفظ على النظام، فلا عشوائية ولا تخبط، وهذا ما نراه حاصلاً الآن في السموات والأرض. وهذه الآية من بعض الحقائق الكونية التي أشار الله إليها في قرآنه والتي تثبت وجود الإله الواحد القادر، ففي هذه الآية يثير المولى -تبارك وتعالى- مسألتين غيبيتين في غاية الغرابة لم يكن للناس بهما علم في زمن نزول القرآن، الأولى أن السماوات والأرض كانتا رتقا، أي ملتصقتين ببعضهما ثم فصل الله بينهما، والثانية أنه جعل كل حياة لا تنفك عن احتياج للماء، فإذا كان القرآن كما يزعم بعض من الناس منزه عن ذكر خبايا العلوم المادية، فلماذا أشار الله إلى هذه الغيبيات التي لا يمكن للنبي ولا لأصحابه أن يدرسوها في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم -، إلا إذا كان الله يعلم بأنه سيأتي زمان على الناس يتناولون دراسة أصل الكون وأنهم سيمتلكون الأدوات المؤهلة لذلك، فوضع المولى -تبارك وتعالى- هذه الآية في كتابه، فكانت غيبًا في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكنه ما لبث أن بدأ يخرج من الغيب إلى الشهادة في زمن الرؤية بالعلم، فكانت الموافقة بين علوم القرآن والسنة وبين علوم الإنسان معجزة حقيقية تقود العقول إلى الإيمان بعلام الغيوب.

21- (فَفَهَّمْنَاهَا): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ ﴾[(1)]. والآية في قصة تعداد النعم العظمى على سيدنا داود وسليمان - عليهما السلام -.

والفهم: "معرفتك الشيء بالقلب، وقيل الفهم: تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها، وقيل: هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن" [(2)]، والفعل بتركيبه الصرفي، وطول حروفه لا يغني غيره مكانه من مثل: علمناه؛ لأن هذا الفعل ربما يحتاج إلى فترة زمنية معينة، ولكن الموقف والسياق يحتاج إلى عقل وحكمة وناسب العقل والحكمة الفهم، والفهم لا يحتاج إلى وقت أو طريقة تعلم، بل هو نور يقذفه الله في قلب من شاء فيعرف به ما لا يدركه غيره، وأكَّد هذا دخول (الفاء) على الفعل التي أفادت العطف والسرعة، وكذا لم يقل: (ففهمها)؛ لأن الحكم من عند الله يهبه لمن يشاء، والموقف بملابساته لا يحتاج إلى تأجيل أو تعليم، وأسند عملية الإفهام والتفهيم إلى الذات العلية بإضافة "نون العظمة" إليه، وعبر عن المسألة والفتيا بالضمير "ها"؛ لأنه سبق ما يدل عليها، والفعل فيه تخصيص الفهم لسيدنا

---

(١) سورة الأنبياء، آية رقم: (79).

(٢) الجرجاني، عبدالقاهر. (1403هـ/1983م). **التعريفات**. إبراهيم الإبياري (محقق). بيروت: دار الريان للتراث. ص217. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (1973م). **بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز**. عبدالعليم الطحاوي (محقق). القاهرة. (د.ن). ج4. ص222، القاهرة.

سليمان– عليه السلام –، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء. والفعل فيه من بلاغة القصر بالإيجاز، فقد اختصر القصة كلها في جملة واحدة وهي: (ففهمناها)، وفي هذه القصة دلالة على أن الفطنة والفهم موهبة من الله لا تتوقف على كبر سن ولا صغره.

22– (وَجَبَتْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾[(١)]. وسياق الآية هو الترغيب والحث على التقرب إلى الله تعالى ومن أنواع التقرب تذكية الأنعام.

ووَجَب: "سقط، ووجبت أي سقطت بعد النحر، فوقعت جنوبها على الأرض"[(٢)]، وكلمة صواف يعني: واقفةً قائمة على أرْجُلها، لا ضعفَ فيها ولا هُزَال، مصفوفة وكأنها في معرض أمام الناظر. وهذه صفات البُدْن الجيدة التي تناسب هذه الشعيرة وتليق أنْ تُقدَّمْ هَدْياً لبيت الله. ومعنى: "فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا"، وجبَ الشيء وجباً يعني: سقط سقوطاً قوياً على الأرض، ومعلوم أن البَدَنة لا تُذبح وهي مُلْقاة على الأرض مثل باقي الأنعام، وإنما تُنْحر وهي واقفة، فإذا ما نُحِرَتْ وقعتْ على الأرض وارتمتْ بقوة من بدانتها"[(٣)]. والفعل لم يغنِّ غيره مكانه مثل: (سقطت – وقعت – مالت – نزلت)؛ لأنها كلها تفيد معنى السقوط على مراحل أو ببطء أو تنزل رأساً، وهكذا، أما (وجبت) فهي تفيد السقوط بقوة على الأرض، وهذا لأنها كبيرة الحجم، ضخمة الجثة، وقد جاء الفعل هكذا ليكون متناسباً مع ما قبله وهو كلمة: (صواف)، أي واقفة وتذبح وهي هكذا، وجاء مناسباً لما بعده، فالدواب لا تسقط إلا على شقِّها، وبالتالي عبر بالجُنُوب وجعلها جمعاً إشارة إلى أن جميع بدنها أصبح صالحاً للسلخ ثم الأكل.

23– (كُبْكِبُوا): ورد في قوله تعالى ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾[(٤)]. و الآية في وصف طريقة وهيئة دخول الكافرين النار.

والكَبْكَبَةُ: " تدهور الشيء في هوّة "[(٥)]، والفعل عبارة عن مقطعين، أو مقطع مكرر، اكتسب جرسه وقدرته على حكاية معناه من مخارج وصفات حروفه، وبهذه الطريقة يؤدي دوراً فعالاً في تحقيق الغرض من الكلام عن طريق تهيئة النفس وإثارة الخيال، واستحضار صورة الانكباب على وجوههم في النار، وفي بنائه للمجهول ونطق حروفه ثِقل على اللسان، يتناسب مع

---

(1) سورة الحج، آية رقم:(36).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق). ص53.

(٣) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق).ص6038.

(٤) سورة الشعراء، آية رقم:(94).

(٥) الأصفهاني.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن**.(مرجع سابق).ص695.

ثقل الصورة والمشهد على نفوس المشركين، والفعل على وزن (فعلل) الدال على التكرار، وكأنك تراهم كلما قاموا كبوا على وحوههم مرةً أخرى، والفعل لم يغن غيره مكانه مثل: (قذف —كبَّ – ألقى– أدخل)؛ لأن (كبوا) فقط تشير بجرسها إلى أنهم يكبون كباً عنيفاً غليظاً، فما بالك بتكرار المقطع وهذا يؤدي إلى تكرار الدفع، كما تدل على الحركة المضطربة وهم يدفعون وكأن بعضهم يدخل في بعض، وحاجة المقام هي التي اقتضت التعبيربـ (كبكبوا) دون (كبوا)، وبالنظر إلى نفس حروف الفعل نجده قد كرر في موطن آخر، إلا أنه هنا ناسبه هذه الصيغة الصرفية؛ لاعتبارات سياقية خاصة، ويظهر هذا في قوله تعالي في سورة النمل: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[(1)]، " فترى التعبير هنا عن السقوط في النار بقوله: (كبت)، وهناك بـ (كبكبوا)، وكل ملائم لغرضه موافق لسياقه؛ فحيث تعدددت أصناف الكفار وكثر عددهم ليشمل الغاوين والذين أضلوهم ثم جنود إبليس أجمعون ناسبهم التعبيربـ "كبكبوا"؛ ليكون أبلغ في الدلالة على حشرهم جميعاً على هذه الصفة القوية العنيفة المناسبة لعتوهم وكثرتهم؛ وحيث لم يذكر تلك الأصناف في سورة النمل اكتفى بقوله"كبت" على أن السياق يحرص على إبراز إهانتهم بطريقة معينة، وهي إسناد الكب لأشرف جزء في الإنسان وهو الوجه، وفي الشعراء لم يرد للوجه ذكر؛ لأن المقصود الأوضح فيها هو إبراز دفعهم دفعاً قوياً متكرراً عنيفاً يجعلهم مضطربين متداخلين مذعورين"[(2)].

24– (**فَتَبَسَّمَ**): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾[(3)] والآية فيما خص به سيدنا سليمان من علم بمنطق الطير، وسماعه لتحذير النملة لصويحباتها.

ويقول ابن فارس: "الباء والسين والميم أصل واحد: وهوإبداء مقدم الفم لمسرة وهو دون الضحك يقال: تبسم ويَبْسِمُ وتبسَّم وابتسم"[(4)]، والتبسم: "دون الضحك، وقيل هو أقل الضحك وأحسنه، وقيل: هو الضحك من غير صوت"[(5)]. والآية لبيان عجب سليمان– عليه السلام – من صنيع النملة حين نبهت أقرانها من خشية الهلاك، ومن خلال الفعل في هذه الآية الكريمة يتجلى الضحك في معاملة غير العاقل معاملة العاقل، وهذا من تمام قدرة الله في تعليم

---

(١) سورة النمل، آية رقم: (90).

(٢) شادي، محمد إبراهيم.(1988م).**البلاغة الصوتية في القرآن**.القاهرة: دار الرسالة.ص33.

(٣) سورة النمل، آية رقم:(19).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ص253.

(٥) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.(مرجع سابق).ج5.ص1872.

سيدنا سليمان منطق الطير، والتعبير بلفظ (تبسم) فيه لطف ولياقة وجلال وهيبة، وهذا يناسب حال الأنبياء؛ لأنه كان ضحكهم تبسماً، وأكد التبسم بقوله: (ضاحكاً)؛ إذ " قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا... "[1]، والتبسم لا يسمع ولكن يرى فأردف بالضحك لأنه يسمع فكأنه أراد إعلام النملة بإعجابه من قولها، وعبّر بهذه الصيغة لأنها أبلغ من قوله: "ابتسم"؛ لأن ابتسم تحتمل أن يكون تبسم لشيء تذكره بنفسه، ومن دقة التعبير القرآني أنه لم يقل: (ضحك من قولها)؛ لأن هذا القول يحمل محمل السخرية والاستهزاء، وهذا ما لايمكن، ولكن إرداف الضحك للتبسم ليصرف السامع أو القاريء عن كون التبسم للتقليل أو التحقير، وحاشا للنبي أن يكون ذاك. ونلحظ في الأسلوب عملية التدرج والترقي، حين بدأ بالتبسم وانتهى بالضحك.

25– (**أَتْقَنَ**): ورد في قوله تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[2].والآية في الحديث عن خلق الله وبديع صنعه. و أتقن الشيء: " أحكَمَه، وأتى به على أتم صورة "[3]. وأصل الفعل:(تقن)، وجاءت هذه الآية وكأنها جواب لمن سأل كيف تمر هذه الجبال وهي ثابتة، فكان الرد "صنع الله الذي أتقن كل شيء"، والسياق يتحدث عن الصنع، والصنع عمل، والعمل إن كان من خبير ومقتدر وعالم يوصف بالإتقان، ولهذا تفرد هذا الفعل هنا في هذا المقام، فلا يفي بالغرض لوقال: (صنع– أبدع – خلق)؛ لأن المقام مقام بناء وإيجاد وحركة، وبالتالي لابد من صانع يتصف بالخبرة، وصنع يتصف بالجودة، وهذا ما توفر في هذه الآية، ليتم السياق وتكتمل الصورة، وإضافةً إلى ذلك فإن السياق يتحدث عن الصنع، والشيء المصنوع إذا كان دقيقاً ومحكماً وخالياً من العيوب والنقائص نقول: متقن، وبما أن الله يتحدث عن الصنع والصناعة فناسب أن يتكلم عن الإتقان؛ لأن الأمر يتعلق بأمور يترتب بعضها على بعض وهذه الأمور تستحق الإتقان والدقة المتناهية والحكمة المطلقة وخاصة إذا كانت المخلوقات أجساماً عظاماً، إن اختل توازنها أو لم يكن هناك إتقان لفقدت الاتزان وتضاربت وتداخلت، ولَمَا وجدنا هذا النظام البديع المحكم، " فلا فلتة ولا مصادفة ولا ثغرة ولا نقص ولا تفاوت ولا نسيان"[4]، والسنة تتعاضد دائماً مع القرآن، فيقول النبي– صلى الله عليه وسلم –:" إن الله يحب إذا عمل أحدكم

---

(١) القرطبي،محمد بن أحمد.(1964م).**الجامع لأحكام القرآن**.أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش(محققان).القاهرة: دارالكتب المصرية، ط2،ج7.ص5056.

(٢) سورة النمل، آية رقم:(88).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص8.

(٤) قطب،سيد.**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق).ج5.ص2669.

عملاً أن يتقنه"[١]، أي: يؤديه على أحسن وجه ممكن. وهذا يؤكد أن الصنع مرتبط بالإتقان ليس غيره.

26- (وَكَزَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[٢]. والآية في الحديث عن سيدنا موسى- عليه السلام - وقصة قتله قبطياً مصرياً خطأً. وفي معنى (وكز) يقول ابن فارس: "الواو والكاف والزاي بناء صحيح يقال وكزه: طعنه، ووكزه ضربه بجمع كفه، ووكزه دفعه وقيل:ضربه بجمع كفه على ذقنه"[٣]. ولتأكيد اتساق الفعل مع المقام الذي ورد فيه؛ نرى أنه لم يكن قصد سيدنا موسى القتل وإلا لقال: (فقتله)، ولكنه فقط أراد فض الاشتباك والشجار؛ ولأن الذي من شيعته في حال هزيمة حقيقية وحتمية ودلَّ على ذلك بقوله: (فاستغاثه)، وبالتالي حاول سيدنا موسى فقط إضعاف الذي من عدوه ليتسنى للثاني التخلص وقلب موازين المعادلة وتغيير الموقف لصالح الذي من شيعته. ولايغني لو قال: (فضربه)؛ لأن الوكز نوع من أنواع الضرب، فأراد أن يظهر هذا ليؤكد به أنه لم يقصد القتل قط، والفاء في وكزه دليل على سرعة الاستجابة للاستغاثة، وهذا ليس سلوكاً جديدًا على سيدنا موسى، فهو الذي سقى للبنتين من قبل بدون طلب، فهو- عليه السلام - سريع الاستجابة لدواعي الخير، والفعل يدل على قوة سيدنا موسى البدنية؛ لأنه بضربة بسيطة أودى به مباشرةً، وهذا بدوره يؤكد أن الله أعطى الأنبياء قدرة خاصة لتؤهلهم للدفاع عن أنفسهم.

7- (سَلَقُوكُم): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[٤]. والآية في توبيخ المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر.

والسلق: "شدة القول باللسان والمخاطبة بما يكره، ومعناه: عضّوكم يقول: آذوكم بالكلام بألسنة سليطة ذربة، وبالغوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنيمة أشد مخاصمة وأبلغها"[٥]، والسلق فيه معنى الضرب والطعن. والفعل (سلقوكم) فيه استعارة معنى السلق الذي

---

(١) رواه:أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى.(1984م).**مسند أبي يعلى**.حسين سليم(محقق).دمشق: دار المأمون للتراث. ج7.ص349، والطبراني،سليمان بن أحمد.(1415هـ). **المعجم الأوسط**. طارق بن عوض الله(محقق).القاهرة: دار الحرمين.ج1.ص265، والبيهقي،أحمد بن الحسين.(1410هـ). **شعب الإيمان**.ت:محمد السعيد(محقق).بيروت: دار الكتب العلمية.ج4.ص334.

(٢) سورة القصص، آية رقم:(15).

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ج15.ص383، 384.

(٤) سورة الأحزاب، آية رقم:(19).

(٥) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**.(مرجع سابق).ج13.ص218(س ل ق).

فيه التقليب والغليان والتفتيت ليظهر مدى التجريح والتأنيب واللوم من المنافقين لجماعة المسلمين، وأداة هذا التجريح هي الألسنة الحداد أي: الجارحة المؤذية وهي كناية عن الخشونة والغلظة في الكلام، ووصفها بـ (الحداد) إمعاناً في ذمهم وإظهار سلاطتها ممايبنيء عن خبث أخلاقهم، وصوت السلق فيه معاني الغليان والفوران والتقليب وهذا مافعله المنافقون بالمسلمين، وشأن من يُخاض فيه ويُتكلَّم عنه كشأن الشيء المسلوق في الإناء الذي يغلي ويفور ويثور ويضطرب؛ لأن الله يريد أن يوضح مدى تضرر المسلمين من إيذاء المنافقين؛ لذا لم يناسب هذا المقام إلا هذا الفعل، ولا يغني غيره مثل: (اتهموكم- جرَّحوكم – نالوا منكم – قذفوكم)؛ لأنها كلها تدل على معانٍ لا تصل إلى هذا الإيلام الذي أفاده قوله: (سلقوكم)، والآية فيها مجاز مرسل علاقته الآلية أو الجزئية، فأراد الكلام والتقريع وذكر آلته وهي الألسنة، وهي الآن " ذربة قاطعة فصيحة بعد أن كانت عند الخوف في غاية اللجلجة لا تقدر على الحركة من قلة الريق وييس الشفاه، وهذا لطلب العرض الفاني من الغنيمة أو غيرها "[١]فإذا ذهب الخوف ظهر منهم الآتي: " خرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء ما شاء لهم الادعاء، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال..[٢].

28-(لَمَسَخْنَاهُمْ):ورد في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾[٣].
والآية في بيان من الله أنه لو شاء إهلاك الكافرين في الدنيا وتحويلهم إلى جمادات لا تتحرك لفعل بهم. والمسخ:تحويل إلى صورة قبيحة، أو إلى ما هو أقبح منها يقال: مسخه الله قرداً، ويقول ابن فارس: "الميم والسين والخاء: كلمتان إحداها المسخ وهو يدل على تشويه وقلة طعم الشيء، ومسخه الله: شوه خلقه من صورة حسنة إلى صورة قبيحة" [٤]، والفعل جاء مؤكداً باللام، وهذه اللام تدخل على جواب (لو) في الأفعال التي لا يتخيل وقوعها؛ لإزالة ما قد يتصوره العقل البشري من صعوبة تحقيق هذا الأمر، وسيقت لإزالة الشك ولتقوية الأمر، والفعل مسخ يوحي بالعقوبة الشديدة؛ للاتعاظ والاعتبار بأسلوب التهديد والوعيد، ونسبه للذات العلية إمعاناً في إثبات القدرة على ذلك، وعبر عنهم بالضمير"هم" تقليلاً من شأنهم لعلة كفرهم، والفعل لم يغن غيره هنا مثل: (نسخ – مسح – حوّل – غيَّر)، وكلها تفي بمعنى تغيير الهيئة والصورة أو صورة

---

(١) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**.(مرجع سابق).ج6.ص87.

(٢) قطب.(1402).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق).ج5.ص2840.

(٣) سورة يس، آية رقم:(67).

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ج13.ص102.

طبق الأصل، ولكن ليس إلى الأسوأ، فالنسخ قد يصل إلى صورة أحسن من التي عليها أو قريبة منها، أما المسخ فالتغيير إلى صورة أشنع وأسوأ مصحوباً باللعنة والسخرية مع عدم الحركة؛ ولذا أردف بعدها (عَلَى مَكَانَتِهِمْ) وهو جدير ومناسب للجماد؛ إذ إنه لا يتقدم ولا يتأخر، وفيه إلحاقهم بصفة البهيمية، فإن البهائم لا تعقل موضعاً تقصده، فلاتقبل ولا تدبر، وفي قوله"فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون" فقدم المضي على الرجوع؛ لأن فيه نوع من العذاب؛ لأن المضي يجهلونه والرجوع يعرفونه، فتعذر عليهم المضي بأنفسهم، والرجوع منعهم الله منه. ونلحظ أن هذا المقام تكرر مثله في القرآن، وهذا في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١]، فلو دققنا سنجد أن السياق استعمل الفعل: (جعل)؛ لأن هذا قد تم بالفعل، فلا داع لتهديد أو وعيد وغيره، أما هنا فقد استعمل اللفظ (مسخ) لأنه يحمل في طياته تهديد ووعيد وقوة وإرهاب، فلابد أن يأتي على أبشع صورة ممكنة ليرتدع السامع أو القاريء؛ لذا كان أنسب هنا للسياق، ولم يغن غيره مكانه.

29– (وَتَلَّهُ): ورد في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾[٢]. والآية في موقف الذبح بتفاصيله. وتلّه:" أي صرعه على جانب بحيث يباشر جبينه الأرض. والجبين أحد جانبي الجبهة"[٣]. وأصل التل: " الرمي على التل وهو التراب المجتمع" [٤]، وبالتالي عبر القرآن بهذا الفعل لأنه مشتق من اسم المكان الذي وضع عليه جبين اسماعيل الذبيح، فلا يغني لو قال: (أكفأه– ألقاه – قلبه – صرعه – وضعه)، وكل هذه الأفعال تؤدي نفس النتيجة، ولكن (تل) تؤدي إلى تأكيد مكان الذبح، وفيه إشارة أنه مرتفع، فهو إذن مناسب حركةً وفعلاً ومكاناً. وقال: (للجبين)، ولم يقل (على الجبين)؛ لزيادة التمكن منه، وإمعاناً في تنفيذ الأمر كما يجب أن يكون، و" فيه سرعة استجابة ورضا ومطاوعة من إسماعيل" [٥]، وعبر ربنا بالهاء في الفعل، ولم يقل مثلاً: (وتل ابنه أو إسماعيل)، حتى لا يثير الشفقة في نفسه ويضعف عن إتمام أوامر ربه عند سماع هذه

---

(١) سورة المائدة، آية رقم: (60).

(٢) سورة الصافات، آية رقم:(103).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق). ص8.

(٤) الآلوسي،محمود بن عبدالله.(1415هـ).**روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني** .علي عبد الباري عطية(محقق) .بيروت: دار الكتب العلمية.ج12.ص124.

(٥) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**.(مرجع سابق).ج6.ص328.

الكلمة، فهو ابنه الوحيد وجاءه على كِبر، وبعد انتظار طويل، وحذف جواب (لما)؛ إيماءً إلى شدة المصيبة ومرارة الواقعة. والمشهد كله يُثبت " نبل الطاعة، وعظمة الإيمان، وطمأنينة الرضى، وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان"(١).

30- (أَبَقَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾(٢). والآية في حكاية سيدنا يونس- عليه السلام - مع قومه، وخروجه من قومه. و" أبق العبد يأبِق ويأبُق:هرب، والإباق: هروب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كد ولا عمل" (٣)، وأبق تطلق على العبد الآبق الذي يعصى سيده، وهذا لم يفعله يونس- عليه السلام -، بل خرج بدون إذن ربه فقط؛ ولذا عبر بالفعل هنا لأنه ناسب الحال والمقام، فلم يقل: (خرج - ذهب - فرَّ- هرب)؛ لأنها جميعاً لا تفي بالغرض، وهو تشبيه حاله بحال العبد العاصي الهارب من سيده، وإن كان الأمر ليس كذلك؛ لذا حسُن إطلاقه عليه بطريق المجاز، تصويراً لغرابة ما فعل؛ فإنه عبد الله فكيف يفر بغير الإذن وإلى أين يفر والله محيط به و"قد صح أنه لا يقبل فرض الآبق ولا نفله حتى يرجع، فإذا كان الأدنى مأخوذا بزلةٍ فكيف الأعلى"(٤)، وعبَّر عن هروبه بالإباق من "حيث إنه فرَّ من غير إذن مولاه، فهذه حقيقة الإباق" (٥)، ولأن المقام مقام اختصار، ولا يحتاج إلى سرد القصة كاملة؛ لذا سلَّط الضوء على أهم حدث في القصة والمطلوب الاستفادة منه، وهذا من باب الإيجاز بالقصر، والآية تنطوي على أبدع فنون القصة بالمفهوم الحديث، من تسليط العدسة على المشهد الرئيس في القصة دون سرد لتفاصيل ثانوية، لا تخدم الهدف منها. والفعل يحمل ملمحاً بلاغياً وهو الاستعارة التصريحية؛ حيث شبه خروج سيدنا يونس بغير إذن ربه بإباق العبد، وفيها إظهار للحالة النفسية التي كان فيها، وحقيقة الأمر" أن يونس لم يعص ربه في الخروج، ولا كان هناك نهي من ربه عن الخروج، ولكن خروجه كان ممثلاً لإباق العبد من خدمة مولاه فأخذه الله بذلك" (٦)، وكان وكان الأليق به كنبيٍّ الاستئذان.

---

(١) قطب.(1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج5. ص2995.

(٢) سورة الصافات، آية رقم:(140).

(٣) الأصفهاني.(1412هـ). **المفردات في غريب القرآن**.(مرجع سابق).ص847.

(٤) حقي،إسماعيل.(1287هـ).**روح البيان في تفسير القرآن**.القاهرة: مطبعة العامرة. ج12.ص69.

(٥) الثعالبي،عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف.(د.ت).**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**.بيروت: مؤسسة الأعلمي.ص2900.

(٦) الطباطبائي،السيد.(د.ت).**الميزان في تفسير القرآن**.بيروت: مؤسسة الأعلمي.ص436.

31- (فَسَاهَمَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾[١]. وسياقها في تفاصل ما حدث لسيدنا يونس- عليه السلام- في السفينة.

والسَّهْمُ: " الحظ والنصيب، وواحد النبل، والجمع سهام، وساهم في الآية:اشترك في القرعة"[٢]. والفعل نتيجة طبيعية لما ذُكِر من حال السفينة بوصفها بـ (المشحون)، وكأنه دلالة إلى ما سيحدث لاحقاً، وساهم أي اشترك معهم في القرعة، ولم يقل ربنا: (فاستهم)، وكأنه له رغبة في ذلك، وفعلها عن قصد. ويكون فيها إقبال من الناس. أما (ساهم) فكأنه دُفِع إلى المقارعة دون رغبة في ذلك، ولم يقل ربنا: (فأقرع)؛ لأن الفعل يدل على أنه هو الذي يقوم بالقرعة وليس طرفاً فيها، وهذا عكس الواقع، ولم يذكر مثل هذا السياق في القرآن، وبالتالي تفرّد سياقاً وشكلاً، والفاء للدلالة على السرعة، لأن الموقف لا يحتمل تأجيل فالسفينة مشرفة على الغرق، والفعل يعبر عن الحالة النفسية لسيدنا يونس؛ لأنه أعلم بحاله من غيره، وكأنه يعرف النتيجة مسبقاً.

32- (صَكَّ): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾[٣]. والآية في زيارة الملائكة لسيدنا إبراهيم – عليه السلام – في بيته، وبشارته بغلام حليم وعليم.

والصك: " لطم الوجه بأطراف الأصابع"[٤]، والمفسرون يذكرون أن الآية في قصة إبراهيم إبراهيم – عليه السلام – حينما بشر بولد، فسمعت السيدة سارة ذلك، فضربت وجهها ولطمته على عادة الناس وخاصة النساء حتى في زماننا هذا، حينما يسمعن أمراً غريباً يتعجبن منه ويضربن بأكفهن على جباههن، وللتدليل على ذلك أن هذا الفعل لم يُسند للرجال في القرآن قط، والخبر بشارة وبشرى؛ لذا ناسب أن يكون صك فقط ضرباً خفيفاً مع صوت قليل عكس ما لو إذا قال ضربت أو لطمت فهو يناسب المصيبة والمقام، والمتأمل في الفعل يجد له وقعاً في الأذن، وكأنك تسمع صوت الضرب أو صوت اللطم من صرير الصاد وهو صوت صفير، وكأنك تسمع وقع يدها على وجهها، فإذا حلّلنا الفعل (صكّتْ) تحليلاً صوتيًّا مع ما لحقه من تاء دالّة على التأنيث، وجدناه يجمع بين الشدّة والتفخيم؛ إذ " الصاد من أصوات الإطباق، والمطبق

(١) سورة الصافات، آية رقم:(141).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص28.

(٣) سورة الذاريات، آية رقم:(29).

(٤) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص31.

مفخّم"[1]، ونلحظ أيضاً أن " الكاف والتاء صوتان شديدان، وزاد من شدّة الكاف تضعيفها. وبهذا أدّت هذه اللفظة بهذه الأصوات صورة اللطمة من جانبها الصوتي الإيحائي، فضلاً عن جانبها اللغوي، الدال على الضرب الشديد"[2] . وبذلك ضاعف الإيحاء الصوتي للصك من دلالته على الضرب المتتالي، وهذا يوحي بقوة إنكارها وتعاظم الصورة لها، استبعاداً لِأَن تلد ولداً، وكان من الممكن أن يعبّر القرآن بطريق مباشر بأن يقول: (وقالت في تعجب واستبعاد أنا عجوز عقيم)، ولكنه عدل عن ذلك إلى الفعل المذكور لدلالته التي أُشِيرَ إليها.

33- (أَكْدَى): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾[3]. والآية في توبيخ بعض المشركين الأغنياء وإعراضه عن الحق. و الكُدْية: الأرض الصُلبة، وأكدى أي قلّ عطاؤه وبخل، والكاف والدال والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على الصلابة في الشيء ثم يقاس عليه، فالكُدية: صلابة تكون في الأرض يقال: حفر فأكدى إذا وصل إلى الكُدْية، ثم "يقال للرجل إذا أعطى يسيراً ثم قطع" [4]، وأكدى: " استعملته العرب لمن أعطى فلم يتمّ، ولمن طلب شيئًا فلم يبلغ آخره"[5]، ومنه قول الحطيئة:

فأَعطى قليلاً ثم أكْدَى عطاؤه... ومن يَبْذُلِ المعروف في الناس يحمد[6]

والفعل متناغم تماماً مع السياق والمقام، فعبر به في صورة استعارية تصريحية واقعية، لايغني غيره غناءه من مثل: (بخل– امتنع – قطع – ضنَّ)، فهي لا تعبر عن الحال القائم، بل تعطي معانٍ جزئية، أما أكدى فهي تفيد بأن العطاء قد تم مع قلته ثم قطعه ضناً، و" الفعل سيق مساق الذم، ووصف عطاؤه بأنه قليل توطئة لذمه بأنه مع قلة ما أعطاه قد شح به فقطعه منه، فحصل التعجيب من حال الوليد كله تحقيرًا لعقله وأَفَنِ رأيه"[7]، والفعل جاء متناسقاً مع الإيقاع والفاصلة.

---

(١) أنيس،إبراهيم.(د.ت).**الأصوات العربية**.مصر: مكتبة نهضة مصر.ص75.

(٢) الزيدي،ياسر قاصد.(2012/5/9م).**الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن الكريم**.انظر موقع: vb.tafsir.net/tafsir4819

(٣) سورة النجم، آية رقم:(34).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج9.ص166، 167.

(٥) الشوكاني،محمد بن علي.(1415هـ/1994م).**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** .عبد الرحمن عميرة(محقق).مصر: دار الوفاء.ج7.ص78.

(٦) الحطيئة،جرول بن أوس.(1407هـ/1987م).**ديوان الحطيئة**.نعمان محمد أمين(محقق).القاهرة: مكتبة الخانجي. ص179.

(٧) ابن عاشور،محمد بن الطاهر.(2000م).**التحرير والتنوير**.بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.ج27.ص130.

34- (بُسَّتِ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾[(١)]. والآية في : الحديث عن أهوال يوم القيامة من تفتيت للجبال وغيرها.

وبست أي: "فتّت، من قولهم: بَسَسْتُ الحنطة والسويق بالماء: فتّه به، وهي بَسِيسَةٌ، وقيل: معناه: سقت سوقا سريعا، من قولهم: انْبَسَّتِ الحيّات: انسابت انسيابا سريعا، وبَسَسْتُ الإبلَ: زجرتها عند السوق، وأَبْسَسْتُ بها عند الحلب، أي: رقّقت لها كلاما تسكن إليه، وناقة بَسُوس: لا تدرّ إلا على الإِبْسَاس، وفي الحديث: «جاء أهل اليمن يَبُسُّونَ عيالهم»[(٢)] أي: كانوا يسوقونهم"[(٣)]. وقد قيل في تفسيرها: " أي فُتّت فتّا... وقيل معناه كسرت كسرا... وقيل قلعت من أصلها... وقيل سُيّرت عن وجه الأرض تسييرا... وقيل بسطت بسطا كالرمل والتراب... وقيل جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة " [(٤)]. وما يدرينا، فلعل هذه المعاني كلها أو جُلُّها ملحوظة فيها، أو مرادة منها بدليل قوله تعالى في سورة طه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾[(٥)]. و صورة (البسّ) تعتمد على جرس الألفاظ و تضيف مناخًا جديدًا زيادةً على على ما أضافته هذه الصورة التي في(طه)، وتعبِّر تعبيرا آخر عن عملية الإزالة التامة حتى تتساوى مع الأرض المعتدلة المستقيمة، مرتكزة على صوت احتكاكي من أصوات الصفير وهو السين وتبدو فيه حركة الجبال التي فيها تفتيت وتجزئة وخلط وعجن، وهذا الأمر يساعد على رسم الصورة متقاربا مع الإفناء التام في عملية استمرار تفتيت الجبال حتى تعود (هباء منبثا)، وجاء المصدر (بساً)؛ لتأكيد هذه الصورة، وتفرُد الفعل ظهر من خلال توسطه بين مرحلتين الأولى: رجّ وزلزال واهتزاز، والثانية هباء منتشراً، والطبيعي أن الهباء لا يكون إلا في الذرات والجزيئات الصغيرة، وبالتالي كان لابد من مرحلة التفتيت والتجزئة المتمثلة في (وبست)، وبناء الفعل للمجهول فيه فزع ورعب؛ لأنك ترى الأحداث تتتابع ولا ترى الفاعل وهذا يبعث جواً مليئاً بالهلع والذهول.

---

(١) سورة الواقعة، آية رقم:(5).

(٢) الحديث صحيح أخرجه البخاري.انظر:المناوي،زين الدين محمد.(1031هـ).**الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**.أحمد مجتبى(محقق). ج4.ص90،السيوطي، جلال الدين.(1389هـ/1969م).**وتنوير الحوالك شرح موطأ مالك**.مصر: المكتبة التجارية الكبرى. ج3.ص 85.

(٣) الأصفهاني.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن**.(مرجع سابق).ص122.

(٤) الطبرسي،أبو علي الفضل بن الحسن.(د.ت). **مجمع البيان في تفسير القرآن**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. ج9.ص214.

(٥) سورة طه، آية رقم: (105).

35- (تَحَرَّوا): ورد في قوله تعالى:﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴾[١]. والآية في الإخبار عن أحوال الجن وأصنافهم. و التحرّي: الاجتهاد وبذل الطاقة في طلب الشيء، تحرّاه: تعمّده، وتحرّوا رشدا:بذلوا جهدهم في طلب الحق والصواب[٢]. واختير صفة تحري الرشد بمعنى بحثوا وطلبوا وابتغوا، واختيار الرشد مناسب لما تردد في السورة من ذكر الرشد وهي أكثر سورة تردد فيها كلمة (الرشد) (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) (أَمْ أَرَادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدًا) (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا). إذن اختيار تحري الرشد هذا مناسب لما ورد في السورة ، و قال المبرد: " أصل التحري من قولهم: ذلك أحرى، أي أحق وأقرب، وبالحري أن تفعل كذا، أي يجب عليك"[٣].

والفعل فيه إشارة بمدى الجهد الذي وقع من طلب وبحث واختيار وتفتيش وتوخٍ ليدلك على حرصهم الشديد للوصول إلى الطريق الصحيح حيث الرشاد والسداد، والفعل معبر جداً عن مقصود الآية فالتعبير بلفظ «تَحَرَّوْا» يوحي بأن الاهتداء إلى الإسلام معناه الدقة في طلب الرشد، والاهتداء – ضد الغي والضلال – ومعناه: " تحري الصواب واختياره عن معرفة وقصد بعد تبيّن ووضوح. وليس هو خبط عشواء ولا انسياقًا بغير إدراك. ومعناه أنهم وصلوا فعلاً إلى الصواب حين اختاروا الإسلام.. وهو معنى دقيق وجميل "[٤]، لما كان في مقام الترغيب في الحق، ربط بفعلهم ذلك تسبيباً عنه قوله مدحاً لهم: (فأولئك)أي: العالو الرتبة، (تحروا) أي: توخوا وقصدوا مجتهدين (رشداً) أي: صواباً عظيماً وسداداً، كان– لما عندهم من النقائص– شارداً عنهم فعالجوا أنفسهم حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلاً، وتحريت الشيء: " قصدت ناحية، فكان لهم ذلك إلى الجنة سبباً، ومن قسط فأولئك ضنوا فنالوا غياً وشططاً[٥].

36- (أَغْطَشَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾[٦]. والآية في بيان قدرة الله في خلقه. والغطش: "الظلمة، وإغطاش الليل: إظلامه، جعله مظلما، وأصله من الْأَغْطَشُ، وهو الذي في عينه شبه عمش، ومنه قيل: فلاة غَطْشَى: لا يهتدى فيها، والتَّغَاطُشُ: التّعامي عن الشيء"[٧]. والفعل فيه من الدلالة الصوتية التي توحي ببدء الليل عبر عنها حرف الغين وهو

---

(١) سورة الجن، آية رقم:(14).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص14.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق). ج30.ص671.

(٤) قطب.(1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج6.ص3733.

(٥) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** .(مرجع سابق). ج9.ص192.

(٦) سورة النازعات، آية رقم:(29).

(٧) الفراء.(1983م).**معاني القرآن**.(مرجع سابق). ج3.ص233.

حرف حلقي يشير إلى دخول الليل، ثم الطاء وهو حرف إطباق يوحي بتعميم الليل على كل الأنحاء، ثم الشين وهو حرف تفشٍ وانتشار ويوحي بشمول جميع الأجزاء، والكلام عن السماء؛ لذا قال: (وأغطش ليلها) وكأن الأرض منفصلة عنها ولها ليل آخر، بالرغم من أن هناك ليل واحد للسماء والأرض ولا فاصل بينهما، ولكن بدخول الليل في السماء ينعكس هذا على الأرض، وبالتالي يحدث هذا مع النهار، والكلام كان متعلقاً بالسماء، وأمر الليل والنهار متعلق بغروب الشمس وشروقها وهي في السماء؛ لذا عاد الضمير عليها، و الفعل لا يغني غيره مثل: (أظلم أو اسودّ) بالرغم من أنهما يشتركان مع (أغطش) في الدلالة اللغوية إلا أنهما يعبران فقط عن السواد الحالك ليس غير، ولكن أغطش تمتاز بدلالة أخرى من وراء اللغة، فالكلمة تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت، وعمَّ الركود، وبدت في أنحائه مظاهر الوحشة، وفضلاً عن ذلك فإن جرسها الدلالي يصوّر الظلام الساكن الذي أشبه ما يكون بكائن لا حِسّ فيه ولا حراك.

37– (دَحَاها): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[(١)]. والآية في استمرار الحديث مع منكري البعث والخلق، والآن مع الأرض وكيفية خلقها.

يقول ابن فارس: "الدال والحاء والواو أصل واحد يدل على بسْطٍ وتمهيد، ودحا الشيء أي: بسطه ومدّه ومهّده.وإذا كانت الأرض دائماً مبسوطة وممدودة فهذا يعني أنها بيضوية"[(٢)]. وكلمة (دحاها) لو استبدل بها أي كلمة أخرى تفسد الصورة ؛ لأنها تعبر تعبير حقيقي عن معاني العِظَم، والبسط والمدّ والتكوير. ودحاها: بسطها ومدها بحيث تصبح صالحة للسكن والسير وقيل (دحاها): جعلها كالدحية (البيضة) وهذه حقيقة توصل إليها علماء الفلك في العصر الحديث وخاصة عند تصوير الأرض من الفضاء الخارجي بواسطة الأقمار الصناعية ولفظة:دحاها — فيما أعلم– هي اللفظة العربية الوحيدة التي تشتمل على البسط والتكوير في الوقت نفسه ، فتكون أولى الألفاظ على الأرض المبسوطة في الظاهر المكورة في الحقيقة ، وهذا منتهى الإحكام في اختيار اللفظ الدقيق المبين. " إن القرآن الكريم أتاح لنا إدراك عظمة التعبير القرآني وأن نكتشف المعاني الحقيقية لعملية(التكوير)في قوله تعالى:﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[(٣)]، و(الدحو) في قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها)، أما التعبير بــ﴿ بَعْدَ

---

(١) سورة النازعات، آية رقم:(30).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق)ج2.ص333، وانظر:الأنصاري،أبوزيد.(1981م).**النوادر في اللغة**.محمد عبد القادر(محقق).مصر: دار الشروق.ص564.

(٣) سورة الزمر، آية رقم:(5).

ذَلِكَ﴾ فإنَّ (بعد) تفيد الترتيب والتعاقب ، وحرف اللام في (ذلك) تفيد البعد، فهو قرينة قاطعة تدل على حقيقة ترتيب أحداث نشأة الكون التي أقرّها القرآن الكريم وأخبرنا عنها في زمن لم يكن العلم يعرفها ، وذكرت الأرض هنا مع " الدحو" باعتبارها كوكب، و في قوله تعالى : (والأرض مددناها)، (والأرض وماطحاها) باعتبارها منطقة، فلا يتعارض هذا مع ذاك، بل كل يتناسب مع المقام وخصوصية السياق، فسبحان من أنزل القرآن!

38- (انْكَدَرَتْ): ورد في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾[(1)]. وسياق الآية هو أحوال يوم القيامة أهوالها، من إنطفاء للنجوم وتساقطها. وانكدر الشيء: " أسرع وانقضّ، وانكدرت النجوم: تناثرت و تساقطت" [(2)]. في هذا الفعل صورة من صور تأثير التنوع الصوتي في الفاصلة القرآنية في الدلالة، ففواصل الآيات في هذه السورة متساوية ومنها (انكدرت)؛ إذ كلها تنتهي بالتاء المفتوحة الساكنة، والتاء من حروف الهمس، والهمس يختاره الإنسان في لحظات الانكسار النفسي، والشكوى، والالتماس، والدعاء، وفي حالات الضعف، والهوان، والذل، والانهزام.

فالفاصلة إذن لها علاقة قوية بالسورة، فالسورة تصوير حي ليوم القيامة وما فيه من أهوال ومشاهد مروعة مخيفة تبعث على الانكسار والخوف والقلق من المجهول، وهذا ما يجعل الإنسان يخاف وبالتالي يلجأ إلى الدعاء والالتماس، " وقد مثّل الفعل الذي لم يسم فاعله في سياق الآيات دورًا بارزًا في تصوير الحركة المجهولة في طي الزمان، فالمشهد بدأ بفك الكون وتدميره من أعلى إلى أسفل، بالكائنات غير العاقلة: الشمس، النجوم، الجبال، العشار، الوحوش، البحار، ثم الكائنات العاقلة من النفوس والمؤودة، ثم رجوعها مره أخرى إلى الصحف التي تنشر والسماء التي تكشط، وذلك من الكائنات غير العاقلة؛ ليعود المشهد إلى مظاهره أو كائناته العليا كما بدأ، وكأنه مشهد يكور في دائرة انقلاب وانفلات للنظام في سرعة فجائية صارمة مثلها البدء ب:إذا للزمان المفاجيء، ثم تكرارها مع كل حدث مدمر" [(3)]، وإذا نظرنا إلي هذا المشهد بكائناته وجزئياته، نجد أن التعبير بالفعل الذي لم يسم فاعله هو الأسلوب السائر في كل المشهد عدا جزئية واحدة فقط هي صورة انصباب النجوم وتنافرها (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَت) وقد جاء التعبير عن هذا المشهد بالفعل المبني للمعلوم! ولعل السر في ذلك" أن النجوم في مراحل انكدارها تمر بمراحل من الميلاد والشباب والشيخوخة قبل أن تنفجر أو تتكدس على ذاتها فتطمس طمسا كاملا..، والنجوم أفران كونية

---

(١) سورة التكوير، آية رقم:(2).

(٢) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.(مرجع سابق). ج3.ص804.

(٣) موسى،محمدالسيدمحمد.(د.ت).**الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول** .(د.ن).ص19،18.

يتم في داخلها سلاسل من التفاعلات النووية التي تعرف باسم عملية الاندماج النووي" [(١)]؛ لذا استعمل (انفعل) لما فيه من المطاوعة والاندفاع الذاتي للحدث بدلاً من (كُدِرت) التي تشير بأن هناك فاعل خفيّ، " ويتضح أن النجوم تنفرد بخاصية هائلة من طبيعة التكوين والتكون والانتشار والانشطار والانفجار، فلها طبيعتها الكونية التي لا تماثلها طبيعة كونية أخرى فيما عرف من الوجود، وقد أثبت العلم حديثًا أن النجوم علي انتشارها الهائل في السماء تشتمل علي درجة حرارة عالية بدرجة مذهلة، وتنقسم تبعا لذلك إلى نجوم حمراء أقلها حرارة 3200 درجة مطلقة، ونجوم برتقالية، و نجوم صفراء، ونجوم بيضاء مائلة إلي الزرقة، ونجوم زرقاء أشدها حرارة 300 ألف درجة مطلقة، و الشمس من النجوم الصفراء متوسطة الحرارة؛ إذ تبلغ درجة حرارة سطحها حوالي ستة آلاف درجة مطلقة "[(٢)]. والفعل هنا " ماضٍ معجز من حيث تركيبه في الصيغة القرآنية، فقد يُلغي منه زمنه المتعارف عليه ليدل على أحداث مستقبلية منتظرة، والتعبير به هنا بالماضي عن المستقبل دال على تحقق وقوعه، وهذا من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفيه تعظيم للمقام الرباني؛ إذ دل على أنه مطلق غير محدود بالمكان ولا الزمان، كما ناسب حال المخاطبين من تقرير حقيقة عقدية وهي البعث والنشور ومشاهد القيامة، التي هي بمثابة غيب مطلق، لا يمكن للإنسان أن يقف على ما هيته "[(٣)] .

39- (كُشِطَت): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾[(٤)]. والآية في الحديث عما يقع يوم القيامة من كشف السماء وقلْعها وزوالها عما فوقها. يقول ابن فارس: " (كشط) الكاف والشين والطاء كلمةٌ تدلُّ على تنحية الشَّيء وكَشْفه . يقال: كشَطَ الجِلدَ عن الذَّبيحة. ويقولون: انكشَط رُوعُه، أي ذهَب "[(٥)]. ويقال: "كشطت الجُلَّ عن ظهر الفرس والغطاء عن الشيء: إذا كشفته عنه وقلعته ونزعته، و يقال كشطت: نزعت وطويت، وقال الزجاج: " كشطت وقرئت قشطت بالقاف ومعناهما: قُلِعت كما يقلع السقف" [(٦)]. والكشط أبلغ لأنه لا يغني غيره مكانه

---

(١) متولي، أحمد مصطفى.(2005م).**النجوم وأحوالها يوم القيامة**.الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية.القاهرة: دار ابن الجوزي.ص106.

(٢) السابق، نفسه.

(٣) إيكر،خديجة.(2012/4/10م).**دلالة الفعل الماضي على المستقبل**.انظر موقع: http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=10839

(٤) سورة التكوير، آية رقم:(11).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج5.ص148.

(٦) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**.(مرجع سابق).ج10.ص393.وانظر:الزجاج،علي إبراهيم.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه** . عبد الجليل شلبي (محقق) . بيروت: عالم الكتب.ج5.ص291.

من مثل الإزالة أو النزع أو السلخ فمعناه أعمق وأقرب للهدف وأقوى للمنزوع، فالكشط أعم من ذلك كله، وكأنه يأتي على كل جزء فيها صغيراً كان أم كبيراً، ولا يترك شاردة ولا واردة لا يترك شيئاً فهو يقتلع من الجذور والأصول ولا يترك خلفه شيئاً، ليبقى الأمر مكشوفا تماما وواضحا للعيان، وجلياً للرائين، فالكشط هو نزع الشيء برمته كما تنزع إهاب الإبل، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور؛ إذ يقول: " والكشط: إزالة الإهاب عن الحيوان الميّت وهو أعم من السلخ لأن السلخ لا يقال إلا في إزالة إهاب البقر والغنم دون إزالة إهاب الإبل فإنه كشط ولا يقال: سلخ، والظاهر أن المراد إزالة تقع في يوم القيامة لأنها ذكرت في أثناء أحداث يوم القيامة بعد ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾"[١]، أما النزع أو الطي أو القلع فدلالتها توحي بعدم تمام الأمر وعدم كمال النزع وربما لا يتم المراد منه كالكشط. وبناء الفعل للمجهول يزيد في طرح أسئلة كثيرة عن الكيفية والطريقة، ولعل السياق تركها هكذا إمعاناً في إضفاء جو من التخويف والترقب والرعب ليحذر الذين يخالفون أمر الله من ذلك اليوم وبالتالي ينعكس هذا على سلوكياتهم وتتبدل أخلاقهم إلى الأفضل إرضاء لله – سبحانه – لإنقاذهم من أهوال هذا اليوم.

وحتى لا يرتبط الإنسان بهذه الثوابت والمشاهد الكونية من بحار وسماء وجبال...وغيرها ساقها الله في مواضع تتبدل فيها وتتغير وتتنهدم ليرتبط الإنسان بحقيقة واحدة علوية وهي الله، و يؤكد سيد قطب هذه المعاني بقوله:" وهذا ما تستهدف السورة إقراره في المشاعر والقلوب كي تنفصل من هذه المظاهر الزائلة مهما بدت لها ثابتة وتتصل بالحقيقة الباقية.. حقيقة الله الذي لا يحول ولا يزول، حين يحول كل شيء من الحوادث ويزول. ولكي تنطلق من إسار المعهود المألوف في هذا الكون المشهود. إلى الحقيقة المطلقة التي لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا رؤية ولا حس، ولا مظهر من المظاهر التي تقيدها في ظرف أو إطار محدود! "[٢]. وَتَذْكُر السماء وكشطها في المرحلة قبل الأخيرة من هذه الأهوال، ثم تأتي بعدها مباشرة الجحيم وحرها والجنة وقربها، وهذا يدلك على الدقة المتناهية والترتيب المنطقي في القرآن حتى على مستوى السياق والألفاظ، وصدق الله إذ يقول: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[٣]، والآية تنطوي على استعارة لتوضيح وتقريب هذه المشاهد المفزعة لنا في عبارات نألفها في حياتنا الدنيا !وأما حقيقة ما يجري فعلمها عند الله؛ وهي

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج16.ص202.

(٢) قطب.(1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق).ج7.ص468.

(٣) سورة الأنعام، آية رقم:(38).

أكبر من أن ندركها الآن بمشاعرنا وتصوراتنا المقيدة بمألوف حسِّنا وتفكيرنا ، وغاية ما رأيناه أن تتزلزل بنا الأرض أو تموج بنا البحار، أو ينفجر بركان هائل من باطن الأرض. إذن" فالسماء مكشوطة والمكشوط عنه هو عالم الخلود، ويكون{كشطت} استعارة للإزالة "[١]. وعليه فقد تفردت الكلمة في سياقها.

40- (**عَسْعَسَ**): ورد في قوله تعالى:﴿ **وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ** ﴾[٢]. والآية في الحلف لإثبات صدق الوحي القرآني والنبوة. وعسعس الليل: "إذا أقبل بظلامه، وقيل معناه: إذا أقبل وأدبر" [٣]، وعسعس مكون من مقطعين: عس، عس وهو من الأفعال المشتركة في المعني لأن من معانيه :أقبل ظلامه أو أدبر؛ وسيق هنا " لزيادة المعنى قوة، وكأن استمرار الليل في إدباره من خلال استطالة الكلمة؛ إذ لا نجد لاجتماع صوت العين، وهو صوت مجهور ناصع، وصوت السين وهو صوت مهموس يتميز بالهدوء والسكينة، نغماً صاعداً وهابطاً يوحي باستطالة زمان ذهاب الليل " [٤]. وفي الواقع ليس هناك أروع وأبلغ وأجمل من تصوير تسلل الليل فى قدومه ثم تسلله فى هروبه من قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) يعنى يأتى متلصصًا مثل العسس أو الشرطة السرية التى تأتى تتلصص ثم تعود بنفس الكيفية وهى تتلفت فى الذهاب والإياب. وللعلم فإن (عَسْعَسَ)من ألفاظ الأضداد فى اللغة العربية، أي تستخدم فى وصف الحركة عند القدوم وعند الرجوع، ولذلك يكتمل الإعجاز في فصاحة القرآن الكريم حين نفهم (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) بتشبيه رائع لحركته فى التسلل قادمًا ومغادرًا. ويتأكد أكثر حين نتأمل الآية التالية ونقرأهما معا (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)، لا يستطيع بشر أن يعبر عن جمال قوله تعالى : (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)، ولكن فيما يخص موضوعنا فإن تنفس الصبح يشير إلى أن الليل إذا عسعس تنطبق على بداية الغروب عند القدوم وبداية الهروب عندما يتنفس الصبح ضوءًا يزحف شيئًا فشيئًا مع كل زفير وشهيق للصبح. ولهذه الأسباب كلها تفرد الفعل (عسعس) في أداء المعنى ولم يغن غيره غناءه.

41- (**رَانَ**): ورد في قوله تعالى :﴿ **كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ** ﴾[٥]. والآية في الإخبار عن قصة الفجار القائلين بأن القرآن أساطير الأولين. والرين يقول فيه ابن فارس: "الراء

---

(١) ابن عاشور.((2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق). ج16.ص203.

(٢) سورة التكوير، آية رقم:(17).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج4.ص42.

(٤) ياسوف، أحمد،(1994م).**جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز**.سوريا: دار المكتبي. ص88.

(٥) سورة المطففين، آية رقم:(14).

والياء والنون أصل يدل على غطاء وستر، فالرين: الغطاء على الشيء، وقد رين عليه كأنه غشي عليه، وران على قلبه كذا أي غلب وغطى، والرين الطبع والدنس، وقيل:سواد القلب من الذنب، والرين الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة، والرين كالصدأ الذي يغشى القلب وهو يختلف عن الطبع على القلب والإقفال عليه"[(١)]، والفعل لا يغني غيره غناءه من مثل: (غُطِّي- غُلِّف- حُجِب)؛ لأن الران يعطي معنى: الأكنّة والغُلاف والحجاب وكل هذه المعاني تستر وتغلف وتحجب وتغطي القلب، والران: " هو أغلظ الحُجُب، وأكثف الحُجُب، وأثقل الحُجُب، هو حجاب على القلب ولكنه ليس بالحجاب الرقيق، وليس كأي حجاب أو حجاب سميك يمنع الرؤي ة، وإنما هو ثقيل على القلب؛ بحيث أصبحت هذه السيئات قد ملأت القلب وثقلت عليه فأصبح القلب ثقيلاً من هذه الذنوب ومن تلك السيئات"[(٢)] . أي غطى القلب بحجاب كثيف ثقيل، فما يستطيع الإيمان أن يصل إلى مثل هذا القلب. فالران هو أكثف الحُجُب وأغلظها كما يقول ابن القيم. كذلك قال النبي- صلى الله عليه وسلم – في حديث الترمذي الذي حسّنه الشيخ الألباني عن أبي هريرة – رضي الله عنه- قال: يقول النبي- صلى الله عليه وسلم -: " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَودَاءَ فَإِذَا هُو نَزَعَ (أي ترك الذنب واستغفر وتاب) صُقِلَ قَلْبُهُ (أي رجع كما كان وصقل بالبياض)وَإِنْ زَادَ (أي في السيئات) فِي الْقَلْبِ حَتَى تَعْلُوَ قَلْبَهُ قَالَ النَّبِيُّ – صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: وَهُو الرَّانُ ا لَّذِي ذَكَرَ هُاللهُ – تبارك وتعالى -: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[(٣)]، فعندما قال الله – عز وجل: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وعندما سعوا هم في حجب القلب عن محبة الله، فالله – عز وجل- احتجب عنهم ومنعهم عن الاستمتاع برؤيته بعد أن منعوا قلوبهم من الاستمتاع بمحبة الله – تبارك وتعالى -. وهناك وقفة لطيفة على اللام في بل (كلا بل)، ولعل الحكمة من ذلك هي إشارة من عند الله – تبارك وتعالى- فمن شدة هذه السيئات وهذه الذنوب وهذه النُكت السوداء التي نُكتت في القلب وهذه العظائم، من شدتها يقف القاريء عند هذه الآية ويقرأ:كلا بلْ (ثم يسكت القارئ سكتة خفيفة ثم يقرأ) رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون)، فلعل هذه إشارة من

(١) الفيومي.(د.ت).**المصباح المنير**.(مرجع سابق).ص95.

(٢) رشيد، أبو عبد البر.(24صفر/1431هـ).**أثر الذنوب على القلب**.انظر:http://majles.alukah.net/t50677/

(٣) حديث حسن صحيح،الترمذي،أبو عيسى محمد.(1397هـ/1977م).**سنن الترمذي**.أحمد محمد شاكروآخرون(محققين).مصر: الحلبي.ط2.رقم:(3343).

عند الله لثقل ما في قلبه من سيئات ومن ذنوب. ومن ذلك كله يتجلى لنا سر تفرد ذلك الفعل لأداء تلك المعاني.

42- (**سُطِحَتْ**): ورد في قوله تعالى:﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[١]. والآية في إثبات قدرة اللَّه تعالى على البعث وما بعده والتذكير بأدلة ذلك. وسُطِحَتْ: "أي تبسطت واتسعت، وسطح البيت أعلاه، سَطَحَ الأرض: بسطها" [٢]. ولم تختلف كلمة أهل التفسير عن اللغويين، فسَطْح الأرض عندهم: " بَسْطها وتوطئتها بحيث صارت صالحة للمتقلب عليها، ومهاداً للسالك فيها"[٣]. إن وجه العجب والإعجاز في ذلك الفعل، أن كل شيء مسطح لا بد أن يكون له منتهى.فلو تخيلنا معًا أن الأرض على شكل مربع مثلاً.فلابد حينئذ من أن ينتهي الإنسان بالسير على سطحها إلى حافة وانكسار كبير، ولن يجد من بعد ذلك سطحًا ولا امتدادًا ولا شيئًا من هذا القبيل.ولكن لنقف وننظر ونسير في الأرض، فسوف نجدها مسطحة تمامًا، وعلى الرغم من ذلك لن نجد لامتداد سطحها نهاية أبدًا، ذلك هو الأمر العجيب الذي دعا الله الناس أن ينظروا فيه ويتفكروا، فيعلموا أن هنالك خالقًا مبدعًا فيما خلق؛ لذا تفرد الفعل هنا دون غيره؛ لأنه عبّر عن المقصود الأصلي للآية، وعلاوةً على ذلك في بنائه للمجهول وعدم ذكر الفاعل الذى يجحده هؤلاء الكافرون؛ " ليفسح مجال النظر إلى دلائل قدرته التى لم يدّعِها أحد غيره–سبحانه–، فإذا سلّم هؤلاء الجاحدون بما فى هذه المخلوقات من حكمة وقدرة وإبداع لا يدعيها أحد غيره – سبحانه –، ولا يصح نسبتها إلى أحد سواه، فقد سلّموا بأنه لا خالق غيره ولا رب سواه" [٤] . ومن ثم جاء اختيار البناء للمجهول أى لإفساح المجال للنظر فى الأدلة الدالة على الفاعل الصانع ليتوصل إليه المشركون ويقروا به بأنفسهم فيكون هذا الطريق أقوى في إقامة الحجة عليهم من طريق التصريح بالفاعل. ولاشك أن " الإيقاع الناتج عن الفواصل المتحدة في الحرف الأخير وهو التاء في ألفاظ(خُلقت، رُفعت، نُصبت، سُطحت)ساعد في إجاشة القلب وتحريك الوجدان، وساهم في تكوين الحركة الجمالية المشتركة أمام جمال التناسق التصويري لمفردات الكون. كما أن حركة الفاصلة حركة بناء للمجهول، تستدعي كوامن العقل لسبر أغوارها والوقوف على فاعلها، وفك

---

(١) سورة الغاشية، آية رقم:(20).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص26.

(٣) الزجاج.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه**.(مرجع سابق). ج5.ص319.

(٤) منتدى التوحيد.(2010/8/5).**هل تذوقت بلاغة القرآن من قبل**. انظر موقع:

http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?34235-%E5%E1-%CA%D0%E6%DE%CA-%C8%E1%C7%DB%C9-%C7%E1%DE%D1%C2%E4-%E3%E4-%DE%C8%E1-%BF

شفرتها، ليصل تلقائيًا إلى أن وراء ذلك كله إله واحد لاشريك له. ولقد ساعد الإيقاع الداخلي الناتج عن تكرار اسم الاستفهام "كيف" الباعث على التساؤل عن الكيفية والحالية، وهو استفهام إعجازي؛ لأن العقل البشري لن يستطيع أن يعلم كيفية الخلق؛ ولكنه يدرك أن الله هو الخالق المتفرد بالوحدانية. والفواصل متساوية في الوزن تقريباً، والآيات ذات إيقاع موسيقى متحد تبعًا لذلك.. والإيقاع هادىء متزن ساكن يتلاءم مع الدعوة إلى التأمل والتدبر"[١] .

43- (جَابُوا): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾[٢]. والآية في الحديث عن قصة قوم ثمود، وما وصلوا إليه من العمارة والبناء والتشييد. و الجَوْبُ: "قطع الجَوْبَة، وهي كالغائط من الأرض، ثم يستعمل في قطع كلّ أرض"[٣]، والفعل هنا لا يغني غيره غناءه؛ لأنه عبَّر عن الواقع وما كانوا يفعلونه بدقة متناهية؛ لأنهم لم يكونوا فقط يقطعون ويتركون، بل كانوا يقطعون وينحتون ويزخرفون وينقشون ويرتبون ويصنعون منها بيوتاً للسكن وهذا ما يؤديه الفعل "جابوا"، فلا يفي بكل هذه الدلالات السابقة لو قال: "قطعوا"، فيعبِّر فقط عن القطع بدون هدف، من أجل القطع فقط، ومنه جاء الفعل "يجوبون" البلاد لهدف، وكذا "جابوا" فيها معنى القطع والنحت، وفي الآية ومضة تاريخية وعلمية معجزة ، لأنه لم يكن أحد من الخلق في زمن الوحي و إلي أواخر القرن العشرين يعلم شيئًا عن قوم ثمود غير ما جاء في القرآن الكريم وفي أحاديث سيد المرسلين – صلي الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين –.

44- طَحَاهَا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾[٤]. وسياق الآية في مَعْرِض القسم بآيات الله الكونية، ومنها الأرض واتساعها. يقول ابن فارس: " (طحو) الطاء والحاء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على البسط والمدِّ "[٥]. والمعنى أن الله خلق الأرض وبسطها ووطأها ومهدها للسكنى لينتفع الناس بها، وبما على ظهرها من نبات وحيوان وجماد. وبسطها من كل جانب، وهيَّأها للاستقرار، وجعلها مهاداً للإنسان. والكلمة هنا لا يغني غيرها مكانها من مثل: (دحاها- بسطها- وسَّعها – مهدها)؛ لأن الدحو ذكر مع الأرض في موضع آخر في سورة

---

(1) عبد العال،محمد قطب.(نوفمبر 2009 م).**الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم**.الهند : مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دارالعلوم ديوبند ، ذو القعدة 1430 هـ.العدد: 11. السنة: 33

(٢) سورة الفجر، آية رقم:(9).

(٣) الأصفهاني.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن**.(مرجع سابق).ص210.

(٤) سورة الشمس، آية رقم:(6).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج3.ص348.

النازعات باعتبارها كوكب، وفي قوله ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ باعتبارها منطقة، فلا يتعارض هذا مع ذاك. بل كل يتناسب مع المقام وخصوصية السياق، فسبحان من أنزل القرآن!. والكلمات الأخرى ربما تعطي معنى السعة والبسط ولكن ربما لهذه السعة نهاية وبعدها لا يكون شيء، لذا كان لفظ الطحو أكثر اتساقاً وأنسب للمقام. وهناك من العلماء والمفسرين من يقول بأنه ليس ثمت فرق بين الدحو والطحو، ومنهم ابن عاشور؛ إذ يقول: " طَحْوُ الأرض:بسْطها وتوطئتها للسير والجلوس والاضطجاع، يقال: طحا يَطحو ويطحي طحواً وطَحْياً وهو مرادف«دحَا»في سورة النازعات(30)"[١]، وهذا ما ذهب إليه أيضاً الرازي؛ إذ يقول نقلاً عن الليث: " الطحو كالدحو وهو البسط وإبدال الطاء من الدال جائز والمعنى وسعها قال عطاء والكلبي بسطها على الماء"[٢]. وللوقوف على الفرق راجع هذا البحث[٣].

وعن سر روعة اتساق ألفاظ القرآن مع المقام الذي ترد فيه، يقول الدكتور:سلامة عبد الهادي "....ثم يأتى إلى قسم تالي.. قسم بالأرض.. هذا الكوكب الذي اختصه الرحمن باحتضان حياة الإنسان عليه.. كوكب لم يتيسر لسواه كل الأسباب والمقومات التي تقيم الحياة عليه... لهذا يأتى قسم الحق بهذه الأرض.. ثم بهذا الاستفسار الإلهى الذي لا نعرف له سبباً.. ما طحاها؟.. و الطحو هو الدحو أو الإنتشار والانطلاق في هذا الكون حيث تدور الأرض حول نفسها مرة واحدة كل أربع وعشرون ساعة وحول شمسها مرة كل 365.25 فى دائرة يصل مسارها إلى ملايين الكيلومترات دون توقف أو انقطاع.. وكلمة أطاح بالشيء أي أطلقه ومن كلمة طحاها اشتقت آلة الطاحون التى تدور وتدور بانتظام واستقرار.. فتتوزع الأعلاف بالتساوى بين رحاها دون اختلاف.. وهكذا في الأرض في طحاها وانطلاقها ودورانها حول نفسها يتوزع الدفء بين جنباتها ويتماثل ضغط الهواء فى غلافها والرياح على أطرافها والمياه والمجالات في جوفها.. ..حتى تستقر الحياة على وجه الأرض بدرجات حرارة و ضغوط واتزان وانسجام والتزام وكمال وجمال...."[٤]. وعليه فقد اتسق هذا الفعل مقاما وسياقا وحالاً.

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج16.ص357.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ج31.ص174.

(٣) راجع هذا البحث.ص61، 62.

(٤) محمد،سلامة عبد الهادي.(2009م).**تأملات إيمانية في سورة الشمس**.انظر:com. هدي الإسلامwww ،. تاريخ التصفح.2013/4/20.

45- (فَأَلْهَمَهَا): ورد في قوله تعالى:﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[1]. والآية في القسم بالنفس الإنسانية، والذي خلقها سوية على الفطرة، وعرفها ماهو شر وما هو خير لها. والإلهام: "إلقاء في الروع، وألهمه الله الخير:لقنه إياه، والإلهام: أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده، وقيل فيه أيضاً:إيقاع شيء في القلب يطمئن إليه الصدر يخص الله به بعض أوليائه" [2]، وعبر ربنا بالإلهام؛ لأنه حاصل في النفس البشرية، بل ومن فطرة الله في خلقه، وهذا مطلق عدل الله في الناس أن هيأ فيك الاستعداد للطريقين ولك مطلق الاختيار وحرية التحديد، وهذا ما عبر به بـ (ألهم)، وللشخص أن يصدق هذا الإلهام ونوعيته بسلوكه وتوجهاته واختياراته، ولم يغن غيره مكانه، فلا يفي بالغرض لو قال: (خلق- جعل- أوجد- أوحى)، وبالتالي كلها تؤدي معنى التأسيس إذن بأنه لاخيار ولا اختيار للعبد، وسيكون مجبراً على كل ما يؤديه، وبالتالي فلا شرعية للحساب والسؤال، و" لعله قدم الفجور على التقوى للحذر منه وتجنبه، أو مراعاة لفواصل الآيات؛ لأن نظم القرآن أحد أوجه إعجازه، أو لأن تقويم السلوك البشري مبنيٌّ على التخلية والتحلية ، والتخلية مقدمة على التحلية، أو مراعاة لأحوال المخاطبين بهذه السورة، وهم المشركون، وأكثر أعمالهم فجور لا تقوى"[3] .

46- (دَمْدَمَ): ورد في قوله تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾[4]. والآية في تحذير الكفار من العذاب عن طريق التذكرة بقصة ثمود.

والفعل"دمدم"، يقال دمدمت الشيء: "إذا ألزقته بالأرض وطحطحته، ودمدم الله سبحانه عليهم أي أهلكهم، وقيل:معنى دمدم أرجف، وقيل: غضب"[5].

وإيقاع اللفظة إيحائي ذو تأثير صوتي مخيف، فلأنها ذات مقطعين متماثلين هما:(دَمْ/دَمْ)، وجاءا في اللفظة مكررين؛ أشعر جرسهما المدوّي بما يشبه القصف: (دَمْدَمَ). وهذه الدلالة الإضافية صعّدت استشعار الشدّة والغضب في تصوير هذه العقوبة الإلهية العادلة، بمن لم يرع لله حرمته، مصداقًا لقوله تعالى:"إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ"، الذي أُكّدَ بمؤكّدين هما: (إنّ) و(اللام). وقد تلت عقوبتهم قتل الناقة مباشرة بلا فاصل زمني كبير يعتدّ به؛ بدليل عطف تلك العقوبة

---

(١) سورة الشمس، آية رقم:(8).

(٢) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق). ج12.ص246.

(٣) الفوزان،محمد صالح.(2011/9/7م).**لماذا قدم الله الفجور على التقوى في قوله تعالى(فألهمها فجورها وتقواها)**. انظر: http://audio.islamweb.net/AUDIO/index.php?page=FullContent&audioid=214692&full=

(٤) الشمس، آية رقم:(14).

(٥) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**.(مرجع سابق). ج5.ص1921، 1922.

بالفاء على فعل العقر، في قوله تعالى:(فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا)" [1]. وحقيقة الدمدمة هو تضعيف العذاب وترديده ، والدمدمة: إهلاك باستئصال، وقال ابن الأعرابي: "دمدم إذا عذّب عذاباً تاماً"[2]، وطريقة العذاب هذه بهذا الفعل يؤكد إلى أي حد كان غضب الله عليهم، وقوله: "بذنبهم" تُلِّحُ وتؤكد على أن الجزاء دائماً من جنس العمل، وعليه فقد تفرد الفعل في هذا السياق.

47- (**سَجَى**): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾[3]. والسياق في القسم بآيات الله في الكون على أنه-سبحانه وتعالى- لم يترك نبيه ولم يهجره.

وسجى: "سكن وأظلم وغطى، وقيل:ستر بظلمته، وقيل:سكن ودام، وقال الفراء سجا: " إذا أظلم وركد في طوله كما تقول: بحر ساج وليل ساج إذا ركد وسكن وأظلم"[4].

وفي آيات الضحى" نلمح هذا الهدوء وتلك السكينة، البادية في نغمات الرحمة الواسعة، والمنبعثة من التلاؤم والتآلف وإيقاع الفواصل، وسورة الضحى خاصة بالنبي – صلى الله عليه وسلم- وفيها تسلية وإيناس وتطمين. وتنبثق منها نسائم الرحمة، ويشع من الإيقاع الهادئ الناعم لمسات الحنان والرحمة الإلهية. وجاء القسم بالضحى الرائق الصافي، كما جاء بالليل في رقته وسكونه وصفوه بما يشعر بالتواصل بين الكون والذات فتنتفي الوحشة، ويتأكد الأنس والمؤانسة. وتؤكد الآيات على رعاية الله لمحمد – صلى الله عليه وسلم – وادخاره الخير له وغلبته على أعدائه"[5]. والفعل لم يغن غيره هنا غناءه في هذا المقام من مثل" غشى – غسق – يسر- وقب "؛ لأن من معاني سجى: سكن، " وهذا يمثل سكون الوحي وانقطاعه، وهذا هو السكون، والانقطاع ظلمة وهذا المعنى الثاني لسجى، فكلمة سجى جمعت المعاني كلها التي تدل على انقطاع الوحي وسكونه، أما الأفعال الأخرى فتدل على الحركة، وهذا يناقض المعنى للقسم في

---

(١) الزيدي،قاصد ياسر.(2006/3/5).**الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن الكريم**.انظر موقع: http://vb.tafsir.net/tafsir4819/

(٢) الشوكاني.(1415هـ/1994م).**فتح القدير**.(مرجع سابق).ج8.ص5.

(٣) سورة الضحى، آية رقم:(2).

(٤) الفراء.(1983م). **معاني القرآن**.(مرجع سابق).ج3.ص273.

(٥) عبد العال،محمد قطب.(نوفمبر2009م). **الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن**.الهند:مجلة الداعي الشهرية، الصادرة عن دار العلوم ديبوند، ع(11)، س(33)، ذوالقعدة1430هـ .

هذه السورة، وعليه فإن القسم بـ (والضحى والليل إذا سجى) هو أنسب قسم للحالة التي هو فيها من فتور الوحي وانقطاعه وكل قسم في القرآن له علاقة بالمقسم به"[١] .

48- (حُصِّل): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[٢]. والسياق في الحديث عن يوم القيامة ومشهد النشور والخروج من القبور. و الحاصل من كل شيء: "ما بقي وثبت وذهب ما سواه، والتحصيل:إخراج اللب من القشور وجمعه، وحصل ما في الصدور أي جمع"[٣]. وبناء الفعل للمجهول، يوحي بإثارة نوع من الغموض والتوقع المختلط بمشاعر من الخوف والتوجس والخيفة للكيفية التي بها سيتم إفشاء وإظهار ما بداخلها، والفعل مناسب لجو الآيات من النبرة العالية، والصوت المرتفع المتمثل في الخيل بصهيلها، والعدو ووقعه والغبار وانتشاره، والحركة السريعة التي تدور معها عينك، " فإذا شُدِّدت الصاد كانت دلالتها الصوتية، وإرادتها المعنوية، أوضح لزوماً، وأشد استظهاراً، وأكثر إمعاناً كما في قوله تعالى:(وحصل ما في الصدور)، فالتحصيل إخراج اللب من القشور، كإخراج الذهب من حجر المعدن، والبر من السنابل، فهو إظهار لما فيها كإظهار اللب من القشر، أو كإظهار الحاصل من الحساب، والصوت في صيغة الإرعاب، وفي سياق الوعيد، قد تلمس فيه نزع ما في القلوب من أسرار، واستخراج ما فيها من خفايا، دون طواعية من أصحابها"[٤]. والكلمة لا يغني غيرها غناءها من مثل" نُزِعَ – فُرِّغَ – أُخِذَ)، لأنها ربما تُبْقِي فيها أشياء دون حصر، أما حصَّل فتعطي هذه الدلالات وفوق ذلك الإتيان على كل ما فيها وما تخفيه من صغير وكبير، وتعطي أيضاً معنى التعمد والقصد من فعل ذلك لساعة الحساب والعرض، وجاءت (ما) نكرة لتفيد الشمول والعموم، أي تأتي على كل شيء وتجمعه وتحصره وتُعِدّه؛ لذا تفرد الفعل هنا في سياقه.

49- وَقَب: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾[٥]. والسياق في الحديث عن عن الأمور التي أمرنا الله أن نتعوذ من شرها ومنها دخول الليل وظلمته.

يقول ابن فارس: "(وقب) الواو والقاف والباء:كلمةٌ تدلُّ على غَيبةِ شيءٍ في مَغَاب. يقال وَقب الشَّيءُ: دخَلَ في وَقْبة،... ووقَبَ الشَّيءُ: نَزَلَ ووَقَع. قال الله تعالى:{ومِنْ شَرِّ غَاسِقٍ

---

(١) السامرائي،فاضل صالح.(2010/4/9م).**لمسات بيانية في سورة الضحى**.انظر موقع:www.55.com

(٢) سورة العاديات، آية رقم:(10).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص15.

(٤) الصغير،محمد حسين.(1420هـ).**الصوت اللغوي في القرآن**.بيروت: دار المؤرخ العربي.ص181.

(٥) سورة الفلق، آية رقم:(3).

إِذَا وَقَبَ}، قالوا: هو اللَّيل إذا نَزَل"[1]. والوقوب: "الدخول في كل شيء، فيقال: وقبت الشمس إذا غابت ودخلت موضعها، ووقب الظلام:دخل على الناس، ووقب القمر: دخل في الظل الذي يكسفه، ويقول الفراء: الغاسق الليل إذا وقب: دخل في كل شيء وأظلم، وذهب إلى هذا الزجاج"[2]. ولم يذهب المفسرون بعيداً عن هذا، فقيل: " الغاسق هو الليل إذا دخل، وإنما يتعوذ منه؛ لأن في الليل تخرج السباع واللصوص ويقع الحريق"[3].

واستناداً إلى المعنى الاشتقاقي تبين أن اللفظة: (وقب) لا يغني غيرها غناءها من مثل: (دخل– نزل – أظلم – جاء)؛ لأن وقب تفيد هذه المعاني وفوقها أنها تشي بدخولها في كل شيء وتأتي على كل شيء فهي تشمل كل أجزاء الأرض بل تدخل إلى جميع أركانها وكل جزئياتها مع الإظلام، وبهذا تكون قد انطوت على دلالتين الأولى: الوصول إلى كل بقعة في الأرض، والثانية: الإظلام وكأنه يتلبس الأرض كلها. والكلمة تشي بمعنى التغلغل والانتشار.

وتنكير كلمة غاسق لتفيد الشمول والعموم، و" إضافة الشر إلى غاسق من إضافة الاسم إلى زمانه على معنى (في)كقوله تعالى:﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[4]، والليل:تكثر فيه حوادث السوء من اللصوص والسباع والهوام كما تقدم آنفاً، وتقييد ذلك بظرف{إذا وقب}أي إذا اشتدت ظلمته لأن ذلك وقت يتحيّنه الشطَّار وأصحاب الدعارة، لتحقّق غلبَة الغفلة والنوم على الناس فيه،...ومعنى{وقب}دخل وتغلغل في الشيء، ومنه الوَقْبة:اسم النقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء، ووقبت الشمس غابت، وخُص بالتعوذ أشد أوقات الليل توقعاً لحصول المكروه "[5]. وعليه فقد تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها مكانها، لأنها دلت على أشد أوقات الليل ظلمة وهي مرحلة الغسق ومعها يُتوقع أن يكون الغدر والشر والخيانة والمضار على أشدها، والتي يعسر دفعها وردها، مع قلة النصرة فيها والإغاثة؛ ولهذا شرط التعوذ من شرها بدخول هذه المرحلة من الظلمة والعتمة، وعليه طُلِب من المؤمنين التعوذ منها.

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج6.ص100.

(٢) الفيروزآبادي،محمد بن يعقوب.(1973م).**بصائرذوي التمييز**.عبد العليم الطحاوي(محقق).القاهرة.(د.ن).ج5.ص246.

(٣) الأندلسي،محمد بن يوسف.(1420هـ).**البحر المحيط**.صدقي محمد جميل(محقق).بيروت: دار الفكر.ج10.ص575، 576.

(٤) سورة سبأ، آية رقم: (33).

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج17.ص11.

ثانياً:فعل الأمر

1- (فَصُرْهُنَّ): ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾[١].
والسياق في حب الاستطلاع عند سيدنا إبراهيم- عليه السلام -، بطلب المعاينة لكيفية الإحياء؛ لأن النفوس البشرية جُبِلت على حب الاطِّلاع على المجهول ورؤية ما أُخبرت عنه.

وصرهن بمعنى: قطعهن، اضممهن[٢]، وهذا الفعل جاء في سياق قصتين سابقتين له، وهي قصة النمروذ، وقصة عزير وحماره؛ لإثبات وجود الله وقدرته على إحياء الأنفس والبعث بعد الموت والفناء، فكان هناك اتساق وتناسب في تسلسل الآيات، ولقد ذكروا لسؤال إبراهيم – عليه السلام –، أسبابًا، منها:أنه لما قال النمروذ: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} أحب أن يترقى من علم اليقين في ذلك إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مشاهدة فقال: { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}[٣]، والفعل (صرهن) مناسب لسياق الآيات فهو يشمل معاني الجمع والذبح والتقطيع وخلط اللحم بالريش ثم التوزيع، فلو قال فقط اذبح، أو اقطع لأفاد جزءاً واحداً من المعنى، وعلاوةً على ذلك أن من معاني (صرهن)أدنهن أو أملهن، وفائدة الأمر بإدنائها أن يتأمل أحوالها ويتعرف عليها عن قرب؛ حتى يعلم بعد إحيائها أنها لم ينتقل جزء منها عن موضعه؛ " وليتأمل أشكالها وهيئاتها؛ لئلا يلتبس عليه بعد الإحياء، ولا يتوهم غيرها"[٤]، ومن خلال هذا الفعل طلب إبراهيم – عليه السلام – رؤية العين؛ لتحصل له الطمأنينة باجتماع دليل العيان مع دليل الإيمان، وفي ذلك إشارة واضحة إلى وجوب إقران الحقائق العلمية الملموسة والوسائل التجريبية الصحيحة التي هي من نواميس الله – عز وجل – في خلق الكون والإنسان مع الحقائق الإيمانية والغيبية كلما أمكن ذلك. والمتأمل حروف الفعل يجد جذره مكوناً من حرف الصاد وهو حرف صفير واستعلاء" [٥]وهو يناسب الجو النفسي لمطلب سيدنا إبراهيم من سبر قضية علوية ملكوتية ربانية، وكذا ناسب أن يأتي بالطير؛ حيث دائماً يحلق في السماء في الملكوت العلوي كذلك، وجاء حرف الراء بحركته المستمرة وصوته المتكرر؛ تعبيراً عن كثر حركة إبراهيم المستمرة، من إحضار للطيور وذبحها وخلطها وتقسيمها ووضع جزء على كل

---

(١) سورة البقرة، آية رقم:(260).

(٢) الأندلسي.(1420هـ).**البحر المحيط**.(مرجع سابق). ج2، ص646.

(٣) ابن كثير.(1420هـ/1999م).**تفسير القرآن العظيم**.(مرجع سابق).ط2، ص689.

(٤) الأندلسي.(1420هـ).**البحر المحيط**.(مرجع سابق). ص647.

(٥) نور الدين،عصام.(1992م).**علم الأصوات اللغوية:الفونتيكا** .بيروت: دار الفكر اللبناني.ص234.

جبل. وأيضاً تدل على حركة الطير حين الذبح. والاستفهام ب"كيف"في" أرني كيف تحي" عن خصوصية وجود الشيء وهو الإحياء وكيفيته؛ لا عن أصل وجوده فهو إبراهيم الأواه الأواب.
والتعبير بحرف العطف(ثم) في الآية في الفعلين المتأخرين (اجعل)، (وادعهن)، وب (الفاء) في(فخذ)، (فصرهن)؛ لأن الأمر في الأولين على وجه السرعة، وليس هناك فاصل زمني أو عملي بينهما، فالطيور حاضرة وسيضمها إليه ويتحرى رؤيتها فقط، أما الفعلان الأخيران ففيهما انتقال وحركة وقتل وذبح وخلط وتجزئة، ثم التفريق والتوزيع على كل جبل من الجبال المحيطة كلٌّ على حسب قربه وبعده منها، وبالتالي ناسب حرف العطف(ثم) مع الأخيرين، و(الفاء) مع الأولين. وبالتالي تفرد هذا الفعل مع هذا السياق.

2- (فَشَرِّدْ): ورد في قوله تعالى:﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾[١].

والسياق في طريقة معاملة من نقض العهد وظهرت منه بوادر النقض. وشرّد معناه: "فرِّق وبدد جمعهم، وسمِّع بهم، ومنها فزِّع بهم" [٢]، والمتأمل لحروف الفعل يجد أنها تبدأ بحرف الشين، وهو صوت ينطق من منطقة الغار، والغار هو: " الأخدود الذي بين اللَّحْيَيْن"[٣]، و " هو صوت كذلك احتكاكي يحدث بالتصاق مقدمة اللسان بالغار مع تضييق مجرى الهواء ويتقارب عضوا النطق محدثاً صفيرا" [٤]، فالشين احتكاكي ليدلك على تنفيذ أمر الله للفئة المؤمنة بالدخول مع هؤلاء الناقضين للعهد في مواجهة واحتكاك للتخلص منهم وليكونوا عبرة لمن خلفهم، وحرف الشين إذا جاء في أول الكلمة دلَّ على التفريق مثل:"شتت-شطر-شاع-شقَّ"وهكذا والفعل من معانيه التفريق فتلمح اتساقاً بين أصوات حروف الفعل وما قصد إليه من دلالة. وحرف الرَّاء لما فيه من اهتزاز وحركة للسان داخل الفم وهو حرف فيه صفة التكرار، ويكون ذلك" بأن تتتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً "[٥]، وهذا يتناسب مع أسلوب الشرط المقرون بعودة بعودة المسلمين لتشريدهم حال عودتهم للنقض، وكذلك " حرف الدالإذا جاء ثانياً أو ثالثاً يدل على التفريق مثل: (بدَّد- صدَّع- ودّع)" [٦]، واقتران الفعل بالفاء لسرعة التنفيذ لأن مثل هذه الصفة لا يمكن الصبر عليها لأن ما فيها جُرأة وتعدٍّ على هيبة الدولة الإسلامية، وللفعل صوت

---

(١) سورة الأنفال، آية رقم:(57).
(٢) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ص2230.
(٣) الشيخ.(2004م).**مقدمة في علم الأصوات**.(مرجع سابق).ص57.
(٤) السابق، ص59، 60.
(٥) السعران، محمود،(1997م).**علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**.بيروت: دار الفكر العربي.ط2.ص171.
(٦) حمادة، شوقي،(2000 م).**معجم عجائب اللغة**.بيروت: دار صادر.ص23.

موسيقي مرعب ومخيف، يوحي بالغلظة والعنف والقسوة، ويقض القلب من مضجعه، وهذا أقل ما يمكن أن يجازى به ناقض العهد ومخالف الوعد، وكأن الفعل كالصاعقة تبلغ من وقعه القلوب الحناجر، وترتعد منه الفرائص، وترتجف له الأعضاء، وترجع أهمية الجرس لما له من"قيمة جوهرية في الألفاظ في بنائها اللغوي، وهو أداة التأثير الحسي بما يوحيه إلى السامع بسبب اتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ" (١)، والفعل لم يتكرر في القرآن مع تكرر نفس المقام وما أكثر المنافقين في القرآن وناقضي العهود، ولكن لم تكن العقوبة بهذا الحجم وتلك الطريقة، وكأن الجزاء من جنس العمل فبنقضهم العهد، لا يمكن الاطمئنان إليهم، وأمن جانبهم؛ لذا كان جزاؤهم حرمانهم الأمن كما حرموه غيرهم، ولم يغنِ عن هذا الفعل غيره في هذا السياق؛ لأنه يشمل كل معاني الغلظة والقتل والتنكيل والتشريد بلا هوادة ولا رحمة جرَّاء ما فعلوه، فلا يكفي لو قال: (حاصرهم- احبسهم- قطعهم- اطردهم- عذبهم)؛ لأن هذا الفعل (شرِّد) يشمل كل أنواع العذاب النفسي ثم البدني معاً.

3- (اِبْلَعِي): ورد في قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾(٢). والآية في أمر سيدنا نوح- عليه السلام – أهله بركوب السفينة، ثم ما أعقبه ذلك من تصوير إلهي رائع لسير السفينة وسط المياه ذات الأمواج العظيمة بسبب الرياح العاصفة.

وأصل الفعل كما يقول ابن فارس: "هو الباء واللام والعين:أصل واحد وهو ازدراد الشيء تقول:بلعت الشيء أبلعه" (٣)، والمتأمل في اتساق حروف الفعل يجد أنه مكون من ثلاثة أحرف تبدأ بالباء الذي ينفتح معهما الفم، ثم يتوالى بعدها حرفان آخران لا ينغلق معه الفم بل يبقى مفتوحاً أثناء النطق بهما ليتناسب مع عملية البلع الذي تفتح معها الأرض جميع ثقوبها وشقوقها لازدراد الماء واجترارە من على سطحها. وقد تفرد هذا الفعل هنا؛ لأن غيره لا يغني مكانه من مثل: (امتصي-اشربي-أعيدي)؛ " لأن الامتصاص فيه بطء، ويستغرق وقتاً ومن خلال تصورنا للموقف الذي كان يقتضي إسعافاً سريعاً للسفينة خاصةً بعد أن أدى الطوفان غرضه، والشرب فيه اكتفاء، وأعيدي ربما لا يشمل الجميع"(٤) ؛ لذلك (ابلعي) فيه إيحاء بسرعة تنفيذ الأمر؛ لأن لأن البلع أسرع من أي عملية أخرى تصل إلى الجوف، وفيه كذلك الشمول والكلية دون إبقاء

---

(١) هلال،ماهر مهدي،(1980م).**جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**.بغداد: دارالرشيد.ص86.

(٢) سورة هود، آية رقم:(44).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ص301.

(٤) التميمي،شاكر.(2012/12/8م).**من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم**.انظر موقع:www.i3gaz.com

لقليل ولا كثير، ولم يقل ربنا: (جَفِّفي) وإلا أصبحت كارثة طبيعية بيئية، وكان جفاف الأرض بالبلع وليس بحرارة الشمس، وأيضاً التجفيف يأخذ وقتاً طويلاً، ثم إن البلع فيه إشارة إلى الاستقرار في مكان خفي لا يترتب عليه تعطيل أو إغراق أو بلل أو غيره، وفيه أيضاً إشارة إلى التخزين والحفظ ربما لحاجة الأرض إليه لاحقاً؛ لإنبات الزروع والثمار، وعبَّر ربنا بقوله: (ابلعي)، ولم يقل:(ابتلعي) لما في الثاني من تكلف في المبنى يؤدي إلى زيادة في المعنى؛ لذا كان ابلعي أخف وأقصر، وتقييد البلع للماء فقط فيه تحديد؛ لأن لو كان البلع على العموم لابتلعت الأرض جبالها وتلالها وكل شيء على سطحها، وبالتالي فيه إهدار لكل أنواع الحياة على الأرض، ولذلك لم يحدد ذلك مع السماء؛ لأن الإقلاع فقط للمطر، ومن هنا ظهرت دقة التعبير القرآني في مدلوله.

4- (أَقْلِعِي): ورد في قوله تعالى ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾[١]. وسياقه نفس السابق. والمتأمل في الفعل يجد أن الله استعمل هذا اللفظ لخصوصيته، ولم يقل: (كفي- أمسكي- أوقفي) فإن استعمال أيٍّ من هذه الأفعال يعني بأن السماء ستوقف مطرها من مصدرها فهناك احتمال لوجود قطرات ما بين السماء والأرض، ولكن أقلعي تعني بأن تشد السماء كل ما أنزلت من مطر من أدنى إلى أعلى؛ ولذا تفرد هنا هذا الفعل، والمدقق في حروف الفعل يجد أنه يبدأ بحرف لهوي وهو "القاف" وهو حرف إطباق يكون بارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك اللين، والتصاقه به مما يؤدي إلى غلق كامل وحبس للهواء في مخارج عِدّة [٢]، وبالتالي فيه إشارة لعملية وقف المطر من السماء، وعندما كان البلع حدَّد لها ماذا تبلع وعند الإقلاع لم يحدد لها؛ لأنه شيء واحد من السماء على الأقل ينزل منها وهو المطر. والابتداء بالأرض وتأخير السماء؛ لأنها كانت ابتداء الطوفان، وكذلك لأن الهدف هو انطلاق أصحاب نوح من السفينة إلى الأرض، وهذا لا يتحقق إلا بانحسار الماء وإرساء السفينة عليها. وفي الآية من اللطائف البلاغية الكثير[٣].

5- (اِطْرَحُوه): ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ ﴾[٤]. والسياق في معرض حكاية إخوة يوسف وما خططوا له.

---

(١) سورة هود، آية رقم:(44).

(٢) الشيخ.(2004).**مقدمة في علم الأصوات**.(مرجع سابق).ص67، 68.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتوير**.(مرجع سابق).ص264.

(٤) سورة يوسف، آية رقم:(9).

يقول ابن فارس: "(طرح)الطاء والراء والحاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على نَبْذ الشَّيءِ وإلقائِهِ. يقال طَرَحَ الشَّيْءَ يطرحُه طرحا. ومن ذلك الطَّرَح، وهو المكان البعيد. وطَرَحتِ النَّوَى بفلانٍ كلَّ مَطرَحٍ، إذا نأتْ به ورمت به"[١].

وبهذا يدور معنى الطرح حول: "الرمي يقال: طرحت الشيء وبالشيء طرحاً: إذا رميته، ومعلوم أن الشيء المطروح لا حاجة لأحد فيه ولولا ذلك ما رمي وأبعد"[٢]. وفي معنى الطرح يقول عروة بن الورد:

وَمنْ يكُ مِثْلِي ذَا عِيالٍ وَمُقْتِرًا مِنَ الْمَال يَطْرَحُ نَفْسَه كُلَّ مُطرحِ[٣]

والكلمة جاءت معبرة تماماً عن مقدار الحقد والحسد ليوسف من إخوته؛ لذا وأنت تقرأها تشعر بأنها تقطر عنفاً وشدةً وغلظة وقسوة، وهذا يؤكد على كمّ الحقد والحسد الذي مُلِئَت به قلوبهم وما شُحنت به صدورهم تجاه سيدنا يوسف – عليه السلام – إلى الحد الذي يصل بهم إلى التآمر عليه بالتخطيط للقتل أو التغريب ولعمرى لقد ذكروا أمرين مرّين، فإن الغربة كربة، ولله – تعالى– در القائل:

حسَّنوا القَولَ وقَالُوا غُرْبَةً... إنَّمَا الغُرْبَة لِلأَحْرارِ ذَبْحٌ[٤]

وإن الغربة حقاً بها يحصل مقصود القتل ففيهما بعد عن الأهل والأوطان، بل – في رأيي – القتل أهون لعله يترتب عليه روح وريحان ونعيم وجنان، أما الغربة فهي أقسى من كل جانب، يترتب عليها شقاء وعناء وحدة وتشريد واغتراب وافتراق(أرض غير الأرض، عادات غير العادات — بشر غير البشر– لغة غير اللغة – حياة غير الحياة – وبيئة غير البيئة – ربما عبودية بلا حرية – ..وهكذا)، وهو بين كل هذا يعاني معاناة من فوقها معاناة، لا يكاد ينفك من واحدة إلا وعاجلته الأخرى. وهذا ما كان يفعله الملوك مع معارضيهم قديماً وحديثاً، والأمثلة كثيرة تستعصي على الحصر. وتنكير كلمة أرضاً توحي بالتجهيل والإبهام ولو قالوا بلداً لكانت أهون قليلاً لأن المقصود هو الإبعاد والتغريب إلى غير رجعة، بل قصوا هذا لعل هذه الأرض ملأى بالسباع أو

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج3.ص357.

(٢) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.(مرجع سابق). ج1.ص386.

(٣) العبسي،عروة بن الورد.(1418هـ/1998م).**ديوان عروة بن الورد** .أسماء أبو بكرمحمد(محقق).ص 23.بيروت: دارالكتب العلمية.

(٤) البيت للشاعر:فتح الله بن عبد الله الشهير بـ(ابن النحاس)وهو شاعر رقيق من أهل حلب(ت 1052هـ/ 1642م). وهو من حائيته المرقصة المادح فيها الأمير: الأمير محمد بن فروخ أمير حاج الشام، وهي من ديوانه. نقلاً عن: www.dr-mahmoud.com.

الأمراض وهذا بطبيعته مفضٍ إلى الموت. وكلمة اطرحوه، تشي بالإهانة والإساءة فالحقد يعمي البصيرة عن قول الحق، والحسد يجره إلى قول الباطل بل ربما يصل الأمر إلى الافتئات والافتراء وهذا ما قالوه فعلاً من اتهامهم لأبيهم بحب يوسف أكثر منهم. وعليه فقد اتسقت الكلمة مع المقام ولم يغن غيرها غناءها وبالتالي تفردت في السياق.

" وهذه آية من عِبَر الأخلاق السيّئة وهي التّخلّص من مزاحمة الفاضل بفضله لمن هو دونه فيه أو مساويه بإعدام صاحب الفضل وهي أكبر جريمة لاشتمالها على الحسد، والإضرار بالغير، وانتهاك ما أمر الله بحفظه "[١]. وحتى نكون منصفين، ونخفف ما يختلجنا من شعور بالامتعاض تجاه إخوة يوسف يقول ابن عاشور: " وهذا الأمر صدر من قائله وسامعيه منهم قبل اتّصافهم بالنبوءة أو بالولاية لأنّ فيه ارتكاب كبيرة القتل أو التّعذيب والاعتداء، وكبيرة العقوق"[٢].

6- (فَاخْلَعْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾[٣]. والآية في قصة سيدنا موسى واختيار الله له لتبليغ دعوته.

ويدور معنى الخلع حول النزع والتجريد والإزالة تقول: خلع ثوبه ونعله وقائده خلعاً، والرداء: "جرده، وقيل الفعل على ظاهره؛ لأنه كان من جلد حمار ميت، وقيل: هو أمر بالإقامة والتمكن وبهذا قال المفسرون" [٤]، وخلع الحذاء أبلغ في التواضع، وأقرب إلى التشريف والتكريم وحسن الأدب، وخلع النعل بمثابة الدخول في مرحلة جديدة، ألا وهي التكليف وتحمل مسئولية الرسالة، فيجب أن يخطو في الأرض بمنتهى الخضوع والتواضع، وفيه إشارة للاستعداد والتهيؤ، والخلع: " فصل شيء عن شيء كان متصلاً به وإنما أمره الله بخلع نعليه تعظيمًا منه لذلك المكان الذي سيسمع فيه الكلام الإلهي"[٥]، إضافةً إلى أن فيه إيحاء بالانفصال عن مرحلتين من حياة موسى- عليه السلام - الأولى وهي حياة العمل والزواج والإنجاب، والثانية: هي حياة الدعوة والجهاد، والفعل فيه تجرد تام وطاعة كاملة للأمر الإلهي، وربما كان أول أمر من الله لسيدنا موسى- عليه السلام -، وفيه اختبار له بمدى الطاعة والتنفيذ، وهذا الفعل لا يغني غيره مكانه،

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق). ج7.ص313.

(٢) السابق، نفسه.

(٣) سورة طه، آية رقم:(12).

(٤) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس من جواهر القاموس**. (مرجع سابق). ج11.ص103،الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق). ج10.ص542.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ص103.

فلا يناسب لو قال مثلاً: (انزع – أخرج) أو ما في معانيها، لأن النزع فيه معنى القوة والقسوة والغضب والسيطرة والتحكم وكذا أخرج، أما اخلع فناسب السياق لما فيه من إيناس لنفس موسى بقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾.

7– (تَبَتَّلْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[1]. والسياق هو إرشاد النبي– صلى الله عليه وسلم –، وإعلامه ببدء الدعوة وكيفية الاستعداد بقيام الليل وترتيل القرآن، والانقطاع للذكر.

وتَبَتَّلْ: "انقطع وأخلص "[2]، و(تبتل) أي: "اجتهد في قطع نفسك عن كل شاغل، والإخلاص في جميع أعمالها بالتدريج قليلاً قليلاً، منتهياً إليه، ولا تزل على ذلك حتى يصير لك ذلك خلقاً فتكون نفسك كأنها منقطعة بغير قاطع ومقطعة تقطعياً كثيراً بكل قاطع، فيكون التقدير بما أرشد إليه المصدر (تبتلاً) وبتلها تبتيلاً، فلعلم بالتأكيد بالمصدر المرشد إلى الجمع بين التفعل والتفعيل بشدة الاهتمام وصعوبة المقام"[3]، والملاحظ للفعل يجد زيادة في مبناه تؤدي إلى زيادة في معناه، فأصل مادته (بتل) فزاد التاء والتشديد، وكأن فيها مجاهدة ودربة للنفس على الانقطاع لله تعالى في العبادة، ولأن الأمر ليس باليسير على النفس البشرية التي تشغلها الدنيا فتحتاج إلى أخذها بالشدة والجد وعدم الركون إلى الكسل، وربما شدد الفعل لثقل التَّبِعَة، وما هو في حق الناس مستحب، يكون في حق الأنبياء واجب وضروري. وتحديد مقصود الفعل بالجار والمجرور"إليه" فيه خصوصية وتفرد الله بالانقطاع إليه وحده، والمدقق في حروف الفعل يجد أن أصل التبتل في اللغة القطع، ولعل فيه قطع القلب عن حظوظ النفس التي تزاحم مراد الرب، وكأن حروف التبتل جزءان، الأول هو " تب " أي انفصال وانقطاع عن الدنيا، والثاني: (بتل) أي اتصال القلب بالله والإقبال عليه. وعبَّر بمصدر آخر فالأولى أن يقول: (تبتلاً) ولكن الله قال: "تبتيلا"، وخلاصة القول بين التبتّل والتبتيل، أن جملة: {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} " جملة قرآنية معجزة، مكونة من كلمتين، كل كلمة تمثل جملة؛ فأساسها جملتان، أُدمجتا في جملة واحدة مختصرة. الكلمة الأولى: "تَبَتَّلْ" حذف مصدرها، الدالّ على التدرّج والتكلّف والمجاهدة: "تَبَتُّلٌ"، وعبَّر عنها بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، والكلمة الثانية: مصدره مفعول مطلق حُذف فعله،

---

(١) سورة المزمل، آية رقم:(8).

(٢) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ص207.

(٣) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**.(مرجع سابق). ص208.

ويدل المصدر"تبتيل"على الإكثار من الفعل والتفاعل به" [(١)] ، وعبر عنها بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات والدوام، وبالتالي جاءت هذه الآية القرآنية بصياغة فنية عجيبة.

8- (تَفَسَّحُوا): ورد هذا الفعل في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ ﴾[(٢)]. والآية في أدب المجالسة في الإسلام.

وتفسَّحوا أي: "وسَّعَوا له"[(٣)]، والفعل خماسي الحروف ويبدو جلياً من الإتيان بهذا الفعل على هذه الشاكلة من بدايته بالتاء ومختتماً بالحاء أن فيه ثقلاً على النفس، والانتقال بالصوت من خلال النطق بهذه الحروف مبتدئاً بالتاء وهي حرف لثوي، ثم الفاء وهي حرف شفوي، ثم السين وهي حرف أسناني، ثم فجأة إلى حرف الحاء وهو حرف حلقي [(٤)]، والانتقال من مقدمة الحنك إلى أقصى الحلق للدلالة والإشارة على الحركة والتنقل التي يطلبها الفعل والتي تشير إلى مدلوله من طلب التوسع والتنحي والانتقال، وكذلك ظاهر من السين المشددة لما في التفسح من قيام وقعود وتحرك وتنقل يميناً ويساراً إلى الأمام أو إلى الخلف، وثقل الفعل جاء من ثقله على النفس، فالجالس مستريح غير عابئ بغيره، فعند الطلب يكون ثقيلاً عليه؛ لما فيه من ازعاج وتشويش، وهذا ناسب سبب نزول هذه الآية؛ لأنهم كانوا يتنافسون على مجلس الرسول – صلى الله عليه وسلم – والقرب منه؛ لسماع حديثه والانتفاع به، وإذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنُّوا بمجلسهم عند الرسول– صلى الله عليه وسلم –، ولذلك ضاعف الله الأجر وجعله من جنس العمل " يفسح الله لكم". و"تفسحوا" بصوتها وطريقة صوغها توحي بالأدب واللين واللطف في الطلب من المفسح له، والأمر هنا على الندب والاستحسان؛ ولذلك لم يقل: (افسحوا)، ولذلك " يُعنى القرآن بالجرس والإيقاع عنايته بالمعنى وهو لذلك يتخير الألفاظ تخيراً يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية وجو السياق بل جو السورة كلها في كثير من الأحيان"[(٥)].

9- (انْحَر): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾[(٦)]. والآية في تذكير الرسول– صلى الله عليه وسلم – بنعمه عليه في الدنيا والآخرة، ومنها الكوثر.

---

(١) من طرف(مودة). .(2011/5/23م).**الفرق بين التبتل والتبتيل في القرآن الكريم**.انظر موقع: http://www.dar-alhejrah.com/t15154-topic

(٢) سورة المجادلة، آية رقم:(11).

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ص3411.

(٤) الشيخ.(2004م).**مقدمة في علم الأصوات**.(مرجع سابق).ص73، 74.

(٥) حسين،كاصد ياسر.(د.ت).**الجرس والإيقاع في تعبير القرآن الكريم**.إيران: مركز تحقيقات علومي إسلامي. ص335.

(٦) سورة الكوثر، آية رقم:2.

ونحر الشيءَ: أي أصاب نحره، والنحر قطع الشيء المنحور، وغالباً ما يكون النحر في الإبل، والذبح في البقر والغنم. والنحر هو موضع القلادة من الصدر[١]. واشتق حروف الفعل من نفس مكان الذبح وهو النحر، والنحر لايكون إلا مع الإبل، فلا يصلح معها إلا النحر، ويتم ذلك عن طريق طعن الجمل في هذا الموضع لأنه لا يصلح له الذبح؛ وذلك لأن الإبل لايمكن أن تقطع منها الودجين بالذبح؛ لأن فيها صعوبة بالغة لوجود العظام المغطية للودجين والتي تظهر في مقدمة العنق، وبالتالي لابد من نحرها أولاً. وكما قلنا بأن لفظ النحر مختص بالإبل، وهي أفضل أموال العرب وأحسن أضاحيهم، والذي يعبر عن الكرم والجود، والنبي لا ينحر إلا إبلاً، وهذا يناسب جو الآيات؛ لأن المقام مقام خير ونعمة وبركة ورضا وفتح وكرم وعطاء من الله لنبيه، وبالتالي انعكس هذا على فعل العبد من مقابلة النعمة وشكرها بتقديم أفضل أنواع القربان وهي الإبل. والفعل لا يغني غيره غناءه، فلو قال: (فصل لربك وتصدق) لا يفي؛ لأن الصدقة تشمل القليل والكثير، فلو تصدق أحدهم بدرهم أو بطير لكفى المعنى، ولكن الله – تعالى – أراد التصدق بخير الأموال ليتناسب مع العطاء الكثير وهو" الكوثر "، وهناك ربط بين الصلاة والنحر، فالنحر في حد ذاته يدخل تحت باب الصدقات والزكوات، وهذا يتسق مع معظم آيات القرآن؛ فحيث وجدت الصلاة تبعتها الزكاة، فهناك ربط تلازمي بين هاتين العبادتين، فالصلاة عبادة روحية ترتقي بالنفس، والذبح عبادة عملية تطهر النفس من الشح والبخل، والأولى تتجسد فيها علاقة العبد بربه، والثانية علاقة العبد بغيره وتكون بالحب والعطاء والإيثار، وعطاء الله لرسوله في هذه الآيات ماديّ؛ لذا وجب أن يكون الشكر ليس فقط باللسان، بل ترجمة عملية بالنحر.
وبالتالي جمع الفعل بين حُسْنَيْن: " الأول حسن الإبل وجمالها، والثاني حسن روعة التعبير وجمال الفاصلة"[٢] .

10– (فَتَهَجَّدْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ ﴾[٣]. والسياق في أوامر وتوجيهات وتعليمات للنبي– صلى الله عليه وسلم –.

والْهُجود: "النوم، والتهجد ترك النوم، ثم غلب التهجد على التنفل بالصلاة ليلا"[٤]. والنطق بحروف هذا الفعل ثقيل بعض الشيء على اللسان، لأنه ليس هناك تسلسل في مخارج

---

(١) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص49.

(٢) ابن كثير.(1420هـ/1999م).**تفسير القرآن العظيم**.(مرجع سابق).ج8.ص503.

(٣) سورة الإسراء، آية رقم:(97).

(٤) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص51.

الحروف، فيبدأ من مقدمة الحنك بالتاء، ثم إلى أقص الحلق متمثلاً في الهاء، ثم مرة أخرى إلى المقدمة في الجيم، وكأن هذا الثقل يشير إلى ثقلها في أرض الواقع؛ لأنها تكون في الليل وبعد نوم، وعلاوةً على ذلك أن فيها تركاً للفراش الدافيء، والراحة التي تحبها النفس، فناسب ثقلها على الإنسان ثقلها على اللسان، والفعل هنا أبلغ وأنسب للمقام، فلا يغني غيره غناءه مثل: (قم الليل)؛ لأن التهجد أبلغ من القيام؛ إذ القيام يمكن أن يكون قبل النوم وبعده، فضلاً أنه يحتمل أن يكون في صلاة أو غيرها، أما التهجد فهو مقصور على الصلاة فقط ويكون بعد نوم، وبالتالي تظهر هنا مدى المشقة والتعب والجهد المبذول، ولذا ناسب أن يكون الأجر هو" مقاماً محموداً"، ونلاحظ كذلك أنه لم يقل: (صلِّ)، وعبّر بقوله: (تهجَّد) على وزن تفعَّل، والأمر فيه مفاعلة، أي معايشة للقرآن بالصلاة التي هي اتصال بالروح، ثم بالقراءة للقرآن التي هي اتصال بالحديث مع الله، وبالتالي يتجلى العبد تجلياً يليق بجلال هاتين الصلتين، ولعل المتتبع لحروف هذا الفعل يجد فيه ترتيباً عجيباً بين حركة المستيقظ من النوم وأصوات حروف الفعل، فهو يبدأ بالتاء وهو حرف همس وهي تناسب التقلب برفق والحركة البطيئة على السرير قبل الاستيقاظ مباشرة، ثم حرف الهاء وهو حلقي جهري، فالذي يستيقظ ربما يشعر به الآخرون، وبالتالي فيها جهر، ثم أخيراً الجيم المشددة التي تناسب الانتفاض من السرير. وقوله من الليل فيه إشارة بترك مساحة كبيرة من الحرية للنبي – صلى الله عليه وسلم – لاختيار الوقت المناسب له، والفعل كذلك فيه إشارة بعدم تحديد الركعات، ولا عدد الساعات، وبالتالي الأمر مفتوح للنبي– صلى الله عليه وسلم– ومن يتأسى به بقدر ما يستطيع، فالأمر مرهون بالمقام المحمود، والزيادة من الخير خير.

ثالثاً:اسم الفعل

1- (هَيْتَ):ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[١]. وسياق هذه الكلمة هو الحديث عن يوسف وما جرى له من أحداث في بيت العزيز، وما حاولت زوجته فعله معه من مراودة وإغواء، بعد أن وقعت في حبه وغرامه.

وأصل الكلمة هو: "(هِئْتُ لك) بمعنى تهيأت لك [٢]، وهو: "اسم فعل بمعنى أقبل وتعالَ"[٣]، والمدقق في الفعل يلحظ أنه بدأ بالهاء وهي حرف همس ورخاوة، وبالتاء وهي كذلك، ويتوسطه حرف لين [٤]، وكأنه يدلُّك على الحالة النفسية التي كانت عليها من رغْب وخوف ومراقبة من أن يطَّلع على هذا الأمر أحد؛ خشية أن تفضح ويكشف أمرها، فتعرض نفسها للوم والعتاب وهي منْ هي!، وهذا الجرس الصوتي للفعل يؤكد أن الباطل دائماً صوته ضعيف وخفيض، والحق صوته قوي وعال. وكذا ما في اللفظ من رقة ونعومة وتمايل يخرج من امرأة مترفة منعمة ذات حسن وجمال، تمتلك قدرات وملكات يضفيها عليها ما هي فيه من نعيم وعز وسلطان وخدم وحشم...إلخ، وهذا اللفظ يؤدي ويحقق الغرض الذي من أجله وُضع في السياق، وقلة عدد حروف الفعل توحي بمدى عجلتها في قضاء إربها، وكذا حرصها على عدم إضاعة الوقت في الكلام، فإن همها تحقيق رغبتها بإطفاء نار الشهوة المتأججة داخلها، لذا عبرت بأقل حروف ممكنة، وظهر هذا الحرص كذلك في بناء الفعل السابق له وهو" غلَّقت" من تشديدٍ للفعل دلَّ به على التكثير والمبالغة في الإيثاق وشدة الإحكام، وما سبق ذلك من مراودة وتحضير لهذا الموقف. والفعل هنا في هذا السياق أوقع وأنسب، فلايوحي بنفس ظلاله وما أضفاه على السياق لو قالت: (أَقْبِلْ- تعال- ادنُ) أو ما في معانيها. وبدا جلياً حرصها على تأكيد هذا الاستعداد، وذلك التهيؤ له فقط بقولها: "لك" بالتعبير بحرف الجر مع ضمير المخاطب، وقد ألمَّ اللفظ (هيت) بكل ألوان الضعف البشري في أشد درجاته وأشدها ضراوة على النفس البشرية، وهي لحظة الضعف الجنسي، وأكد هذا ما تلته من: "ولقد هَمَّ بها وهمَّت به"، وعبَّر القرآن بلفظ بسيط في تركيبه ولكنه يحوي في طياته كل معاني الطاقة والاستعداد والقوة والعنفوان والانطلاق، وكلمة (هيت لك) فيها من الجذب والإغراء والفتنة مايقود النفس الأمَّارة بالسوء للاستجابة، ولكن الله

---

(١) سورة يوسف، آية رقم:(23).

(٢) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ص4731.

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. ص53.

(٤) أنيس،إبراهيم.(د.ت).**الأصوات العربية**.(مرجع سابق).ص73.

سلَّم وعصم ولطف ، بعد أن أغلقت هي أبواب السكن فتح الله عليه أبواب العصمة، بعد استغاثته به بقوله: (معاذ الله) فلم يضره ما أُغْلِق بعد إكرامه بما فُتِح. وبهذا ظهر سر تفرد هذا اللفظ دون غيره في ذلك السياق.

2- (هَيْهَاتَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[١]. والآية في سياق الإعراض والتكذيب من قوم ثمود لرسولهم صالح- عليه السلام -.

وهيهات: "اسم فعل معناه البُعد" [٢]، وهذا الفعل جاء رداً لسؤال استنكاري محفوف وملفوف بكل معاني السخرية والاستهزاء، والاستبعاد والاستحالة، وفيه تعريض باتهام رسول الله – عليه السلام – بالجنون والسفه والعته. والمتأمل للفظة "هيهات" يجدها تتألف من هاءين تتوسطهما ياء، وحرف الهاء مخرجه من أقصى الحلق، فبُعد مخرج الحرف وتكراره يعبر عن واقع ما يأملونه من استبعاد هذا العذاب الذي يعد هم به، واستحالة حدوثه على أرض الواقع، وكأنهم ينفون هذا حتى على مستوى كلامهم، ثم صوت ألف المد باستطالته عند النطق به يُضفي جواً من الامتهان والتحقير من شأن ما يقوله رسولهم، وكرر اللفظ لإزالة الشك والريب من نفوس قومهم، ولتأكيد كلامهم، وكما قالوا قديماً الكلام إذا تكرر تقرر، ولعل مرادهم من التكرار تقرير المعنى في نفوسهم وترسيخه، والغرض من سوق هذه الكلمة على هيئة اسم الفعل هو على سبيل المبالغة، ومما يزيد ويؤكد من معنى السخرية من كلام رسولهم، هو التعبير بـ "ما" الموصولة في قوله(لما توعدون) استخفافاً بكلامه، وتقليلاً من شأن ما يردده عليهم حتى استكبروا عن ذكره وأنِفوا عن قوله، فجاء اللفظ القرآني دقيقاً في التعبير عن خلجات نفوسهم، وما يحاك في صدورهم . وجاءت الآية التالية تُدلِّل على هذا التكرار وذلك الإنكار بقولهم: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾[٣]، لذا لم يغن غيره مكانه، فلا يصلح لو كان (استحال- بعُد – صعُب)؛ لأن كلها تضفي معنى جزئي فقط أما هيهات إضافةً لما توحيه هذه الأفعال في السياق فهي تزداد عليهم بأنها توحي من خلال مدلولها بزرع نوع من اليأس والقنوت في نفوس قومهم حتى لا يظنوا -قيد أنملة- بأن في كلام رسولهم شيئاً من الصحة، وهذا ما يوافق ما في نفوسهم، وهذا هو سر استدعائها وليست غيرها في هذا السياق.

---

(١) سورة المؤمنون، آية رقم:(36).

(٢) أساتذة متخصصون.(2004م).**المعجم الوسيط**.القاهرة: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية.ط4.ص1005.

(٣) سورة الأنعام، آية رقم: (29).

3- (هَاؤُمُ): ورد في قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾[1]. والسياق فيه توضيح لحال الأبرار الناجين بعد الحساب.

وهاؤم: "هَا اسمٌ لِ(خُذْ)وفيهِ ثلاثُ لُغاتٍ أجودُهُنَّ هاءِ يا رجلُ وهاءِ يا امرأةُ وهاؤُا يا رجلانِ أو امرأتانِ وهاؤُونَ يا رجالُ وهاؤُنَّ يا نسوةُ"[2]. ها بمعنى: خذ، والعرب تقول للرجال "هاؤم". والمدقق في اسم الفعل يجد تناسقاً في ترتيب حروفه؛ حيث إنه "يبدأ بحرف همس" [3] وهو: (الهاء) وكأن صوت هذا الحرف يصور لك مشهد من يعرف مصيره وقبل أن يأخذ كتابه وينتقل من مكانه، يبدأ بإشهار نتيجته تدريجياً فناسب أن يبدأ بالهاء، وخاصةً أنه لم يلتقط أنفاسه بعد، ما زال في وقع المفاجأة، والصمت مطبق عليه، وثنَّى بالألف لِيَحْسُنَ بها تخلصه من الموقف وانفلاته من العذاب رويداً رويداً، وكأنه بالألف يبتديء بها موقفاً نفسياً آخر هروباً من موقف نفسي أشد ضراوةً، وكأن فيه تتابعاً تدريجياً يتوافق مع الحالة النفسية للشخص نفسه، ولكنه في هدوء حذِرٍ؛ حتى يتيقن من صحة النتيجة، وبعد أن يستره الله وينجّيه من أن تزل قدمه، ينطلق فجأة بحرف حنجري انفجاري وهو الهمزة مع ضمها لإطالة النطق بها؛ تعبيراً عن فرحه الشديد، وسعادته الغامرة، ثم يوقف هذه التباشير بحرف شفوي لا يتم إلا "بإطباق الشفتين وهو الميم" [4]؛ حرصاً منه على تبيين سر الفرحة للانتقال إلى التفاصيل. وهذا المقام وذلك السياق قد تكرر في القرآن في أكثر من موضع، ولكن لم يتم التعبير عنه بهذه الحالة النفسية المتتبعة لكل لحظة من لحظات العرض، ومعبرة عن خلجات النفس البشرية كهذا اللفظ "هاؤم"، ولا يغني غيره مكانه كأن يقول: (إليكم - دونكم - خذوا)؛ لأن اسم الفعل بهذه الكيفية التركيبية، وتلك الصياغة الصرفية أضاف من التباهي والتفاخر والاعتزاز ما لم تضفه تلك الأفعال السابقة أو ما في معانيها، ويشعرك أيضاً بمعاني كثيرة من القوة والجرأة والثقة المطلقة التي لا تخشى معها شيئاً ، بالإضافة إلى أن "هاؤم" تستعمل في لحظات الفرح الشديد التي تناسب هذا الموقف فهو يعطي بفرح ورضا، أما إذا قال: (خذوا) فيحتمل أن يكون فرِحاً أو غاضباً، راضياً أو غير راضٍ؛ لذا تفرد هذا الفعل في هذا السياق.

---

(١) سورة الحاقة، آية رقم:(19).

(٢) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**.(مرجع سابق).ص371.

(٣) الشيخ.(2004م).**مقدمة في علم الأصوات**.(مرجع سابق).ص75.

(٤) السابق، ص55.

الباب الثاني

فرائد الأسماء

فرائد الأسماء

في هذا الباب سنقف مع أسماء الفرائد، وقد تبين أن عددها مئتان وثمانون فريدة، وحاولت جهدي أن أجد سراً لكثرة عددها في الأسماء مقارنةً بالأفعال فلم أتمكن، ولعل الله يقيض من الباحثين من يكشف عن سر هذا العدد فالله هو الوحي- جل جلاله – المتفرد بهذه الأسرار والمالك لها يفتح لمن شاء ما شاء وقتما شاء؛ وعليه فليس لنا من بد في هذا. والوقوف مع فرائد الأسماء جاء بتتبعها من خلال ترتيب ورودها في القرآن فبدَأتْ من لفظة (بعوضة) واختتمت بـلفظة (النفاثات)، وجاء هذا على النحو التالي:

1- بَعُوضَةً: ورد في قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ** ﴾[١]. والآية في: "هو أن اللّه – سبحانه وتعالى – لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ونحوها بما هو دونها أو أكبر منها، تَرْكُ من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها، فلا غرابة ولا حرج في الإتيان بالأمثال والأشباه سواء أكانت صغيرة أم كبيرة؛ لأن العظمة فيها جميعها شيء واحد وهو الخلق والإبداع"[٢]. "ولما ضرب اللّه هذين المثلين للمنافقين قوله: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً...)، وقوله: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ...)الآيات الثلاث، قال المنافقون:اللّه أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل اللّه:إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً... إلى قوله:(... أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ)[٣]؛ ولذا تفردت هذه الكلمة هنا في هذا المقام؛ لأنها جاءت مناسبة وموافقة لسبب نزولها؛ وهذا لأن الكفار تجاهلوا واستنكروا مثل هذه الأمثلة ونظروا إليها نظرة دونية، وعليه ضرب الله مثلاً بما هو أقل منها.

"واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب. يقال:بعضه البعوض. ومنه:بعض الشيء لأنه قطعة منه. والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت"[٤].

" وضرب الأمثلة بالأشياء المحسوسة لتأنس بها النفوس، وتنكشف أمامها الغوامض، وتزول الأوهام عن معارضة العقل. واللّه الحكيم يفعل ما يحقق المصلحة بضرب المثل في العظائم والمحقرات حسب الأحوال والمناسبات، فإن كان الأمر عظيمًا كالحق والإسلام ضرب مثله بالنور

---

(١) سورة البقرة، آية رقم:(26).

(٢) الزحيلي.(1422هـ).**المنيرفي العقيدة والشريعة والمنهج**.(مرجع سابق).ج1.ص455.

(٣) الطبري،ابن جرير.(2000م).**جامع البيان في تأويل القرآن**.مصر: مؤسسة الرسالة.ج1.ص138.

(٤) الزمخشري.(1424هـ/2003م).**الكشاف**.(مرجع سابق).ج1.ص115.

والضياء، وإن كان الأمر مهينًا حقيرًا كالأصنام ضرب مثله في عدم النفع وانعدام الفائدة بما يشبهه من الذباب والبعوض والعنكبوت"[١].

وهكذا "حين ضرب الله مثلا بالبعوضة وما فوقها، أي بما هو أقل منها حجمًا، فإنه- تبارك وتعالى- أراد أن يلفتنا إلى دقة الخلق، فكلما لطف الشيء وصغر حجمه احتاج إلى دقة الخلق، ولكن الكفار لم يأخذوا المعنى على هذا النحو، وإنما أخذوه بالمعنى الدنيوي البسيط الذي لا يمثل الحقيقة"[٢]. ولطالما نظر الإنسان إلى البعوضة على أنها مخلوق تافه، فهي من أصغر ما يشاهده بعينه المجردة و في حياته اليومية، و لكن الله – سبحانه – يذكرها في كتابه العظيم و دون أي استحياء. والعبرة في الخلق ليست بالحجم أو بالشكل، فالبعوضة – على صغر حجمها- فيها من إبداع الخالق – جل جلاله – ما يذهل الألباب، و هذه بعض من الحقائق المكتشفة عن البعوضة:

"إن في رأس البعوضة مئة عين، و لو كبر رأس البعوضة بالمجهر الإلكتروني لرأينا عيونها المئة على شكل خلية النحل، وفي فمها ثمان وأربعون سناً، وفي صدر البعوضة ثلاثة قلوب؛ قلب مركزي و قلب لكل جناح، تمتلك البعوضة جهازاً لا تمتلكه الطائرات الحديثة و هو عبارة عن مستقبلات حرارية؛ حيث إن البعوضة لا ترى الأشياء بأشكالها وألوانها بل بحرارتها ، تمتلك البعوضة جهازاً لتحليل الدم، فليس كل دم مناسب لها ، تمتلك البعوضة جهازاً للتخدير، فهي تخدر موضع اللسع حتى لا يشعر بها الشخص فيقتلها أثناء امتصاصها للدم، تمتلك البعوضة جهازاً لتمييع الدم الذي تمتصه من الإنسان، حتى يتيسر له المرور عبر خرطومها الدقيق، وحتى تمنع تخثر الدم في منطقة الامتصاص عندما يفرز الجسم أنزيمات التخثر! للبعوضة خرطوم فيه ست سكاكين؛ أربع سكاكين تحدث في جلد الملدوغ جرحاً مربعاً يصل إلى وعاء دموي، والسكينتان الخامسة و السادسة تلتقيان لتكوّنا أنبوباً لامتصاص الدم، البعوضة مزودة بجهاز شم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من على بعد ليس بالقريب، في أرجل البعوضة مخالب تستخدمها إذا أرادت الوقوف على سطح خشن، و لها محاجم إذا أرادت أن تقف على سطح أملس "[٣].

---

(١) الزحيلي، وهبة.**المنير**.مرجع سابق.ج1.ص110.

(٢) الشعراوي، محمد متولي. **تفسير الشعراوي**. مرجع سابق.ج1.ص105.

(٣) هورتون، ريتشارد.(2002م). **البعوض**. ترجمة/أحمد محمود.مجلة وجهات نظر.العدد(44).نقلاً عن مجلة york review The new of books. وينظرموقع:.www.islam2all.com ، تاريخ التصفح2012/6/16.(بتصرف يسير).

وبعد معرفة هذه المعلومات المدهشة عن تصميم البعوضة ندرك شيئاً من عظمة الخالق، ومدى إتقان خلقه، كما ندرك جانبًا من أسباب اختيار الله -جل جلاله-لهذا المخلوق بالذات من بين جميع المخلوقات للرد على افتراءات أهل الضلال، وإثباته في طيات كتابه الكريم. " فاللّه رب الصغير والكبير، وخالق البعوضة والفيل، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل، إنها معجزة الحياة. معجزة السر المغلق الذي لا يعلمه إلا اللّه، على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير. وليس في ضرب الأمثال ما يعاب، وما من شأنه الاستحياء من ذكره"[١].

2، 3، 4، 5، 6- بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا: وردت في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾[٢]. والآية في حكاية عن بني إسرائيل وطلبهم من موسى- عليه السلام - أن يطلب لهم من ربه هذه المطعومات . وبالحديث عن أصول هذه الكلمات في اللغة فسنجد أن ابن فارس يقول عن البقل: "الباء والقاف واللام أصل واحد وهو النبات وإليه ترجع فروع الباب كله "[٣]، "والبقل معروف، والواحدة بقلة، والبقلة أيضاً الرِّجْلة،...، ويقال كل نبات اخضرت له الأرض فهو بقل"[٤]. والقثّاء"معروف وهو الخيار ، وقيل إن العجور كباره"[٥]. والفوم:يقول عنه ابن فارس:"الفاء والواو والميم أصل صحيح مختلف في تفسيره وهو الفوم قال قوم: الثوم، وقال آخرون: هو الحنطة، ويقولون: فوموا لنا أي اخبزوا"[٦]. والعدس: يقول عنه ابن فارس: " العين والدال والسين ليس فيه من اللغة شيء، ولكنهم يسمون الحب المعروف عدساً...، والعدس من الحبوب واحدته عدسة وهو حب معروف"[٧]. البصل: "بقل زراعي من فصيلة الزنبقيات، أصله من آسيا الوسطى، يؤكل نيئاً أو مطبوخًا، وله فوائد صحية جمّة "[٨]. وسبب تفرد هذه الأسماء هنا؛ لأنها هي نفس الأطعمة التي ألفوها في دار الذل

---

(2) قطب.(1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج1.ص50.

(٢) سورة البقرة، آية رقم:(61).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج1. ص274.

(٤) الرازي.(1901م).**مختار الصحاح**.(مرجع سابق). ج4.ص1636.

(٥) السابق. ج1.ص64.

(٦) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق). ج10.ص355.

(٧) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. ج4.ص245.

(٨) البسومي.(2001م). **معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق). ج1.ص6.

والهوان؛ حيث الاستعباد والخضوع لسلطان فرعون. وذكرها هنا على ألسنتهم دليل على أنهم لا يعرفون غيرها في تلك الحقبة الزمنية، ويدلك على ما كانوا فيه و عليه من بؤس وفقر وعوز، وطلبهم مثل هذه الأمور للدلالة على تركيبة نفوسهم وخِسّة طباعهم، ودناءة أخلاقهم، " إن ترك الأفضل من المطعومات وهو المنّ والسلوى، وطلب الأدنى مرتبة منه من بصل وثوم وعدس وخيار ونحوها، دليل على أن النفس البشرية قد تبدل الخبيث بالطيب، والأدنى بالأرقى"[١]. وهذا ما يؤكده القرطبي في تفسيره نقلاً عن الحسن البصري، قائلاً : "كان اليهود نتانى أهل كرّاث وأبصال وأعداس، فنزعوا إلى عكرهم، عكر السّوء، واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليهم عادتهم، فقالوا: (لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ)"[٢]، وهذا كله ما لا يكون إلا مع اليهود فقط وليس غيرهم. ولعل تحديدهم هذه الأطعمة خصوصًا هو ضعف يقينهم بأن ما هم فيه من نعيم لا يستمر، وهذا يتوافق مع طبائعهم المشككة حتى مع الله-تبارك وتعالى-، وقالوا: "نريد طعاما نزرعه بأيدينا ويكون طوال الوقت أمام عيوننا...وعددوا ألوان الأطعمة السابقة، ولكنها كلها أصناف تدل على أن من يأكلها هم من صنف العبيد، والمعروف أن آل فرعون استعبدوا بني إسرائيل. ويبدو أن بني إسرائيل أحبوا حياة العبودية واستطعموها"[٣]، والله كان يريد أن يرفع قدرهم ولكنها"البنية النفسية المفككة، والجبلة الهابطة المتداعية، أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر، ومن أجلها ضربوا في الصحراء.. لقد أخرجهم اللّه- تعالى- على يدي نبيهم موسى- عليه السلام – من الذل والهوان ليورثهم الأرض المقدسة، وليرفعهم من المهانة والضعة.. وللحرية ثمن، وللعزة تكاليف، وللأمانة الكبرى التي ناطهم اللّه بها فدية. ولكنهم لا يريدون أن يؤدوا الثمن، ولا يريدون أن ينهضوا بالتكاليف، ولا يريدون أن يدفعوا الفدية. حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم الرتيبة الهينة. حتى بأن يغيروا مألوف طعامهم وشرابهم، وأن يكيفوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة، في طريقهم إلى العزة والحرية والكرامة"[٤]. والرازي له كلام جميل في سر اختيار هذه الأطعمة تحديداً وهي تأويلات لها اعتبارها وهي: " اعلم أن سؤال النوع الآخر من الطعام يحتمل أن يكون لأغراض:الأول أنهم لما تناولوا ذلك النوع الواحد أربعين سنة ملوه فاشتهوا غيره، الثاني:لعلهم في أصل الخلقة ما تعودوا ذلك النوع وإنما تعودوا سائر الأنواع ورغبة الإنسان فيما اعتاده في أصل التربية وإن كان خسيساً فوق رغبته فيما لم يعتده وإن كان شريفاً، الثالث:

---

(١) الزحيلي.(1422هـ).**المنير**.(مرجع سابق). ج1.ص175.

(٢) القرطبي.(1427هـ/2006م).**الجامع لأحكام القرآن**.(مرجع سابق). ج1.ص422.

(٣) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق). ج1.ص203.

(٤) قطب.(1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج1.ص74.

لعلهم ملّوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الأطعمة التي لا توجد إلا في البلاد وغرضهم الوصول إلى البلاد لا نفس تلك الأطعمة، الرابع: أن المواظبة على الطعام الواحد سبب لنقصان الشهوة وضعف الهضم وقلة الرغبة، والاستكثار من الأنواع يعين على تقوية الشهوة وكثرة الالتذاذ فثبت أن تبديل النوع بالنوع يصلح أن يكون مقصود العقلاء.."[١]. والمدقق في لفظة الفوم يجد أنها تحتمل معانٍ كثيرة منها: الثوم والبصل، وقيل: الفوم السنبلة، وقيل:الفوم جميع الحبوب التي يمكن أن تخبز كالحنطة والفول والعدس ونحوه، فإيثار كلمة الفوم في الآية كان لكثرة معانيها، ولو أ ن الله – عز وجل– بدّلها بكلمة أخرى كالثوم أو الحنطة مثلا، لما جاز حملها على كل تلك الوجوه.

7– فَاقِعٌ: ورد في قول الله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾[٢]. وسياق هذه الآية: هو قصة ذبح البقرة التي اختبر اللّه تعالى بني إسرائيل بأمرهم بذبحها؛ ليظهر مدى مصداقيتهم وامتثالهم أوامر اللّه تعالى، وذلك بسبب قتلِ رجل عمّه الذي كان ابن الأخ الوارث الوحيد له، ومن أجل التعرف على القاتل، بدلاً من اقتتال بعضهم مع بعض، وكان يجزئهم ذبح أي بقرة، إلا أنهم تشدّدوا في بيان أوصاف البقرة، فشدّد اللّه عليهم.

"وفَقَع اللّون: أي اشتد، والفاقع الخالص الصافي، وأكثر استعماله للّون الأصفر"[٣].

"والفُقوعُ نصوعُ الصُّفرةِ وخلوصُها، ولذلك يؤكَّد به ويقال: أصفرُ فاقعٌ كما يقال: أسودُ حالكٌ وأحمرُ قانىء"[٤]، و" الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع، وهو توكيد لصفراء وليس خبراً عن اللون"[٥]، " وسرور الناظرين لا يتم الا أن تقع أبصارهم على حيوية و نشاط و التماع في تلك البقرة المطلوبة، فاختيار الأصفر الفاقع هنا يزيد البقرة جمالاً، ويبهج الناظر إليها، ويشير المفسر ون إلى أن الأصفر من الألوان السارة، و لهذا كان علي –كرم الله وجهه–، يرغب في النعال الأصفر و يقول من لبس نعلاً أصفر قل همه "[٦]، وعليه اتضح الآن سبب مجيء هذه الكلمة مع الأصفر وفي هذا السياق خصوصاً، والذي لم يتكرر في القرآن.

---

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ج1.ص92.

(٢) سورة البقرة، آية رقم:(69).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ج1.ص39.

(٤) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم لمزايا الكتاب الكريم**.(مرجع سابق).ج1.ص142.

(٥) النسفي،عبدالله بن أحمد.(د.ت).**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**.(مرجع سابق).ج1.ص54.

(٦) الرازحي،أحمد ناصر.(1420هـ).**الألوان في القرآن**.السعودية: المجلة العربية.عدد رمضان .

8- شِيَةَ: ورد في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾[١]. والآية في صفات البقرة المطلوب ذبحها من اليهود.

والشية: "مصدر وشى الثوب، يشيه وشيًا وشيةً:حسَّنه وزيَّنه بخطوط مختلفة الألوان، ومنه قيل للساعي في الإفساد بين الناس: واشٍ، لأنه يحسن كذبه عندهم حتى يقبل، والشية: اللمعة المخالفة للون، ومنه ثور موشى"[٢]. وذكرت هذه الكلمة هنا؛ لأن السياق يطلبها ويستدعيها؛ لأنه سياق مراوغة وكثرة أسئلة من اليهود، فلعله ساقها ليوقف سيل الأسئلة المتكررة من اليهود الذين لايريدون تنفيذ الأمر قط، ولكن الجدال والكلام دون تطبيق وتنفيذ أو اتباع لأوامر الله – تبارك وتعالى-. فهم أهل التواء عن شرائع وأوامر الله، وظهر هذا من كثرة الأسئلة التي ليس من ورائها طائل ولا منفعة حقيقية تؤثر في مجريات الأمور، بل رجاء أن يُرفع التكليف عن كاهلهم ويؤمرون بما هو أخف وأيسر عليهم أو يُلغى من أصله. ولاشية هنا وحسب السياق تُعَدُّ التفافًا جديداً عليهم؛ حتى لا يكون لهم فرصة السؤال من جديد فيما يخص لون البقرة، فهم قد سألوا عن اللون، ولكن بقي المجال مفتوحاً لأسئلة أخرى من مثل:يا ترى هل هذا اللون مخلوط أو مُزَيّن بغيره أم لا؟ وبالتالي جاءت"لاشية" لِتُغلق باب الأسئلة السَّمِجَة إلى الأبد، وبالفعل كان هذا هو آخر سؤال وبعده تم البحث والذبح.

9- مِيْكَالَ: ورد في قوله تعالى :﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[٣]. والآية في موقف اليهود من جبريل والملائكة والرسل. وسبب نزول هذه الآية هو: " أن اليهود قالوا للنبي– صلّى اللّه عليه وسلّم -: إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي، فمن صاحبك حتى نتابعك؟ قال جبريل، قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا!لو قلت:ميكائيل الذي ينزل بالقطر وبالرحمة تابعناك، فأنزل اللّه الآية إلى قوله: "للكافرين"[٤]، وقد كان اليهود يتخذون بعض الملائكة أعداءً لهم، كجبريل– عليه السلام -؛ حيث كان – من وجهة نظرهم – مطلعاً على أسرارهم، وهو صاحب كل خسف وعذاب، أما ميكائيل فيجيء بالخصب والسلم، لدرجة

---

(١) سورة البقرة، آية رقم:(71).

(٢) الأندلسي.(1420هـ).**البحر المحيط**.(مرجع سابق).ج1.ص402.

(٣) سورة البقرة، آية رقم:(98).

(٤) الواحدي،أبو الحسين علي بن محمد.(1415هـ/1994م).**التفسير الوسيط**.عادل عبد الموجود ورفاقه(محقق).دمشق: دار القلم..ج1.ص15.

أن اليهود قالوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لو كان ميكال هو الذي يأتيك بالخبر لآمنا بك"[١]، ومن هنا يتبين لنا سبب تفرد هذا الاسم هنا؛ لأن اليهود هم من ذكروه باسمه فأراد الله أن يذكره؛ ليؤكد أنه لافرق بين الملائكة عنده وكل له مقام معلوم والكل يؤدي ما عليه من وظيفة ثابتة، ويؤكد من كان عدوًا لواحد منهم فهو عدو للجميع ولله أيضاً؛ لأنهم جميعاً خلق الله. "و أن الذي جرى بين الرسول واليهود هو ذكرهما والآية إنما نزلت بسببهما، فلا جرم نص على اسميهما"[٢]، "وبنو إسرائيل لم يكونوا يؤمنون أو يتقون أو يوقنون!-وكانوا-كعادتهم في تفريق الدين وتفريق الرسل-قد فرقوا بين ملائكة اللّه الذين يسمعون أسماءهم وأعمالهم، فقالوا:إنهم على صداقة مع ميكائيل أما مع جبريل فلا!لذلك جمعت الآية التالية جبريل وميكال وملائكة اللّه ورسله، لبيان وحدة الجميع، ولإعلان أن من عادى أحدًا منهم فقد عاداهم جميعا، وعادى اللّه سبحانه، فعاداه اللّه. فهو من الكافرين"[٣].

10، 11،12- بابل، هَارُوتَ، وَمَارُوتَ: وردوا في قول الله تعالى:﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ ﴾[٤].

والآية في تصوير " قبائح اليهود واشتغالهم بالسحر، فأرسل الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس السحر؛ حتى يتمكنوا من معارضة اليهود" [٥]، والمفسرون يذكرون"أن هاروت وماروت اسمان للملكين، وقيل:هما قبيلتان من الشياطين" [٦]. وأصل الكلمة هي:"(بيل)بابل موضع بالعراق وقيل موضع إِليه يُنْسب السِّحرُ والخمر"[٧].

و"بابل بلد قديم من مدن العالم وأصل الاسم باللغة الكلدانية باب إيلو أي باب الله ويرادفه بالعبرانية باب إيل وهو بلد كائن على ضفتي الفرات بحيث يخترقه الفرات يقرب موضعه من موقع بلد الحلة الآن على بعد أميال من ملتقى الفرات والدجلة. كانت من أعظم مدن العالم

---

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ج3.ص271:266.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ج3.ص613.

(٣) قطب.(1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق).ج1.ص93.

(5) سورة البقرة، آية رقم:(١٠٢).

(٥) القرطبي.(1427هـ/2006م).**الجامع لأحكام القرآن**.(مرجع سابق).ج1.ص550.

(٦) السابق، نفسه.

(٧) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ج1.ص203.

القديم بناها أولاً أبناء نوح بعد الطوفان فيما يقال ثم توالى عليها اعتناء أصحاب الحضارة بمواطن العراق في زمن الملك النمروذ في الجيل الثالث من أبناء نوح... "(١).

ولعل تسميتها بابل كما قال القرطبي: " واختلف في تسميته ببابل، فقيل:سمي بذلك لتبلبل الألسن بها حين سقط صرح نمرود. وقيل:سمي به لأن الله – تعالى- لما أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحا فحشرتهم من الآفاق إلى بابل، فبلبل الله ألسنتهم بها، ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد، والبلبلة:التفريق، قال معناه الخليل. وقال أبو عمر بن عبد البر: من أخص ما قيل في البلبلة وأحسنه ما رواه داود بن أبي هند عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجودي ابتني قرية وسماها ثمانين ، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها اللسان العربي، وكان لا يفهم بعضهم عن بعض "(٢). وبابل هي المدينة التي نزل بها الملكان، وهي المدينة التي كثر فيها أعمال السحر والشعوذة التي كانت تجرى من قِبَل السحرة، وبالتالي تفردت هنا في هذا السياق؛ لأنها هي المدينة المقصودة والمعنية التي نزلت فيها هذه الآيات.

و" هاروت وماروت مَلَكان أو مَلِكان، والأعرف الأول، وهما اسمان أعجميان، ولو كان من الهرت والمرت كما قال بعضهم لانصرفا" (٣)، ولقد " كثر الحديث بين أصحاب القصص والأساطير عن هذين الملكين ، واختلطت الخرافة بالحقيقة بشأنهما ، حتى ما عاد بالإمكان استخلاص الحقائق مما كتب بشأن هذه الحادثة التاريخية "(٤). ويظهر أن أصح ما قيل بهذا الشأن وأقربه إلى الموازين العقلية والتاريخية والأحاديث الشريفة هو مايلي: "شاع السحر في أرض بابل وأدّى إلى إحراج النّاس و إزعاجهم، فبعث الله ملكين بصورة البشر، وأمرهما أن يعلما النّاس طريقة إحباط مفعول السحر، ليتخلصوا من شرّ السحرة. وكان الملكان مضطرين لتعليم النّاس أصول السحر، باعتبارها مقدمة لتعليم طريقة إحباط السحر. واستغلت مجموعة هذه الأصول، فانخرطت في زمرة الساحرينِ، وأصبحت مصدر أذى للناس. والملكان حذرا النّاس حين التعليم من الوقوع في الفتنة، ومن السقوط في حضيض الكفر بعد التعلم ، لكن هذا التحذير لم يؤثّر في مجموعة

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج1.ص489.

(٢) القرطبي.(11427/2006م).**الجامع لأحكام القرآن**.(مرجع سابق).ج2.ص53.

(٣) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**.(مرجع سابق).ج3.ص134.

(٤) أسليم.محمد.(د.ت).**الإسلام والسحر**.دم.

منهم"[1] . وسر ذكرهما هنا لأنهما المقصودان بالحديث، وهما اللذان اختارهما الله لتعليم الناس السحر لا من أجل استعماله؛ بل لكشف ألاعيب اليهود من ادِّعاءٍ للنبوة وغيرها، وكشف أسرار السحرة؛ لأن السحرة كانوا يزعمون أنهم آلهة أورسل، فكانوا يسخرون العامة لهم، فأراد الله تكذيبهم ذبًا عن مقام النبوءة فأنزل ملكين لذلك.

13- الْمَرْوَة: ورد في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ** ﴾[2]. والآية في الحديث عن شعائر الله عند الحج والعمرة ومنها الطواف بالصفا والمروة.

والمَرْوُ: "حجارة بيض براقة توري النار، والْمَرْوَةَ هي تلك الصخرة بمكة يسعى الحجيج بينها وبين الصفا ، وهذا السعي من مناسك الحج في الإسلام "[3]. وسبب نزول هذه الآية "أنه كان على الصفا والمروة صنمان أساف ونائلة، وكان أساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحون بهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله"[4]. و"الصفا والمروة اسمان لجُبَيْلَين متقابلين فأما الصفا فهو رأس نهاية جبل أبي قبيس، وأما المرْوَة فرأس منتهى جبل قُعَيقِعَان. وسُمي الصفا لأن حجارته من الصَّفا وهو الحجر الأملس الصُّلْب"والعلة في تسميته بهذا الاسم وحسب ما يقول ابن عاشور:" وسميت المروةُ مَروةً لأن حجارها من المرْو وهي الحجارة البيضاء اللينة التي توري النار ويذبح بها لأن شَذْرها يخرج قطعاً محددة الأطراف وهي تضرب بحجارة من الصفا فتتشقق ...وكأن الله تعالى لطف بأهل بمكة فجعل لهم جبلاً من المروة للانتفاع به في اقتداحهم وفي ذبائحهم، وجعل قبالته الصفا للانتفاع به في بنائهم"[5] . وعلى ما تقدم فإن المروة هو اسم الجبل الذي يطوف عنده الحجاج والمعتمرون سعياً بينه وبين الصفا، واستناداً للمعنى اللغوي فإن مسماه مشتق من الحجارة البيضاء التي كان يستفيد منها العرب آنذاك في إيقاد النار والذبح؛ ولهذا لم يغن غيره مكانه وتفرد في هذا السياق.

---

(١) الوكيلي،محمد التهامي.(14أغسطس2000م).**سحر الملكين ببابل وسحرالشياطين**.المغرب: الملحق الثقافي لجريدة الميثاق الوطني.العدد7444.

(٢) سورة البقرة، آية رقم:(158).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص46.

(٤) البغوي،الحسين بن مسعود.(1420هـ).**معالم التنزيل في تفسير القرآن**. عبد الرزاق مهدي(محقق).بيروت: دار إحياء التراث العربي.ج1.ص173.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج2.ص128

14- رَمَضَانَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى ﴾[١]. وسياق هذه الآية هو شرعية وفرضية صوم شهر رمضان، فاللّه فرض الصيام، كما فرضه على المؤمنين أتباع الملل الأخرى من لدن آدم – عليه السّلام–، وناداهم بوصف الإيمان المقتضي للامتثال، وأبان أن الصوم فرض على جميع الناس، ترغيبًا فيه، وتوضيحًا أن الأمور الشاقة إذا عمّت، سهل تحملّها، وشعر المؤدون لها بالراحة والطمأنينة، لقيامها على الحق والعدل والمساواة.

ويقول ابن فارس: "الراء والميم والضاد أصل مطرد يدل على حدة في شيء من حر وغيره....وذكر قوم أن رمضان اشتقاقه من شدة الحر.." [٢]، و"الرمض: شدة الحر وشدة وقع الشمس على الرمل، ورمضان اسم من أسماء الشهور معروف" [٣]. وأما سر تسميته بهذا، فيقول الزمخشري في ذلك: " فإن قلتَ: لِمَ سُمّيَ شهر رمضان؟ قلت:الصوم فيه عبادة قديمة، فكأنّهم سمّوه بذلك لارتماضهم فيه من حرّ الجوع ومقاساة شدّته، كما سمّوه ناتقا لأنّه كان ينتقهم أي يزعجهم إضجاراً بشدّته عليهم....)وقيل: (لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمَّوها بالأزمنة الّتي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيّام رمض الحرّ.) "[٤]، ثم إن هناك عدداً من الروايات عللت التسمية على أساس ما ينهض به رمضان من دور في تطهير النفس ممّا يشوبها من لوث الذنوب وتنقية الروح من أدران الخطايا حيث روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله: "(إنّما سُمّيَ رَمَضانُ؛ لِأَنَّهُ يَرمَضُ الذُّنوبَ) "[٥]، وهذا الوجه في تعليل التسمية يتّسق مع الجذر اللغوي لكلمة (رمضان) من جهة،كما يتناسب مع بركات هذا الشهر ومعطياته، وآثاره من جهة أخرى. يقول عبدالقدوس الأنصاري في كتابه (الصيام وتفاسير الأحكام) [٦]: "شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذي ذكر اسمه صريحًا في القرآن المجيد ". ولنا أن نلحظ أن الحق قال في الصوم:{شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن}ولم يذكر شهور الحج:شوالاً وذا القعدة وعشرة من ذي الحجة كما ذكر رمضان، لأن التشريع في رمضان خاص به فلا بُد أن يعين زمنه، لكن الحج كان معروفاً عند

---

(١) سورة البقرة، آية رقم:(١٨٥)

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج2.ص440

(٣) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.(مرجع سابق). ج3.ص1080، 1081.

(٤) الزمخشري.(1424هـ/2003م).**الكشاف**.(مرجع سابق). ج1.ص227.

(٥) البخاري،محمد بن إسماعيل.(1407هـ/1987م).**فتح الباري**.بيروت: دار ابن كثير. ج4.ص136.

(٦) الأنصاري،عبد القدوس.(1355هـ).**الصيام وتفاسير الأحكام**.المدينة المنورة.د.ن. ص27.

العرب قبل الإسلام، ويعلمون شهوره وكل شيء عنه؛ فالأمر غير محتاج لذكر أسماء الشهور الخاصة به"[١]. وعليه تفرد الاسم هنا في هذا السياق وذلك المقام.

15- سِنَةٌ: ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾[٢]. والآية في وصف لذات الله بأنه لا ينطبق عليه أحوال البشر من سهو ونعاس ونوم.

والسِّنة: " هي النُّعَاس وهو مبدأ النوم"[٣]. واستناداً إلى المعنى اللغوي فإن « السِّنَة » هي أول ما يأتي من النعاس؛ أي النوم الخفيف، ولقد عبَّر بالسِّنة التي هي مقدم النوم؛ لأنها أنسب للسياق وأكثر اتساقاً مع المقام؛ لئلا يتخيل أنه يصاب بمثل هذه الأمور حتى هذه الغفوات لا تعتريه – سبحانه وتعالى- ولم يقل غفوة ولا غفلة لأن السِّنة هي أقل حركة تصدر من العين مع بداية الشعور أو الرغبة في النوم، ومع قصر مدتها وزمنها الذي لا يكاد يُذكر إلا أنه تحرَّز عنها- سبحانه-وهذا من مقتضيات اسمه القيوم أي قائم على شئون خلقه. وعبّر بها لتوكيد قيموميته، وهو"توكيد في صورة تعبيرية تُقرب للإدراك البشريّ صورة القيام الدائم. في الوقت الذي تعبر فيه هذه الصورة عن الحقيقة الواقعة من مخالفة اللّه – سبحانه – لكل شيء«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ءٌ»وهي تتضمن نفي السنة الخفيفة أو النوم المستغرق، وتنزهه-سبحانه-عنهما إطلاقًا "[٤]، ونلحظ أنها لم لم تنف السِّنَة بل نفت "أخذ السِّنَة" والفرق بين النفيين كبير !، ويرى الزركشي أنه " من حيث السبق في الإيجاد ؛ لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة ، ذكره السهيلي وذكر معها وجهاً آخر، وهو أنها وردت في معرض التمدح والثناء وافتقاد السنة أبلغ في التنزيه فبدأ بالأفضل ؛ لأنه إذا استحالت عليه السنة فأحرى أن يستحيل عليه النوم"[٥]، وعليه فلما كان أخذ النوم أقوى تأثيرًا وأضرّ على القيومية من السِّنة كان مقتضى ذلك أن يُنفى تأثير السِّنة وأخذها أولاً، ثم يُترقى إلى نفي تأثير ما هو أقوى منه تأثيرًا، و "يعود معنى{لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ} إلى مثل قولنا:لا يؤثر فيه هذا العامل الضعيف بالفتور في أمره ولا ما هو أقوى منه"[٦].

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق).ج1.ص519.

(٢) سورة البقرة، آية رقم:(٢٥٥).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج6.ص111.

(٤) قطب.(1402).**الظلال**.(مرجع سابق).ج1.ص287.

(٥) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله.(1376هـ/1957م).**البرهان في علوم القرآن**.محمد أبو الفضل إبراهيم(محقق).مصر: دار إحياء الكتب العربية.ج1.ص240.

(٦) الطباطبائي، السيد.**الميزان في تفسير القرآن**.بيروت: مؤسسة الأعلمي.ج2.ص231.

16- اِنْفِصَامَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾[١]. والآية في الدعوة إلى الإيمان بالله بالارتباط بمنهجه.

ويقول ابن فارس: "الفاء والصاد والميم: أصل صحيح يدل على انصداع شيء من غير بينونة من ذلك الفصم"[٢]، وقيل إن من معانيها: "لا انقطاع أو لا انكسار"[٣]، ولم يقل الله – تبارك وتعالى – لا انقطاع أو لا انكسار أو لاانقصام؛ لأن السياق هنا لا يطلبها لأسبابٍ منها: أولاً:إن القطع والكسر يكونان في الأشياء الصلبة المادية، ثانياً:الفصم يناسب العروة، و " العروة ما تشد به العياب ونحوها بتداخلها بعضها في بعض دخولاً لاينفصم بعضه من بعض إلا بفصم طرفه فإذا انفصمت منه عروة انفصم جميعه"[٤]، وَوَصَفها بالوثقى، "والوثقى صيغة فُعْلى للمبالغة من الثقة بشدة ما شأنه أن يخاف وهنه، ثم بين وثاقتها بقوله:(لا انفصام لها)أي لا مطاوعة في حل ولا صدع ولا ذهاب"[٥]. ثالثاً: " الفصم كسر الشيء من غير إبانة والانفصام مطاوع الفصم....والمقصود من هذا اللفظ المبالغة لأنه إذا لم يكن لها انفصام فأن لا يكون لها انقطاع أولى"[٦]، رابعاً: الانفصام: يمنع الاتصال الداخلي؛ مثلما تنكسر اليد لكنها تظل معلقة، والانقصام:أن يذهب كل جزء بعيداً عن الآخر أي فيه بينونة "[٧]، وعليه فإن الانفصام أولى، والانقصام على حسب معناه الاشتقاقي يتنافى ومقصود الآية. وجملة " لاانفصام لها ترشيح للاستعارة التمثيلية التي شبه فيها المتمسك بدين الإسلام كالمتمسك بالحبل المحكم، والذي عبّر عنه في آية أخرى بأنه: "حبل الله". ومع تكرار لفظة "العروة الوثقى" في سياق آخر إلّا أنه لم يصفها بـ "لا انفصام" ودلل السامرائي على ذلك بقوله: "أحياناً الكفر بالطاغوت يؤدي إلى أذى شديد وهلكة إذن تحتاج إلى (لا انفصام لها) يعني لا يحصل فيها أي خدش أو انفصال أوشيء. ولما ذكر الكفر بالطاغوت الذي قد يؤدي إلى مظلمة كبيرة أو إلى عذاب أو إلى هلكة أكّد ربنا تعالى فقال (لا انفصام لها)، أما في لقمان فهي اتباع ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ

---

(١) سورة البقرة، آية رقم:(٢٥٦).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج4.ص506.

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ج10.ص275.

(٤) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**.(مرجع سابق).ج1.ص501.

(٥) السابق، نفسه.

(٦) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ج6.ص15.

(٧) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق).ج1.ص711.

مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾(١)، لا تحتاج لذلك، ولما ذكر الكفر بالطاغوت الذي قد يؤدي إلى هلكة(فرعون صلّبهم في جذوع النخل) قال: (لا انفصام لها) تستمسك ولا تنفصم ولا تنفصل وكأنها تحفيز للاستعصام والاستمساك بالله – عزّ وجلّ –. والخطاب في سورة البقرة لغير المسلمين، والعروة هنا هي كلمة الإيمان والتوحيد إذاً لا تنفصم أبداً، والخطاب في سورة لقمان للمسلمين، والعروة فيها هي: عروة العمل قد تنفصم أحياناً بكسل وسهو ونسيان وإهمال وتقصير..إلخ"(٢).

17– صَلْدا: ورد في قوله تعالى:﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ ﴾(٣). والآية في الأمر بالإنفاق، ولكن بشروطه وآدابه لاستحقاق هذا الثواب في الآخرة. الآخرة.

يقول ابن فارس: "الصاد واللام والدال أصل واحد يدل على صلابة ويبس"، "والحجر الصلب الذي لا ينبت شيئاً"(٤). وصفة عمل كل من المرائي والذي يمنّ ويؤذي كصفة تراب على على حجر أملس، نزل عليه مطر شديد، فأزال التراب وترك الحجر أملس لا شيء عليه، أي أنه لا ثمرة ولا بقاء لعمله. ولقد كان السياق دقيقاً في اختيار"صلداً"، ولم يقل مثلاً: صلباً أو صلتاً أو أملس؛ لأنه لو قال صلباً لانتفى المعنى المطلوب؛ لأنه أحياناً نرى في حياتنا اليومية–مع نُدرته– الحجر الصلب تنبُت عليه نبتة خضراء أو زهرة، وكلمة "صلتاً " فيها قلة واستواء، وكلمة أملس لربما تعطي احتمال بأن يخرج منها شيء، أو على الأقل تعطي منظراً وصورة بهيجة، وبالتالي هذا لا يخدم الهدف من الآية، أما "صلداً " فهي تجمع بين الصلابة والقسوة والغلظة وعدم الإنبات، وبالتالي تثبت عدم النفع مطلقاً منه، كما أن المرائي أو المنان لا ينتفع إطلاقاً من صدقته سواءً بسواء. والآية الكريمة " تنطوى على واحد من التشبيهات الملفتة للنظر، من حيث تركيبته الفنية التي تقترن بما هو معجز و مثير و مدهش. والأسرار الفنية التي تطبع هذا التشبيه المعجز وتتمثل أولا في:كونه واحدًا من أشكال ما يمكن أن نسميه بـ (التشبيه المتداخل)، أي: وجود تشبيهين يتداخل أحدهما مع الآخر على نحو مُرَتّبٍ، بحيث يترتب على التشبيه الأول تشبيه آخر، مع ملاحظة أن التشبيهين يصبان في دلالة واحدة. ونرى بأن هذا التشبيه قد حقق هدفه الفني،

---

(١) سورة لقمان، آية رقم:(22).

(٢) السامرائي،فاضل.الكبيسي، أحمد.(دت)**لمسات بيانية**..دم.دن. ص135

(٣) سورة البقرة، آية رقم:(٢٦٤).

(٤) ابن فارس.(1991م). **مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج3.ص303.

واستكمل جميع العناصر التي تتطلبها صياغة التشبيه. ويُعدُّ مثل هذا التشبيه المتداخل من مختصات القرآن الكريم في صياغته للصور المعجزة فنيًا. وترجع الأهمية الفنية لهذا التشبيه: أنه حقق هدفين في آن واحد، فبدلاً من أن يتعرض لقضية الإنفاق المصحوب بالرياء على حدة، والإنفاق المصحوب بالمن على حدة، بدلاً من ذلك جمعهما في آية واحدة محققا بذلك عنصر الاقتصاد الفني في التعبير"(١). وكلمة صلدا وقعت موقعاً في ترتيب طبيعي وسريع ومتوالٍ؛ حيث: "جاءت بعد ترتيب وتعقيب يصك السمع في دلالة وقع الأمر دون حائل وبلا فاصل؛ تعبيراً عن الخسران النهائي، والحرمان المتواصل دفعة واحدة، وهنا تلتقي الدلالة الصوتية بالدلالة الاجتماعية بما يستفاد من معنى لغوي، ويتمثل هذا التوالي عطفاً بالفاء دالاً على سرعة الإيقاع، وعدم الإمهال، بما يوحيه للسمع وللذهن كُلاً غير منفصل بقوله تعالى:(فأصابه وابل فتركه صلدا...)فلا حائل ولا زمن بين الإصابة والإجداب؛ إذ تختفي الحدود الزمنية فما هي إلا لحظات حتى تعود الجنة عقيمةً بمفاجأة الإصابة وشدة المطر ونفاذ الأمر" (٢). وهكذا رأينا كيف أنها جاءت متسقة ومنسجمة تماماً في موقعها ومكانها وعليه فلم تغن غيرها غناءها.

18- طَلّ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾(٣). والآية في إنفاق المخلصين، وضرب مثل رائع لهم.

والطَّل: "المطر اليسير كالندى"(٤). والآية تنطوي " على تشبيه رائع ونادر؛ حيث يشبه حال الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله وتثبيتاً لأنفسهم على الإيمان، كحال صاحب بستان بأرض خصبة مرتفعة يفيده كثير الماء وقليله، فإن أصابه مطر غزير أثمر مثلين، وإن لم يصبه المطر الكثير بل القليل فإنه يكفى لإثماره لجودة الأرض وطيبها، فهو مثمر فى الحالتين، فالمؤمنون المخلصون لا تبور أعمالهم، والله لا يخفى عليه شئ من أعمالكم"(٥) .

(١) انظر:**من روائع التشبيه في القرآن الكريم**.(2012/5/16م).www.alshieh.org.net، تاريخ التصفح:2012/9/27م.(بتصرف).

(٢) الصغير،محمد حسين علي.(2009/5/10)..**الدلالة الصوتية في النص القرآني**.www.balagh.com، تاريخ التصفح:2012/7/1.

(٣) سورة البقرة، آية رقم:(265).

(٤) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ج34.

(٥) لجنة من علماء الأزهر.(د.ت).**تفسير المنتخب**.مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.ج1.ص74.

والمقصود تشبيه نفقة هؤلاء المؤمنين المخلصين في زكائها ونمائها عند الله بتلك الحديقة اليانعة المرتفعة التي تنزل عليها المطر الغزير فأتت أكلها مضاعفاً وأخرجت للناس من كل زوج بهيج، و" المراد أن هذه الجنة لطيبها وكرم منبتها تزكو وتثمر- كثر المطر النازل عليها أو قلّ - فكذلك نفقة المؤمنين المخلصين تزكو عند الله وتطيب كثرت أو قلت، لأن إخلاصهم فيها جعلها عند الله - تعالى- مضاعفة نامية"[1] . وبذلك نرى القرآن الكريم قد ساق في هذه الآية وسابقتها حالتين متقابلتين: حالة الذي يبطل صدقته بالمن والأذى والرياء، وكيف تكون عاقبته ونهايته. وحالة الذي ينفق ماله طلباً لرضا الله وتعويداً لنفسه على فعل الطيبات وكيف يكون جزاؤه عند العليم الخبير ولقد صور القرآن هاتين الحالتين تصويراً مؤثراً بديعاً، من شأنه أن يهدي العقلاء إلى فعل الخيرات، وإخلاص النيات، واجتناب السيئات. وهذه التشبيهات جاءت وليدة من البيئة التي توافرت مثل هذه الأصناف ولا تزال موجودة؛ لذا جاءت " تلبية لحالات واقعة كانت النصوص تواجهها في الجماعة المسلمة يومذاك - كما أنها يمكن أن تواجهها في أي مجتمع مسلم فيما بعد- وأنه كانت هناك نفوس شحيحة ضنينة بالمال تحتاج إلى هذه الإيقاعات القوية، والإيحاءات المؤثرة؛ كما تحتاج إلى ضرب الأمثال، وتصوير الحقائق في مشاهد ناطقة كيما تبلغ إلى الأعماق! فكان هناك من يضن بالمال. فلا يعطيه إلا بالربا. وكان هناك من ينفقه كارهاً أو مرائياً. وكان هناك من يتبع النفقة بالمن والأذى وكان هناك من يقدم الرديء من ماله ويحتجز الجيد" [2]. وكلمة طل جاءت في صورة محببة للنفس لتتناسب مع عظمة الصنيع وهو الإنفاق في سبيل الله فساقها مع صورة للبستان الجيد ..." مرتفع عن الأرض بعيد عن التشبع بالمياه الجوفية ، وهذا يزيد من تهوية التربة ويمنع تعفن الجذور. والأشجار فوق الربوة العالية معرضة للشمس والتهوية والتلقيح الهوائي والارتفاع ضروري لتكاثف الظل والندى، تروى بالمطر فلا عناء ولا تعب في السقاية، الصرف ممتاز حول الربوة، إذا لم ينزل المطر منهمراً فطلٌ ورذاذ خفيف يؤدي إلى الإزهار، وفي جميع الأحوال، فهذه الحديقة أفضل ما تكون، تعطي ثماراً مضاعفة مرتين، وهذا مثل طيب لإنفاق المال ابتغاء مرضاة الله. فالله الله في هذا الإعجاز القرآني البلاغي، المعبِّر عن دقة التصوير، وجمال الألفاظ"[3].

وكلمة الطلّ لا يغني غيرها مكانها من مثل(الرذاذ- القطر...)فإن الطل هي المعبرة عن الحال من حيث إن المكان مترفع ففي حالة عدم سقوط المطر ينزل عليها الطل لارتفاع مكانها

---

(١) طنطاوي،محمد سيد.(1406هـ/1978م).**التفسير الوسيط**.مصر:دار نهضة مصر.ط3.ج1.ص494.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**.(مرجع سابق).ج1.ص283

(٣) مجلة الوعي الإسلامي.(2010/10/22).**نفحات من إعجاز القرآن**.انظر موقع:
http://alwaei.com/topicsview/article.php?sdd=issue=457(2012/4/5م).

لأنه وكما عبَّر السياق فإن الجنة بربوةٍ. وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد . ومما تقدم يظهر لنا سر تفردها في هذا السياق.

19- إِلْحَافاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ ﴾[(١)]. وسياق الآية هو الحث على الإنفاق في سبيل الله، وعلى فئة معينة حدد الله في هذه الآية أوصافهم وهي خمسة.

وألحف السائل: " ألحّ، والإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة، والمعنى في الآية: ليس منهم سؤال فيكون إلحاف" [(٢)]، ومعناه في رأي جمهور المفسرين: أنهم متعففون عن المسألة عفةً تامة، ويكون التعفف صفة ثابتة لهم، أي لا يسألون الناس إلحاحا ولا غير إلحاح[(٣)]. وقوله: "إلحافاً جاء متسقاً تماماً مع سياق الآية؛ فلا يُؤدى المعنى المقصود لو قال "إلحاحا"، وهذا معناه أنه سأل بالفعل؛ لأن الفعل لا يُوصفُ بالإلحاح إلا إذا تم، وهذا ما لم تذكره الآيات، فهي قد نفت السؤال أصلاً(لايسألون الناس...) علاوةً على ذلك أن الله تعالى قال :"{تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ}، ولو أنهم سألوا لكنا قد عرفناهم بسؤالهم، إذن فالآية تدلنا على أن المنفي هو مطلق السؤال، وأما كلمة« الإلحاف» فجاءت لمعنى من المعاني التي يقصد إليها الأسلوب الإعجازي، وهذا يتضح في: إن « السيما»هي العلامة المميزة التي تدل على حال صاحبها، فكأنك ستجد خشوعاً وانكساراً ورثاثة هيئة، وإن لم يسألوا أي أنت تعرفهم من حالتهم البائسة، فإذا ما سأل السائل بعد ذلك اعتبر سؤاله إلحاحاً؛ لأن حاله تدل على الحاجة، ومادامت حالته تدل على الحاجة فكان يجب أن يجد من يكفيه السؤال، فإذا ما سأل مجرد سؤاله فكأنه ألحف في المسألة وألح عليها"[(٤)]. أضف إلى ذلك أن: "اشتقاق الإلحاف من اللحاف، سمى بذلك لاشتماله على وجوه الطلب في المسألة كاشتمال اللحاف من التغطية، أي هذا السائل يعم الناس بسؤاله فيلحفهم ذلك؛ لأن سؤاله – إن سأل – يشمل كل مظاهر الحياة؛ لأنه في الأصل معدوم . فإن قلت: هذا يفهم أنهم كانوا يسألون برفق، مع أنه قال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف قلت: المراد نفي المقيّد والقيد جميعًا كما في قوله تعالى(لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ)"[(٥)].

---

(١) سورة البقرة، آية رقم:(٢٧٣).

(٢) الفراء.(1983م).**معاني القرآن وإعرابه**.مرجع سابق.ج1.ص357.

(٣) الرازي.(1993).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ج6.ص639.

(٤) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق).ج1.ص754.

(٥) القرطبي.(1427هـ/2006م).**الجامع لأحكام القرآن**.(مرجع سابق).ج3.ص342.

وهذا الأسلوب الرائع الذي وردت فيه هذه الفريدة: "هو فن من أبدع الفنون البيانية ويسميه علماء البيان«نفي الشيء بإيجابه» فالمنفي في ظاهر الكلام هو الإلحاف في السؤال، لا نفس السؤال مجازًا، والمنفي في باطن الكلام حقيقة نفس السؤال، إلحافا كان أو غيره"[١]. حقاً " إنها صورة عميقة الإيحاء تلك التي يرسمها النص القصير لذلك النموذج الكريم. وهي صورة كاملة ترتسم على استحياء! وكل جملة تكاد تكون لمسة ريشة، ترسم الملامح والسمات، وتشخص المشاعر والانفعالات. وما يكاد الإنسان يتم قراءتها حتى تبدو له تلك الوجوه وتلك الشخصيات كأنما يراها. وتلك طريقة القرآن في رسم النماذج الإنسانية"[٢].

20- بَكَّةَ: ورد في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾[٣].والآية في الحديث عن منزلة البيت الحرام وفرضية الحج.

"وفي اشتقاق بكة وجهان الأول: أنه من البك الذي هو عبارة عن دفع البعض بعضاً، يقال:بكه يبكه بكاً إذا دفعه وزحمه، وتباك القوم إذا ازدحموا فلهذا قال سعيد بن جبير: سميت مكة بكة لأنهم يتباكُّون فيها أي يزدحمون في الطواف، وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة: قال بعضهم: رأيت محمد بن علي الباقر يصلي فمرت امرأة بين يديه فذهبت أدفعها فقال: دعها فإنها سميت بكة لأنه يبك بعضهم بعضاً، تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي، والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي لا بأس بذلك في هذا المكان. والوجه الثاني: سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة لا يريدها جبار بسوء إلا اندقت عنقه قال قطرب: تقول العرب بككت عنقه أبكه بكاً إذا وضعت منه ورددت نخوته"[٤]. وسر استعمال السياق هنا كلمة " بكة " وليس" مكة " هو : أن الكلام، كما هو واضح، عن أسبقية المسجد الحرام في الوجود ، وهذا مغرق في القدم ، فناسب أن يذكر الاسم القديم لمكة. أما ذكر مكة في قوله تعالى: " ببطن مكة.." فلأن الكلام عن حدث معاصر للرسول – صلى الله عليه وسلم –، ومن هنا لا يناسب ذكر الاسم القديم ، بل الاسم المتداول، أي مكة"[٥]. ولفظ بكة مناسب للسياق؛ لأنه بناءً " على ضوء ما سلف ذكره من معطيات تاريخية وقياسًا على أصل اسم مدينة "بعلبك" فإنه يمكن لنا أن نستنبط كذلك أن مكة المكرمة إنما

---

(١) صافي، محمود عبد الرحيم.(1418هـ).**الجدول في إعراب القرآن**.دمشق:دار الرشيد.ط4.ج3.ص69.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**.(مرجع سابق).ج1.ص316.

(٣) سورة آل عمران، آية رقم:(٩٦)

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ج8.ص299.

(٥) البيراوي،أبو عمر. والعليمي المصري.(2011/2/12م). (**لماذا أطلق القرآن بكة على مكة؟**).. www.tafsir.net،تاريخ التصفح:2012/7/8م.

كان اسمها القديم (بكة) لوجود البيت المحرم فيها، وأنه لذلك سميت البلدة كلها على اسم البيت مثلما سميت مدينة بعلبك كلها باسم بيتها المقدس (بعل – بك)، وهنا يتبدى لنا وجه الإعجاز القرآنى حين قرن بين اسم (بكة) وبين (أول بيت) من حيث أن لفظ (أول) يشير بطرف خفى إلى الناحية التاريخية لأصل لفظ (بيت) والذى عرفنا الآن أنه كان ينطق (بك) فى اللسان السامى القديم الذى هو أصل اللسان العربى الفصيح ، ومن هنا ندرك تمام المناسبة بين لفظ (بكة) وتعبير(أول بيت) فى آية آل عمران حيث لفظ (بيت) هنا يعنى (بيت عبادة) تحديدًا، وهو نفس ما يعنيه لفظ (بك) السامى القديم. إن (بك)كانت تعنى (البيت المقدس) فى اللغة السامية القديمة، ومن أشهر الأمثلة على ذلك معبد (بعلبك) فى لبنان حيث نجد أن كلمة بعلبك مكونة من مقطعين هما: (بعل) و(بك) ويعنيان معا: " (بيت البعل) أى (معبد البعل) فالبيت هنا (بك) يكتسب معنى القداسة لأنه بمعنى (المعبد) أو المكان الذى تقام فيه طقوس وشعائر عبادة البعل، ثم تم إطلاق اسمه بعد ذلك على المدينة بأسرها فأصبحت تعرف باسم مدينة بعلبك "[(١)]. واللغة العربية هي أعظم لغة نطقها الإنسان ، ففيها الرمز الصوتي (اسم الحرف) له معنى، بل إن موضع الحرف من الكلمة يعطي معنىً مختلفًا. فإذا كان في أول الكلمة فإن له معنى يختلف عما إذا كان في آخر الكلمة. واستناداً للرموز الصوتية للحروف فإن: " الرمز الصوتي لحرف (الباء) يدل على البداية (لعمل أو خلق أوبناء لم يكن موجودًا من قبل)، ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا قال الله (بكة) هنا ولم يقل (مكة)؛ لأن الآية تتحدث عن أول بيت وضع للناس على هذه الأرض، وهذا يتفق مع معنى حرف الباء في بداية الكلمة: رمز البداية. وقد ورد لفظ (مكة) في الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾[(٢)]. إن معنى اللفظ (مكة) وقد بدأت الكلمة بحرف(الميم) وليس حرف الباء هو الثبات والمكث والبقاء الطويل. أي أنه قد بني ليدوم ويمكث طويلا حتى يرث الله الأرض ومن عليها"[(٣)].

21– دِينَار: ورد في قول الله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾[(٤)]. والآية في الكلام حول أداء الأمانة والوفاء بالعهد عند بعض أهل الكتاب، فمنهم الأمين، ومنهم

---

(١) البيراوي،أبو عمر. والعليمي المصري.(2011/2/12م). (**لماذا أطلق القرآن بكة على مكة؟**). . www.tafsir.net، تاريخ التصفح:2012/7/8م.

(٢) سورة الفتح، آية رقم:٢٤

(٣) إسماعيل،تحية عبد العزيز.(1990م).**التفسير العلمي لحروف أوائل سورالقرآن**.القاهرة.(د.ن).ص76.

(٤) سورة آل عمران، آية رقم:(75).

الخائن، ومنهم المستحلّ أموال غير اليهود بالباطل بتأويلات واهية، لذا فإن القرآن يحذر المؤمنين من الاغترار بهم. و" الدنانير والدراهم أصلها غير عربيّ وإنما أُخِذا من الفارسيين كما ذكر الجواليقي في كتابه المعرب حينما تحدّث عن الدينار فذكر أنه (فارسي مُعَرَّب وأصله دينار وهو وإن كان معرباً فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار فقد صار كالعربي) وعن الدرهم قال «ودرهم مُعَرَّب وقد تكلمت به العرب»ولم يذكر أصله وصحح الأب- انستاس الكرملي- أن أصل الدينار روميّ والدرهم يونانيّ من دراخما Drachma"[١]. والمراد من ذكر القنطار والدينار هاهنا " العدد الكثير والعدد القليل، يعني أن فيهم من هو في غاية الأمانة حتى لو اؤتمن على الأموال الكثيرة أدى الأمانة فيها، ومنهم من هو في غاية الخيانة حتى لو اؤتمن على الشيء القليل"[٢] . وسر ذكر"دينار"في هذا السياق لأنه هي القيمة الفعلية التي حدثت في قصة الموقف ولم تتكرر، وهي كما ذكر السمرقندي: " وقال ابن عباس في رواية أبي صالح إن الله تعالى ذكر أن أهل الكتاب فيهم أمانة، وفيهم خيانة، وقال الضحاك:(وَمِنْ أَهْلِ الكتاب مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ)يعني به عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقيّة من الذهب، فأداها إليه، فمدحه الله تعالى ويقال:إن نعت محمد – صلى الله عليه وسلم – أمانة، فمن كتمه، دخل تحت قوله{لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}، ومن لم يكتمه دخل تحت قوله{يُؤَدّهِ}، ثم قال تعالى:{وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}وهو فنْحاص بن عازورا اليهودي، أودعه رجل ديناراً، فخانه."[٣]. ومن دقة التعبير القرآني أنه"قد خاطبهم بما عرفوه واستعملوه وتعارفوا عليه، واشتقوا منه فعلاً، وقالوا:رجل مُدَنَّر أي كثير الدنانير"[٤]، وإن كانت اللفظة معربة أصلها فارسيّ.

22- رَمْزًا: ورد في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ ﴾[٥]. والآية في الكلام عن قصة سيدنا زكريا وطلبه الولد الصالح وإنجاب يحيى- عليه السلام-).

---

(١) كنون،عبد الله.(يونيو1974م).**الدرهم والدينار عملتان عايشتا العرب بضعة عشر قرناً** .الكويت: مجلة «العربي» العدد 187. ص 36.

(٢) الرازي.(1993).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ص107.

(٣) السمرقندي، نصر بن محمد.(د.ت).**بحر العلوم**.محمود مطرجي(محقق).بيروت: دار الفكر.ج1.ص282.

(٤) الجوزي، عبدالرحمن بن علي.**زاد المسير في علم التفسير**.(د.ن).(د.م).ج1.ص366.

(٥) سورة آل عمران، آية رقم:(41).

ويقول ابن فارس: "الراء والميم والزاي أصل واحد يدل على حركة واضطراب" [(١)]. "والرمز في اللغة حركة تعلم بما في نفس الرامز بأي شيء كانت الحركة من عين أو حاجب أو شفة أو يد أو عود أو غير ذلك، وقد قيل للكلام المحرف عن ظاهره رموز؛ لأنها علامات بغير اللفظ الموضوع للمعنى المقصود الإعلام به"[(٢)]، ولعل ذكر كلمة "رمزا " هنا في هذا السياق؛ لأن زكريا لما طلب الولد، وأجابه الله بالبشرى، فأراد زكريا أن يظهر فرحته وشكره لربه وطلب علامة وآية ودلالة لهذه البشرى؛ ليؤدي شكر هذه النعمة حق الشكر قبل أن تأتيه أداءً ووفاءً واعترافاً للمنعم، ولتكون المدة كلها مشغولة بالذكر والشكر، وهذا لا يكون إلا باللسان؛ لذا حبس الله لسانه ثلاثة أيام إلا من ذكره – جلّ وعلا–؛ حتى لا يختلط لسانه بكلام مع الناس، وبالتالي لا يكون قد أدّى شكر النعمة تمام الأداء وكما يحب ربه ويرضى؛ لأن الله لا يقبل معه شريك. ولأنه نبي، ويحتاجه الناس فلم يمنعه الله من الناس بأن قال له: اعتكف أو ماشابه، ولذا ناسب أن يكون "الرمز" الوسيلة الوحيدة المؤقتة للتواصل مع قومه، وفي الوقت ذاته تحقق مراد الله. وهذا ما يؤكده الزمخشري: " ليخلص المدّة لذكر اللَّه لا يشتغل لسانه بغيره، توفراً منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة، وشكرها الذي طلب الآية من أجله، كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له: آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر. وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال. ومنتزعا منه إِلَّا رَمْزاً إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرّك"[(٣)].

23– غُزّىً: ورد في قول الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾[(٤)].

والآية في تحذير المؤمنين من أقوال المنافقين وترغيبهم في الجهاد وبيان فضله.

"والغزو: القصد، والغزو:السير إلى قتال العدو وانتهابه"[(٥)]، "وغزّى: جمع غاز، وقياسه أن أن يجمع على غزاة، كرَامٍ جمعه رماة، ولكن حمل المعتلّ على الصحيح كضارب ضُرّب، وغاز أصله الغازِوْ والياء منقلبة عن واو لسكونها وانكسار ما قبلها، وحذفت الياء للتنوين.. وأصل غُزّى

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج2.ص439.

(٢) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب. (1413هـ/1993م). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**.عبد السلام عبد الشافي محمد(محقق).لبنان: دار الكتب العلمية.ج1.ص414.

(٣) الزمخشري.(1424هـ/2003م).**الكشاف**.(مرجع سابق). ج1.ص360، 361.

(٤) سورة آل عمران، آية رقم:١٥٦.

(٥) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق). ج10.ص66، 67.

هو غُزَّوٌ، قلبت الواو ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، ثمّ حذفت الألف لفظاً لمناسبة التنوين"[١].

ويعلل أبو السعود لاختيار السياق القرآني (غُزّىً) دون غيرها قائلاً: "وإفرادُ كونِهم غُزاةً بالذكر مع اندراجه تحت الضربِ في الأرض؛ لأنه المقصودُ بيانُه في المقام، وذكرُ الضربِ في الأرض توطئةٌ له، وتقديمُه لكثرة وقوعِه على أنه قد يوجد بدون الضربِ في الأرض؛ إذ المرادُ به السفرُ البعيدُ، وإنما لم يقُلْ أو غَزَوْاً للإيذان باستمرار اتصافِهم بعنوان كونِهم غزاةً أو بانقضاء ذلك، أي كانوا غُزّاً فيما مضى"[٢]. ودقة القرآن تظهر في ذكر الغزو بعد الضرب في الأرض على الرغم أنه داخل فيه وهذا؛ لأن: "الضرب في الأرض يراد به الإبعاد في السفر، لا ما يقرب منه ، وفي الغزو لا فرق بين بعيده وقريبه ؛ إذ الخارج من المدينة إلى جبل أحد لا يوصف بأنه ضارب في الأرض مع قرب المسافة وإن كان غازيا، فهذ هفائدة إفراد الغزو عن الضرب في الأرض"[٣]، وكلمة غُزّى جاءت على وزن جمع الكثرة، ولعل هذا تأكيداً على ثبوت هذا الحال عليهم سواء أكان هناك حرب أم لا.

24- فَظّاً: ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٤].

والآية في معاملة النبي- صلّى اللّه عليه وسلّم- لأصحابه بالرفق والعفو والمشاورة والوعد بالنصر.

ويقول ابن فارس: "الفاء والظاء كلمة تدل على كراهة، قال بعض أهل اللغة: إن الفظاظة من هذار، يقال رجل فظ:كريه الخلق" [٥]، و« الفظُّ »هو: ماء الكرش، والإبل عندما تجد ماءً فهي تشرب ما يكفيها مدة طويلة، ثم بعد ذلك عندما لا تجد ماء فهي تجتر من الماء المخزون في كرشها وتشرب منه، وفي موقعة من المواقع لم يجدوا ماء فذبحوا الإبل وأخذوا الماء من كرشها، والماء من كرش الإبل يكون غير مستساغ الطعم، وهذا معنى«الفَظّ»، ونظرًا لأن هذا يورث غضاضة فسموا: «خشونة القول» فظاظة ، والغلظ في القلب هو ما ينشأ عنه الخشونة في الألفاظ"[٦]. والمدقق في حروف الكلمة يجدها تبدأ بحرف الفاء وهو إذا جاء أولاً يدل على تفريق من مثل: (فرّق، فرّط، فتّش، فجّر...)، والحرف الثاني هو "الظاء" المشددة ونلاحظ شدة وثقلاً

---

(١) صافي،محمود.(1418هـ/1997م).**الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة**.دمشق: دار الرشيد،مؤسسة الإيمان. ج4.ص350.

(٢) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم**.(مرجع سايق). ج1.ص480.

(٣) القماش، عبد الرحمن محمد.(2009م).**الحاوي في تفسير القرآن**.الإمارات: (د.ن). ج134.ص67.

(٤) سورة آل عمران' آية رقم:(١٥٩).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقايسس اللغة**.(مرجع سابق). ج4.ص441.

(٦) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.(مرجع سابق). ج1.ص1251.

عند نطقها تناسب شدة معناها على النفوس وثقلها على الآذان، وما تفيضه على السياق من معاني القسوة والغلظة والهجر والبعد. وكون القرآن ينفي هذه الصفة الشديدة عن النبي- صلى الله عليه وسلم – لتتناسب مع هدف ما بعث له ووِصِّد له فالأصل أن تلتف الناس حول النبي؛ ولذلك حلّاه الله بصفات تُقرِّب و لا تفرق؛ لأن الناس بطبعها تميل إلى الشخص الهين اللين السهل. ولذا كان نفي هذه الصفة في ذلك السياق دقيقاً ومتسقاً.

25- حُوباً: ورد في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[١]. والآية في إيتاء اليتامى أموالهم وتحريم أكلها والأمر بدفع أموالهم إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة، وينهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم. والخطاب للأوصياء ما دام المال بأيديهم واليتامى عندهم.

ويقول ابن فارس: "الحاء والواو والباء أصل واحد يتشعب إلى إثم أو حاجة أو مسكنة وكلها متقاربة، فالحُوب والحَوب:الإثم"[٢]. "والحوب في أصل الوضع اللغوي كلمة تُستعمل لزجر الإبل، تقول حوباً يعني تريد أن تزجر الإبل عن المرعى، فاستُعمِلت في الاستعمال الشرعي للدلالة على كل ما ينفّر من الذنب، ثم توسع فيها فاستعملت للدلالة على الذنب، يقال:تحوّب فلان إذا خشي أن يقع في الحوب الذي هو الإثم، والحوب بهذا المعنى المتوسع هو الإثم، فقوله تعالى: (إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) يريد والله أعلم إن أكل أموال اليتامى بغير حق يعد إثماً كبيراً " [٣]. ونلحظ أن الأمر هنا ليس في حق الله، فالذي في حق الله نجده يستعمل كلمة إثم أو ذنب، وفي حق العباد والضعفاء منهم خاصة يستعمل كلمة (حوبا)؛ بل ومن كلام المفسرين أن الحوب هو: "الظلم العظيم"[٤]، والتشديد في وصف مدى جرم الفعل يدلك على أنه عند الله عظيم؛ لأن الأمر متعلق بحقوق البشر، وليس أي صنف من البشر بل قمة الهرم في الضعف وهو اليتيم، الذي لا يملك من أمر نفسه شيئاً، وكل أمره إلى الوصي الذي لا رقيب عليه إلا ضميره ودينه، واليتيم لا يملك بل لا يعرف إذا ظلم أو أخذ حقه أن يرد أو يصدّ؛ لأنه يجهل، وبالتالي كان أولى بالوصي لكل ما تقدم أن يكون حريصاً على أداء الأمانة، أما وقد خان وظلم وهضم حق هؤلاء الضعفاء؛ لذا ناسب أن يكون الإثم فظيعا، والذنب جسيماً؛ لأن المفترض فيه أن يكون راعياً وحارساً.

---

(١) سورة النساء، آية رقم:(٢).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج2.ص113.

(٣) مشوّح، محمود.(1978م).**تفسير سورة النساء**.com.رابطة أدباء الشام.www.لندن.تاريخ الزيارة:(2012/7/23م).

(٤) الزمخشري.(1424هـ/2003م).**الكشاف**.(مرجع سابق). ج1.ص244.

والمراد هو تنفير الأوصياء من إساءة الائتمان على أموال الأيتام الذين هم في كفالتهم وتحت وصايتهم. وعليه تفردت الكلمة هنا في هذا السياق، ولم تغن غيرها مكانها.

26- الْجِبْتِ: ورد في قوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾[1]. والآية في التأكيد على أن اليهود قوم مغرورون مخدوعون يظنون أن فضل اللّه مقصور عليهم، ورحمته لا تتعداهم، ولا يستحقها غيرهم.

يقول ابن فارس: "الجيم والباء والتاء كلمة واحدة:الجبت والساحر ويقال:الكاهن" [2]، "والجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، وقيل:هو كل ماعبد من دون الله فيشمل الصنم والكاهن والساحر والشياطين وغير ذلك" [3]، ولقد عبر هنا بالجبت؛ نظراً لذكرها في القصة التي حدثت بين المشركين واليهود، والتي لم تكرر في القرآن وهي أنه:" بعد موقعة أُحد جاء حُيَيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وأبو رافع. هؤلاء هم صناديد اليهود، وأخذوا أيضاً سبعين من اليهود معهم ونزلوا على أهل مكة، ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله. وبعد ذلك نزل كعب بن الأشرف - زعيمهم - على أبي سفيان وقال له: نريد أن نتعاهد على أننا نقف أمام محمد. فقال أبو سفيان: أنت صاحب كتاب، وعندك توراة، وعندك إيمان بالسماء، وعندك رسول، ونحن ليس عندنا هذا، و«محمد»يقول: إنه صاحب كتاب ورسول، إذن فبينكما علاقة الاتصال بالسماء، فما الذي يدرينا أنك متفق معه علينا في هذه الحكاية؟ إننا لا نأمن مكرك، ولن نصدق كلامك هذا إلا إذا جئت لآلهتنا وأقمت مراسم العبادة عندها فسجدت لها. و«الجبت والطاغوت» هما صنمان لقريش، وذهب إليهما اليهود أصحاب التوراة الذين عندهم نصيب من الكتاب وخضعوا لهما"[4]. وعليه تبين لنا سبب ذكر وتفرد الجبت في هذا السياق دون غيره.

27- ثُبَاتٍ: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾[5]. والآية في الحديث عن قواعد القتال في الإسلام. يقول ابن فارس: "الثاء والباء والياء أصل واحد: وهو الدوام على الشيء، ويتفرع منه الثبة يقول: وأما الثبة فجماعة من

---

(١) سورة النساء، آية رقم:(٥١).

(٢) ابن فارس. **مقاييس اللغة**.(مرجع سابق). ج1.ص500.

(٣) أبو عبيدة.(1981م).**مجاز القرآن**.مرجع سابق. ج1.ص129.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق. ج4.ص155.

(٥) سورة النساء، آية رقم:(٧١).

الفرسان يكونون ثبة والجمع ثبات وثبون. وقيل:هي ما فوق العشرة من الرجال" [(١)]، ولقد رتبّ القرآن ترتيباً طبيعياً ومنطقياً في كيفية النفير والتحرك والانطلاق للحرب، فبدأ بالثبات أولاً ثم جميعاً ثانياً حسبما تقتضيه ظروف الحرب، وهذا ما يؤكده صاحب المنار قائلاً: " وَالثُّبَاتُ:جَمْعُ ثُبَةٍ بِضَمٍّ فَفَتْحٍ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ الْمُنْفَرِدَةُ، وَالْمَعْنَى فَانْفِرُوا جَمَاعَةً فِي إِثْرِ جَمَاعَةٍ بِأَنْ تَكُونُوا فَصَائِلَ وَفِرَقًا، وَهُوَ الَّذِي يَتَعَيَّنُ إِذَا كَانَ الْجَيْشُ كَثِيرًا أَوْ كَانَ مَوْقِعُ الْعَدُوِّ يَقْتَضِي ذَلِكَ وَهُوَ الْغَالِبُ، أَوِ انْفِرُوا كُلُّكُمْ مُجْتَمِعِينَ، إِذَا قَضَتِ الْحَالُ بِذَلِكَ، أَوِ الْمَعْنَى فَانْفِرُوا سَرَايَا وَطَوَائِفَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، أَوْ نَفِيرًا عَامًّا، وَيَجِبُ هَذَا إِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ أَرْضَنَا كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ"[(٢)]. ويعلل لذكر هذا التفصيل عند أخذ الحذر بين "ثبات" و"جميعا" قائلاً: " وَإِنَّ أَخْذَ الْحَذَرِ لَيَشْمَلُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ كَيْفِيَّةَ سَوْقِ الْجَيْشِ وَقِيَادَتِهِ وَهُوَ النَّفْرُ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِمَّا قَدْ يُتَسَاهَلُ فِيهِ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ فَأَمَرَ بِهِ بِهَذَا التَّفْصِيلِ، وَلَوْ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ لَكَانَ الِاجْتِهَادُ فِي أَخْذِ الْحَذَرِ مِمَّا قَدْ يَقِفُ دُونَهُ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّ النَّفْرَ عَلَى حَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَى مُقَاوَمَةِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ أَنْ يُرْسَلَ الْجَيْشُ جَمَاعَاتٍ وَفِرَقًا كَمَا عَلَيْهِ الْعَمَلُ حَتَّى الْآنَ، فَإِذَا احْتِيجَ فِي الْمُقَاوَمَةِ إِلَى نَفْرِ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ وَخُرُوجِهِمْ لِلْجِهَادِ وَجَبَ وَهُوَ قَوْلُهُ:أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا"[(٣)]. ولعل السياق اختار" ثُبَاتٍ"؛ لأنه أدعى لإظهار القوة والكثرة لإرهاب العدو، والمدقق في اللفظة لعلها تحمل معنى الثَّبات، فالنفير والجهاد يحتاجان إلى ثبات، فاختلف الشكل واتحدت الحروف، والموقف كذلك يتطلب ثباتاً وإقداماً وشجاعة.

28- مُرَاغَماً: ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً** ﴾[(٤)]. والآية في الهجرة والترغيب فيها وما يترتب عليها من وجود السعة والفسحة.

والمراغم: "المذهب والمهرب، وقيل المراغم:المضطرب والمذهب في الأرض والسعة" [(٥)]، والسياق يتحدث عن هجرة مجهولة المستقبل، وغير مأمونة الجوانب؛ لذا ناسب تماماً أن يسوق ما يُطَمْئِنُ من يهاجر، وبالتالي عبّر عن المكاسب بلفظ " المراغم" ووصفها بالسعة تأكيداً على حصولها، و" كلمة «مراغم» هي اسم مفعول، وتعني مكاناً إذا ما وصلت إليه ترغم أنف خصمك الذي كان يستضعفك، فهل هناك أفضل من هذا؟. أي أنه – سبحانه – يعطي

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج1.ص401، 402.

(٢) رضا، محمد رشيد. (1990م).**تفسير المنار**.مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب.ج5.ص203.

(٣) السابق،نفسه.

(٤) سورة النساء، آية رقم:(١٠٠).

(٥) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**.مرجع سابق.ج13.ص296.

المهاجر أشياء تجعل من كان يستضعفه ويستذلّه يشعر بالخزي إلى درجة أن تكون أنفه في الرَّغام"[١]. واللفظ فيه " ترغيبٌ في المهاجَرَة وتأنيسٌ لها أي يجدْ فيها متحوَّلاً ومهاجَراً وإنما عبّر عنه بذلك تأكيداً للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتحوَّلِ بحيث يصل فيه المهاجرُ من الخير والنعمةِ إلى ما يكون سبباً لرغم أنفِ قومِه الذين هجرهم، والرُّغمُ الذلُّ والهوانُ وأصلُه لصوقُ الأنفِ بالرَّغام وهو التراب، وقيل: يجد فيها طريقاً يراغِمُ بسلوكه قومَه أي يفارقهم على رَغم أنوفِهم"[٢]، وأيضاً أصلها " هو من راغم غيره إذا غلبه وقهره، ولعل أصله أنه أبقاه على الرغام، أي التراب، أي يجد مكانا يرغم فيه من أرغمه، أي يغلب فيه قومه باستقلاله عنهم كما أرغموه بإكراهه على الكفر ، ووصف المراغم بالكثير؛ لأنه أريد به جنس الأمكنة. والسعة ضد الضيق، وهي حقيقة اتساع الأمكنة، وتطلق على رفاهية العيش، فهي سعة مجازية. فإن كان المراغم هو الذهاب في الأرض فعطف السعة عليه عطف تفسير، وإن كان هو مكان الإغاضة فعطف السعة للدلالة على أنه يجده ملائمًا من جهة إرضاء النفس، ومن جهة راحة الإقامة "[٣]. ونلاحظ كيف عالج الله مخاوف النفس البشرية بضمانات دنيوية؛ لأنها مجبولة على حب الراحة والأمان؛ لذا كانت "مراغماً" متسقة تماماً مع السياق معنىً وشعوراً، ولا يغني غيرها مكانها؛ لأن فيها السعة والتمكين مع إغاظة وإرغام أنف من أذله وأهانه.

29- مُذَبْذَبِينَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[٤].

والآية في الحديث عن وصف المنافقين بالتردد والحيرة والاضطراب. وجاءت هذه الكلمة معبرة جداً عن وصف حالتهم النفسية من خلال وقع حروفها، وجرس أصواتها فالمدقق في هذه الكلمة: " (مُذَبْذَبِيْنَ) التي يسميها البلاغيون بالجناس المذيل أو المتوج)[٥]، وإلى عبارة (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) تجد أن اللفظ يصور بجرسه موقف الذبذبة، والأرجحة والاهتزاز وعدم الاستقرار والثبات، وهي صورة كريهة- بلا شك - في حس المؤمنين؛ إذ تثير في نفوسهم الاحتقار والاشمئزاز . وتأملُ أسرارِ القرآن أنْ تَقْرأَ عبارة فترسم لك فكرة وهذا أمر معلوم ولكن القرآن تجاوز هذا إلى الكلمة

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص1778.

(٢) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**.مرجع سابق.ج2.ص146.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج1.ص181.

(٤) سورة النساء، آية رقم:(١٤٣).

(٥) الهاشمي،محمد أحمد.(1999م).**جواهرالبلاغة**.مصر: المكتبة العصرية.ص327. وهو ما يكون الاختلاف فيه بأكثر من حرفين في آخره، من مثل قول أبي تمام:

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصم تصول بأسياف قواضٍ قواضب.

المعبّرة، ألا ترى كيف استخدم القرآن كلمة (مذبذبين) ليعبّر عن شدة خوفهم واضطرابهم ولو ذهبت تضع مكانها أي كلمة لما أدّت المعنى المطلوب فهي تدل على الاضطراب والتعجّل من جهة المعنى وتفيد الكثرة من خلال تكرار الأحرف" [١]، ولقبح ما جاءوا به وَرِثُوا كره الجانبين فليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء، والسبب هو: " أن الفعل يتوقف على الداعي، فإذا كان الداعي إلى الفعل هو الأغراض المتعلقة بأحوال هذا العالم كثر التذبذب والاضطراب؛ لأن منافع هذا العالم وأسبابه متغيرة سريعة التبدل، وإذا كان الفعل تبعا للداعي، والداعي تبعا للمقصود ثم إن المقصود سريع التبدل والتغير لزم وقوع التغير في الميل والرغبة، وربما تعارضت الدواعي والصوارف فيبقى الإنسان في الحيرة والتردد. أما منْ كان مطلوبه في فعله إنشاء الخيرات الباقية، واكتساب السعادات الروحانية، وعلم أن تلك المطالب أمور باقية بريئة عن التغير والتبدل لا جرم كان هذا الإنسان ثابتا راسخا"[٢]. وعليه فإن " موقف الذبذبة، والأرجحة، والاهتزاز، وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين: الصف المؤمن أو الصف الكافر موقف لا يثير إلا الاحتقار والاشمئزاز كذلك في نفوس المؤمنين. كما أنه يوحي بضعف المنافقين الذاتي. هذا الضعف الذي يجعلهم غير قادرين على اتخاذ موقف حاسم هنا أو هناك ولا على المصارحة برأي وعقيدة وموقف مع هؤلاء أو هؤلاء، ويعقب على هذه الصور الزرية، وهذه المواقف المهزوزة، بأنهم قد حقت عليهم كلمة اللّه واستحقوا ألا يعينهم في الهداية.."[٣]، وبالتالي جاءت هذه الكلمة متسقةً مقامًا ومكاناً.

30، 31، 32- الْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالنَّطِيْحَةُ: وردت في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ﴾[٤] وسياق الآية هو الحديث عن أصناف المطعومات المحرمات في الإسلام وكانت حلالاً في الجاهلية، وجاء تحريمها لما فيها من فساد يترتب عليه الإضرار بالجسم أو بالعقيدة. و" المنخنقة التي تخنق فتموت ولايدرك ذكاتها" [٥]، والنطيحة: التي ماتت من النطح، يقول ابن فارس: "النون والطاء

(١) السامرائي.(د.ت).**لمسات بيانية**.مرجع سابق. ص51.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق. ج11.ص249.

(٣) قطب.**الظلال**.مرجع سابق.ج2.ص784.

(٤) سورة المائدة، آية رقم:(٣)

(٥) الأنباري،محمد بن القاسم.(1992م)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**.حاتم الضامن(محقق).بيروت: مؤسسة الرسالة.ج1.ص283.

والحاء أصل واحد وهو نطح يقال: نطح الكبش ينطح ويحمل عليه"(١)، والموقوذة: قال ابن فارس: "القاف والواو والذال: كلمة تدل على ضرب بخشب والإيلام بالضرب، وشاة موقوذة: ضربت بالخشب حتى ماتت" (٢)، وخص القرآن هذه الأصناف بالذكر على الرغم من دخولها تحت تعبير: الميتة، لئلا يظن أنها ماتت بسبب أو بفعل فاعل يشبه التذكية، ولم تمت حتف أنفها، والمهم هو التذكية الشرعية ولم تحدث. "وقد حرمت لخبثها ولما فيها من الضرر ببقاء بعض المواد الضارة في جسمها إما بسبب المرض أو بسبب احتباس الدم فيها، فإن ذكيت ذهب الدم الضار منها، على أن الطباع السليمة تعافها وتنفر منها وتأنف من أكلها، فلكونها ضارة للبدن حرمها اللّه– عز وجل–، فالمنخنقة إذن هي التي مُنِعَ عنها النفس، ومادام مَنْعُ النفس أوصلها إلى الخنق فمصيرها الموت، لقد جاء ذكر المنخنقة لأن الإنسان قد يلحقها بالذبح، فإن سال منها دم، وطرفت فيها عين أو تحرك الذيل فهي حلال. أما إن لم يلحقها الإنسان وذبحها ولم يسل منها دم فهي حرام، ويحرّم الله – سبحانه – الموقوذة ، وهي البهيمة التي يتم ضربها بأي شيء إلى أن تصل للموت، فهي قد ماتت، بنقض بنيتها..، وكذلك النطيحة أي التي نطحها حيوان آخر إلى أن ماتت ولم يخرج منها دم" (٣). وإضافةً إلى الحِكَم السابقة نجد في حكمة تحريم المنخنقة "أن الموت بانحباس النفس يفسد الدم باحتباس الحوامض الفحمية الكائنة فيه فتصير أجزاء اللحم المشتمل على الدم مضرة لآكله. {وَالْمُنْخَنِقَةُ}هي التي عرض لها ما يخنقها. والخنق: سد مجاري النفس بالضغط على الحلق أو بسدّه، وقد كانوا يربطون الدابة عند خشبة فربما تخبطت فانخنقت، ولم يشعروا بها، ولم يكونوا يخنقونها عند إرادة قتلها. ولذلك قيل هنا: المنخنقة، ولم يقل المخنوقة بخلاف قوله: وَالْمَوْقُوذَةُ، وَالنَّطِيحَةُ فعيلة بمعنى مفعولة. والنطح ضرب الحيوان ذي القرنين بقرنيه حيوانا آخر. والمراد التي نطحتها بهيمة أخرى فماتت. وتأنيث النطيحة مثل تأنيث المنخنقة، وظهرت علامة التأنيث في هذه الأوصاف وهي من باب فعيل بمعنى مفعول لأنها لم تجر على موصوف مذكور فصارت بمنزلة الأسماء"(٤)، "فهي كلها أنواع من الميتة إذا لم تدرك بالذبح وفيها الروح: (إلا ما ذكيتم) فحكمها هو حكم الميتة.. إنما فصّل هنا لنفي الشبهة في أن يكون لها حكم مستقل"(٥)، مستقل"(٥)، ومدار الأمر هو خروج الدم من عدمه، وتفردت هذه الكلمات في هذا السياق؛ لأنه

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5. 442.

(٢) السابق.ج6.ص132.

(٣) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق. ج1.ص2017.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق. ج5.ص22، 23.

(٥) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج2.ص840.

لأنه لم توجد طرق معروفة للعرب في حينها للموت بدون ذكاة إلا هذه الميتات الأربع. وبالتالي كان القرآن دقيقاً في وصفها وسردها.

33- مِنْهَاجاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[(١)]. والآية في الخطاب للأمم الثلاث أصحاب الديانات السماوية أمة موسى، وعيسى، ومحمد عليهم السلام. والنهج والمنهج والمنهاج: "الطريق الواضح، وأَنْهَجَ الطريق: استبان وصار واضحاً بيّناً"[(٢)]، ولقد عبّر السياق هنا بالشرعة وهي الخبر من السماء، أي هذا الدين، فناسب أن يذكر بعدها الطريقة والسنة الواضحة لكيفية تطبيق هذا الدين، فلا يعقل أن يكون هناك منهج بدون منهجية؛ أو نظام بدون منظومة تحدد كيفية التعامل والتعاطي معه؛ فلا يمكن أن يعطيك الطبيب دواءً ولا يخبرك بطريقة الاستعمال، وعليه فلا يمكن أن يُنزِّل لك الله شريعةً بدون دليل معها أو نموذج يوضح المستغلق، ويشرح الصعب، ويفصل العام، ويُجَلِّي الغامض؛ حتى لايكون لك حجة عنده، وهذا من مقتضيات العدل الإلهي. فهما لفظان متلازمان لذا كانت كلمة منهاجاً هنا متسقة ومتناغمة مع السياق، ولا يغني غيرها مكانها.

34- قِسِّيسِينَ: ورد في قوله تعالى:﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾[(٣)]. والآية في الحديث عن علاقة اليهود والنصارى بالمؤمنين عداوة اليهود وإيمان القساوسة والرهبان، وبيان أن النصارى هم أقرب للمسلمين من غيرهم. والقس والقسيس: "رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم ويقال: هو الكيّس العالم، ويقال:هو الكبير العالم، وأصله تتبع الشيء وطلبه وخاصة بالليل" [(٤)]، وعلة مجيء هذه الكلمة هنا لأن سياق الآية طلبها وألحَّ عليها وهو تقسيمهم حسب رتبهم الدينية لا الدنيوية التي هي علَّة قربهم من الذين آمنوا، " إننا نجد هنا أن الحق- سبحانه وتعالى- قد امتن بشيئين وبذلك جعلهم أقرب مودة للذين آمنوا، امتن – سبحانه – بأن منهم قسيسين يحافظون على علم الكتاب، وامتن بأن منهم رهباناً ينفذون مدلول المطلوب من العلم، وبذلك صاروا أقرب مودة للذين آمنوا إن ظلوا على هذا الوضع؛ لأن العلّة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً. وما دام قد

---

(١) سورة المائدة، آية رقم:(٤٨).

(٢) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج1.ص346.

(٣) سورة المائدة، آية رقم:٨٢.

(٤) الفراء.(1983م).**معاني القرآن وإعرابه**.مرجع سابق.ج2.ص200.

عللها– سبحانه – بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون فذلك لأنهم لا يتطاولون إلى رئاسة وليس لهم تكبر أو ترفع؛ لأن طبيعة دينهم تعطيهم طاقة روحية كبرى حتى إنهم يقولون:«من ضربك على خدّك الأيمن فأدر له خدّك الأيسر». وهذا يعطيهم شحنة إيمانية نراها ناضحة عليهم"[١]، و" القِسّيسُ صيغةُ مبالغةٍ من تقَسَّسَ الشيءَ إذا تتبَّعه وطلبه بالليل، سُموا به لمبالغتهم في تتبع العلم، قاله الراغب، وقيل: القَسُّ بفتح القاف تتبُّعُ الشيء ومنه سمي عالم النصارى قسيساً لتتبعه العلم، وقيل: قصَّ الأثرَ وقسه، وقيل: إنه أعجمي، وقال قُطرُبُ: القِسّ والقِسّيسُ العالم بلغة الروم، وقيل:ضيَّعت النصارى الإنجيلَ وما فيه، وبقي منهم رجل يقال له:قِسيسٌ لم يبدِّلْ دينه، فمن راعى هديه ودينه قيل له:قسيس"[٢]، وخصهم الله بالذكر هنا "لأنه معروف عند العرب حسن أخلاق القسيسين والرهبان وتواضعهم وتسامحهم وكانوا منتشرين في أماكن عدة من جزيرة العرب ولا شك أن وجود الصنفين بين النصارى سيكون سبباً لإصلاح أخلاق أهل ملّتهم"[٣].

35– رِمَاحُكُمْ: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ ﴾[٤]. والآية في الحديث عن الصيد في حالة الإحرام والحكمة من تحريمه. يقول ابن فارس: "الراء والميم والحاء كلمة واحدة ثم يصرف منها، فالكلمة الرمح وهو معروف والجمع رماح وأرماح"[٥]، وكانت هذه الآية " ليختبر اللّه المؤمنين بإرسال كثير من الصيد، أو ببعض الصيد وهو صيد البر، تأخذونه بالأيدي أو تصطادونه بالرماح، وهو بيان لحكم صغار الصيد وكباره. وخص الأيدي والرماح؛ لأن الصيد يكون بهما غالبا. وتنكير قوله: بِشَيْءٍ للتحقير. وإنما امتحنوا بهذا الشيء الحقير"[٦]، وقال ابن عطية: "وخص الرماح بالذكر لأنها أعظم ما يجرح به الصيد. وفيها يدخل السهم ونحوه. ولقد زاوجَ الله بين الأيدي والرماح؛ " لأن الأيدي تنال الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر، والرماح تنال كبار الصيد"[٧]، والرماح كانت أشهر وأكثر وسيلة

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص2308.

(٢) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج2.ص281.

(٣) السامرائي.(د.ت).**لمسات بيانية**.مرجع سابق.ص37.

(٤) سورة المائدة، آية رقم:٩٤.

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص437.

(٦) الزحيلي.(1422هـ).**المنير**.مرجع سابق.ج7.ص50.

(٧) الأندلسي..(1413هـ/1993م).**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**.مرجع سابق.ج2.ص341

استعمالاً في الصيد عند العرب، وأسرعها نتيجة، وأنفذها في الفريسة، وأظن أنها أم الآلات في ذلك الحين وتندرج تحتها معظم الأسلحة والأدوات الأخرى. وبالتالي فلا عجب أن يذكرها الله هنا في هذا السياق وتتفرد فيه.

36- سَائِبَة: ورد في قوله تعالى:﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾[1]. والآية في ما حرّمه الجاهليون من الماشية والإبل، وبيان ضلالهم. يقول ابن فارس: "السين والياء والباء أصل يدل على استمرار شيء وذهابه.... ويقال سَيَّبْتُ الدابة: تركته حيث شاء، والسائبة: العبد يُسَيَّبُ من غير ولاء يضع ماله حيث شاء"[2]، والسائبة الناقة التي كانت تُسَيَّبُ في الجاهلية لنذر ونحوه، وكانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سُيِّبَتْ، فلا تُركب ولا يُشرب لبنها إلا الضيف أو ولدها حتى تموت، وقيل: إن الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفربعيد أو بريء من علّة أو نجّته دابة من مشقة أو حرب قال: ناقتي سائبة، أي: تسيب فلا ينتفع بظهرها ولا تحلأ أي (ترد) عن ماء ولا تمنع من كلأ ولا تركب" [3]، وذكرت "سائبة"هنا في هذا السياق؛ لأنها من الأصناف الأربعة التي حرَّمها الجاهليون على أنفسهم مع البحيرة، والحام والوصيلة، وتفردت هنا؛ لأن السياق لم يتكرر في القرآن.

37- حَيْرَانَ: ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾[4]. والآية في الرد على عبدة الأصنام ودعوتهم الناسَ إلى عبادتها، وضرب مثل لهم.

يقول ابن فارس: "الحاء والياء والراء أصل واحد:وهو التردد في الشيء، ومن ذلك الحيرة"[5]، وتدور الكلمة حول معنى التردد والحيرة. وجاءت كلمة حيران في " مشهد حي شاخص شاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب منْ يشرك بعد التوحيد، ومن يتوزع قلبه بين الإله الواحد، والآلهة المتعددة من العبيد! ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلال، فيذهب في التيه.. إنه مشهد ذلك المخلوق التعيس: «كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ»-ولفظ الاستهواء لفظ

---

(١) سورة المائدة، آية رقم:(١٠٣).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص119.

(٣) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج1.ص150.

(٤) سورة الأنعام، آية رقم:٧١.

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص123.

مصور بذاته لمدلوله – ويا ليته يتبع هذا الاستهواء في اتجاهه، فيكون له اتجاه صاحب القصد الموحد – ولو في طريق الضلال!– «حيران»لا يدري أين يتجه، ولا أي الفريقين يجيب! إنه العذاب النفسي يرتسم ويتحرك، حتى ليكاد يُحَس ويلمس من خلال التعبير!"(١)، حقاً لقد أكّد السياق تلك الحيرة المستمرة والمتداخلة بقوله: (حيران) التي على وزن (فعلان) ولم يقل حائر لفترة أو بين موقفين سرعان ما ينتهي ويميل إلى أحدهما بل هو حيران لفترة طويلة غير معلومة تستمر مادام مستمراً على موقفه فهو ارتباط شرطيّ بالارتداد والانقلاب، " واعلم أن هذا المثل في غاية الحسن، وذلك؛ لأن الذي يهْوي من المكان العالي إلى الوهْدة العميقة يهوي إليها مع الاستدارة على نفسه، لأن الحجر حال نزوله من الأعلى إلى الأسفل ينزل على الاستدارة، وذلك يوجب كمال التردد، والتحير، وأيضا فعند نزوله لا يعرف أنه يسقط على موضع يزداد بلاؤه بسبب سقوطه عليه أو يقل، فإذا اعتبرت مجموع هذه الأحوال علمت أنك لا تجد مثالا للمتحير المتردد الخائف أحسن ولا أكمل من هذا المثال"(٢). وهذا المثل يُعدُّ " الْمَثَلُ الَّذِي يُصَوِّرُ الْمُرْتَدَّ فِي أَقْبَحِ حَالَةٍ كَانَتْ تَتَصَوَّرُهَا الْعَرَبُ"(٣)، وعبّر السياق بلفظ "حيران" ولم يقل حائر، وذلك لتمكن صفة الحيرة من نفسه. وبالتالي قد أدت الكلمة دورها كاملاً وما أُريد إيصاله من الإتيان بها خلال هذا السياق، وعليه لم يغن غيرها غناءها في مكانها.

38- النَّوَى: ورد في قول الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾(٤). والآية في الحديث عن قدرة الله الفائقة في الكون من خلق وإحياء وإماتة، والدلائل على وجود الصانع سبحانه، وبيان لكمال علمه وحكمته وقدرته. "والنوى جمع نواة ويفرق بينه وبين واحده بالتاء فهو اسم جنس، والنوى هو الشيء الموجود في داخل الثمرة مثل نوى الخوخ والتمر والمشمش" (٥). وانطلاقاً من سياق الآية كان لابد من ضرب نماذج لكمال القدرة، فبدأ بأصغر كائن وهو النوى المفصول قطعاً عن الحياة بعد أكل ثمرته، والجمال في أنه نموذج ما بعده جحود أو إنكار؛ لذا ناسب هنا أن يسوقه كنموذج فريد وفذّ للإحياء والإماته، وهذه الآية من آيات الإعجاز الإلهي في الخلق، فالآية على إيجازها تضمنت العديد من الحقائق العلمية واللمحات الإعجازية التي لم يسبق إليها أحد قبل القرآن الكريم من مثل ما أثبته العلم الحديث من كون الحب غير النوى، وهذا يتضح من

---

(١) قطب.(1402).**الظلال**.مرجع سابق. ج2.ص1132.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق. ج13.ص26.

(٣) رشيد.(د.ت).**تفسير المنار**.مرجع سابق. ج7.ص436.

(٤) سورة الأنعام، آية رقم:٩٥.

(٥) المجمع اللغوي.(2004م).**المعجم الوسيط**.مرجع سابق.ص965.

خلال الآتي: 1-" فالحبة ثمرة كاملة، مثل:حبوب، الذرة والحنطة والشعير أما النوى فهو من البذور، وهي جزء من الثمرة، ومن أمثلتها نوى البلح والنبق والخوخ والعنب وبذور الفول والفاصوليا وهذا التفريق بين الحب والنوى من الإعجاز العلمي النباتي في القرآن الكريم والذي سبق به القرآن التقسيم الحديث للبذور والثمار. والإعجاز الثاني في الآية أنها ربطت بين عملية انفلاق الحب والنوى وإخراج الحي من الميت والميت من الحي وهنا تتجلى عظمة القرآن الكريم وإعجازه. فالمواد الغذائية الميتة المدخرة في الحبوب والبذور(كربوهيدرات . دهن . بروتين . معادن . أملاح . ماء)كلها مواد ميتة ولكنها عندما تعبر أغشية الجنين تدب فيها الحياة وتتحول إلى ستيوبلازم حي وخلايا، فمن يستطيع تحويل المواد الميتة إلى مواد حية؟ذلكم الله-سبحانه وتعالى-. إن هذه العمليات المعقدة في فلق الحب والنوي لايقوي عليهما أحد من الخلق، ولايمكن لهذه العملية أن تتم بغير توجيه وهداية ربانية ومن هنا نسب الحق - تبارك وتعالي- هاتين العمليتين (الإحياء والإماتة) لذاته العلية تشريفًا لهما، وتعظيمًا لشأنهما لأنه بدونهما ما كانت هناك إمكانية للحياة علي الأرض"[1]، وعليه يتبدى لنا سر تفرد " النوى " هنا في هذا السياق، ولم ترد في غيره.

39، 40- قِنْوَانٌ، وَيَنْعِ: وردا في قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾[2]. والآية في التذكير بنعم الله الكثيرة من مطر يترتب عليه خيرات كثيرة من حب وزروع وثمار وفواكه؛ وذلك لشكرالله والإيمان به.

يقول ابن فارس: "القاف والنون والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما على ملازمة ومخالطة والآخر على ارتفاع في شيء، واللفظ من الأصل الأول حيث يقول القِنْو: العِذْق بما عليه؛ لأنه ملازم لشجرته"[3]، ولقد خص السياق النخل بوصف زائد عن غيرها من اللاتي ذُكرن في الآية ؛ لأن "النخل عند العرب له مكانة عالية لأنه يعطي لهم الغذاء الدائم فيذكرهم به"[4]، ويعتبر من الأغذية الأساسية في البيئة العربية، وأيضاً " المقصود بالإخبار هنا التعجيب من خروج القنوان من الطلع وما فيه من بهجة، وبهذا يظهر وجه تغيير أسلوب هذه الجملة عن أساليب ما قبلها وما

---

(١) أبو العطا،نظمي خليل.(2011/10/19م).**إن الله فالق الحب والنوى**. http://www.nazme.net ، تاريخ التصفح:2012/5/14م.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم:(99).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص29، 39.(بتصرف).

(٤) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص2659، 2660.

بعدها إذ لم تعطف أجزاؤها عطف المفردات، على أن موقع الجملة بين أخواتها يفيد ما أفادته أخواتها من العبرة والمنة"(١). ووصف قنوان بـ (دانية)؛ لأنه كما يقول الشعراوي " لأنك حين تنظر طلع النخيل أول ما يطلع تجده ينشق ويحمي نفسه بشوك الجريد حتى لا تأكله الحشرات ثم يثقل وينحني ويكاد ينزل على الأرض فيكون دانياً قريبًا، فإن كانت هناك « سباطة » شاذة تجد من يجنيها يُدخل يده بين الشوك ليصل إليها. وسبحانه يترك لنا فلتات لنعرف نعمة الله في أنه جعلها تتدلى لأنها لو كانت كلها دانية قد لا يُلتفت إليها، لذلك يترك واحدة بين الشوك ليتعب الإنسان حتى يحصل عليها لتعرف أنه سبحانه قد دنّ لك الباقي وهذه نعمة من الله"(٢). والسياق سياق" نِعَمٌ وفضل يمتن به الله على عباده؛ لذا نجد "لفظة «قنوان» ووصفها«دانية»يشتركان في إلقاء ظل لطيف أليف. وظل المشهد كله ظل وديع حبيب"(٣)، والنخل له قنوانٌ ولا نطلق عليها فروع أو أغصان أو غيرها؛ لذا كانت"قنوان "متسقة تماماً مع النخل في السياق.

وَيَنْعِهِ: " أي النضج يقال: ينع الثمر ينعاً أي نضج" (٤)، ولحكمةٍ ما فإن "الآية فيها وصية بالنظر في الثمر حال ابتدائه "إذا أثمر"، وفي حال انتهائه "وينعه"، وذلك لأن الثمار والأزهار في أول حدوثها تكون لها صفات مخصوصة، وعند تمامها وكمالها لا تبقى على حالتها الأولى وإنما تنتقل إلى أحوال أخرى" (٥)، وهذا كله مثار نظر، ومحل اعتبار، وموطن إعجاز . والمقصود بالأمر بالنظر أي:انظروا بالحس البصير، والقلب اليقظ.. انظروا إليه في ازدهاره، وازدهائه، عند كمال نضجه. انظروا إليه واستمتعوا بجماله.. لا يقول هنا:كلوا من ثمره إذا أثمر، ولكن يقول:«انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ» لأن المجال هنا مجال جمال ومتاع، كما أنه مجال تدبر في آيات اللّه، وبدائع صنعته في مجالي الحياة"(٦)؛ ولأن السامع ربما لا يملك الجنات فقال الله له ولغيره"انظروا"، وقال: "« ينعه» أي وصلت إلى النضج وذلك إشاعة للتمتع بنعم الكون لأن النظر إلى الثمر لا يعني أنني أملكه، فقد أراه في حقل جاري وأنظر له وأتمتع بشكله. إذن فالحق- سبحانه وتعالى- يريد أن يشيع الانتفاع بنعم الله حتى عند غير واجدها، لأن أحداً لن يمنعني من أن أنظر، فأنبسط، فمن ناحية الكمال الإنساني هناك غذاء لملكات النفس؛ لأن النفس ليست

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج6. ص24.

(٢) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص2659، 2660.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج2.ص1161.

(٤) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج3.ص1310.

(٥) الأندلسي.(1420هـ).**البحر المحيط**.مرجع سابق.ج4.ص591.

(٦) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج2.ص1161.

ملكات جوع وعطش فقط بل هي ملكات متعددة"[١]، وعبر السياق بلفظ ينعه بدلاً من نضجه؛ لأن الينع يناسب السياق فـ"ينعٌ" لفظ خفيف على اللسان، وقْعُهُ لطيف على الآذان، فيه استثارة لشهوة النظر، ودعوة للطعام مباشرة؛ وهذا يظهر من حرفه الأول"الياء" الذي تحتاج عند النطق به إلى فتح فِيك، وهذا-لعمري-ما تحتاجه تماماً عند الطعام.

41، 42- الضَّأْنِ وَالْمَاعِزِ: وردا في قول الله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾[٢]. وسياق الآية هو:الاحتجاج على المشركين فيما ادعوه من أن ما في بطون الأنعام حلال للذكور ومحرم على الإناث.

يقول ابن فارس: "الضاد والهمزة والنون أُصيل صحيح وهو بعض الأنعام، من ذلك الضأن يقال:أضأن الرجل إذاكثر ضأنه" [٣]، "والضأن خلاف الماعز وهو من الغنم ذو الصوف ويوصف به فيقال كبش ضائن"[٤]، والماعز:يقول عنه ابن فارس:"الميم والعين والزاي:أصل صحيح صحيح يدل على شدة في الشيء وصلابة...ومنه المعز المعروف والمعيز جماعة كضئين، وذلك لشدة وصلابة فيها لا تكون في الضأن"[٥].

والضأن والماعز من " الأصناف الأربعة وهي الأزواج الثمانية، التي قال الله عنها في سورة الأنعام: "ثمانية أزواج:من الضأن اثنين ومن المعز اثنين"و: (وَمِنَ الإِبِلِ اِثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اِثْنَيْنِ)"[٦] .وهي ثمانية أزواج لأن كل صنف منها زوجان:ذكر وأنثى.. الإبل اثنان:جمل وناقة.. والبقر اثنان: ثور وبقرة.. والضأن اثنان: خروف ونعجة.. والمعز اثنان: تيس وعنزة.. فالمجموع ثمانية أزواج. وسميت هذه الأصناف الأربعة أنعاماً؛ لأن النعمة فيها ظاهرة من الله على الناس ؛ ولأن الناس يستفيدون من كل ما يتصل بهذه الأنعام ، من اللحم والشحم واللبن والجلد والصوف والروث والركوب والانتقال"[٧] ، وكلمة أنعام قريبة الشبه بلفظ إنعام وهو مصدر الفعل "أنعم"، وخَلْقُ الله لها فيه نوع من الإكرام والإنعام علينا. وقدّم الله الضأن لشهرتها عند العرب، وكان أكثر استعمالهم

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص2662.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم:(143).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص384.

(٤) الرازي.(1993م). **مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج6.ص2153.

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص337.

(٦) سورة الأنعام، آية رقم: (143 – 144)

(٧) منتديات ستارتايمز.(2011/7/28م).نقلا من :**شخصية سورة الأنعام**.انظر: www.startimes.com/f.aspx?=31407280. تاريخ الزيارة:2011/9/12م).

لها. "وبذكر الماعز والأغنام فى القرآن دلالة على أهمية هذه الحيوانات وبالفعل تتصف لحومها بالجودة كما تتصف بم قدرتها على التأقلم والمعيشة فى الأراضى الصحراوية والمناطق الفقيرة من مصادر الغذاء الجيد، وقدرتها على تسلق الجبال للبحث عن غذائها، وقدرتها العالية على هضم الأغذية الفقيرة والمحتوية على نسب عاليه من السليولوز والتى تتمثل فى مخلفات المحاصيل الزراعية ومخلفات الشوارع، كما تتميز بسهولة رعايتها وإيواءها، كما أن الأغنام- أيضًا- مُقَاوِمَة للأمراض شأنها في ذلك شأن الحيوانات البرية نتيجة النظام المفتوح للتربية بالمراعي. ويعتبر الماعز والأغنام أعلى فى معدل الكفاءة الاقتصادية وتتفوق على الحيوانات الأخرى لكونها حيوانات ثنائية الغرض لإنتاج اللحم واللبن، وتعتبر أكفأ فى معدل إنتاج اللبن بالمقارنة بالأبقار مع الأخذ فى الاعتبار حجم الماعز و حجم البقرة فهى تعتبر بقرة الفقير فى البلاد النامية . ولحوم الأغنام والماعز من أحسن اللحوم في الطعم والقابلية للهضم، هذا بالإضافة إلي أن صغر حجم الوحدة فيها يجعلها مرغوبة للاستهلاك الأسري وخاصة في المناسبات"(١). فاختير اللفظ لمقتضى مناسبته هنا؛ فالضأن والماعز مما يمتلك العرب من ثروة، فالوضع اقتضاها لهذا الغرض.

43- شُحُومَهُمَا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾(٢). والآية في تحريم أشياء حرَّمها الله- سبحانه وتعالى- على اليهود.

يقول ابن فارس: " (شحم) الشين والحاء والميم أصلٌ يدلُّ على جِنسٍ من اللّحم. من ذلك الشَّحْم، وهو معروف "(٣). والشحم: " جوهر السِّمَن والجمع شحوم، والشحم المحرم على اليهود هو شحم الكُلى والكرش، وأما شحم الألية والظهور فلا "(٤). وفي هذه الآية يوضح الله " أنه تعالى إنما حرم على اليهود هذه الأشياء جزاءً لهم على بغيهم وظلمهم وقبيح فعلهم وإنه لم يكن شيء من الطعام حراماً غير الطعام الواحد الذي حرمه إسرائيل على نفسه فشق ذلك على اليهود من وجهين أحدهما أن ذلك يدل على أن تلك الأشياء حرمت بعد أن كانت مباحة وذلك يقتضي وقوع النسخ وهم ينكرونه، والثاني أن ذلك يدل على أنهم كانوا موصوفين بقبائح الأفعال

---

(١) النجار،زغلول.(2010/12/7م).**الحيوانات في القرآن**. موقع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.، www.ijaaz.com تاريخ الزيارة:2012/5/20م.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم:(146).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص195.

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج7.ص47.

فلما حق عليهم ذلك من هذين الوجهين أنكروا كون حرمة هذه الأشياء متجددة بل زعموا أنها كانت محرمة أبداً فطالبهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بآية من التوراة تدل على صحة قولهم فعجزوا عنه فافتضحوا "[١]، ثم قال تعالى ذلك : "(جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ) والمعنى: أنَّا إنما خصصناهم بهذا التحريم جزاء على بغيهم وهو قتلهم الأنبياء وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل ونظيره قوله تعالى" (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)"[٢]. وإنما كان هذا التحريم لأنهم " كانوا كلما أتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم"[٣].

وفي الآية أتم تحذير لهذه الأمة من أن يبغوا فيعاقبوا كما عوقب من قبلهم . وقيل إن العلة من تحريم هذه الشحوم (شحوم البقر والغنم) دون غيرها هو: " أن القرابين عندهم لا تكون إلا منهما، وكان يتخذ من شحومها الوقود للرب "[٤]. وهذا من أتم العقوبة وأشدها على نفوسهم، ودائماً يكون التحريم عليهم بقدر ما أتوا من معصية، وهذا من مطلق عدل الله مع اليهود الذين لا يسلس قيادهم ولا يخضعون لأمر، ولا ينصاعون لتعليمات، فكانت الشدة والحدة هما من أنجع الوسائل لاستقامة سلوكهم وياليتهم فعلوا!. وعليه فقد تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها مكانها، فقد كانت المقصودة من الآيات، ولم تكرر في آي القرآن الكريم إلا في هذا السياق.

44- رِيْشاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾[٥]. والآية في توفير حوائج الدنيا لبني آدم وتحذيرهم من فتنة الشيطان.

يقول ابن فارس: "الراء والياء والشين أصل واحد يدل على حسن الحال، وما يكتسب من خير، فالريش الخير والرياش: المال"[٦]، والريش كساء الطير، وقديماً كانوا يأخذون ريش الطير ليزينوا به الملابس، وذِكْرُ الريش هنا من ضروريات السياق؛ لأن الموطن ذكر أنواع اللباس، فهناك نوعان اللباس والريش، فاللباس ستر العورات، والريش: ما يتجمل به، والأول من الضرورات، والثاني من الكماليات والتحسينات. والله قد أنزل اللباس الذي "يواري سوءات الحس وسوءات المادة، كذلك أنزلنا اللباس الذي يواري سوءات القيم. فكما أنكم تحسّون وتدركون أن اللباس المادي يداري ويواري السوءة المادية الحسية فيجب أن تعلموا أيضاً أن اللباس الذي ينزله الله من

---

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج8.ص120.

(٢) السابق.ج13.ص184.

(٣) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج3.ص195.

(٤) حومد،أسعد محمود.(1418هـ/2009م).**أيسر التفاسير**.السعودية.(د.ن).ط4.ج1.ص936.

(٥) سورة الأعراف، آية رقم:(٢٦).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج2.ص466.

القيم إنما يواري ويستر به سواءتكم المعنوية. ولباس الحياة المادية لم يقف عند موارة السوءات فقط، بل تعدى ذلك إلى ترف الحياة أيضاً"[١]، "فكأن هذا القول الكريم قد جاء بمشروعية الترف شريطة أن يكون ذلك في حل، وقبل أن يلفتنا الحق- سبحانه وتعالى-إلى مقومات الحياة لفتنا إلى الجمال في الحياة، فقال- سبحانه- :{والخيل والبغال والحمير لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً..}[٢] ، والركوب لتجنب المشقة، والزينة من أجل الجَمَال. بل- سبحانه - طلب زينتنا في اللقاء له في بيته فيقول:{يابني ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ..}[٣]، إذن فهذا أمر بالزينة، وهنا في الآية: (وَرِيشاً وَلِبَاسُ التقوى ذلك خَيْرٌ). نعم إن لباس التقوى خير من ذلك كله؛ لأن اللباس المادي يستر العورة المادية، وقصاراه أن يكون فيه مواراة وستر لفضوح الدنيا، لكن لباس التقوى يواري عنا فضوح الآخرة"[٤]. وكلمة ريش كانت تعرفها الصحابة للدلالة على الزينة والعز لذا ساقها هنا للتاكيد عليها. فالله " امتن عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب والمراكب، والمناكح ونحوها، قد يسر اللّه للعباد ضروريها، ومكمل ذلك، وبين لهم أن هذا ليس مقصودا بالذات، وإنما أنزله اللّه ليكون معونة لهم على عبادته وطاعته، ولهذا قال:{وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح"[٥].

45- حثيثاً: ورد في قوله تعالى:﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾[٦]. والآية في الحديث عن عن تعاقب الليل والنهار، وإثبات الربوبية والألوهية للّه بالخلق والأمر.

يقول ابن فارس: "الحاء والثاء أصلان أحدهما:الحض على الشيء، والآخر: يبيس من يبيس الشيء، فالأول قولهم: حثثته على الشيء أحثه ومنه الحثيث، يقال: ولى حثيًا أي مسرعاً"[٧]، "ومعلوم أن اللفظة من الأصل الأول، فحثه على الشيء بمعنى حضه عليه، والحث: الإعجال في اتصال، وقيل:الاستعجال" [٨]، و" (يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) أي يعقُبه سريعاً كالطالب له لا

---

(١) الشعراوي.**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص2846.

(٢) سورة النحل، آية رقم: 8.

(٣) سورة الأنعام، آية رقم:31.

(٤) الشعراوي.(د.ت). **تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ص2847.

(٥) السعدي.عبد الرحكم ناصر.(1420هـ/2000م).**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**.عبد الرحمن بن معلا اللويج(محقق).الرياض: مؤسسة الرسالة ج1.ص285.

(٦) سورة الأعراف، آية رقم:(٥4)

(٧) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص29.

(٨) الفيومي.(د.ت). **المصباح المنير**.مرجع سابق.ص47.

يفصل بينهما شيء، والحثيثُ فعيل من الحث وهو صفةُ مصدرٍ(طلباً)محذوف"[١]، وهذا التعبير الدقيق أضفى نوعاً من الحياة على المشهد ماكان ليتمَّ إلا به؛ ولذا يقول صاحب الظلال"إن الليل والنهار في هذا التعبير ليسا مجرد ظاهرتين طبيعيتين مكرورتين. وإنما هما حيان ذوا حس وروح وقصد واتجاه. يعاطفان البشر ويشاركانهم حركة الحياة وحركة الصراع والمنافسة والسباق التي تطبع الحياة!كذلك هذه الشمس والقمر والنجوم.. إنها كائنات حية ذات روح!إنها تتلقى أمر اللّه وتنفذه، وتخضع له وتسير وفقه. إنها مُسَخّرة، تتلقى وتستجيب، وتمضي حيث أمرت كما يمضي الأحياء في طاعة اللّه!ومن هنا يهتز الضمير البشري وينساق للاستجابة، في موكب الأحياء المستجيبة. ومن هنا هذا السلطان للقرآن الذي ليس لكلام البشر"[٢]، وصوت حروف الكلمة تؤكد المعنى الذي من أجله سيقت، فمن هواء الحاء الحنجرية الذي يشبه حفيف الشجر في صوته وسرعته إلى الثاء الأسنانية المكرورة والتي لا يكاد يفصل بينهما حرف ذو بال فهي الياء الساكنة التي لا تقف عندها طويلاً، كل هذا يشعرك بالسرعة المطلقة، والحركة الشديدة التي تتوالى وتكرر بشكل عجول ويظهر هذا في تكرار "الثاء"، وكأنهما يتسارعان ويتسابقان على تنفيذ أمر ما على أتمِّ وجه، وأكمل أداء. و" عندما نذهب في رحلة إلى أغوار الكون فإننا نجد الظلام يلف أرجاءه ونجد أن الليل هو الأساس الذي يشغل النسبة العظمى من هذا الكون . والذي يجلس في مركبته الفضائية خارج الأرض ويراقب هذه الكرة الرائعة (الكرة الأرضية) يجد الظلام من حولها والليل يغشاها من كل جانب ما عدا طبقة رقيقة هي طبقة النهار!، وعندما نلتقط صوراً للكرة الأرضية وهي تدور حول نفسها ونُسرّع هذه الصور فإننا نرى بوضوح التلاحق والتعاقب المتتالي للظلام والضوء. وكأن الظلام يلحق بهذه الطبقة الرقيقة من الضوء دون أن يسبقها! . إن فيلماً كهذا عن حركة الأرض وتداخل النهار في الليل وتداخل الليل في النهار، يتطلب جهوداً وأموالاً ومراكب فضائية وأجهزة ومئات من الباحثين . إن من عظمة القرآن أنه يصور لنا هذا الفيلم بدقة تامة وبكلمات قليلة!وتفكر معي في هذا المشهد القرآني عن الليل والنهار وكيف أن الليل هو الذي يغشى النهار ويلحقه باستمرار حثيثاً"[٣]

---

(١) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج2.ص492.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج3.ص1297.

(٣) الكحيل،عبد الدايم.(2009/10/17م).**الليل والنهار** انظر :www.com.موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، تاريخ الزيارة:2012/5/27م.

46- نَكِدًا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾[1]. وسياق الآية هو ضرب المثل للمؤمن البر والكافر الفاجر، كما هو حال القرآن دائما في توضحي الآيات.

وعن المعنى الاشتقاقي يقول ابن فارس: "النون والكاف والدال أُصَيل يدلُّ على خُروجِ الشَّيء إلى طالِبِه"[2]. وكذلك فإن الكلمة تحمل في معانيها الضيق والحزن والغم والهم. والمعنى: أن الأرض الكريمة التربة يخرج نباتها وافيا حسنا غزير النفع بمشيئة الله وتيسيره ، والذى خبث من الأرض كالسبخة منها لا يخرج نباته إلا قليلا عديم الفائدة. فالأول: "مثل ضربه الله للمؤمن يقول: هو طيب وعمله طيب. والثانى: مثل للكافر ، يقول : هو خبيث وعمله خبيث ، وفيهما بيان أن القرآن يثمر فى القلوب التى تشبه الأرض الطيبة التربة ، ولا يثمر فى القلوب التى تشبه الأرض الرديئة السبخة"[3] والكلمة بهذا واستنادا إلى المعنى اللغوي فإن لها معنى مركّباً مُعقّداً ، يجمع بين الحُزن والغمّ والاحباط واليأس والاكتئاب. وتشكيلة من البؤس والقهر تركّزت وازدحمت فى كلمة واحدة. وبين القلة والنزر اليسير، وعليه فلا يجتمع لكلمة غيرها مثل هذه الدلالات المزدحمة، فلها ظلال ونتائج سيئة ملموسة نفسياً على الشخص الواقع عليه مثل هذه الظروف، ولها ظلال ونتائج محسوسة مادية في غاية السوء من قلة الإنتاج ورداءة النتاج، وخبث ما خرج من النبات الذي ليس من ورائه طائل ولا منفعة، فقد خسر خسرانا كبيرا. والكلمة بظلال حروفها ووقع صوتها تشع جوا من الكآبة والياس والقنوط مختلطا بمشاعر من الندم والحزن والحسرة، وهذا ما لا يتأتى لغيرها من الكلمات، من مثل : (قليلا - رديئاً - خبيثاً....إلخ)؛ لأنها تشمل جميع هذا فضلا عن الجو النفسي الصعب التي تشعه في النفس. وكأن الأرض تنبت نكدا وحزنا وليس ثمرا. والكلمة تنطوي على تشبيه تمثيلي رائع يصور لنا المعنى في صورة حسية عالية الجودة مكتملة الأركان والألوان والمشاهد. تجعل السامع يستدعي صورة هذه الثمار الخبيثة التي نتجت بسبب عدم تهيئة الأجواء لها، وعليه فإن الآية تمس جانبا علميا إعجازيا ؛ حيث "تشير إلى إعجاز علمي بالغ الدقة، عن أهم عوامل تغيير نعمة الله علينا، و تحول النباتات الطيبة البهيجة، إلى نباتات نكدة لا فائدة منها، و ذلك نتيجة لخبث الوسط البيئي الذي كانت تعيش فيه. كما يبطن، في هذه الآية الكريمة،

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم:(58).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.ج5.ص383.

(٣) طنطاوي.(1406/1978).التفسير الوسيط.مرجع سابق.ج1.ص1627.

التوجيه الإلهي العظيم نحو المحافظة على الوسط البيئي نظيفا، حتى يخرج لنا نباتا طيبا بهيجا. ولقد توجهت حكومات دول العالم منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى الاهتمام بالمحافظة على الوسط البيئي و الحفاظ عليه نظيفا، فعقدت من أجل ذلك العديد من الندوات و المؤتمرات، ولقد سبق للقرآن الكريم إقرارها قبل وقوعها بأربعة عشر قرن أو يزيد. فطالب الإنسان بأن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود، كما قال تعالى : « وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ« [الأعراف :85]. ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرا لتلك الإشارة القرآنية الباهرة غير الله الخالق- تبارك و تعالى-"(١) .

47- سُهُولِهَا: ورد في قوله تعالى:﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾(٢). والآية في خطاب الله ثمود قوم صالح- عليه السلام -، وتذكيرهم بآيات الله ونعمه عليهم.

يقول ابن فارس: "السين والهاء واللام أصل واحد يدل على لين وخلاف حُزونة، والسهل خلاف الحَزَن" (٣)، والسهل: نقيض الجبل وهو أيضاً نقيض الحَزَن" (٤)، وعليه فإن السهل هو المكان المنبسط الذي لا توجد به تلال أو صخور أو جبال، ولذلك فإن السياق كان دقيقاً جداً في تحديد ألفاظه فاستعمل مع القصور "السهول"؛ لأن القصور لاتبنى إلا من سهولة الأرض التي تحوي الطين والآجر، وهذه الأشياء إنما تتخذ من سهولة الأرض؛ حيث لا أحجار ولا صخور. وهذا ما يؤكده أبو السعود: "استئنافٌ مبينٌ لكيفية التبوئةِ أي تبنون في سهولها قصوراً رفيعةً أو تبنون من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرِهْص واللِّبن والآجُرّ"(٥)، وتأكيداً على هذا استعمل مع القصور السهول أي كأنها كانت بصفة مؤقتة وليست دائمة، والسهول تتناسب مع الزراعة والعمل فهي كانت مستوية ليس بها ارتفاعات ولا انخفاضات وبالتالي كانت صالحة، ومن لفظها يظهر تفردها بأنها كانت سهلة لبناء قصور عليها تأويهم أثناء فترة الزراعة والعمل، وذكر البيوت مع الجبال؛ حيث قال تنحتون نظراً لصعوبة تهيئتها إلا ببالغ المشقة، ولذلك قال معها

(١) مليجي،أحمد.(2009/8/3م).**الإعجاز العلمي في سورة الأعراف**.انظرموقع: http://www.quran-m.com/firas/arabicold/?page=show_det&id=1087&select_page=7. تاريخ الزيارة:2013/3/29م.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم:(٧٤).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3،ص110، 111.

(٤) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج5.ص1733.

(٥) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج14.ص306.

بيوتا لأنها أكثر استقرارًا وثباتًا من القصور ، والتي كانت تحميهم من فصول الشتاء؛ لأنها أكثر استقراراً وثباتاً تجاه أي تغيرات جوية. ومن هنا تلحظ سر تفردها هنا في السياق.

48، 49- الْقُمَّلَ، الضفادع: وردا في قوله تعالى:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾[١]. والآية في أنواع العذاب والجزاء والعقاب والآيات التي أنزلها اللّه على فرعون وقومه.

والقمل: " دويبة من جنس القردان إلا أنها أصغر منها يركب البعير عند الهزال، وقيل: هو صغار الذَّر والدَّبى، وقيل: هو الدبى الذي لا أجنحة له، وقيل: القمَّل قمْل الناس، وقيل:شيء يقع في الزرع ليس بجراد يأكل السنبلة وهي غضة قبل أن تخرج فيطول الزرع ولا سنبل له" [٢]، "(والقُمَّل) هو غير القَمْل. فالقَمْل هو الآفة التي تصيب الإنسان في بدنه وثيابه وتنشأ من قذارة الثياب، أما القُمَّل فقيل هو السوس الذي يصيب الحبوب، ومفردها قُمَّلَة، وقيل هو ما نسميه بالقراد، وقيل هو الحشرات التي تهلك النبات والحرث، وحين نراه نفزع ونبحث عن تخليص الزرع منه باليد والمبيدات، وكل ذلك من تنبيهات الحق للخلق، وهي مجرد تنبيه وإرشاد ولَفْتٌ للالتفات إلى الحق"[٣].

والضفدع هي: " دابة مائية معروفة، تتغذى بالحشرات والسمك الصغير "[٤]، وقال ابن عاشور عن الضفادع: " والضفادع:جمع ضَفْدَع وهو حيوان يمشي على أرجل أربع ويسحب بطنه على الأرض ويسبح في المياه، ويكون في الغدران ومناقع المياه، صوته مثل القراقر يسمى نقيقاً، أصابهم جند كثير منه يقع في طعامهم يرتمي إلى القدور، ويقع في العيون والأسقية وفي البيوت فيفسد ما يقع فيه وتطؤه أرْجُل الناس فتتقذر به البيوت "[٥]. والضفدع بنقيقها تنغص الحياة وتذهب بصفائها؛ لذا سلطها الله على بني إسرائيل، ومن هنا نلحظ العلة من سردها هنا في هذا السياق. ونلحظ هنا تفرد القمل والضفادع في السياق؛ لأنهما من الآيات التي سلطها الله على قوم فرعون، ولكن دون جدوى. وهناك ترتيب دقيق فجاء بعد الجراد القمل وهما نوعان مختصان بالزروع والثمار، ولكن القمل أكثر تركيزًا على كل ماهو أخضر وما تركه الجراد أكمل عليه القمل.

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم:١٣٣.

(٢) الفراء.(1983م).**معاني القرآن وإعرابه**.مرجع سابق.ج1.ص392.

(٣) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص3023.

(٤) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ص32.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج6.ص6.

ومن العجب أن الآية اشتملت على كل ماهو مزعج ومخرب لكل نواحي الحياة الطبيعية، ففيها ما يخص النهار ويقيد الحركة وهو " الطوفان الذي يؤدي إلي الهدم والغرق ويقيد الحركة والسعي والتي بدونها تقف الحياة، ثم الجراد الذي يأكل الأخضر واليابس من النباتات والثمار والمحاصيل الغضرة، ثم القمل الذي يقضي علي المخزون من الحبوب والمحاصيل وينقل العديد من الأمراض ، ثم الضفادع التي تزيل النوم من الجفون بنقيقها المزعج وقدرتها علي نقل العديد من الأمراض كذلك، وبعد ذلك كله الدم النتن المليء بالنفايات الجسدي ة والفيروسات والجراثيم التي تجعل الحيا ة حقًا مستحيلة وهي صورة من صور العذاب الإلهي الشامل لمجموعة من الكفره والمشركين ، والغلا ة المتجبرين في الأرض، وكان فيها من التسلسل المنطقي والشمول والإحاطة"[١] بحيث ما تركت شيئاً يعكر صفو الحياة إلا وأثبتته. ويا ليتهم خضعوا ورجعوا!.

50- صَامِتُونَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾[٢]. والآية في الحديث عن المشركين وعبادتهم الأصنام التي لاتسمع ولا تستجيب، ولا تنفع ولاتضر، فدعاؤها والصمت عنه سيان.

و"الصَّمْتُ: السكوت، وصامتون ساكتون لا يتكلمون"[٣]. و "صمت يصمت صمتاً سكت ، وفرق بعضهم بين الصمت والسكوت، فالسكوت لمن له قدرة على النطق، أما الصمت فهو لما لا نطق له" [٤]. وعبّر السياق هنا " بالاسمية إشارة إلى أنهم لا يدعونهم في وقت الشدائد، بل يدعون الله فقال: (أوأنتم صامتون) أي عن ذلك الدوام على عادتكم في الإعراض عن دعائهم في أوقات الملمات، فالذين دعوا معتقديهم في وقت الضرورات أقبح حالاً في ذلك من المشركين ويجوز أن تكون الآية من الاحتباك، فيكون نظمها:أدعوتموهم مرة أو أنتم داعوهم دائماً أم صَمَتُّمْ عن دعائهم في وقت ما أم أنتم صامتون دائماً عن دعائهم، وحاكم في كل هذه الأجوية سواء في عدم الإجابة، لا اختلاف فيه بوجه، دل بالفعل أولاً على حذف مثله ثانياً، وبالاسم ثانياً على حذف مثله أولاً، ولما كان اتباع من يدعي أنه أعقل الناس وأبعدهم عن النقائص وأعرقهم في معالي الأخلاق وأرفعهم عن سفسافها لمن هذا سبيله أخزى الخزي وأقبح العار"[٥]، وإضافةً إلى

(١) النجار،زغلول.(2008/5/3م).**من أسرار القرآن الكريم**.انظر موقع:
www.hadielislam.com/arabic/index.php?pg=articles%2farticle&id=27431

(٢) سورة الأعراف، آية رقم:١٩٣.

(٣) البسومي(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ج1.ص31.

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج7.ص400.

(٥) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**.مرجع سابق.ج3.ص170.

ذلك أنه "عبر بالجملة الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار: أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ بدلاً عن الجملة الفعلية المشعرة بالتجدد المتكرر: «أم صمتم» لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر، دعوا اللّه دون أصنامهم، كقوله: (وَإِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ) فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل لهم: إن دعوتموهم، لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من الاستمرار على سكوتكم ومن عادة صمتكم عن دعائهم. أي فلا فرق بين تجديد دعاء الأصنام بفعل متجدد وبين الاستمرار والثبات على حال الصمت وعدم دعائها، وبذلك صلح عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية الذي لا يجوز إلا لفائدة وحكمة"[١]، والسياق عدل عن الفعلية بالاسمية؛ لأن "العدول إلى الاسمية من مقتضى الفصاحة؛ لأن الفواصل والأسجاع من أفانين الفصاحة، وفيهما تظهر براعة الكلام إذ يكون فيه إيفاء بحق الفاصلة مع السلامة من التكلف، كما تظهر براعة الشاعر في توفيته بحق القافية إذا سلم مع ذلك من التكلف، قال المرزوقي في ديباجة شرحه على الحماسة " والقافية يجب أن تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه، واللفظ بقسطه، وإلا كانت قلقة في مقرها مجتلبة لمستغن عنها"[٢].

51- الشَّوْكَةُ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾[٣]. والآية في كراهية بعض المؤمنين قتال قريش في بدر، وكان البعض يريد العير، إلا أن الله أراد غير ذلك.

والشوكة: "السلاح وقيل:حدته وقيل:شدة البأس والحدّ في السلاح"[٤]. وهي: " اسم بمعنى القوّة والبأس، وَزْنُه فَعْلَة بفتح الفاء وهو مستعار من واحدة الشوك"[٥]. وسبب التعبير عن العير هنا بلفظة "غير ذات الشوكة " واختيارها دون غيرها من ألفاظ أخرى مثل: "العير" أو القافلة "هو أنهم لما خيرهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين العير والنفير، قالوا: إنما خرجنا لأجل العير؛ هروباً من الحديث عن النفير، فأراد الله أن يذكرهم بها تنبيهاً لهم بأنكم تريدون سَفْسافَ الأمور والله– عز وجلّ– يريد معالِيَها وما يرجعُ إلى علو كلمةِ الحقِّ وسموِّ رتبةِ الدين، وشتان بين المرادَين، "والتعبيرُ عنهم بهذا العنوانِ للتنبيه على سبب وِدَادَتِهم لملاقاتهم وموجبِ كراهتِهم ونفرتِهم

(١) الزحيلي.(1422هـ).**المنير**.مرجع سابق.ج9.ص205.

(٢) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج8. ص392.

(٣) سورة الأنفال، آية رقم:٧.

(٤) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**.مرجع سابق.ج13. ص597.

(٥) صافي.(1418هـ).**الجدول في إعراب القرآن**.مرجع سابق.ج9.ص176.

عن موافاة النفيرِ"[١]، وعلاوةً على ذلك هو" لِلتَّعْرِيضِ بِكَرَاهَتِهِمْ لِلْقِتَالِ، وَطَمَعِهِمْ فِي الْمَالِ"[٢].

52- زَحْفاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾[٣]. والآية في التحذير من الفرار من الزحف في مواجهة الأعداء إلا لمصلحة حربية، مثل التحرف لقتال (إظهار الانهزام والفرار خدعة ثم الكرّ) والتحيز إلى فئة (الانضمام إليها لمقاتلة العدو معها).

يقول ابن فارس: "الزاي والحاء والفاء أصل واحد يدل على الاندفاع والمضي قُدُماً، فالزحف: الجماعة يزحفون إلى العدو، والصبي يزحف على الأرض قبل المشي" [٤]، و"زَحْفاً أي مجتمعين، كأنهم لكثرتهم يزحفون؛ لأن الكل كجسم واحد متصل، فيظن أنه بطيء وهو في الواقع سريع، والمراد: جيشًا زاحفين نحوكم لقتالكم"[٥]. وعبّر السياق هنا بـ"زحفاً" ولم يقل هَرْوَلَةً؛ لأن" الزحف هو انتقال كتلة لا ترى الناقل فيها، فمن يراها يظن أن الكتلة كلها تتحرك. وكأن الحق تعالى يقصد: أريد منكم أن تتحركوا إلى الحرب كتلة واحدة متلاصقين تماماً فيظهر الأمر وكأنكم تزحفون. وزحفاً أصلها زاحفين، وقد عدل - سبحانه وتعالى- عن اسم الفاعل وجاء بالمصدر، مثلما نقول عن إنسان عادل: إنه إنسان عدل، أي أن عدله مجسم. ومما يؤيد كون الزحف بمعنى انتقال كتلة متلاصقة قول أبي تمام في وصف الجيش الزاحف:

خميس بِشَرْقِ الأرضِ والغربِ زحفُه... وفي أذنِ الجوزاءِ منه زمازم[٦]

والخميس هو الجيش الجرار، ويريد الشاعر أن يصوّر الزحف كأنه كتلة واحدة متماسكة ومترابطة، بحيث لا تستطيع أن تميز حركة جندي من حركة جندي آخر، حتى ليخيّل إليك أن الكتلة كلها تسير معاً. ومن يريد أن يتأكد من ذلك ندعو الله أن يكتب له الحج ويصعد إلى الدور الثاني من الحرم المكي الشريف ويرى الطائفين، ويجدهم ملتحمين جميعاً كأنهم كتلة واحدة تسير، ولذلك سمّوها«السيل». و« سالت بأعناق المطي الأباطح »، مَثَلُهم مثل السيل في تدفقه لا تفرق فيه نقطة عن أخرى والحق تبارك وتعالى يوضح لنا هنا أن لقاء الكفار يجب أن يكون

---

(١) أبو السعود.**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج3.ص97.

(٢) رضا.(1990م). **المنار**.مرجع سابق.ج9.ص500.

(٣) سورة الأنفال، آية رقم:١٥.

(٤) ابن فارس.(1991).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص50.

(٥) الزحيلي.(1422هـ). **المنير**. مرجع سابق.ج9.ص274.

(٦) المتنبي، أحمد بن الحسين.(1983م/1403هـ).**ديوان المتنبي**.لبنان: دار بيروت للطباعة والنشر.ج1.ص131.

زحفاً أي كتلة واحدة متماسكة، فيصيب المشهد الكافرين بالرعب حين يرون هذه الكتلة الضخمة التي لا يفرق أحد بين أعضائها، وهكذا تكون المواجهة الحقيقية"[١]، وهنا تصوير رائع صور به القرآن الكريم جيش المسلمين. فقد مثل لكثرتهم ووفرة عددهم بجيش يزحف على الأرض زحفا لا يكاد يرى الإنسان موضع قدم، كأن بعضهم متداخل في بعض فهم لا يسيرون على الأرض سيرًا إنما يزحفون زحفا كما يزحف الصبيان على الأيدي والأقدام. وهذا السر في تعبير القرآن.

53- مُتَحَيِّزاً: ورد في قوله تعالى ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[٢].والآية في نفس السياق الآية السابقة وهو إمكانية التولي يوم الزحف شريطة أن يكون لمصلحة حربية.

يقول ابن فارس: "الحاء والواو والزاي أصل واحد وهو الجمع والتجمع" [٣]، و" الحوز: الجمع وكل من ضم إلى نفسه شيئاً فقد حازه...والتحوز التنحي من قوله " متحيزاً " أي منضماً إليها"[٤]، وهذه بعض الحيل الحربية والمكائد العسكرية التي تؤهل للنصر والتمكين؛ ليتقوّى على ما ما هو أشد، وسبب مجيء كلمة « متحيز» في هذه الآية لحاجةٍ يطلبها السياق؛ إذ هي ثاني اثنين من تلك الحيل التي ذكرها السياق وهذه الحاجة تتمثل في: " توجّه كل مؤمن مقاتل أن يأخذ لنفسه حيزاً جيداً يمكنه من إصابة الهدف، وكذلك تفيد ضرورة انضمام المقاتل دائمًا إلى فئة مع إخوانه بهدف تقوية المواجهة مع العدو"[٥]، والآية سمحت للمقاتل " بحرية الحركة أثناء المعركة، كأن ينتقل من مكان في المعركة إلى مكان آخر، لنصرة فريق من المسلمين، أو لسد ثغرة نفذ منها العدو، فالمهم هو أن يكون هدف المقاتل المسلم النصر أو الشهادة، وإطاعة أمر القيادة. أما الذين يتركون المعركة فرارًا وهربًا من الموت، فإن الله تعالى يتوعدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة"[٦].
القيامة"[٦].

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.ج1. ص3221.

(٢) سورة الأنفال، آية رقم:(16).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص113.

(٤) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج3.ص875.

(٥) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص3222.

(٦) حومد.(1419هـ/2009م).**أيسر التفاسير**.مرجع سابق.ج1.ص1177.

54- مُكَاءً: ورد في قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾(١). وسياق الآية هو التنديد ببعض أقوال المشركين وأفعالهم، وأوضاع صلاتهم عند البيت الحرام.

يقول ابن فارس: "الميم والكاف والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على معان ثلاثة: أحدهما: شيء من الأصوات، والآخر: خشونة في الشيء، والثالث: ضرب من العسل، فالأول: مكا يمكو: صفر في يده وقد جمعها" (٢)، والمكاء: "الصفير، وهو أن يجمع بين أصابع يده ثم يدخلها فاهه ثم يصفر" (٣)، و " رُوي أنهم كانوا يطوفون عراةً: الرجالُ والنساء مشبكين بين أصابعِهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل:كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي- صلى الله عليه وسلم – أن يصلي يخلِطون عليه ويُرَون أنهم يصلون أيضاً"(٤). وسر مجيء هذه الكلمة هنا؛ لأنها الآية الوحيدة في القرآن التي تبين طريقة صلاتهم عند المسجد الحرام، فكانت صفيرًا يسبب صدى للآذان، بالإضافة إلى التصفيق بإيقاع معين، "وهذه لم تكن صلاة، يذكر فيها الله ويُعبد، ويكون فيها خشوع وسكينة"(٥)، وأيضاً الأمر كان كذلك للتشويش على الرسول وإفساد طوافه وخشوعه وخشوعه بهاتين الصفتين، وعلاوةً على ذلك، واستناداً إلى المعنى اللغوي كما قال الراغب أن : "الْمُكَّاءُ (بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ) طَائِرٌ، وَمَكَتْ اسْتُهُ صَوَّتَتْ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَذِهِ الْفِعْلَةَ الْقَبِيحَةَ كَانَتْ تَقَعُ مِنْهُمْ عَمْدًا أَيْضًا، فَذُكِرَ اللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ; لِيَدُلَّ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُذْكَرِ اللَّفْظُ الَّذِي وُضِعَ لَهَا وَحْدَهَا نَزَاهَةً"(٦)، وجُملة الأمر أن المقصود هو إيذاء النبي بكل ما يملكون من وسائل الازعاج والتشويش وكان على رأس هذه الوسائل:الصفير، وهو الملائم لظروف الطواف؛ حيث لا يحمل الطائف أي آلات أو أدوات تمكنه من ذلك، فناسب أن يفعل ذلك بما هو متاح عنده.

55- كَسَادَهَا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾(٧). والآية في الحديث عن الأسباب التي قد تدعو المؤمنين إلى اتخاذ الكفار أولياء وترك الإيمان.

---

(١) سورة الأنفال، آية رقم:(٣٥).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج5.ص344.

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج13.ص164

(٤) أبو السعود.**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج3.ص113.

(٥) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص3269.(بتصرف يسير)

(٦) رضا.(1990م).**تفسير المنار**.مرجع سابق.ج9.ص549.

(٧) سورة التوبة، آية رقم:(٢٤).

يقول ابن فارس: الكاف والسين والدال: أصل صحيح يدل على الشيء الدون لا يُرغب فيه، ومن ذلك: كسد الشيء كساداً فهو كاسد وكسيد....، والكساد: " خلاف الإنفاق ونقيضة، يقال: كسدت السوق والتجارة: لم تَنْفَقْ، وأصل الكساد هو الفساد ثم استعملوه في عدم نَفَاق السلع والأسواق" [(١)]. ولذلك ذكر الله – عز وجل – التجارة من جملة أشياءٍ تركها المسلمون في مكة بعدما هاجروا إلى المدينة؛ ومن ثَمَّ ناسب ذكرها بدرجة قربها من الأشخاص؛ ليدلل على أن الكسب الإيماني أعلى من أي كسب آخر، وهذا ما أكده الرازي بقوله: " اعلم أنه تعالى ذكر الأمور الداعية إلى مخالطة الكفار، وهي أمور أربعة: أولها: مخالطة الأقارب، وذكرمنهم أربعة أصناف على التفصيل، وهذا التفصيل يسمى عند البلاغيين التدرج والترقي، وهم الآباء والأبناء والإخوان والأزواج، ثم ذكر البقية بلفظ واحد يتناول الكل، وهي لفظ العشيرة. وثانيها: الميل إلى إمساك الأموال المكتسبة. وثالثها: الرغبة في تحصيل الأموال بالتجارة. ورابعها: الرغبة في المساكن، ولا شك أن هذا الترتيب ترتيب حسن، فإن أعظم الأسباب الداعية إلى المخالطة القرابة ثم إنه يتوصل بتلك المخالطة إلى إبقاء الأموال الحاصلة ثم إنه يتوصل بالمخالطة إلى اكتساب الأموال التي هي غير حاصلة، وفي آخر المراتب الرغبة في البناء في الأوطان والدور التي بنيت لأجل السكنى، فذكر تعالى هذه الأشياء على هذا الترتيب الواجب، وبيّن بالآخرة أن رعاية الدين خير من رعاية جملة هذه الأمور"[(٢)]. وعبّر السياق بكلمة (كسادها) ولم يقل زوالها أو خسارتها، بل قال ذلك خشية " قلّة التبايع وهو ضد الرّواج والنّفاق، وذلك بمقاطعة طوائف من المشركين الذين كانوا يتبايعون معهم، وبالانقطاع عن الاتّجار أيام الجهاد"[(٣)]. والتجارة عند العرب من وسائل الرزق الرئيسة إن لم تكن الأولى، وكانوا ماهرين فيها عالمين بفنونها، وقَلَّ مَنْ من تخسر تجارته؛ لذا ناسب "كسادها" مع السياق. ونلاحظ أن السياق قد حدد أصناف الوشائج والروابط والعلاقات واللذائذ والمطامع وعلى رأسها التجارة المحببة إلى النفس بطبيعة الحال لما يترتب عليها من ربح ومكسب، ولأهميتها خصصها السياق وفرّق بينها وبين الأموال عامة " لأن التجارة قد تأتي لنا بأموال فوق الأموال"[(٤)].

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص180.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج16.ص18.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج10.ص56.

(٤) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص3434.

56- مَوَاطِن: ورد في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[١]. وسياق الآية في الحديث عن غزوة حنين وماحدث للمسلمين فيها بسبب اغترارهم، والدروس المستفادة منها.

يقول ابن فارس: " (وطن) الواو والطاء والنون: كلمةٌ صحيحة. فالوَطَن: مَحَلُّ الإنسان. وأوطان الغَنَم: مَرَابضها"[٢]. والموطن: "المشهد من الحرب ومنه الآية، وقال طرفة:

على مَوْطنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِك فيه الفوارس تُرْعِدِ[٣]

ومواطن الحرب: "مقاماتها ومشاهدها، والمواطن الكثيرة:غزوات الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وقيل هي ثمانون موطناً أعلم الله المؤمنين بأنه ناصرهم فيها، أما في حنين فلاغترارهم بكثرة عددهم هُزِموا، وفي حال الهزيمة تضرعوا إلى ربهم فبدل هزيمتهم نصرا" [٤]. ولعل هذه الكلمة أبلغ من لو قال: (معارك – حروب – مواقع)؛ لأنه كان النصر فيها حليفاً للمسلمين وترتب عليها غنائم ومن هذه الغنائم الأغنام ولأن من معاني الكلمة حسب الأصل الاشتقاقي (أوطان الغنم) فعبَّر بها تأكيداً على النصر والغنائم التي يحصل عليها المسلمون من هذه الغزوات المترتب عليها النصر المظفر. أما دلالات الكلمات الأخرى التي في معانيها فلاتحمل في طياتها أي ملمح للنصر أو التمكين؛ حيث إنها معارك تمت وحروب وقعت وربما لا ينتج عنها أي غنائم أو تنتهي برجوع الطرفين. وهذه نعمة أراد الله أن يذكِّر بها المؤمنين؛ لأن الاعتماد كان فيها على الله، أما في حنين فاعتمدوا على كثرتهم فانقلبت الموازين، وجاءت الريح بما لا تشتهي السفن. ولعل السياق استعملها هنا لأنّ الحرب تقتضي أياماً تقع فيها الحرب بل ربما تصل إلى أسابيع وشهور، والمرء إذا نزل مكاناً يقال:توطن، أو اتخذه موطناً مؤقتاً أو دائماً حسب ظروفه وحاجاته من هذا المكان فدلَّت المواطن على أيام الحروب؛ لذا استعملها السياق هنا فدلَّت على نفسها اسماً ومكاناً وموقعاً؛ ولذا اتسقت هنا في هذا المقام ولم يغن غيرها غناءها.

---

(١) سورة التوبة، آية رقم:(25).

(٢) ابن فارس.(1993م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج6.ص91.

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج15.ص338. والبيت في **ديوان طرفة**.ص41. برواية أخرى:الفرائص بدل الفوارس.

(٤) القرطبي.(1427هـ/2006م).**الجامع لأحكام القرآن**.مرجع سابق.ج4.ص3024، 3025.

57- نَجَسٌ: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[1].
والآية في الحديث عن تحريم وجود المشركين بالمسجد الحرام منه.

يقول ابن فارس: "النون الجيم والسين أصل صحيح يدل على خلاف الطهارة، وشيء نجِس ونَجَس: قذر والنجس القذر"[2]. وبلاغة التعبير القرآني تتمثل في أنه: "يجسم نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم وكيانهم. فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس، يستقذره الحس، ويتطهر منه المتطهرون!وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة، فأجسامهم ليست نجسة بذاتها. إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم"[3]، و"سُمِّيَ المشرك نجسًا لأن الشرك يجرى مجرى القذر فى أنه يجب تجنبه كما يجب تجنب النجاسات؛ أو لأنهم لا يتطهرون من الجنابة والحدث ولا يجتنبون عن النجاسة الحقيقية فهم ملابسون لها غالبا فَحُكم عليهم لِأنهم نجس بمعنى ذوى نجاسة حكمية وحقيقية فى أعضائهم الظاهرة أو أنهم نجس بمعنى ذوى نجاسة فى باطنهم حيث تنجسوا بالشرك والاعتقاد الباطل"[4]، والفريدة " يُرَادُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي الْوَصْفِ بِجَعْلِ الْمَوْصُوفِ كَأَنَّهُ عَيْنُ الصِّفَةِ. وَإِذَا وُصِفَ الْإِنْسَانُ بِأَنَّهُ نَجِسٌ أُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ شِرِّيرٌ خَبِيثُ النَّفْسِ، وَإِنْ كَانَ طَاهِرَ الْبَدَنِ وَالثَّوْبِ فِي الْحِسِّ. وَإِذَا وُصِفَ بِهِ الدَّاءُ أَوْ صَاحِبُهُ أُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ عُضَالٌ لَا يَبْرَأُ"[5]، وعليه فـ "نجس"عبّرت عن مراد السياق؛ لشمولها نوعيّ النجاسة:الحسية والمعنوية، وبالتالي كانت أنسب للمقام ولا يغني غيرها مكانها.

58، 59- جُرُف، هَارٍ: وردا في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾[6].
والآية في الحديث عن مسجد الضرار الذي أسسه المنافقون في المدينة بغرض إيقاع الفُرْقة.

يقول ابن فارس: "الجيم والراء والفاء أصل واحد هو أخذ الشيء كله هبشاً يقال:جرفت الشيء جرفاً إذا ذهبت به كله، والجرف:المكان يأكله السيل"[7].

---

(١) سورة التوبة، آية رقم:(٢٨).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج5.ص393.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج1.ص3314.

(٤) حقي.(1287هـ).**روح البيان في تفسير القرآن**.مرجع سابق.ج5.ص22.

(٥) رضا.(1990م).**تفسير المنار**.مرجع سابق.ج10.ص241.

(٦) سورة التوبة، آية رقم:(١٠٩).

(٧) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج1.ص444.

وفي الآية "إشارات هندسية إلى أساسات المباني وطبيعة البناء التي تحكم درجة صمود البنيان ومتانته أو تؤدي إلى انهياره، وتضمنت عدة إشارات تمس جانباً من علم ميكانيكا التربة والأساسات، في الهندسة المدنية والإنشائية، وبينت الآية وجهًا من أوجه الإعجاز الهندسي في القرآن الكريم، يمكن استنباطه من المفاهيم والإشارات الهندسية التالية التي وردت فيها: فلفظة (جُرُفٍ) في اللغة تعني (بئر) أو(حفرة)، وفي الهندسة: الفجوة من الأرض قد تنشأ بفعل السيول، وبالتالي لابد أن نأخذ في الاعتبار تأثير المياه على الأساسات ، وعلى تربة التأسيس ...، ولفظ (هَارٍ)في اللغة قد تأتي بمعنى مشرف على السقوط، وفي الهندسة تأتي بمعنى التربة القابلة للانهيار، فعامل نوع تربة التأسيس مأخوذ في الاعتبار. وهذا المفهوم الهندسي يتطابق مع معنى الآية، فحتى يكون الانهيار مؤكدًا لابد أن تكون التربة ضعيفة وغير قابلة للتأسيس عليها. وهكذا يتكامل اللفظان في قوله تعالى : (جُرُفٍ هَارٍ) لتجسيد المعنى وتصويره تصويرًا فنيًا بشكل ملموس في الواقع."[1]. وهذه العبارة (جرف هار فانهار) " يسميها البلاغيون بالجناس المرفُوّ"[2] تصور بالفاءات المتكررة صوت الانزلاق وبالراءات المتكررة صوت التدحرج وبالهاءت والألفات المدى البعيد في الهاوية، إنه مشهد عجيب، حافل بالحركة المثيرة ترسمه وتحركه بضع كلمات، والحركة في هذا المشهد سريعة عنيفة ، إن البنيان قائم على حافة جرف مخلخل مستعد للانهيار، إن الصوت يصوره وكأننا نبصره؛ إنه يتأرجح؛ إنه ينهار؛ إنه ينزلق؛ إنه يهوي؛ إن الهوة تلتهمه؛ يا للهول !إنها نار جهنم"[3]، ولا يخفى علينا ما في الآية من استعارة تخييلية، تؤكد المعنى وتأصل الحقيقة بما ضربته من تمثيل حي ومباشر لهذه الفئة من المنافقين، وعليه يظهر لنا سر تفرد الاسمين في السياق.

60- حَنِيذٍ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[4]. والآية في الحديث عن قصة إبراهيم – عليه السلام السلام – وبشارة الملائكة له بإسحاق ويعقوب.

---

(١) غريب، مجد متولي.(د.ت). **إشارات هندسية في آيات قرآنية**. القاهرة: دار المجد للدراسات والبحوث الهندسية.ص47

(٢) قلقيلة،عبده عبد العزيز. **البلاغة الاصطلاحية** 1992م. دار الفكر العربي.مصر.ط 3.ص339. والجناس المرفو:هو ما كان طرفه المركب مركباً من كلمة وبعض كلمة، كقول البحتري:

والمكر مهما استطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

(٣) قطب.(1402هـ). **الظلال**.مرجع سابق.ج3. ص1711.

(٤) سورة هود، آية رقم:(٦٩).

يقول ابن فارس: "الحاء والنون والذال أصل واحد وهو إنضاج الشيء، يقال: شواء حنيذ أي مُنْضَج وذلك أن تحمى الحجارة وتوضع عليه حتى ينضج" [(١)]، والحنيذ: " المشويّ مطلقاً. وقيل: المشويّ بحرّ الحجارة من غير أن تمسه النار، يقال: حنذ الشاة يحنذها: جعلها فوق حجارة محماة لتنضجها فهي: حنيذ. وقيل: معنى حنيذ: سمين. وقيل: الحنيذ: هو: السميط. وقيل: النضيج، وهو فعيل بمعنى مفعول، وإنما جاءهم بعجل، لأن البقر كانت أكثر أمواله"[(٢)]، وعلى المعنى اللغوي فهو المشوي، واستعملها السياق؛ لأن "الشيّ أسرع من الطبخ، فهو أعون على تعجيل إحضار الطعام للضيف"[(٣)] وهذا يتناسب مع ما كانت عليه طبيعة سيدنا إبراهيم- عليه السلام - من محبة للضيوف وسرعة إكرامهم، وهذا ما يؤكده الفعل "فما لبث"، والشواء هو أكثر صحةً وإفادةً من غيره من طرق الطبخ؛ حيث ينضج اللحم بطريقة صحية ويطرد دهنه وسمينه، ويبقي على عناصر اللحم ومكوناته الأساسية لينتفع منها الإنسان، وطريقة الشواء لا تحتاج إلى كبير عناء وجهد؛ حيث إن هيئة المحْنُوذِ هِيَ: "الذي يُغَطَّى بحجارةٍ أو رَمْلٍ مُحَمًّى أو حائل بينه وبيْن النَّار يغطى به"[(٤)]، وهذا ما يجعلك تلحظ سر ذكرها هنا. والشواء هي الطريقة المتبعة عند العرب وخاصة البدو منهم في طهي اللحم.

61- الرَّوْع: ورد في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾[(٥)]. والآية في الحديث عن موقف إبراهيم مع رسل الله بعد مرورهم عليه ومناقشتهم في مصير قوم لوط.

يقول ابن فارس: " (روع) الراء والواو والعين أصلٌ واحد يدلُّ على فزَع أو مُستَقَرِّ فزَع. من ذلك الرَّوْع. يقال رَوَّعت فُلاناً ورُعْتُه: أفزَعْتُه"[(٦)].

وكان أهل البداوة قديما يتوجسون خيفة ممن لا يأكل طعامهم ويفسرونه بأنه لا يريد بهم خيراً، وهذا ما قاله صاحب الظلال: " فالذي لا يأكل الطعام يريب، ويشعر بأنه ينوي خيانة أو غدراً بحسب تقاليد أهل البدو.. وأهل الريف عندنا يتحرجون من خيانة الطعام، أي من خيان ة

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص109.

(٢) الشوكاني.(1415هـ/1994م).**فتح القدير**.مرجع سابقب.ج3.ص463.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج11.ص294.

(٤) الثعالبي.(د.ت).**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**.مرجع سابق.ج2.ص233.

(٥) سورة هود، آية رقم:(74).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص459.

من أكلوا معه طعاماً! فإذا امتنعوا عن طعام أحد فمعنى هذا أنهم ينوون به شراً، أو أنهم لا يثقون في نياته لهم.. وعند هذا كشفوا له عن حقيقتهم "[١].

والخوف غالباً هو شعور طبيعي يساور الإنسان من حين لآخر، خاصة عندما يشعر بأي قلق بسيط، لا يصل إلى هذا الحد، وعادةً يكون من تعاملات تتم بين البشر، أما الروع فهو مرحلة شديدة من الفزع والرعب وهذا يتناسب مع المقام، فالأمر متعلق برسل الله ولك أن تتخيل كيف يكون بطشهم وقوتهم وهلاكهم خاصة بعدما أخبروه بأنهم في مهمة وهي هلاك قوم لوط؛ لذا ناسب الروع دون غيرها من الكلمات الأخرى التي تعطي معان ودلالات قريبة أو مشابهة منها. ولعل الرعب والفزع الذي أصاب سيدنا إبراهيم – عليه السلام – أصاب قلبه من الداخل وتستر عليه لئلا يظهر على وجهه. ولذا اختار الكلمة التي تناسب نفس حروف ومعنى القلب؛ لأن القلب في العربية:هي الرُّوع، وهذا الرَّوع. والكلمة في سياق الاستعارة المكنية وهي تفيد التشخيص والتأكيد؛ حيث شبه الروع بإنسان تملكه لفترة ثم انصرف، وفيها دلالة على قوة هذا الرعب وتمكنه منه.

62- الرِّفْدُ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾[٢]. والآية في قصة موسى– عليه السّلام – مع فرعون ومَلَئِه، وكيف يكون قائداً لقومه إلى النار يوم القيامة.

يقول ابن فارس: " (رفد) الراء والفاء والدال أصلٌ واحدٌ مطّرد مُنْقَاسٌ، وهو المعاوَنة والمظاهَرة بالعَطاء وغيره. فالرَّفْد مصدر رفَدَهُ يَرْفِدُه، إذا أعطاه. والاسم الرِّفْد.. ويقال ارتفَدْتَ من فلانٍ: أصبْتُ من كَسبه. وأُرفِدت المال: اكتسبته. والرافد: المعين، والمرْفِدُ أيضاً. ورفَدَ بنو فلانٍ فلاناً، إذا سَوَّدُوه عليهم وعظَّموه، وهو مرفَّد"[٣]. والنار أو اللعنة "هي الرفد والعطاء والمنة التي رفد بها فرعون قومه! ألم يعد السحرة عطاءً جزيلاً ورفدًا مرفودًا.. فها هو ذا رفده لمن اتبعه.. النار.. وبئس الورد المورود.. وبئس الرفد المرفود!وذلك من بدائع التعبير والتصوير في هذا الكتاب العجيب"[٤]. وقد سميت اللعنات "رفدًا تهكما بهم"[٥]. وأيضاً " سمي العذاب هنا رفداً؛ لأن هذا

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق. ج4.ص253.

(٢) سورة هود، آية رقم:(٩٩).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص347.

(٤) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص1925.

(٥) الزحيلي.(1422هـ).**المنير**.مرجع سابق.ج12.ص140.

هذا هو الذي حل محل الرفد، وهذا كما تقول:يا فلان لم يكن خيرك إلا أن تضربني أي لم يكن الذي حل محل الخير منك"[١]، وهذا هو وعد فرعون لهم، وكلمة الرفد حقيقةً لا تناسب المقام معنىً، ولكنها سيقت من أجل أن " إطلاق الرفد على اللعنة استعارة تهكمية، كقول عمرو بن معد يكرب:

(وخيل قد دلفت لها بخيل ** تحية بينهم ضرب وجيع)**[٢]

وفي حذف المخصوص بالمدح إيجاز ليكون الذم متوجهًا لإحدى اللعنتين لا على التعيين لأن كلتيهما بئيس. والمرفود :حقيقته الْمُعْطَى شيئًا، ووصف الرفد بالمرفود لأن كلتا اللعنتين معضودة بأخرى، فشبهت كل واحدة بمن أعطي عطاء فهي مرفودة. وإنما أجري المرفود على التذكير باعتبار أنه أطلق عليه رفد. وجملة {بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ}مستأنفة لإنشاء ذم اللعنة. والمخصوص بالذم محذوف دل عليه ذكر اللعنة، أي بئس الرفد هي"[٣]. وكونُ الرفد مرفوداً "من حيث أن كلَّ لعنة منها مُعِيْنةٌ ومُمِدّةٌ لصاحبتها ومؤيدةٌ لها"[٤]. وهكذا رأينا كيف يستعمل القرآن ألفاظاً لها معنى خاص بها يختلف عما وضعت له، ولكن القرآن لخصوصية السياق، وحاجة المقام يستدعيها وتجدها متسقة تماماً مع الخط الفكري للآية، والهدف المقصود منها، والتي لا يغني غيرها مكانها. وسبحان المبدع!

63، 64- دَرَاهِمَ، زَاهِدِينَ: وردا في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾[٥]. والآية في الحديث عن قصة يوسف- عليه السلام - وبيعه وبيعه بعد أن بيّن اللّه تعالى ما فعله إخوة يوسف بإلقائه في أعماق الجب (البئر) ذكر هنا طريق خلاصه من تلك المحنة عن طريق قافلة تجار ذاهبة إلى مصر، فأخذوه وباعوه فيها.

والدرهم: واحد الدراهم وهو فارسيّ معرب، والدِّرْهَم والدِّرْهِم بكسر الهاء لغتان، وهو ستة دوانق والدرهم نصف دينار وخُمسه، وكانت في الجاهلية مختلفة" [٦]. وزاهدين: يقول ابن فارس: " الزاي والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء، والزهد خلاف الرغبة ولا يقال الزهد إلا

---

(١) الأندلسي.(1420هـ).**المحرر الوجيز**.مرجع سابق.ج3.ص464.

(٢) الزبيدي،عمروبن معدي كرب.(1405هـ/1985م).**ديوان عمروبن معدي كرب**.مطاع الطرابيشي(محقق).دمشق: مجمع اللغة العربية.ط2.ج1.ص8.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحريروالتنوير**.مرجع سابق.ج11.ص325.

(٤) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج3.ص388.

(٥) سورة يوسف، آية رقم:(٢٠).

(٦) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج5.ص1918،1919.

في الدنيا والحرص عليها، وعطاء زهيد قليل" [1]. والتعبير بكلمة دراهم توحي بالقلة والخسة وهذا بطبيعة الحال لا يناسب العبد العادي فضلاً عن أن يكون ثمناً لحر، فالكلمة وإن لم يذكر العدد فيها مُمْعِنَةً في إظهار مدى خستهم فيما فعلوه مع أخيهم، وتأكد هذا الشعور بقوله تعالى معدودة، ثم بالغ بالتأكيد بذكر الجملة الحالية (وكانوا فيه من الزاهدين) وعبّر عنهم بالضمير ترفعًا عن ذكر أسمائهم بقوله مثلاً "أخوة يوسف" فهذا سيكون تشريفًا لهم، فاستعاض بذكر الضمير لحقارة وقبح ما جاءوا به. ولم يقل دنانير لأنها توحي بالكثرة والقيمة. وجملة " دراهم معدودة... "بدل وتوضيح لكلمة البخس، "والزهد هنا هو حيثية الثمن البَخْس؛ فهُم قد خافوا أن يبحث عنه أبوه أو صاحبه"[2]، وجملة (وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) أي الراغبين عنه، الضمير فيها إن كان للإخوة فظاهر، وإن كان للتجار، فزهدهم فيه لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به، مستعجل في بيعه"[3]. وكلمة (شروه) من " شَرَى الشَّيْءَ يَشْرِيهِ:بَاعَهُ وَاشْتَرَاهُ ابْتَاعَهُ، أَيْ بَاعُوهُ بِثَمَنٍ قَلِيلٍ نَاقِصٍ عَنْ ثَمَنِ مِثْلِهِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ، هُوَ دَرَاهِمُ لَا دَنَانِيرُ، مَعْدُودَةٌ لَا مَوْزُونَةٌ، وَإِنَّمَا يُعَدُّ الْقَلِيلُ، وَيُوزَنُ الْكَثِيرُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَزِنُ مَا بَلَغَ الْأُوقِيَّةَ وَهِيَ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا فَمَا فَوْقَهَا وَتُعَدُّ مَا دُونَهَا، وَلِهَذَا يُعَبِّرُونَ عَنِ الْقَلِيلَةِ بِالْمَعْدُودَةِ، وَالْبَخْسُ فِي اللُّغَةِ النَّاقِصُ وَالْمَعِيبُ، وَرُوِيَ تَفْسِيرُهُ هُنَا بِالْحَرَامِ وَبِالظُّلْمِ لِأَنَّهُ بَيْعُ حُرٍّ ...، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ وَشَرَوْهُ قَدِ اسْتُعْمِلَ بِمَعْنَى اشْتَرَوْهُ وَهُوَ مَسْمُوعٌ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُمُ اشْتَرَوْهُ مِنْ إِخْوَتِهِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ثُمَّ بَاعُوهُ فِي مِصْرَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ أَيْضًا، وَهُوَ إِدْمَاجٌ مِنْ دَقَائِقِ الْإِيجَازِ"[4]، "وَكَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَاعُوهُ مِنَ الرَّاغِبِينَ عَنْهُ الَّذِينَ يَبْغُونَ الْخَلَاصَ الْخَلَاصَ مِنْهُ لِئَلَّا يَظْهَرَ مَنْ يُطَالِبُهُمْ بِهِ لِأَنَّهُ حُرٌّ، وَالثَّمَنُ لَمْ يَكُنْ مَقْصُودًا لَهُمْ وَلِهَذَا قَنَعُوا بِالْبَخْسِ مِنْهُ"[5]، ولعل من أسباب زهدهم فيه"رداءة الثمن، أو لقصد إبعاد يوسف لا الثمن...، وقيل زهد زهد فيه السيارة لارتيابهم وشكهم فيه، أو لوصف إخوته له بالخيانة والإباق أو لعلمهم أنه حر"[6]، ومما تقدم تبين أن كلمتيّ دراهم وزاهدين لا يغني غيرهما في السياق؛ لما حوته من دلالات دلالات كان لها في المقام اتساق.

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص30، 31.

(٢) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص4384.

(٣) الزحيلي.(1422هـ). **المنير**.مرجع سابق.ج12.ص229.

(٤) رضا.(1990م).**تفسيرالمنار**.مرجع سابق.ج12.ص223.

(٥) السابق، ج12.ص224.

(٦) الرازي.(1993).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج17.ص15.

65- خُبْزاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ ﴾(1). والآية في الحديث عن قصة يوسف بعد دخول السجن ودخول فتيين معه الأول كان ساقياً والثاني خبَّازا، وكل منهما رأى رؤيا فطلبا تأويلها، ورؤيا الخباز أنه يحمل خبزاً تأكل الطير منه.

يقول ابن فارس: "الخاء والباء والزاي أصل واحد يدل على خبط الشيء باليد...ومن ذلك خبز الخباز الخبز" (٢)، والخبزة الطُّلْمَةُ، هي عجين يوضع في المِلَّة حتى ينضج والملة الرماد والتراب الذي أوقد فيه النار" (٣)، وذكر الخبز هنا؛ لأنه هو الشيء الذي رآه الخباز وكأن هناك ارتباط بين الأحلام ومهنة الإنسان، وتفردت الكلمة هنا؛ لأن القصة لم تتكرر في القرآن وكذلك اللفظ.

66- صُواعَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ ﴾(٤)، والآية في الحديث عن حيلة يوسف- عليه السلام – في إبقاء أخيه عنده.

يقول ابن فارس: " الصاد والواو والعين أصل صحيح وله بابان: أحدهما يدل على تفرق وتصدع والآخر إناء، والكلمة من الثاني ونرى ذلك في قول ابن فارس: فأما الإناء فالصاع والصواع وهو إناء يشرب به، وقد يكون مكيال من المكاييل صاعاً" (٥)، " والصاع الذي يكال به والصواع لغة فيه، وقيل إنه مصوغ من فضة مموه بالذهب"(٦)، ولعل السياق قد ذكر ذلك؛ لأنه حتى يكون يكون أقرب للصدق من حَبْك قصة السرقة، فقيل فيه أنه من فضة ومن ذهب، وبالتالي فيه من الإغراء ما يوحي بسرقته، وأيضًا هو شيء موجود أمام الناس وفي يد الكيّال، يعني يسهل سرقته بيسر دون مشقة، وإلا فكيف لأحدهم أن يدخل قصر الملك ويسرق شيئاً من الداخل وهو عليه حراس وجنود؛ لذا ناسب أن يقول الصواع لأنه في متداول السارق ويراه الجميع، وبالتالي تنطلي عليهم قصة السرقة والله أعلم. وأيضاً ناسب ذكرها؛ لأن المقام مقام وزن وكيل وتقسيم وتوزيع فلابد من آلة لإتمام كل هذه العمليات.

---

(١) سورة يوسف، آية رقم:(٣٦).

(٢) ابن فارس. **مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص240.

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج4.ص14.

(٤) سورة يوسف، آية رقم:(٧٢).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص321.

(٦) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج3.ص1247.

67- المِحال: ورد في قوله تعالى:﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾[١]. والآية في الحديث عن بعض مظاهر قدرة الله في خلقه، ومع هذا هناك من يجادل في ذات الله وفي صفاته، وفي وحدانيته.

يقول ابن فارس: "(محل) الميم والحاء واللام أصلٌ صحيح له معنيانِ: أحدهما قِلّة الخير، والآخَر الوِشاية والسِّعاية"[٢]. و يبدو أن الكلمة من الأصل الثاني، فقد جاء في اللسان يقال: " محلت بفلان أمحل إذا سعيت به إلى ذي سلطان حتى توقعه في ورطة ووشيت به"[٣].

والمحل: "المكر والكيد والشدّة والسّعاية من ناصح وغير ناصح، والمحال التدبير والمماحلة: المماكرة والمكايدة ومنه الآية"[٤].

ولقد تعددت أقوال المفسرين أيضاً في بيان معنى الآية فقيل: " إنه- سبحانه – شديد المكر لأعدائه يهلكهم بطريق لا يتوقعونه، وقيل:شديد المغالبة، وقيل: شديد الجدال......، وقيل: شديد الأخذ بالعقوبة والانتقام، وقيل: شديد الهلاك والغضب، وقيل: شديد القوة، وقيل: الكيد والحيلة لأعدائه"[٥]. والمِحال: " بكسر الميم يحتمل هنا معنيين، لأنه إن كانت الميم فيه أصلية فهو فهو فِعال بمعنى الكيد وفعله مَحَل، ومنه قولهم تمحل إذا تحيل. جعل جدالهم في الله جدال كيد لأنهم يبرزونه في صورة الاستفهام في نحو قولهم: (من يُحيي العظام وهي رميم) فقوبل بـ{شديد المحال}على طريقة المشاكلة، أي وهو شديد المحال لا يغلبونه، ونظيره ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[٦]. وقال نفطويه: هو من ماحل عن أمره، أي جادل. والمعنى:وهو شديد المجادلة، أي قوي الحجة. وإن كانت الميم زائدة فهو مفعل من الحول بمعنى القوة. .."[٧].

وبناء على ما تقدم من أقوال المفسرين فإن الكلمة لها أكثر من مدلول ومعنى تصب كلها في هدف واحد وهو المقصود من الآية، وهي إثبات قدرة الله المطلقة في قهر أعدائه والمكر عليهم وشدة البطش بهم مع التنكيل، والكلمة بمدلولها ووقعها الشديد على الأذن تتناسب مع جو الآية

---

(١) سورة الرعد، آية رقم:(13).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص243.

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج13.ص40، 41.

(٤) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج5.ص1817.

(٥) الفيروزآبادي.(1973م).**بصائر ذوي التمييز**.مرجع سابق.ج4.ص487.

(٦) سورة آل عمران، آية رقم:54.

(٧) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج7.ص426.

وكلماتها، فلقد ورد فيها الرعد وهو آلة من آلات التخويف والإنذار، ثم الملائكة الذين هم غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم، ثم الصواعق التي كانت العرب تخاف منها لما تحدثه في الحياة من تدمير وتخريب وتشريد وقتل، وجو الجدال واللجاجة والعناد من الكفار، فناسب بعد كل هذا الإتيان بلفظ(المحال)ووصفها بالشدة والحدة لتضفي جواً من الرعب والهلع والفزع في قلوب الكافرين لتردعهم عما هم فيه من كفر وصد عن آيات الله.

68- جُفَاءً: ورد في قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ ﴾(١). والآية في من قبيل ضرب الأمثلة الحسية لتوضيح الأشياء المعنوية لأخذ العبرة وفهم الموعظة وحين يضرب الله الحقَّ والباطل؛ فهو يستخلص ما يفيد الناس؛ ويُذهب ما يضرُّهم.

والجفاء: "ما نقاه السيل، وجفأ الوادي غثاءه يجفأ: إذا رمى بالزبد والقذى" (٢)، و"شاء سبحانه أن يُبيِّن لنا بالأمور الحِسِّية؛ ما يساوي الأمور المعنوية؛ كي يعلمَ الإنسانُ أن الظُّلْمَ حين يستشري ويَعْلو ويَطْمِس الحق فهو إلى زَوَال؛ مثله مثل الزَّبد"(٣)، وهذا المثل القرآني الرائع "يشبّه الباطل بالزبد الذي يطفو فوق أسطح السيول المتدفقة بالماء في الأودية الضيقة والواسعة علي حد سواء، أو بما يشبهه من الزبد الذي يطفو فوق أسطح المعادن الفلزية النفيسة والنافعة حينما يتم صهرها مع بعض المواد لتنقيتها من الشوائب العالقة بها، وفي الحالتين يتضح أن الزبد الذي يحمله السيل (غثاء السيل)، والزبد الذي يطفو فوق أسطح الفلزات المصهورة (خبث الفلزات) لاقيمة لهما، ولا فائدة في أيٍّ منهما ، وكلاهما نهايته النبذ والإلقاء.. وكذلك الباطل...!وفي المقابل يشبّه هذا المثل القرآني الحق بما يمكث في الأرض مما ينتفع به الناس في الحالتين ..."(٤)، و "ذلك مثل الحق والباطل في هذا الحياة. فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابيًا طافياً ولكنه بعد ذلك زبد أو خبث، ما يلبث أن يذهب جفاءً مطروحًا لا حقيقة له ولا تماسك فيه. والحق يظل هادئًا ساكنًا. وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات. ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الصريح، ينفع الناس"(٥)، و" لو تأملنا طريقة ذهاب الزبد نجد العلماء يقولون إنه بمجرد أن أن تهب عليه نسمات من الهواء فإن الزبد يذهب ويتطاير ويجفّ ؛ لأنه أساساً عبارة عن رغوة

---

(١) سورة الرعد، آية رقم:(١٧).

(٢) الفراء.(1983م).**معاني القرآن وإعرابه**.مرجع سابق.ج3.ص145.

(٣) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص4565.

(٤) النجار،زغلول.(2008/7/2م).**من روائع القرآن الكريم**.انظر موقع

:com.موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.www،تاريخ الزيارة:2012/7/16م.

(٥) قطب.(1402).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2054.

خفيفة أو فقاعات هواء! أي أن التعبير القرآني دقيق علمياً "(١) في اختياره لكلمة "جفاء" للتعبير عن كيفية زواله. والآية تنطوي على إعجاز علمي يتفق وقوانين فيزيائية يعرفها علماء الفيزياء ومنها قانون الكثافة.

69- رَمَادٍ: ورد في قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾(٢). والآية في الحديث عن أعمال المشركين وضرْب مثلٍ لها يؤكد فيه أن أعمالهم محبطة.

والرماد: "معروف وهو عبارة عن دقاق الفحم من حراقة النار، وما هبا من الجمر فطار دُقاقاً والطائفة منه رمادة، وعرّفه بعضهم بأنه: غبرة فيها كدرة "(٣). و" (أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) تشبيه تمثيلي، وجه الشبه فيه: منتزع من متعدد. مَثَلُ صفة أَعمالهم الصالحات كصلة الرحم والصدقة على الفقراء في عدم الانتفاع بها كَرَمادٍ (أثر النار بعد احتراقها)، أي أعمالهم كالرماد الذي عصفت به الرياح العاتية، فجعلته هباءً منثورًا، لا يُقدر عليه، لا يَقْدِرُونَ أي الكفار مِمَّا كَسَبُوا (عملوا في الدنيا) عَلى شَيْءٍ لا يجدون له ثوابا، لعدم توافر شرطه:وهو الإيمان. ذلِكَ إشارة إلى ضلالهم مع حسبانهم أنهم مُحسِنون هُوَ الضَّلالُ:الهلاك الْبَعِيدُ الغاية في البعد عن الحق"(٤). واختيار السياق للرماد فيه دقة؛ لأن ذراته لا يمكن تماسكها ولا بقاؤها على حال واحد مجتمعة، وبخاصة عند هبوب ريح عليها، فكيف إذا كانت هذه الريح عاصفة قوية عاتية تجعله هباءً منثورًا في كل اتجاه وفي كل ناحية، فلا تعطي نفس الصورة لو قال: "رمل- تراب"، والرماد هو الناتج من الفحم بعد إحراقه وبالتالي يكون أشد هشاشة وخفة وهذا كله مبالغة للتأكيد على أن أعمال الكفار الخيرية لا تغني عنهم شيئًا بل تزيد في ضلالهم. و "مشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سُدى، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها، ولا الانتفاع به أصلاً. يجسمه في هذا المشهد العاصف المتحرك، فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بددا. هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار. فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان، ولا

---

(١) الكحيل،عبد الدايم.(2011/11/7م).**حقائق علمية في آيات قرآنية**.. انظر موقع: www.kaheel7.com/ar. تاريخ الزيارة:2012/7/16.

(٢) سورة إبراهيم، آية رقم:(١٨).

(٣) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**.مرجع سابق.ج4.ص463، 464.

(٤) صافي.(1418هـ).**الجدول في الإعراب**.مرجع سابق.ج13.ص174.

تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث..، وهكذا يلتقي المشهد المصور مع الحقيقة العميقة، وهو يؤدي المعنى في أسلوب مشوق موحٍ مؤثر. ويلتقي معهما التعقيب:«ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ» فهو تعقيب يتفق ظله مع ظل الرماد المتطاير في يوم عاصف.. إلى بعيد!"[١].

70- فَرْعُهَا: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[٢]. والآية في بعد أن بيّن اللّه تعالى أحوال الأشقياء وما آل إليه أمرهم من العذاب في نار جهنم، وأحوال السعداء وإدراكهم الفوز عند ربهم، ذكر مثلاً يُبيّن حال الفريقين.

يقول ابن فارس: " الفاء والراء والعين أصل يدل على علو وارتفاع وسمو ومن ذلك الفرع وهو أعلى الشيء"[٣]،

"وفرع كل شيء: أعلاه"[٤]، ومنه يتبين أن فرع الشجرة أعلاها فاللفظة جاءت في آية ساقها مثلاً وبيانه:أن الكلمة الطيبة المذكورة في الآية هي معرفة الله – عز وجل – أو قول لا إله إلا الله، والمثل ساقه الله لشجرة موصوفة بأربع صفات وهي أنها: (طيبة وأصلها ثابت وفرعها في السماء وتؤتي أكلها كل حين)، وكانت فرعها هي ثالثها، ويؤكد بهذه اللفظة أنها مرتفعة الأغصان، وقوتها في تصاعدها يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق، كما أنها بارتفاعها هذا تكون بعيدة عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية" [٥]، وتوحي كلمة: "فرعها" بأن كلمة الحق عالية مرتفعة عن أدران الحياة وسفاسفها، لا ينال منها حاقد أو حاسد، تشق طريقها إلى العلياء دائماً غير عابئة بما يُكاد لها أو يدور حولها من جعجعة فارغة، وأقوال تافهة، فهي وُجِدَت لتكون الأولى والظاهرة، " ثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل ولا تقوى عليها معاول الطغيان–وإن خيل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان– سامقة متعالية، تطل على الشر والظلم والطغيان من عل – وإن خيل إلى بعضٍ أحياناً أن الشر يزحمها في الفضاء–

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2094.

(٢) سورة إبراهيم، آية رقم:(٢٤).

(٣) ابن فارس. **مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج4.ص491.

(٤) الفيروزآبادي.(1973م).**بصائر ذوي التمييز**.مرجع سابق.ج4.ص184.

(٥) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج17.ص328:333.(بتصرف يسير)

مثمرة لا ينقطع ثمرها؛ لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آنا بعد آن"[١]، وهذه الظلال والدلالات ما كانت لترسمها أي كلمة أخرى إلا "فرعها"؛ ولذا تفردت في سياقها.

71- لَوَاقِحَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾[٢]. والآية في الحديث عن مظاهر قدرة اللّه تعالى من خلق السموات والأرض، وإرسال الرياح لواقح، والإحياء والإماتة، ونِعَمِه المتمثلة في الماء وغيره.

يقول ابن فارس: "اللام والقاف والحاء أصل صحيح يدل على إحبال ذكر لأنثى، ثم يقاس عليه ما يشبّه منه لقاح النّعَم والشجر، أما النّعَم فَتُلَقِّحُها ذكرانها، وأما الشجر فتلقحه الرياح، ورياح لواقح: تلقح السحاب بالماء" [٣]، " أراد بعضهم أن يفسر لواقح هنا بالمعنى العلمي الذي كشف وهو أن الرياح تحمل اللقاح من شجرة إلى شجرة. ولكن السياق هنا يشير إلى أنها لواقح بالماء دون سواه «فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه» وليس هناك ذكر ولو من بعيد للإنبات حتى يكون هناك ظل في المشهد للنبات، والتعبير القرآني دقيق في رسم ظلال المشاهد من قريب ومن بعيد"[٤]، وعليه فإن وجه الإعجاز في الآية هو أن القرآن الكريم أشار إلى وظيفة هامة تقوم بها الرياح ، هذه الوظيفة هي عملية التلقيح ، يقول تعالى:﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ فتقوم الرياح بالتلقيح الريحي للنباتات – وهذا معروف سلفاً–، أما الجديد فقد كشف العلم عن نوع آخر من التلقيح– وهو المقصود من الآية – وهو " تلقيح الرياح للسحاب بمشيئة الله – تعالى– تثير السحاب بتزويد الهواء بالرطوبة اللازمة ، وإن إرسال الرياح بنوى التكثف المختلفة يعين بخار الماء الذي بالسحاب على التكثف ، كما يعين قطيرات الماء المتكثفة في السحاب على مزيد من النمو حتى تصل إلى الكتلة التي تسمح لها بالنزول مطراً أو ثلجاً أو برداً بإذن الله ، كما أن الرياح تدفع بهذه المزن الممطرة بإذن الله –تعالى– إلى حيث يشاء ، وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في أوائل القرن العشرين ، وورودها في كتاب الله بهذه الدقة والوضوح والكمال العلمي مما يقطع بأن مصدرها الرئيسي هو الله الخالق العليم ، ويجزم بأن القرآن الكريم هو كلامه– سبحانه وتعالى– كما يجزم بالنبوة والرسالة لهذا الرسول الخاتم– صلى الله عليه وسلم –، فلم يكن لأحد من الخلق أدنى إلمام بدور الرياح في حمل دقائق المادة إلى

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2098.

(٢) سورة الحجر، آية رقم:٢٢.

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص261.

(٤) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2134.

السحاب حتى تعين على تكثف هذا البخار ، فينزل بإرادة الله مطراً ، في زمن تنزل الوحي ولا لقرون متطاولة من بعده "[١]، وناسب أن تكون لواقح مع الرياح التي هي جمع؛ حيث إنها تدل على الخير ولم ترد في القرآن بمعنى الشر قط. ومن هنا تبين لنا كيف أن " لواقح" أرسلت بظلالها على النص فأكسبته دلالات جديدة ما كانت لتكون مع لفظة غيرها.

72- عِضِينَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾[٢]. والآية في الحديث عن المقتسمين وهم إما كفار مكة أو اليهود عندما قسَّموا القرآن بينهم استهزاءً به. يقول ابن فارس: " العين والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على تجزئة الشيء، ومن ذلك العِضو، وعضين:أي عضة عضة ففرّقوه آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه" [٣]، والعضة "مختلف في نقصانها أي (في الحرف الذي نقص منها)، فقيل:نقصانها الهاء ومعناه: الكذب والبهتان، وقيل: نقصانه الواو ومعناه: التفريق؛ لأن المشركين فرَّقوا أقاويلهم فيه، فجعلوه سحراً وكذباً وكهانةً وشعراً، أو أن أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعض أي فرّقوه كما تعضّى وتفرق الشاة" [٤]. و(عضين): " جمع عضة، وأصلها عضوة من عضا الشاة إذا جعلها أعضاء"[٥]، وعضين تحمل معاني أخرى كالسب المفحش، والسحر، وعليه فإن السياق قد اختارها لما تنطوي عليه من دلالات متنوعة تخدم كلها سياق الآية ومقصودها، وهذا ما لا يتأتى لغيرها من مثل: "جعلوه أجزاءً أقساماً إرباً...إلخ. وعمل الكفار يتمثل في أنهم كانوا " يُفَكِّكُونَ الْآيَاتِ وَيَفْصِلُونَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ، وَبِمَا يَفْصِلُونَ بَيْنَ الْجُمَلِ الْمُوثَّقَةِ فِي الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ فَيَجْعَلُونَ لِكُلِّ جُمْلَةٍ سَبَبًا مُسْتَقِلًّا، كَمَا يَجْعَلُونَ لِكُلِّ آيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ سَبَبًا مُسْتَقِلًّا"[٦]، واستناداً للمعنى الاشتقاقي الذي هو: الجزء والقطعة من الشيء يتضح أنها متسقة تماماً مع ما كان يفعله الكفار مع القرآن، وبالتالي لم تغن غيرها مكانها في هذا السياق.

---

(١) النجار،زغلول.(2007/4/3م).**الريح والرياح في القرآن الكريم**.انظر:com.موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.www، تاريخ الزيارة:2012/7/24م.

(٢) سورة الحجر، آية رقم:(91).

(٣) ابن فارس.(1991م). **مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج4.ص347.

(٤) الفراء.(1983م).**معاني القرآن وإعرابه**.مرجع سابق. ج3.ص186.

(٥) صافي.(1418هـ) **الجدول في الإعراب**.مرجع سابق. ج14.ص273.

(٦) رضا.(1990).**المنار**.مرجع سابق. ج2.ص10.

73- **دِفءٌ**: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[1]. والآية في الحديث عن الأنعام، وما يعود علينا منها من خير في الملبس والمأكل والمركب.

يقول ابن فارس: "الدال والفاء والهمزة أصل واحد يدل على خلاف البرد.... والدفء عند العرب هو نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها" [2]، و "ما ينتفع به من أصواف الغنم وأوبار الإبل؛ حيث الاستدفاء بذلك" [3]، وكلمة دفء: شملت كل ما يُتخذ من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، لصنع الثياب والفرش والبيوت، " وتقديمُ الدفء على المنافع لرعاية أسلوب الترقي إلى الأعلى، وخص الدفء بالذكْر من بين عموم المنافع للعناية به"[4]، ولعل هناك تقسيماً خاصاً بالآية يتمثل في الآتي: كلمة دفء عبرت عن الاستفادة الخارجية لجسم الإنسان منها، وكلمة " تأكلون " عبرت عن الاستفادة الداخلية لجسم الإنسان منها، وتوسطت كلمة منافع لأي استفادة عامة حياتية تعود على الإنسان من ورائها كالحمل والزينة...إلخ. وعليه فلم تغن غيرها غناءها في هذا السياق.

74- **البِغَالَ**: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ ﴾[5]. والآية في الحديث عن نعم الله على الإنسان بخلقه دواب الركوب وحمل الأثقال.

يقول ابن فارس: الباء والغين واللام: "يدل على قوة في الجسم، من ذلك البغل" [6]، والبغل واحد البغال التي تركب والأنثى بغلة، والبغل: هذا الحيوان السَّحَّاح الذي يركب، وهو المولد من بين الحمار والفرس"[7]، وإن ذكْر البغال كنوع من دواب الركوب والحمل في القرآن الكريم هي هي أحد مظاهر الإعجاز القرآني فيما أتبعه في سرد هذه الأنواع الثلاثة من الحيوانات: " الخيل، والبغال والحمير، وترتيب ورودها في الآية الكريمة دليل على إحكام آيات القرآن، ولهذا مغزى يتطلب منا دقة تأمل وتدبر؛ لأنه لا مبدل لكلماته- جلّ شأنه -، وقد ذكرت البغال في موضع

---

(١) سورة النحل، آية رقم:(5).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج2.ص287.

(٣) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق. ج4.ص98.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق. ج13.ص83.

(٥) سورة النحل، آية رقم:(8).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج1.ص271.

(٧) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق. ج4.ص1636.

معين في الجملة يسبقها اسم الخيل ويعقبها الحمير ، وإذا ما رجعنا إلى الحقائق العلمية لتعرفنا على مغزى هذا الترتيب في ذكر الأسماء وترتيبها على هذا النحو: فالبغل حيوان عقيم لا يلد ولا ينجب ولا يتناسل بل يتوالد من تزاوج الحصان والحمار، وهو تَوالدٌ قد يكون في الطبيعة، ويتأتى من تدبير الإنسان، لكنّه في جميع الأحوال هو خلق من نوع يختلف عن توالد وتناسل بقية أنواع الحيوان التي تتوالد من بني جنسها . وذَكَرَ -تعالى- البغال بين هذين النوعين من الحيوان اللذ ين ينجبانه، وهو الفرس من ناحية والحمار من ناحية أخرى ، أي أنه يرد في الجملة بموقع يتوسط طرفي توالده وأسباب وجوده؛ لأنها ليست جنساً بل تأتي من جنسين مختلفين"[١]. والبغال تتميز بأنها تجمع ما بين قوة الخيل وتحمُّل الحمير وقدرتها على تحمل المشاق ، وحينما ذكرت الخيل والبغال والحمير في الآية الكريمة ذكرت الغاية من خلقها وه ي الركوب والزينة، لكنّ الآية الكريمة التي تسبقها في سورة النحل تلقي المزيد من الضوء على الحكمة الإلهية من خلق هذه الحيوانات الثلاثة وأسباب ذكرها فيما خلقه تعالى من نِعَم، ونجد أنّ حمل الأثقال يرد في المقام الأول باعتبارها من حيوانات الحمل التي خُلقت لتخفف عن الإنسان مشاق ومتاعب حمل الأمتعة والبضائع تخفيفاً من الله تعالى ورأفةً ورحمةً. وعليه تبين لنا سبب تفردها هنا في هذا السياق الذي لم يكرر في القرآن.

74- فَرْثٍ: ورد في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾[٢]. والآية في أحوال الأنعام، وعظيم قدرة الله في إخراج اللبن خالصاً من بين الدم. والفرث: "السرجين أو السرقين ما دام في الكرش"[٣]. وهذه الآية من دلائل القدرة الإلهية والتوحيد ومظاهر النعم على الناس" فإننا نسقيكم مما يخرج من بطونها من اللبن الخالص من الشوائب، السائغ شربه في الحلق، فلا يغص به أحد، اللذيذ طعمه، السهل هضمه، الذي يخلقه اللّه لبنًا خالصًا وسيطًا بين الفرث (وهو الزبل الذي ينزل إلى الكرش) والدم المحيطين به، أي يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته في باطن الحيوان من بين خلاصة المأكول في الكرش والأمعاء، والدم في العروق، فإذا هضم الغذاء في المعدة صرف من عصارته دم إلى العروق، ولبن إلى الضرع، وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج، وكل منها لا يشوب الآخر، ولا يمازجه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير أو يتأثر به"[٤]. ويؤكد الدكتور/كريم حسنين إسماعيل الأستاذ بطب عين

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص4851.

(٢) سورة النحل، آية رقم:(٦٦).

(٣) الرازي.(1993م). **مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج1.ص289.

(٤) الزحيلي.(1422هـ).**المنير**.مرجع سابق.ج14.ص196.

شمس وعضو مجلس إدارة جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة على أسرار الإعجاز العلمي لاستخراج اللبن من الأنعام، ودقة اختيار السياق للفظة "فرث" في ندوة الجمعية في موسمها الثقافي السادس عشر المنعقدة بقاعة الندوات بمسجد مصطفى محمود بالمهندسين بالقاهرة يؤكد " أن عملية الإدرار معقدة لم يدرك الباحثون أسرارها إلا مؤخرًا ... وأقول:بأن اللبن المستخلص من إناث الحيوانات يسير في غدد وقنوات حتى يتجمع في خلايا الحويصلات اللبنية التي تقع فعليًا بين فرث كريات الدهن المتجمعة في تجويف الحويصلة، ودم في شبكة الشعيرات الدموية المحيطة بالحويصلة من الخارج (لبنًا) وهو مستخلص دهني(خالصًا)؛ لأن خلوصه وخروجه من الضرع يكون بواسطة الحلب ليصبح لدهنياته سائغا للشاربين. ..،وأن الفرث في اللغة هو الفتات المتناثر؛ لذا ورد في أقوال العرب(فرثت وعاء التمر)، و(فرثت الحبلى)؛ و(أفرث كبده)، و(وانفرث القوم)، والانفراث في هذه الأمثلة يؤكد معنى التفتت والانتشار. ولذا أؤكد أن البينية في الآية الكريمة فعلية وليست مجازية... كما قال عبد الله بن عباس ترجمان القرآن، فاللبن يأتي من فرث الخلية الدهنية المحاطة بأنسجة دموية، وتأخر المفعول به الثاني (لبنًا) لحكمة أن انفجار الغدد يحدث في الضرع فقط، ولا يحدث في المراحل الأولى لتحرك خلايا الحويصلات اللبنية.. وبالأخذ بالأدلة الموضوعية يمكن القول بأن (فرث) هو أدق تعبير يمكن استخدامه للدلالة على كريات الدهن المتحررة من بطانة الحويصلات اللبنية الموجودة في غدة الثدييات. "[١].

76- حَفَدَةً: ورد في قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[٢]. والآية في الحديث عن نعم الله الكثيرة من الأزواج والأولاد والبنين والطيبات من الرزق.

يقول ابن فارس: " الحاء والفاء والدال أصل يدل على الخِفَّة في العمل والتجمع، فالحفدة: الأعوان؛ لأنه يجتمع فيهم التجمع والتخفف وواحدهم حافد، ويقال عنهم: الأختان، ويقال: الحفدة:ولد الولد"[٣]، وزاد بعضهم أن الحفدة: "البنات وهن خدم الأبوين في البيت، وقيل من أعانك فهو حفدك وكل من أطاع فيه وأسرع فهو حافد" [٤]، وذكر كلمة حفدة هنا لا يغني

(١) إسماعيل، كريم حسنين.(13يونيو 2004م).**أسرار الإعجاز العلمي لاستخراج اللبن من الأنعام** .ندوة جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. الأحد 24 من ربيع الثاني 1425هـ العدد(7635).

(٢) سورة النحل، آية رقم:(72).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص84.

(٤) ابن منظور.(2000م). **لسان العرب**.مرجع سابق.ج3.ص234، 235.

غيرها مكانها؛ حيث الحديث عن الأزواج والأبناء وبالتالي لابد من أن تكتمل السلسلة فذكرها، فضلاً عن أن الإنسان يحب الذِكر والبقاء فتكون حفدة هذه حلقة اتصال للأجيال والأنساب، واستناداً للمعنى اللغوي يكونون أعواناً ورفقاءً في خدمة أجدادهم ويقدمون لهم المساعدة، وهذا ما نراه واقعاً في حياتنا اليومية، يقول ابن عاشور:" والحافد أصله المسرع في الخدمة. وأُطلق على ابن الابن لأنه يكثر أن يخدم جده لضعف الجد بسبب الكبر، فأنعم الله على الإنسان بحفظ سلسلة نسبه بسبب ضبط الحلقة الأولى منها، وهي كون أبنائه من زوجه ثم كون أبناء أبنائه من أزواجهم، فانضبطت سلسلة الأنساب بهذا النظام المحكم البديع. وغير الإنسان من الحيوان لا يشعر بحفدته أصلا ولا يشعر بالبنوة إلا أنثى الحيوان مدة قليلة قريبة من الإرضاع. والحفدة للإنسان زيادة في مسرة العائلة، قال تعالى:{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}(هود:71). وقد عملت (مِنْ) الابتدائية في (حفدة) بواسطة حرف العطف؛ لأن الابتداء يكون مباشرة وبواسطة"[١]. وقولُ القانت: «وإليك نسعى ونحفد»، أي نسرع ونكون طوع أمرك، ورهن إشارتك، وخدماً يسرعون في طاعتِك، ونلحظ أن حفدة تشمل معاني كثيرة منها:الأعوان والخدم وولد الولد والأختان والأصهار، وعليه فلا يمكن أن يؤدي لفظ آخر ما أدّاه في هذا السياق، وبالتالي تفرد في مكانه.

77- جَو: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾[٢]. والآية في الحديث عن دلالات قدرة الله – عز وجل – في خلقه ومنها الطير مذللات للطيران في الفضاء، بين السماء والأرض.

ويقول ابن فارس: " (جو)الجيم والواو شيءٌ واحد يحتوي على شيءٍ من جوانبه . فالجوّ جوّ السماء، وهو ما حَنَا على الأرض بأقطارِهِ ، والجَوّ: الهواء البعيد من الأرض ، وجو كل شيء داخله وباطنه، والجوّ: الفضاء الذي بين الأرض والسماء، وإضافته إلى السماء لأنه يبدو متّصلاً بالقبّة الزرقاء في ما يخال النّاظر"[٣].

و"موقع هذه الجملة موقع التّعليل والتّدليل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وعلى لطفه بالمخلوقات، فإنه لما ذكر موهبة العقل والحواس التي بها تحصيل المنافع ودفع الأضرار نبّه الناس إلى لطف يشاهدونه أجلَى مشاهدةً لأضعف الحيوان، بأن تسخير الجوّ للطير وخلْقَها صالحة لأن

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج13.ص176.

(٢) سورة النحل،آية رقم:(79).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.ج1.ص423.

ترفرف فيه بدون تعليم هو لطف بها اقتضاه ضعف بنيّاتها؛ إذ كانت عادمة وسائل الدفاع عن حياتها، فجعل الله لها سرعة الانتقال مع الابتعاد عن تناول ما يعدو عليها من البشر والدوابّ"[١].

وعلى هذا فإن الجو هو المسافة ما بين السماء والأرض، والفراغ الواقع بينهما، ومن عظيم لطف الله أنه خلقه خلقاً لطيفاً رقيقاً يسهل بسببه خرقه والنفاذ فيه، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكناً . وهو للطير بمثابة الماء للسمك، يسبح فيه ويصول ويجول بلا عوائق ولا موانع فهو فضاء فسيح، والكلمة لا يغني غيرها مكانها؛ لأنها المكان الوحيد الذي يمكن للطير أن تطير فيه بحرية ويظهر معها كمال قدرة الله – عزّ وجلّ –، وهذا هو المقصود الرئيس للآية.

78– ظَعْنِكُم: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ ﴾[٢]. والآية في " باقة أخرى من فضائل اللّه ونعمه على بني آدم، ذكر ما امتن به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم، من أمور أخرى غير دوابهم، من بيوت السكن المبنية من الحجارة وغيرها، والخيام أو بيوت الشعر المصنوعة من جلود الأنعام، والأصواف والأوبار والأشعار التي تصنع منها الملابس والأثاث (المفروشات) والأمتعة التي يتجر بها ويعاش من أرباحها"[٣] .

يقول ابن فارس: "الظاء والعين والنون أصل واحد يدل على الشخوص من مكان إلى مكان تقول: ظعن يظعن ظعْناً وظعَناً: إذا شخص ومنه الآية"[٤]، والظعن: سير البادية لنُجْعة، أو حضور ماء أو طلب مربع، أو تحول من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد، وقد يقال لكل شاخص لسفر في حج أو غزو أو مسير من مدينة إلى أخرى ظاعن"[٥]، وكان السياق دقيقاً في استعماله لـ "ظعنكم"؛ حيث إن الظعن هو الرحيل بالهوادج باستعمال الرواحل من الإبل والهودج لا يكون إلا على الإبل؛ حيث لا وسائل مواصلات غيرها، وهذا ما كانت عليه العرب قديماً في الترحال، ولم تغن غيرها مكانها من مثل: سفركم، تنقلكم؛ لأن الأمر ربما ينسحب على طريقة أخرى للتنقل، أمّا بهذه فتأكيد على التنقل بالرواحل وهذا ما كانوا عليه في الواقع.

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج8.ص173.

(2) سورة النحل، آية رقم:(٨٠).

(٣) الزحيلي.(1422هـ).**المنير**.مرجع سابق.ج14.ص200.

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص465.

(٥) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج8.ص253.

79- **توكيدها:** ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[١]. والآية في معرض النهي عن مخالفة العهود، ونقض الوعود، والحنث في الأيمان.

يقول ابن فارس: " (وكد)الواو والكاف والدال: كلمةٌ تدلُّ على شَدٍّ وإحكام. وأوكِدْ عَقْدَكَ أي: شُدّه"[٢]. " وكدت العهد وأكدته: وثقته وأوثقته"[٣].

"والتّوكيد: التوثيق وتكرير الفتل، وليس هو توكيد اللفظ كما توهّمه بعضهم فهو ضدّ النقض. وإضافته إلى ضمير الأيمان ليس من إضافة المصدر إلى فاعله ولا إلى مفعوله؛ إذ لم يقصد بالمصدر التجدّد بل الاسم، فهي الإضافة الأصلية على معنى اللام، أي التوكيد الثابت لها المختصّ بها. والمعنى: بعد ما فيها من التوكيد، وبيّنه قوله: {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيْلاً}"[٤].

وجاءت الكلمة متسقة تماماً مع ما كانت العرب تفعله عند إبرام العهود وتوثيق العقود، وما يحدث الآن في دنيا الناس، من توثيقها بذكر الله وتشديدها باسمه -تبارك وتعالى- من مثل: (وَاللهُ عَلَى مَانَقُولُ وَكِيْلٌ) أو(وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ شَهِيْدٌ) يعني بالإشهاد على أنفسهم، وأشهدوا الله على الوفاء به، علاوةً على العزم والتصميم عليها، أو يُطلب من المعاهدين القسم بالله عن طريق تكراره مرة ومرتين، وهذا ما يسمى بـ (توكيدها) أى: بعد توثيقها وتغليظها. وهذا ما نراه في دور القضاء والمحاكم من طلب القسم ثلاث مرات، وهذا يصبغها بالقوة والشدة كما يُفعل بالأحبال إذا أردنا بها قوة وشدة وإحكام من تكرار الفتل لها لجعلها أكثر متانةً وأشد قوة، وهذا ما يحدث مع الأيمان عند توثيقها. والآية تنطوي على تشبيه جميل ومبتكر من استدعاء صورة الأحبال وتكرار الفتل فيها لتقويتها بالأيمان عند توثيقها، وهذا يرسم صورة حسية لها لتكون قريبة من الذهن وواضحة للفهم. والآيات والأحاديث التي وردت في وجوب الوفاء بالعهود كثيرة لأهميتها وأثرها في الحفاظ على المجتمع؛ لأن الوفاء بالعهود من آكد الحقوق وأوجبها على الإنسان.
وجاءت هذه الكلمة {بعد توكيدها} بعد ذلك النهي بعدم نقض الأيمان للإشعار " بأن نقض الأيمان وإن كان قبيحاً فى كل حالة، فهو فى حالة توكيد الأيمان وتغليظها أشد قبحاً "[٥]. وكلمة

---

(١) سورة النحل، آية رقم:(91).
(٢) ابن فارس.(1991م). **مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج6.ص106.
(٣) الأصفهاني.(1412هـ). **المفردات في غريب القرآن**.مرجع سابق.ص531.
(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق. ج8.ص192.
(٥) طنطاوي.(1406هـ/1978م). **التفسير الوسيط**.مرجع سابق. ج1.ص2563.

توكيدها لم يغن غيرها مكانها من مثل: (تثبتها – توثيقها – إقرارها)؛ لأنها تعطي نفس هذه الدلالات وفوق ذلك تعطي معنى التكرار وشدة الإيثاق وهذا ما يتم فعلاً على أرض الواقع من تداخل يمين المعاهدين بعضهم البعض من أن كل طرف يقسم على ما أقسم به صاحبه ثم يعيد الآخر..وهكذا.

80، 81– أَصْوَافِها وَأَوْبَارِهَا: وردا في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتًا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1]. والآية في استعراض لبعض نعم اللّه المادية على الناس.

يقول ابن فارس: " الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح وهو الصوف المعروف والباب كله يرجع إليه"، وقال أيضاً فيما يخص الوبر: " الواو والباء والراء كلمات لا تنقاس بل هي مفردة والوبر معروف"[2]. ولقد عبر السياق هنا عن الأصواف التي هي للغنم والأوبار التي هي للإبل؛ لأن السياق سياق نعم فذكر من الأنعام ما يخص هذه النعمة من أوبار وأصواف وهذا ما قال به صاحب الظلال: " ولأن المشهد مشهد بيوت وأكنان وسرابيل، فإن السياق يعرض من الأنعام جانبها الذي يتناسق مع مفردات المشهد: «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقامَتِكُمْ، وَمِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها وَأَشْعارِها أَثاثاً وَمَتاعاً إِلى حِينٍ». وهو هنا كذلك يستعرض من نعمة الأنعام ما يلبي الضرورات وما يلبي الأشواق، فيذكر المتاع، إلى جانب الأثاث. والمتاع ولو أنه يطلق على ما في الأرحال من فرش وأغطية وأدوات، إلا أنه يشي بالتمتع والارتياح"[3]، والجزيرة العربية وقتئذٍ لم تكن بلاد قطن وكتان حتى يذكرها السياق لنا هنا، وبالتالي اكتفى فقط هنا بما كان في بيئتهم يعرفونه ويستعملونه، وعلاوةً على ذلك فإن العرب كانوا بدواً أي أهل تنقل وترحال وعدم استقرار في مكان واحد، وبالتالي لا يناسبهم إلا بيوت من جلد خفيف في الحمل سهل في التجهيز والإعداد، وإلا فالأمر سيكون بالغ المشقة إن اتخذوا بيوتاً من غيرها وبخاصة لم تكن لديهم إلا هذه الإبل والخيل والحمير كوسائل للحمل والمواصلات التي لا تقوى على حمل أكثر من طاقتها، أضف إلى ذلك أن الناس كانوا يستعملون" كلاً من الصوف والوبر؛ لأن الشُّعيرات فيها دقيقة جداً يمكن نَدْفها وغَزْلها والانتفاع بها في الفُرش والأبسطة

---

(١) سورة النحل، آية رقم:(92).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص322.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2187.

والألحفة والملابس وغيرها مما يحتاجه الناس، أما شعر الماعز فالشعيرات فيه ثخينة لا يمكن نَدْفها أو غَزْلها..)"[١]. وعليه فإن الكلمتين لم يغن غيرهما غناءهما وتفردتا هنا في هذا السياق.

82- غَزْلَهَا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾[٢].
والآية في الحديث عن بعض الفضائل التي يجب على المسلم التحلي بها، والابتعاد عن الصفات السيئة من مثل مخالفة الوعود، وضرب مثالٍ لذلك.

يقول ابن فارس: "الغين والزاي واللام:ثلاث كلمات متباينات لا تقاس واحدة منهن بأخرى، فالأولى الغَزْل يقال: غزلت المرأة والخشبة مِغزل والجمع مغازل، والثانية: الغَزَل وهو حديث الفتيان والفتيات...والثالثة: الغزال وهو معروف والأنثى غزالة" [٣]، واللفظة من الكلمة الأولى، والآية فيها تأكيد على وجوب الوفاء وتحريم النقض، والآية تنطوي على: " تشبيه تمثيلي، شبهت الذي يحلف أو يعاهد أو يبرم عقداً بالمرأة التي تغزل غزلها وتفتله محكماً، وشبه الذي ينقض عهده بعد الإحكام بتلك الغازلة إذا نقضت قُوَى ذلك الغزل فحلته بعد إبرامه، ويروى أن امرأة حمقاء بمكة كانت تسمى ريطة بنت سعد كانت تفعل ذلك، فبها وقع التشبيه"[٤]، " وكل جزئية من جزئيات التشبيه تشي بالتحقير والترذيل والتعجيب. وتشوه الأمر في النفوس وتقبحه في القلوب، وهو المقصود. وما يرضى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة الملتاثة العقل، التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه!"[٥]، "ولو دققت النظر في هذا التشبيه للحظته كما هو طابع الكثير من الصور القرآنية الكريمة مستقى من تجارب الحياة اليومية التي يخبرها الناس جميعًا من جانب، ولَلَحَظْتَهُ من جانب آخر يتسم بالوضوح و بسهولة إدراكه ذهنيًا. وهنا ما نكرر الإشارة إليه دومًا بقدر ما يتسم هذا التشبيه بوضوحه وسهولته، تجده متسمًا بالقدر ذاته من العمق والتغلغل إلى أعماق الحقيقة التي يستهدف هذا التشبيه توضيح دلالاتها، إن المسألة تتصل كما رأيت بالوفاء بعهد اللّه تعالى، وبالالتزام باليمين التي جعلت اللّه- تعالى- كفيلاً في هذه القضية أو تلك. وكما نعلم جميعًا أن الحلف باللّه تعالى مطلقًا أمر له خطورته , فإذا اقترن هذا الحلف بسلوك خاص هو العهد أو الميثاق في التعامل مع الآخرين؛ حيث إن الالتزام به يظل موضع تأكيد بالغ الأهمية.نقول: إذا اقترن الحلف باللّه تعالى مع العهد المبرم مع الآخرين، حينئذ

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص4992.

(3) سورة النحل، آية رقم:(92).

(4) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج4.ص422.

(٤) الأندلسي.(1398هـ/1977م).**المحرر الوجيز**.مرجع سابق.ج4.ص195.

(٥) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2191.

يكون الالتزام بذلك قد بلغ درجته المضاعفة في الأهمية. من هنا نجد أن النص يقدم لنا تشبيهًا يتناول بدقة ملحوظة هذا الجانب من الالتزام بالعهد و بما تترتب عليه من النتائج. إنه يشبه نقض الأيمان بأولئك الذين ينقضون الغزل بعد إبرامه. وهنا ينبغي أن نلحظ قبل متابعة أسرار هذا التشبيه بأن النص قد ذكر صفة خاصة هي (توكيد) الأيمان، وليس مجرد الأيمان، فاليمين وحدها تحمل خطورة عبادية، وتوكيدها يضاعف من هذه الخطورة، وارتباطها بالتعامل مع الآخرين يزيد من درجة الخطورة المشار إليها. والمهم بعد ذلك، أن هذه المستويات من الخطورة قد التمس النص تجسيدها، و ما يترتب عليها من النتائج في حالة عدم الالتزام بعهد اللّه تعالى، وقد التمس لها تشبيها بمغزل المرأة التي تنقض ما غزلته "[١]، وعليه فقد كانت (غزل) متسقة تماماً مع السياق فقد أعطت صورة قبيحة ومستهجنة لمن يخالف الوعد وينقض العهد بمثال حي واقعي يحدث في دنيا الناس، فلا يغني غيرها مكانها؛ لأن غزل فيها قوة وإحكام وإبرام وتهيؤ، وهذا ما نحتاجه تماماً عند توقيع العهود وتوثيق العقود، وبالتالي كانت المناسِبة والملائِمة للمقام.

83- مَوْفُورًا: ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾[٢]. والآية في قصة آدم مع إبليس، وأمر الملائكة بالسّجود، ووعيد الله لكل من إبليس ومن تبعوه النار وبئس المصير.

يقول ابن فارس: "الواو والفاء والراء كلمة تدل على كثرة وتمام، ووفر الشيء يفِر وهو موفور ووفره الله. والشيء الموفور هو الشيء التام، والجزاء الموفور هو الذي لم ينقص منه شيء"[٣]، إن جهنم مقرّكم ومأواكم وجزاؤكم جميعا تُجازون فيها جزاء وافرًا أو موفرًا أي محفوظًا كاملاً لا ينقص لكم منه شيء، "وافياً مكتملاً لا نقصَ فيه، لا من العذاب، ولا من المعذبين"[٤]. وكأن السياق هو الذي طلب اسم المفعول وبالتالي كان من الممكن أن يقول وفيرا، أو وافراً، وكأن الجزاء بنفسه من أراد أن يكون تاماً وكاملاً دون نقصٍ لقبح ما جاءوا به، و" هذا

---

(١) السامرائي.(د.ت). **لمسات بيانية**.مرجع سابق.ص63، 64.

(٢) سورة الإسراء، آية رقم:٦٣.

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج6.ص129، 130.

(٤) الشعراوي.(د.ت). **تفسير الشعراوي**. ج1.ص5262.

غاية التهديد، وفيه إشارة وبيان بألا مِراء ولا تفويتٍ، ولو أخرَّ عقوبةَ قومٍ فإن ذلك إمهالُ لا إهمال، ومكرٌ واستدراجٌ لا إنعامٌ وإكرامٌ"[1]، وبالتالي تفرد هنا ولا يغني غيره غناءه.

84- قَاصِفاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ﴾[2]. والآية في الحديث عن نعم الله على الإنسان، سواء في البر والبحر، ودلائل القدرة الإلهية، فهو تعالى الذي يزجي الفلك في البحر، وهو القادر على أن ينجي من الغرق، والقادر على الغرق والقصف، بسبب الكفر والجحود.

يقول ابن فارس: "القاف والصاد والفاء أصل صحيح يدل على كسر الشيء، والقصف: الكسر...وريح قاصف شديدة ورعد قاصف شديد الصوت، قاصفاً:أي ريحاً تقصف الأشياء وتكسرها، كما تقصف العيدان" [3]، وعبّر السياق هنا بقوله: (قاصفا من الريح) للتعبير عن التماسك والشدة والتركيز. ولم يقل الرياح المختلفة الاتجاهات لأن الاتجاه الواحد شرط من شروط القوة في قوانين الفيزياء. وكلمة قاصف تناسب "ريح"؛ لأن أي موضع في القرآن تذكر فيها الريح مفردة تكون مقترنة بالعذاب (عاصف، قاصف، عقيم، صرصر). إلا في سورة يونس في قوله تعالى: (وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيْحٍ طَيِّبَةٍ)، وسورة يوسف في قوله تعالى: (لما فَصَلَتْ الْعِيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيْحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنْدِونَ). وهذا الوصف لا يتناسب مع قوله "رياح"؛ لأنها لا تأتي إلا في سياق الرحمة (مبشرات – حاملات– مرسلات– ناشرات– ذاريات – لواقح). والريح هى حركة الهواء بسرعات كبيرة، وبنوبات دائمة ومتكررة بسرعة جدًا، وهي أنواع منها: الريح الطيبة التى تجرى بالفلك فى البحر ولاتحرك الأمواج بصورة كبيرة ومنها الريح العاصف التى تحرك الأمواج بصورة عالية تعيق جريان الفلك وتخيف راكبي البحار، ومنها الريح العاتية ذات السرعات العالية وذات قوة تدميرية متوسطة، ومنها الريح العقيم وهى ذات سرعات كبيرة جدًا وذات قوة تدميرية شاملة، وأخيراً الريح القاصف: "أي الكاسر وهي التي تكسر الشجر، والمعنى:ريحاً شديدة تقصف الفلك بسبب كفر ركابها" [4]، والقصف يوحي بالشدة والعنف وإثارة الرعب من التكسير

---

(١) القشيري،عبد الكريم بن هوازن.(د.ت). **لطائف الإشارات تفسير القشيري** .إبراهيم البسيوني(محقق).القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج4. 258.

(٢) سورة الإسراء، آية رقم:(69).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج5.ص92.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق. ج19.ص138.

والأصوات المرعبة التي تحدثها وهذا ما أراده السياق من بث الخوف والخشية في نفوس هؤلاء لعلهم يرجعون أو يؤمنون. ولذا تفردت(قاصفاً)هنا ولم يغن غيرها غناءها.

85- دُلُوك: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾[(١)]. وسياق الآية أوامر وتوجيهات وتعليمات للنبي- صلّى اللّه عليه وآله وسلّم-،بعد أن ذكر اللّه تعالى كيد الكفار واستفزازهم للرسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وما كانوا يرومونه به، أمره تعالى بالإقبال على عبادة ربه، وألا يشغل قلبه بهم. فوجّهَهُ إلى أشرف العبادات والطاعات بعد الإيمان، وهي الصلاة.

يقول ابن فارس: " الدال والكاف واللام أصل واحد يدل على زوال شيء عن شيء ولا يكون إلا برفق، يقال دلكت الشمس زالت، ويقال دلكت الشمس غابت، وقد أشار ابن فارس إلى لطيفة في هذه الكلمة في هذا الأصل تخدم بيان معناها وذلك إذ يقول: وقد تأملت في هذا الباب من أوله إلى آخره فلا ترى الدال مؤتلفة مع اللام بحرف ثالث إلا وهي تدل على حركة ومجيء وذهاب وزوال من مكان إلا مكان" [(٢)]. واستناداً للمعنى الاشتقاقي نلحظ أن الكلمة متسقة تماماً مع السياق حيث كان العرب قديماً يعرفون الأوقات من خلال حركة الشمس، وعليه لما جاء الإسلام وتم الأمر بالصلاة كانوا كذلك يقدرون مواقيت الصلاة بحركة الشمس بدءاً من الشروق وانتهاءً بالغروب ثم أكمل السياق غسق الليل إشارة إلى العشاء ثم قرآن الفجر إشارة إلى صلاة الفجر، وبالتالي جمعت الآية أوقات الصلاة الخمسة، وإنما وجّه الخطاب للنبي – صلّى اللّه عليه وآله وسلّم – والمراد أمته أيضا لمكانة المأمور به وهو الصلاة، وعند من قال بأن المراد بدلوك الشمس هو وقت الظهر يتماشى مع الحكمة من بدء السياق بها ؛ حيث يلحظ المتأمل في فَرْض الصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "يجد أن الظُّهْر هو أول وقت صَلاَّه رسول الله –صلى الله عليه وسلم-؛ لأن الصلاة فُرِضَتْ عليه في السماء في رحلة المعراج، وكانت بليل، فلما عاد – صلى الله عليه وسلم – كان يستقبل الظهر، فكانت هي الصلاة الأولى"[(٣)]. وعليه تبين سر تفرد(دلوك)في هذا السياق.

---

(١) سورة الإسراء، آية رقم:(٧٨).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص297، 298.

(٣) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص5282، 5281.

86- فَجْوَةٍ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾[١]. وسياق الآية في الحديث عن قصة أصحاب الكهف، ودخولهم في كهف للاحتماء به والاختباء فيه.

يقول ابن فارس: "الفاء والجيم والحرف المعتل يدل على اتساع في شيء، فالفجوة: المتسع بين شيئين" [٢]، والفجوة: "الفرجة والمتسع بين الشيئين، وقيل: الفجوة ساحة واسعة " [٣]، وللمفسرين في تفسير هذه الجملة قولان: "الأوّل: أنهم مع كونهم في مكان منفتح انفتاحاً واسعاً في ظلٍّ جميع نهارهم لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها، لأن الله – سبحانه – حجبها عنهم. والثاني: أن باب ذلك الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال، فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره، ويؤيد القول الأوّل قوله:{ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ}فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة إلى مكان تصل إليه عادةً أنسب بمعنى كونها آية، ويؤيده أيضاً إطلاق الفجوة وعدم تقييدها بكونها إلى جهة كذا"[٤]، وبالتالي "يأتيهم الهواء باردًا لطيفًا، أي أن الله تعالى حجب أشعة الشمس عنهم حتى لا تؤثر في رطوبة أبدانهم، ويكونوا في برودة لطيفة، وفي ذلك صلاح لأجسامهم، بإيجاد حاجب من الشمس من جهة الجنوب، ومن جهة الغرب، وهم في متسع الكهف ووسطه"[٥]، وحتى تكون آية من الله وإعجاز مع طول مدة المكث ووجودهم في وسط الكهف الذي الأصل فيه التعرض لكل ما يدخل الكهف من أشعةٍ للشمس وغيرها إلا أنهم بقوا أصحّاء، ونلحظ من خلال السياق أن كلمة (فجوة) هنا كانت ضرورية للسياق؛ حتى يتم له تحقيق المعنى الذي أراده واللفتة التي قصدها، وبدونها لن يُلتفت إلى مقصود الآية، ولذا قال ربنا بعدها: {ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ}.

86- أيقاظاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[٦]. والآية في الحديث عن أهل الكهف وأوضاعهم وصورهم وما حدث لهم داخله.

---

(١) سورة الكهف، آية رقم:(١٧).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج4.ص477.

(٣) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج6.ص2452.

(٤) الشوكاني.(1415هـ/1994م). **فتح القدير**.مرجع سابق.ج4.ص375.

(٥) الزحيلي.(1422هـ).**التفسيرالوسيط**.مرجع سابق.ج2.ص1410.

(٦) سورة الكهف، آية رقم:(18).

اليَقَظة: "التنبه والحذر، وأيقاظاً: أي متنبهين غير نائمين "[١]. ويقال: " إن الفتية ناموا وعيونهم مفتوحة لكيلا يسرع إليها البلى، فيحسب الناظر إليهم أنهم أيقاظ، .... وهم في الحقيقة نيام لكيلا يقترب منهم أحد، ولكيلا تمسهم الأيدي حتى يبلغ الكتاب أجله، فإذا نظر إليهم ناظر امتلأت نفسه منهم مهابة وخوفا"[٢]. ومعنى حسبانهم أيقاظاً: " أنهم في حالة تشبه حال اليقظة وتخالف حال النوم، فقيل:كانت أعينهم مفتوحة "[٣]، أي:" لو أتيح لك النظر إليهم لخُيِّل إليك أنهم أيقاظٌ غير نائمين ذلك لأن ربهم سبحانه حفظهم على حال اليقظة وعلى هيئتها "[٤].

وحسب كلام المفسرين بأنهم في حال نوم باطنا (حقيقة)، وظاهراً يبدون للرائي بأنهم منتبهون ومتيقظون، وهذا من حفظ الله لهم، مع وجود الكلب الذي بسط ذراعيه عند عتبة الباب زيادة في إضفاء نوع من الخوف والمهابة عليهم لينفذ قدر الله، إذن الكلمة دلّت على حالهم ظاهراً لتكون جنداً من جنود الله لهم بحفظهم على هذه الهيئة ليتحقق مراده- عز وجل- من قصتهم ويدخل الناس في دينه أفواجاً، وعبَّر معه بالفعل المضارع ليدل على استمرارية هذه الحالة ودوامهم عليها لكل من ينظر إليهم، وبقاؤهم أيقاظاً من أسباب صحتهم والحفاظ على عيونهم من الفساد والهلاك والتعفن. والآية تنطوي على إعجاز غيبي وتاريخي من حيث إنها قصة غيبية لم نرها ولم نشاهدها فضلاً عن أنها تتكلم عن حقبة تاريخية قديمة بقيت شاخصة وشاهدة إلى يومنا هذا وحتى يوم القيامة.

والآية تنطوي على ترتيب منطقي وطبيعي نلمسه في أنها " تشمل أربعة مراحل، كل مرحلة تترتب وتَنْتُج عن المرحلة التي تليها. وهذه المراحل تبدأ أولاً: حسبان الناظر إليهم أنهم في حال يقظة، والمرحلة الثانية: تقلبهم ذات اليمين والشمال، والثالثة: بسط الكلب ذراعيه بالباب ثم الرابعة وهي: رعب وخوف من ينظر إليهم وفراره منهم. وكل هذا يتعاضد لخدمة الهدف والمقصود وهو حفظهم من أي سوء أو مكروه للمدة التي أرادها الله. ومعنى الآية يقول: وتحسبهم أيقاظا وهم رقود "نتيجة" تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال (تقلباً شديدًا). وقد شكل هذا العامل- التقلب الشديد- مع عامل آخر هو كون (كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)كأنما يحرسهم من الدخلاء. تسبب هذان العاملان{التقلب، الكلب}في أنه "لو اطّلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ".. إذ لو تخيلنا دخيلا صعد إلى كهفهم في هذا المكان المقفر فوجد أول ما وجد كلبا يفاجئه

---

(١) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ص32.

(٢) حومد.(1419هـ).**أيسر التفاسير**.مرجع سابق. ج1.ص2159.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق. ج8.ص424.

(٤) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق. ج1.ص2142.

عند المدخل ليس نائما على جنبه أو متقلبا بل متحفزا باسطاً ذراعيه ، فإذا لم يخفه منظر الكلب ومد ببصره إلى الداخل لوجد منظرا عجيبا، سبعة آدميين ظاهرهم أنهم نائمون . لكنهم يتقلبون فى نومهم تقلباً ليس كتقلب النائم كما يعرف الناس ؛ إذ لو سكن هذا تقلب هذا . فيراهم نياما كالأيقاظ، يتقلبون ولا يستيقظون وهذه هيئة تثير الرعب فى قلب المطَّلع عليهم "[١]. وعليه فقد تفردت الكلمة في سياقها.

88- سُرَادِقُ: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ ﴾[٢]. والآية في التأكيد على أن للظالمين ناراً يتجرعون فيها أشد أنواع العذاب.

والسرادق: "واحد السرادقات التي تمتد فوق صحن الدار، وهو ما أحاط بالبناء، والسرادق الغبار الساطع" [٣]، ولفظ السرادق يوحي بالشمول والإحاطة الكلية لكل الأجزاء، وبالتالي نلمح سر ذكرها هنا في هذا السياق وهو أن الله - تبارك وتعالى- يقرّب العذاب للذهن بما نعرفه ونعهده في الحياة من أدوات وآلات؛ حتى لا يظن الكافر أو الظالم بأن هناك مخرجاً أو مهرباً كما أنه لا يوجد بالسرادق مخرج ولا متنفس، وبالتالي هم باقون محبوسون فيها، فليس لهم منفذ ولا طريق ولا مخلص منها، تصلاهم النار الحامية. ولا حتى فرجة ينظرون منها إلى ما وراءها من غير النار، بل هي محيطة بهم من كل الجوانب. وهذا ما يؤكده الشيخ الشعراوي قائلاً: "فكأن الله تعالى ضرب سرادقاً على النار يحيط بهم ويحجزهم، بحيث لا تمتد أعينهم إلى مكان خالٍ من النار؛ لأن رؤيته لمكان خَالٍ من النار قد تُوحي إليه بالأمل في الخروج، فالحق سبحانه يريد أنْ يؤيسَهم من الخروج"[٤]. وإيثار صيغة الماضي (أحاط) مع السرادق للدِلالة على التحقق والحدوث. ولفظة السرادق هنا فيها" تخييل لاستعارة مكنية بتشبيه النار بالدار، وأثبت لها سرادق مبالغة في إحاطة دار العذاب بهم، وشأن السرادق يكون في بيوت أهل الترف، فإثباته لدار العذاب استعارة تهكمية"[٥]. وعليه اتضح لنا سر تفرد السرادق هنا في هذا السياق.

---

(١) طلبة،هشام.(2011/9/16م). **هيئة نوم أصحاب الكهف والعلم الحديث** انظر موقع:www.quran- m.com ، تاريخ الزيارة:2013/4/20.(بتصرف).

(٢) سورة الكهف، آية رقم:(٢٩).

(٣) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج4.ص1496.

(٤) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص5394.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج15.ص75.

89- مَوْئِلاً: ورد في قوله تعالى:﴿ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴾[١]. والآية في التأكيد على أن للكافرين موعداً سيلتقون فيه بربهم.

والموئل: الملجأ، وقال الفراء: "الموئل المنجى والملجأ والمعنى واحد، والعرب تقول: إنه ليوائل إلى موضعه يريدون: يذهب إلى موضعه وحرزه" [٢]، وكلمة (موئلاً) هنا لا تغني غيرها غناءها؛ لأن من معانيها: بأنه هو آخر شيء، وهذا ما يتوافق مع مقصود الآية، وهذا ما لاتعبّر عنه كلمة: ملجأ أو منجى، لأنها تفيد التأقيت والتأجيل، وربما كان لهم فرصة أخرى أو ملجأ آخر، أما كلمة موئلاً فمعناها بأنه لا رجعة فيها وهي آخر فرصة؛ لأن الله أمهلهم كثيرًا وجعل لهم مخارج كثيرة من الإمهال وعدم الأخذ بالعذاب مباشرة، بل تأخيرهم، أما وقد كفروا وأصرّوا على ذلك فلا مآل. وقال موئلاً بدلا من مآل إمعانا في عدم رجوعهم أو إمهالهم مرة أخرى، والموئل يشمل المكان والأشخاص فلن يجدوا موئلاً من البشر ولا موئلاً من المكان فكانت أبلغ من غيرها؛ لذا تفردت في سياقها.

90- غَصْباً: ورد في قوله تعالى:﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾[٣]. والآية في تتمة قصة موسى مع الخضر، وفيها تبرير خرق السفينة من الخضر، وبيان سبب ذلك.

والغَصْبُ: " أخذ مال الغير والاستيلاء عليه قهرًا"[٤]. وجاءت هذه الكلمة هنا متسقة تماماً مع الحال والمقام والأحداث، فلم تغن غيرها غناءها من مثل: (نهباً – سرقة – اختلاساً– خطفًا)؛ لأن الغصب حسب المعنى الاشتقاقي هو: "ما أُخذ بغير الحق، عُنْوةً وقَهْراً ومُصَادرةً"[٥]، أخْذٌ بالقوة، وتحت سمع وبصر المغصوب، وفي هذه الحالة تحدث مقاومة ومشادة بين الغاصب والمغصوب، وتوحي بمدى تجبر وبطش الغاصب ومدى قوته وسطوته، فهو لا يخشى من المغصوب، ولا يتوقع منه مقاومة تذكر، وهذا يتناسب مع السياق خاصة أن الغاصب (ملك) وليس فرداً أو مجموعة مسلحة قليل عددها وعتادها، بل الأمر أكبر من ذلك بكثير، فلك أن تتوقع كيف ستكون قوته وقواته، بما يتناسب مع كلمة ملك وثقلها، وعليه فهذا الوصف للغاصب

---

(١) الكهف، آية رقم:(٥٨).

(٢) الفراء.معاني القرآن. ج2.ص148، وانظر:الصحاح. ج5.ص1838، اللسان. ج15.ص192.

(٣) الكهف، آية رقم:(٧٩).

(٤) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق. ج1.ص36.

(٥) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ص2203.

يجعلك لا تستغرب إذا قال في السياق: (غصباً) فهو ليس بحاجة إلى حيلةٍ أو تفكير أوكرٍ وفرٍ أو مراوغة للحصول على أي شيء؛ فحيث سقطت عينه على شيء وأراده، فلا رادّ لطلبه ولا معقب لأمره، أما كلمة (خطفاً- سرقة - اختلاساً...)فكلها تحتاج إلى حيلة وخديعة وتفكير وتخطيط وترتيب وإعداد..إلى غيرها من هذه الأمور، وهذا ما لا يتناسب مع الملك وما عنده من جيوش مجيشة. إذن: "خَرْق السفينة في ظاهره اعتداء على مِلْكِ صاحبها، وهذا منهيّ عنه شرعاً، لكن إذا كان هذا الاعتداء سيكون سبباً في نجاة السفينة كلها من الغاصب فلا بأس إذن، وسفينة معيبة خير من عدمها، ولو عَلِم موسى - عليه السلام - هذه الحكمة لَبادرَ هو إلى خَرْقها"[١].

91- رَدْماً: ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[٢]. والآية في الحديث عن أهل ما بين السدين، وطلبهم من ذي القرنين أن يصنع لهم سداً يحميهم من اجتياح يأجوج ومأجوج.

يقول ابن فارس: "الراء والدال والميم أصل واحد يدل على سد ثُلْمة يقال: ردمت الباب والثلمة"[٣].والردم: " السد يقال: ردمت الثلمة أردِمُها بالكسر ردماً أي: سددتها، والردم: سدك باباً أو ثلمة أو مدخلاً أو نحو ذلك، والردم السد الذي بيننا وبين يأجوج مأجوج" [٤]. والسياق هنا عبّر بقوله: (ردما) وهي لا تغني غيرها غناءها من مثل:(سداً - حائطاً - حاجزاً - ساتراً..)، ولم يقُلْ: سداً؛ لأن "السدّ الأصمَّ وما في مستواه من حائط وغيره، يعيبه أنه إذا حصلت رَجَّة مثلاً في ناحية منه ترجّ الناحية الأخرى؛ لذلك أقام لهم ردماً أي:يبني حائطاً من الأمام وآخر من الخلف، ثم يجعل بينهما ردماً من التراب ليكون السد مَرِناً لا يتأثر إذا ما طرأت عليه هِزة أرضية مثلاً، فيكون به التراب مثل«السُّوست»[٥]، التي تمتص الصدمات. وبالتالي يكون أدعى للبقاء والثبات

وعدم السقوط والانهيار" [٦]. وردماً: " أي حاجزاً حصيناً وبرزخاً متيناً وهو أكبرُ من السدّ وأوثقُ "[١]، ويقول ابن عطية: " والردم أبلغ من السد؛ إذ السد كل ما سد به، والردم وضع

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ص2203.

(٢) سورة الكهف، آية رقم:(٩٥).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج2.ص504.

(٤) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**.مرجع سابق. ج16.ص282.

(٥) السُّوسَت:هي حلقات حديدية متصل بعضها ببعض على شكل حلزوني تستعمل مع الأحمال والأثقال لمطاوعتها، فلا تنكسر ولا تنحني، مثل المطاط.

(٦) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق. ج1.ص5478.

وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه ردم ثوبه:إذا رقعه برقاع متكاثفة، بعضها فوق بعض"[٢].

91- الْمَخَاضُ: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾[٣]. والآية في ولادة عيسى وما اقترن بها من آلام الولادة.

يقول ابن فارس: " الميم والخاء والضاد: أصل صحيح يدل على اضطراب شيء في وعاء مائع، والماخض: الحامل إذا ضربها الطلق، وهذا أيضاً على معنى التشبيه كأن الذي في جوفها شيء مائع يتمخض"[٤]، والمخاض: " وجع الولادة، وكل حامل ضربها الطلق فهي ماخض" [٥]. وعبر ربُّنا بهذا اللفظ الذي لم يغن غيره غناءه؛ لأنه المناسب والموائم لحركة الطفل من خوض ودوران ولف من أجل الخروج من بطن أمه، وهذا يبدأ عندما تنتهي مدة أجله داخل الرحم، فالطفل يخوض مرحلة عسيرة من مكان ضيق إلى فضاء فسيح، فالانتقال عسير وفيه خوض والتعبير بهذه الحروف تدل على صعوبة ومشقة في أصواتها فالخاء فيها احتكاك يظهر من احتكاك هواء الحلق مع اللهاة في أعلى الحنك، واهتزازه والتي تجعلك وكأنك ترى مرحلة الخروج من الرحم الذي لازال ينقبض وينبسط ويتسع ليخرج الجنين. والآية تنطوي على أسرار بلاغية منها بأنه ساق المخاض في صورة استعارية جميلة توحي فيه بقوته وسيطرته على السيدة مريم، ليضطّرها إلى الاستناد إلى نخلة لتُخَفِّف عنها عناءه، ثم التشبيه التمثيلي الذي يشبه فيه حالة جنينها في بطنها بشيء في وسط مائع يتمخض فيه، في إشارة إلى دقة الخلق والإيجاد من العدم.

93- حَتْماً: ورد في قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[٦]. والآية في الحديث حول ورود النار وما المقصود به؟

والحتم: " إيجاب القضاء، والأمر اللازم الواجب الذي لابد من فعله" [٧]، والمعنى أنه: "وإن منكم- معشر الخلق- إلا حاضر لها، يراها المؤمن ويمر بها، والكافر يدخلها، وتنفيذ هذا أمر

---

(١) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**. مرجع سابق. ج4.ص288.

(٢) الأندلسي.(1420هـ).**المحرر الوجيز**.مرجع سابق. ج4.ص340.

(٣) سورة مريم، آية رقم:(٢٣).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج5.ص304.

(٥) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.. ج13.ص46، 47.

(٦) سورة مريم، آية رقم:(71).

(٧) الزبيدي.(1994م). **تاج العروس**.مرجع سابق. ج16، ص126، 127.

واقع حتماً، جرى به قضاء الله "[١]، وكلمة حتماً هنا لا يغني غيرها غناءها من مثل(واجباً – لازماً – ضرورياً...)؛ لأنها لا تعطي معنى اليقين الكلي والتام في حدوثها فكم من واجب يُترك، وكم من لازم يُهمل، وكم من ضروري تنتهي ضرورته، وهذا ما لا يتناسب وسياق الآية من التأكيد على أمر نافذ وواجب الوقوع، وما قد يتناسب مع البشر من أحكام وقرارات قد يعتريها التبديل والتغيير والحذف والنسخ، لا يتماشى مع أحكام وأقدار الله– عز وجل – وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالأمور الأخروية، وعليه فقد ناسبت (حتماً) قضاء الله– تبارك وتعالى–، فحكمه لا رجعة ولا استئناف ولا نسخ فيه؛ لأنه أمر منتهٍ ونافذ أو واجب التنفيذ، وهناك من أقدار الله ما يُرَدُّ لدعاء صاحبه (حديث الدعاء والقضاء) أما ما يقدره الله من أمور ثابتة وحقائق راسخة، فلا رجوع فيه؛ لذا أردف بعدها مقضيًا لأن من معانيها العلم، يقال قضيت لك بهذا أي أعلمتك به، وهو أمر أراده الله وبالتالي لا مرد لقضائه، ولا مبدل لحكمه – سبحانه–؛ لذا ناسب هذا القول في هذا السياق. يقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله–: "الحَتْم : هو الشيء الذي يقع لا مَحالةَ، والعبد لا يستطيع أنْ يحكم بالحتمية على أيّ شيء؛ لأنه لا يملك المحتوم ولا المحتوم عليه. فقد تقول لصديقك:أحتم عليك أنْ تزورني غداً، وأنت لا تملك من أسباب تحقيق هذه الزيارة شيئاً، فمَنْ يدريك أن تعيشَ لغد؟ ومَنْ يدريك أن الظروف لن تتغير وتحُول دون حضور هذا الصديق؟ إذن:أنت لا تحتم على شيء، إنما الذي يُحتِّم هو القادر على السيطرة على الأشياء بحيث لا يخرج شيء عن موارده"[٢]. و"من العجيب أن الحُكْم والفَصْل من الحق– سبحانه – يشمل كل السلطات: التشريعية والقضائية والتنفيذية، فحُكْمه سبحانه لا يُؤجَّل ولا يُتحّايل عليه، ولا تضيع فيه الحقوق كما تضيع في سراديب وأدراج المحاكم. أما حُكْم البشر فينفصل فيه التشريع عن القضاء عن التنفيذ، فربما صدر الحكم وتعطَّل تنفيذه، أما حكم الله فنافذ لا يُؤجِّله شيء"[٣].

94– ضداً: ورد في قوله تعالى: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾[٤].

والآية في ردّ اللّه تعالى على عُبّاد الأصنام الذين اتخذوا أصنامهم آلهة، ليعتزوا بها يوم القيامة.

يقول ابن فارس: "الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس، فالأولى:الضّد:ضد الشيء، وهو المقصود من اللفظة، والكلمة الأخرى:الضد:وهو الملء، والضد:كل شيء ضاد شيئاً

(١) لجنة من علماء الأزهر.(د.ت).**المنتخب**.مرجع سابق. ج2.ص15.

(٢) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1. ص5593.

(٣) السابق.ج1. ص6001.

(٤) سورة مريم، آية رقم:(٨٢).

ليغلبه"[١]. واللفظة هنا في هذا السياق تفردت؛ لأنه لا يغني غيرها غناءها؛ حيث إنها انسحبت على الفريقين فهي تستوي في التعبير عنهما تماماً بتمام فهي تنسحب على الكافرين تارة– إن أردت – وتنسحب على الأصنام التي كانوا يعبدونها، فعلى "الأول تكون الآلهةُ التي كانوا يرجون أن تكون عِزاً ضدّاً للعز أي ذلاً وهُوناً، أو تكون عوناً عليهم وآلةً لعذابهم حيث تُجعل وَقودَ النار وحصَبَ جهنم، أو حيث كانت عبادتُهم لها سبباً لعذابهم، وإطلاقُ الضدِّ على العَون لما أن عَونَ الرجل يُضادُّ عدوَّه وينافيه بإعانته له عليه، وعلى الثاني يكون الكفرةُ ضداً وأعداءً للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبُدونها. وتوحيدُ الضدِّ لوَحدة المعنى الذي عليه تدور مُضادّتُهم فإنهم بذلك كشيء واحدٍ"[٢]، فما ظنَّه الكفار عِزّاً ومَنَعة صار عليهم ضِدّاً وعداوة. ولا تعطي نفس المعنى إن قلت: (عدوًا– خصمًا)؛ لأن ضدًا أقوى من خصمًا أو عدوًا في تحقيق المعنى المراد إيصاله للقارئ لأن العدو أو الخصم ربما يصير هناك صلح بين المتخاصمين ويصيرون أحباباً أو أصحابًا، أما الضد فلا يتوقع قط أن يتفق أو يتصالح أو يتسامح مع من يقف ضده، و" حتى جرس ألفاظها يتناسب مع المقام الذي يقتضي الشد والعنف، فجاءت فاصلتها مشددة لتتماشى مع فواصل صويحباتها. مدّا. إدّا. هدّا، إزّا "[٣].

95– وَفْداً: ورد في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[٤]. وسياق الآية في بيان حال ومآل المتقين؛ حيث يقدمون على الله كما تقدم الوفود على الملوك، مع الفارق بين ملك الملوك وغيره.

يقول ابن فارس: "(وفد)الواو والفاء والدال: أصلٌ صحيح يدلُّ على إشراف وطُلوع. منه الوَافِد: القَوم يَفِدُون"[٥]. والوفد: " جمع وافد ممن يفدون على الأمراء والملوك، وقوله(وفدا) قيل: والوفد الركبان المكرمون"[٦].

والمدقق في الكلمة يجد وقعها على الأذن خفيفاً، وفي النفس لطيفاً، ومعناها أليفاً، وهي تشي باللين والرحمة والرقة والمودة والاستقبال والاستعداد من الْمُوفِد، واتسقت معها الكلمة التي قبلها وهي الرحمن لتضفي وتؤكد ظلال الرأفة والحنو والرحمات والنسمات الإلهية التي تشملهم

---

(١) الن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص360.

(٢) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج4.ص331.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2300.(بتصرف يسير)

(٤) سورة مريم، آية رقم:(85).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج6.ص98.

(٦) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج15.ص353.

وتحيط بهم، وأصوات الكلمة تؤكد هذه المشاعر الحانية والراحة النفسية التي تتملّكُك عند سماعها من واو رقيقة وفاء هادئة تتدفق منها ومع خروجها حِزَم من الأحاسيس الجياشة والعواطف المفعمة بالرقة والحميمية من المؤمنين لله – عز وجل– ومن الله لهم، فها قد جاء اللقاء المرتقب وها قد وصلوا إلى الحقيقة المطلقة التي طالما اشتاقوا إليها وتخيلوها في أيامهم ولياليهم الخوالي ألا وهو الله، فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، مع ألف المد التي تعطيك ظلاً ومداً صوتياً يتماشى مع ما هم فيه من رحمات وأنس وفرحة أثناء سيرهم إلى الرحمن وكأنهم بهذه الألف لا يريدون أن ينتهي هذا الموقف، وكما يحدث معنا في هذه الحياة إذا راقك موقف لا تود أن ينتهي لجمال ما فيه ولاستمتاعك به، وكأنك تسايرهم في هذا المشهد المهيب النديِّ الرخيِّ، الذي لا تسمع فيه صخباً ولا ضجيجاً، ولا غمغمة ولا همهمة، فالأمور هادئة وقد عُرِفت النتائج وكُشفت الحقائق، فليس هناك فزع ولا فجع من مصير ولا من حساب أو عقاب.

ومن الأعراف في دنيا الناس أنه من تمام النخوة وكمال الشهامة أنه منْ ينزل ضيفاً عند أحد فله على المضيف إكرامه وحسن استقباله، وإعداد النُزُل له، وإلباسه من الحُلَل، وإطعامه من أفضل الأُكُل. فكل هذا الكرم يحدث في حياتنا الدنيا فكيف بمن ينزل على الله ضيفاً، أو يغدو إليه وفداً فهذا نعيم ما بعده نعيم، وهذا ما أعده الله للمتقين في الجنات، وللزيادة في هذا النعيم اختار السياق أسلوب الإلتفات من المتكلم (في نحشر) إلى الغائب في الرحمن (حيث إن الاسم الظاهر يقوم مقام ضمير الغائب) اختار هذا الأسلوب فذَكَر الاسم الدال على عموم الرحمة ، وعلاوة على ذلك أن كلمة (الرحمن) تحمل في طياتها البشرى بالرحمة والمغفرة والاطمئنان ، وتبعث في قلبهم من الرجاء، وحسن الظن بالوافد إليه، وبالتالي يفدون إليه واثقين من فضله، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه ، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله فتوجهوا إلى ربهم محسنين الظن به، وبالإضافة إلى ذلك لم يختر السياق كلمة (إلينا) لأنها لا تتسق وسياق الآية، فتشعر معها بأنه مازال المصير مجهولاً، ويتبعها قلق وخوف واضطراب في المشاعر وعدم استقرار، فضلاً عن أن السياق القرآني استعمل (إلينا) في سياقات العذاب والغلظة والغضب والشدة والجزاء والعقوبة[1]، وهذا ما لا يتفق ومقصود الآية. وبهذا تكون قد تفردت الكلمة هنا في هذا السياق ولم يغن غيرها مكانها من مثل:(جماعات– مجموعات– فِرق–...).

---

(١) انظر:سورة يونس(23، 70)، الأنبياء(93)، القصص(39)، المؤمنون(115)، العنكبوت(57)، لقمان(23)، الغاشية(25)تجد في كل ذلك أن(إلينا)استعملت في غير سياق الرحمة.

95- إدّاً: ورد في قوله تعالى:﴿ لَقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾[1]. والآية في تبيين أمر هؤلاء الكفار الذين جعلوا لله البنات والأبناء، وبيان مدى جرمهم وشناعة قولهم، وعظيم إفكهم.

يقول ابن فارس: " أما الهمزة والدال في المضاعف فأصلان أحدهما: عِظَم الأمر وشدته وتكرره، والآخر: المشدد، والكلمة من الأصل، والإدُّ: الشيء العظيم"[2]، والإدة: " الداهية والأمر العظيم الفظيع المنكر" [3]. وكلمة (إداً) لا يغني غيرها غناءها؛ لأن الإدَّ في كلام العرب: أعظم الدواهي، وما قالوه في حق الله لا شيء أشنع ولا أفظع منه؛ لأن"اتخاذ الولد له مقاصد، فالولد يُتخذ ليكون لك عِزْوة وقوة؛ أو ليكون امتداداً لك بعد موتك، والحق – سبحانه وتعالى- هو العزيز، الذي لا يحتاج إلى أحد، وهو الباقي الدائم الذي لا يحتاج إلى امتداد. إذن: فاتخاذ الولد بالنسبة لله- تعالى – لا عِلةَ له، كما أن اتخاذ الولد لله -تعالى- ينفي سواسية العبودية له- سبحان"[4]؛ لذا جاءت الكلمة معبرة تماماً عما أراداه السياق، والكلمة فيها من التشنيع والتفظيع ما لا تؤديه لفظة غيرها، ويظهر هذا من تشديد الدال، وما تحدثه من ثقل عند النطق بها، وكسر الهمزة قبلها. "والكلام جار على المبالغة في التهويل من فظاعة هذا القول؛ بحيث إنه يبلغ إلى الجمادات العظيمة فيغير كيانها، فتكاد السماء تتفطر، والجبال تخر، والأرض تنشق"[5]، وهي" ردٌّ لمقالتهم الباطلةِ وتهويلٌ لأمرها بطريق الالتفاتِ المنبيءِ عن كمال السخطِ وشدةِ الغضب المفصِح عن غاية التشنيعِ والتقبيحِ، وتسجيلٌ عليهم بنهاية الوقاحةِ والجهل والجراءة"[6]، ويعضد من الجو النفسي للسياق " جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو:جو الغضب والغيرة والانتفاض!وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية، والمساس بقداسة الذات العلية، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة من يحبه ويوقره، هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال. والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاف. وما تكاد الكلمة النابية تنطلق: «وَقالُوا:اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً» حتى تنطلق كلمة التفظيع والتبشيع: «لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا» ثم يهتز كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر، ويغضب الكون كله لبارئه. وهو

---

(١) سورة مريم، آية رقم:(٨٩).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج1.ص11.

(٣) الزجاج.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه**.مرجع سابق.ج3.ص346.

(٤) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**. مرجع سابق.ج1.ص5618.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج16.ص85.(بتصرف يسير)

(٦) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج4.ص333.

يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته وتجافي ما وقر في ضميره وما استقر في كيانه وتهز القاعدة التي قام عليها واطمأن إليها"[١].

97- رِكْزًا: ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[٢]، والآية في الإنذار بإهلاك المشركين كما أهلك من قبلهم من الأمم.

والركز: "الصوت الخفي، وقيل: هو الصوت ليس بالشديد، وقيل: هو صوت تسمعه من بعيد نحو: ركز الصائد إذا ناجى كلابه...."[٣]، و" أصلُ الرِكْز هو الخفاءُ ومنه رَكَز الرمحَ إذا غَيَّب طرفه في الأرض، والرِّكازُ المالُ المدفونُ المخفيُّ، والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يُرى منهم أحد، ولا يسمع منهم صوت خفي" [٤]، واستناداً للمعنى الاشتقاقي سنجد أن الكلمة لا يغني غيرها غناءها؛ حيث دلّت على الخفاء والفناء والتغييب من هذا الوجود كما يُخفى ويُغيَّب رأس الرمح في الأرض، فدلت على دلالتين طلبهما السياق، فأدّت معنى الصوت الخفيف الذي لا يكاد يسمع وفي الوقت نفسه دلّت على معنى الفناء والهلاك. و"دل ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكلية، والأقرب في قوله: أَهْلَكْنا أن المراد به الانقراض بالموت"[٥]. والآية انطوت على ملمح بلاغي وهي الكناية وهي: "كناية عن اضمحلالهم؛ كني باضمحلال لوازم الوجود عن اضمحلال وجودهم"[٦]. والكلمة وردت في مشهد صاخب وهادىء في الوقت نفسه "يبدؤك بالرجة المدمرة، المدمرة، ثم يغمرك بالصمت العميق. وكأنما يأخذ بك إلى وادي الردى، ويقفك على مصارع القرون وفي ذلك الوادي الذي لا يكاد يحده البصر، يسبح خيالك مع الشخوص التي كانت تدب وتتحرك، والحياة التي كانت تنبض وتمرح. والأماني والمشاعر التي كانت تحيا وتتطلع، ثم إذا الصمت يخيم، والموت يجثم، وإذا الجثث والأشلاء والبلى والدمار، لا نأمة. لا حس. لا حركة.لا صوت (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ؟) انظر وتلفت (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً) تسمّع وأنصت. ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب. وما من أحد إلا الواحد الحي الذي لا يموت"[٧].

---

(١) قطب.(1402هـ). **الظلال**.مرجع سابق. ج4.ص2320، 2321.

(٢) سورة مريم، آية رقم:(٩٨).

(٣) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق. ج3.ص880.

(٤) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق. ج4.ص335.

(٥) الرازي.(1993م). **مفاتيح الغيب**.مرجع سابق. ج21.ص568.

(٦) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق. ج16.ص99.

(٧) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق. ج4.ص2322

98- الثَّرَى: ورد في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾[1]. والآية في الحديث عن اتساع ملك الله ليشمل كل شيء، وتفرده به سبحانه، وقدرته وملكوته.

والثرى: "التراب الندى، وقيل هو التراب الذي إذا بل لم يصل طيناً لازباً " [2]. وكلمة الثرى هنا في هذا السياق لا يغني غيرها مكانها؛ حيث دلّت على كل ما في باطن الأرض من ثروات ومعادن وأحجار كريمة وغيرها مما يحويه باطن الأرض، ولا تعطي نفس هذه الدلالات لو قال مثلاً (التراب) حيث سينصرف العقل إلى أشياء محدودة، وكان لابد من ذكره؛ لأنه من مفردات الكون ومن تكويناته، إضافةً إلى ذلك أن السياق عبر بكل الأمكنة المتاحة والمشاهدة، فبدأ بالسماوات وليس فوقها شيء فقال ما فيها، ثم قال الأرض وما فيها، ثم عبر بالفضاءات التي بينهما وبالتالي كان ولابد من ذكر"وما تحت الثرى"؛ لأن للأرض جوفاً فعبر بظروف المكان فوق وبين وأكمل بكلمته وما تحت الثرى وبالتالي لم يترك سؤالاً لسائل "ومابال ما تحت الثرى" وفيه إشارة لاتساع ملك الله وامتلاكه له – سبحانه – فقط دون غيره مالك الملك، وفيها إيحاء بكمال عظمة الله – تعالى– فهو المالك والمتصرف في كل هذا الكون من سموات وأراضين ومابينهما وما تحتهما وما فيهما. و"الحق– تبارك وتعالى– يمتنُّ بما يملكه سبحانه في السموات وفي الأرض وما تحت الثرى، والله تعالى لا يمتنُّ إلا بملكية الشيء النفيس الذي يُنتفع به. وكأنه – سبحانه – يلفت أنظار خَلْقه إلى ما في الكون من مُقوِّمات حياتهم المادية ليبحثوا عنها، ويستنبطوا ما ادَّخره لهم من أسرار وثروات في السموات والأرض، والناظر في حضارات الأمم يجد أنها جاءت إما من حَفْريات الأرض، أو من أسرار الفضاء الأعلى في عصر الفضاء. ولو فهم المسلمون هذه الآية منذ نزلت لَعلموا أن في الأرض وتحت الثرى وهو: (التراب)كنوزاً وثروات ما عرفوها إلا في العصر الحديث بعد الاكتشافات والحفريات، فوجدنا البترول والمعادن والأحجار الثمينة، كلها تحت الثَّرى مطمورةً تنتظر مَنْ يُنقِّب عنها وينتفع بها"[3]. وفي الآية الكريمة "إشارة الي مركزية الأرض من الكون، وإلي وجود حياة مزدهرة في قطاع التربة، وهي حقائق لم تكن معروفة لأحد من الخلق غير رسول الله – صلي الله عليه وسلم– في زمن الوحي, ولا لقرون متطاولة من

---

(١) سورة طه، آية رقم:(٦).

(٢) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج2.ص95، 96.

(٣) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1. ص5636.

بعده، وتظل مجهولة لغالبية الناس في زمن تفجر المعارف العلمية الذي نعيشه اليوم" [١]. و" ذكرُ الثرى مع دخوله تحت ما في الأرض لزيادة التقريرِ"[٢]، وهكذا رأينا كيف أن السياق يستدعي المشاهد الكونية ليستخدمها في التعبير لإبراز معنى الملك والإحاطة في صورة يدركها التصور البشري. وعليه فكان لزاماً أن يذكر الثرى؛ لأنها من مفردات تلك المشاهد.

99- نعليك: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾[٣]. وسياق الآية هو نداء الله ومناجاته لسيدنا موسى- عليه السلام - وابتداء الوحي إليه وأمره بخلع نعليه في الوادي المقدس. والنعل: "الحذاء وهو ما وقيت به القدم من الأرض" [٤]. والأمر بخلع النعل دعوة لاحترام البقعة فهو بالواد القدس؛ وحيث إنك به " فاخلع حذاءك لأن ذلك أبلغ في التواضع، وأقرب إلى التشريف والتكريم، وحسن التأدب، إنك بالوادي المطهر المسمى طُوىً من أرض سيناء"[٥]. والسر في ذكر النعل هنا دون غيره وعدم طلب الله - تبارك وتعالى - من سيدنا موسى أن يخلع مثلاً غطاء الرأس أو غيره؛ لأن من العادة عند الدخول على الملوك والأمراء يتم التجرد من الزينة والسلاح وغيرها إجلالاً وتعظيمًا، وهذا ما حدث مع سيدنا موسى فليس بغريب أن يتم هذا أو يطلب ربنا منه هذا، ولأن البقعة طاهرة ومقدسة، والنعل مما يظن أن يعلق به أوساخ أو أقذار أو أتربة؛ لأنه لصيق بالأرض وخاصة الأرض صحراء وقيعان وغيرها وبالتالي أدعى أن يخلع مثل هذا حفاظًا على طهارة وقدسية المكان، وتكريماً للموقف. "وخلع النعل بمثابة الدخول في مرحلة جديدة، ألا وهي التكليف وتحمل مسئولية الرسالة، فيجب أن يخطو في الأرض بمنتهى الخضوع والتواضع، وفيه إشارة للاستعداد والتهيؤ، والخلع: فصل شيء عن شيء كان متصلاً به وإنما أمره الله بخلع نعليه تعظيمًا منه لذلك المكان الذي سيسمع فيه الكلام الإلهي، ويقال الإشارة في الأمر بخلع النعلين تفريغ القلب من حديث الداريْن، والتجرد للحقِّ بنعت الانفراد"[٦]. وإضافةً إلى ذلك فإن فيه إيحاء بالانفصال عن مرحلتين من حياة موسى- عليه

---

(١) النجار، زغلول. **من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**.انظر موقع: comمنتدى أنصار السنة.www..تاريخ الزيارة:2012/8/31م.

(٢) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج4.ص341.

(٣) سورة طه، آية رقم:(١٢).

(٤) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج5.ص1831.

(٥) الزحيلي.(1422هـ). **المنير**.مرجع سابق.ج16.ص189.

(٦) ابن عاشور.(2000م). **التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ص103.

السلام- الأولى وهي حياة العمل والزواج والإنجاب، والثانية:هي حياة الدعوة والجهاد . ومن هنا اتضح لنا سر تفرد النعلين هنا.

100- السَّاحِلِ: ورد في قول الله تعالى: ﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾[١]. والآية في مشهد الإلقاء في البحر وهو نهر النيل، والمنن التي منَّ الله بها على موسى- عليه السلام -.

يقول ابن فارس: "السين والحاء واللام ثلاثة أصول:أحدها:كشط شيء عن شيء والآخر من الصوت، والآخر من تسهيل الشيء وتعجيله" [٢]، والكلمة من الأصل الأول؛ " فقد نقل ابن فارس عن ابن دريد قوله: "ساحل البحر مقلوب في اللفظ وهو في المعنى مسحول؛ لأن الماء سحله، والساحل: شاطيء البحر...وقد ساحل القوم إذا أخذوا على الساحل" [٣]، وعلى هذا المعنى فإن السّاحلَ هو المنطقة من اليابس التي تُجاورُ بَحْرا أو نهراً؛ لأن الماء يسحله أي يقذفه إلى أعلاه، ولقد عبَّر السياق به هنا تحديداً للأمر لليم بأن يأخذ الصندوق هناك؛ "حيث كان قصر فرعون على هذا الساحل، ولا يبتعد به إلى مكان بعيد، والمراد ساحل معهود، وهو الذي يقصده آل فرعون للسباحة؛ لأنه أيسر أن يروه ويظهر أمامهم لالتقاطه" [٤]. وعليه نجد أن الساحل تفرد هنا لدلالته مكاناً وموقعاً واشتقاقاً عما أراده السياق.

100- لِحْيَتِي: ورد في قوله تعالى:﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓ ﴾[٥]. والآية في معاتبة موسى لهارون على تأليه قومه العجل وإلقائه في البحر، وعدم منعهم من ذلك، ودفاع هارون عن نفسه بعد أن أخذ موسى بلحيته وبرأسه.

يقول ابن فارس: "اللام والحاء والحرف المعتل:أصلان صحيحان أحدهما عضو من الأعضاء والثاني قشر شيء، واللحى:العظم الذي تنبت عليه اللحية، من الإنسان وغيره.... واللحية: الشعر وجمعها لِحيً، واللحية معروفة وهي: اسم يجمع من الشعر ما نبت على الخدين والذقن"[٦]، لقد عبّر السياق بكلمة (لحية)؛ لأنها لايغني غيرها غناءها؛ فعندما قال: لا تأخذ

---

(١) سورة طه، آية رقم:(٣٩).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص140 .

(٣) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج5.ص1727.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج16. ص117، 118.

(٥) سورة طه، آية رقم:(٩٤).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.ج5.ص240.

برأسي وكان قصده الشعر، وهنا قال: ولا بلحيتي وكان قصده الوجه ولعله من الأَوْلَى- قياساً على الرأس- أن يقول: (لا تأخذ بوجهي)على الرغم أن اللحية تدخل جملةً تحت الوجه، فأعرض عن الوجه وذكر اللحية؛ ولعله بهذا يُذَكِّرُهُ بأنه لا يجوز ما تفعله هذا؛ لأنه أمسك بأشرف شيء؛ فاللحية رمز الوجاهة والشرف، وهي زينة الرجل وزمام حسده، ومما يفتخر بها الرجال؛ وكما أن الرجل الأمرد عيب ومذمة، فكذلك اللحية كانت ممدوحة ومفخرة، فمعنى أنه يمسكها في حالة غضب فكأنه يُذهب بهيبته ويقلل من وضعه ومقامه ومكانه بين الناس، وأيضاً لما قال: برأسي زيادةً وإمعاناً في لفت نظره إلى التوقف؛ لأن الرأس هامة الإنسان وموضع شرفه ومبدأ جسمه فلم يقل شعري بالرغم من أنه يقصده ولكن عبر بالرأس واللحية لأنهما مما يُرفع بهما قدر الرجل ومما يفتخر به أمام الناس، ولعله تذكير له بما يفعل وما يمسك لعل هذا يهدِّيء من وطأة غضبه وحدته؛ لأن المرء غالبًا في حال الغضب لا يعي ما يفعل أو يقول. " وعطف الرأس على اللحية لأن أخذه من لحيته أشد ألما وأنكى في الإذلال"[١]. و"لما شعر هارون بقسوة أخيه عليه لم يملك إلا أن يستجيش في نفس أخيه عاطفة الأخوة والرحمة بهذا النداء الرقيق موضحاً له حقيقة موقفه في آخر الآية"[٢] . وهكذا رأينا كيف أن السياق استغل التعبير بحركة جر الرأس بإضفاء الكثير من الدلالات التي تنسحب على موسى من جهة غيرته لله التي تملّكَتْه، ومن جهة هارون في تلمسه وتودده لأخيه بطلب الكفّ عن أخذ لحيته ورأسه. وهذا ما لاتضفيه غيرها من الكلمات.

101- زُرْقاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[٣].

والآية في الحديث عن أحداث يوم القيامة، وإظهار حال وجزاء المعرض عن القرآن.

والزُّرْقَة: "هي اللون المعروف، والمقصود بالآية: أي زرق الأبدان، وذلك غاية في التشويه، وغالباً ما تزرق الأبدان في حالات الاختناق لنقص الأكسجين، وهنا نتيجة الحشر الشديد المصحوب بالخوف الذي لا أمل للنجاة من مسبباته"[٤]، ولفظة زرقاً هنا لا يغني غيرها مكانها؛ حيث إنها متسقة تماماً مع السياق والحال، ويظهر هذا من كلام الشيخ الشعراوي قائلاً: " والزُّرْقة هي لونهم، كما ترى شخصاً احتقن وجهه، وازرقَّ لونه بسبب شيء تعرَّض له، هذه الزُّرْقة نتيجة لعدم السلام والانسجام في كيماوية الجسم من الداخل، فهو انفعال داخلي يظهر أثره على

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج16.ص171.

(٢) الأنصاري،يوسف عبد الله.(2010/12/5م).**من بلاغة التصوير والحركة في القرآن الكريم**.انظر موقع: www.uqu.edu.sa.page/ar/83181. تاريخ الزيارة:2012/9/9م.

(٣) سورة طه، آية رقم:(102).

(٤) البسومي.(1991م). **معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ج1.ص25.

البشرة الخارجية، فكأن هَوْلَ القيامة وأحداثها تُحدِث لهم هذه الزرقة"[١]. وعلاوةً على ذلك العيون "إنما جعلوا كذلك لأن الزُّرقةَ أسوأُ ألوانِ العين وأبغضُها إلى العرب فإن الرومَ الذين كانوا أعدى عدوِّهم زُرقٌ، ولذلك قالوا في صفة العدو: أسودُ الكبد وأصهبُ السِّبال وأزرقُ العين، أو عُمياً لأن حدَقةَ الأعمى تزرقّ "[٢]. وأيضاً فإن اللون الأزرق "يدل على عدم كفاءة التنفس ، وهو ما يعرف باسم Cyanosis فعندما لا يحمل الدم كميات كافية من الأوكسجين تقل نسبة الهيموجلوبين المحمل بالأوكسجين Oxyhemoglobin وتزيد نسبة الهيموجلوبين المحمل بثانى أوكسيد الكربون، و هو ما يؤدى إلى ظهور اللون الأزرق على الجلد وحين نفحص مريضًا يشتكى من مرض صدرى يجب أن ننظر إلى لون شفته و الجزء الأسفل من لسانه، ومتى رأينا اللون الأزرق فإنه يدل على تأثر وظيفة الجهاز التنفسى تأثيرًا سلبيًا ، ولعل سبب زرقة المجرمين يوم القيامة عدم قدرتهم على التنفس بطريقة طبيعية "[٣]، وهذا بسبب ما هم فيه من حنق وغيظ وندامة وشدائد وأهوال.

102- صَفْصَفًا: ورد في قوله تعالى:﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾[٤]. والآية في الحديث عن أحوال الأرض والجبال والناس يوم القيامة، فبعد أن وصف الله تعالى أهوال يوم القيامة، حكى سؤال من لم يؤمن بالحشر عن مصير الجبال، ثم ضم إليه بيان حالة الأرض حينئذ.

والصَّفصف: "المستوي من الأرض لانبات فيه" [٥]، وصفصفا لا تغني غيرها غناءها؛ لأنك عند التدقيق في الكلمة تجد جزيئاتها مكونة من جزأين وهما عبارة عن صف صف أي متساوية إلى حد بعيد والكلمة توحي بالدلالة على استوائها واصطفافها التام بشكل بديع ليس فيه بروز ولا نتوء ولا ارتفاع ولا انخفاض وفيها إيحاء بطلاقة قدرة الله من تصريف وتدبير لكل مظاهر الطبيعة؛ وليثبت للكفار أصحاب السؤال عن هذه الجبال التي ظنوا أنها ستعجز الله في القضاء عليها والتصرف فيها، وبالتالي أعجزهم الله بهذا الكلام، الذي لا يجدون معه رداً، ومن معاني صفصفا: أي ملساء، وفيها إمعان بإظهار الاقتدار المطلق، وإن قدرة الله لا حدود لها.

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص5758.

(٢) أبو السعود.**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج4.ص384.

(٣) النجار. زغلول.(2007/8/2م).**من أسرار الألوان في القرآن الكريم**.com.موسوعة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.www، تاريخ الزيارة:2012/8/4م.

(٤) سورة طه، آية رقم:(106).

(٥)مجمع اللغة العربية.(2004م). **المعجم الوسيط**. مرجع سابق.ص516.

و(صفصفا): أي "مستويا كأن أجزاءها على صف واحد من كل جهة"[١]، وجاءت تأكيداً للتي قبلها، وبهذا تكون قد تفردت في هذا السياق.

103- أَمْتاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[٢]، وسياق الآية هو السابق نفسه من وصف للأرض والجبال وما تكون عليه كل منهما يوم القيامة.

قال ابن فارس: " الهمزة والميم والتاء أصل واحد لا يقاس عليه وهو الأمْت، وذكر الآية، والأمت هو أن يغلظ مكان ويرق مكان" [٣]، واستناداً إلى المعنى الاشتقاقي، سنجد أن كلمة أمتاً هنا لايغني غيرها غناءها، وهذا لأن الله تدرج في وصف قدرته على الجبال من النسف أي جعلها حبات ذر صغيرة تتطاير، ثم يجعلها مستوية ملساء، وما بقي إلا أن تكون مستوية حتى في السُّمْكِ والحجم، فهي على درجة واحدة في الشكل والمستوى والحجم، فلا ترى أيّ تعرج لا انخفاض فيها ولا ارتفاع فهي مستوية تمامًا لا مجال لنتوءات ولا سهول ولا هضاب ولا وديان ولا منخفضات ولا اعوجاج ولا غيره. وبهذا كله يكون قد بُهِت الكافرون، ولا يجدون لأنفسهم عزماً ولا صرفاً.

104- همساً: ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[٤]. وسياق الآية هو: العرض وهوله وأحداث يوم القيامة، من اتباع الأوامر دون معارضة ولا مراجعة، والسكوت التام، والصمت الرهيب المخيم على الموقف.

قال ابن فارس: " الهاء والميم والسين: يدل على خفاء صوت وحسّ منه، والهمس: الصوت الخفي، وهمس الأقدام: أخفى ما يكون من وطء القدم "[٥]، والمعنى أن الأصوات سكتت سكتت وصمتت رهبة وخشية لسماع قول الله - عزّ وجلّ-، ولعله من هول ما ترى، وعبر بالهمس هنا لاتساقه مع السياق فالكلمة لا يغني غيرها غناءها؛ حيث الشدة والهول والفزع الذي ينمحي معه كل شيء، وبالفعل نرى هذا في حياتنا اليومية عند نزول البلاء أو سماع خبر قاسٍ أو حدوث مصيبة وعندئذٍ لا يملك الإنسان أن يعبر قط بل ربما يخرس من هول الصدمة والمفاجأة، وأكّد هذا الإمام الشعراوي-رحمه الله-بقوله:" ونعرف أن كل تجمُّع كبير لا تستطيع أنْ تضبط

---

(١) حقي.(1287هـ).**روح البيان في تفسير القرآن**.مرجع سابق.ج8.ص190.

(٢) سورة طه، آية رقم:(107).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج1.ص137.

(٤) سورة طه، آية رقم:(108).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج6.ص66.

فيه جَلبة الصوت، فما بالك بجَمْع القيامة من لَدُنْ آدم عليه السلام حتى قيام الساعة، ومع ذلك ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ فلماذا كتمت هذه الأصوات التي طالما قالتْ ما تحب، وطالما كان لها جلبة وضجيج؟ الموقف الآن مختلف، والهَوْل عظيم، لا يجرؤ أحد من الهَوْل على رَفْع صوته، وكُلُّ شخص منشغل بحاله، مُفكّر فيما هو قادم عليه، فإنْ تحدّثوا تحدّثوا سِرّاً ومخافتة: ماذا حدث؟ ماذا جرى؟ وكذلك نحن في أوقات الشدائد لا نستطيع الجهر بها"(١)، "وإسناد الخشوع إلى الأصوات مجاز عقلي، فإن الخشوع لأصحاب الأصوات؛ أو استعير الخشوع لانخفاض الصوت وإسراره، وهذا الخشوع من هول المقام"(٢). والهمس هو رد فعل طبيعي جداً ومناسب للمقام والحال؛ حيث لا يجرؤ أحد على رفع الصوت بل لا يملك ولا يمكن لما يدور حوله من فظائع فَكُلُّ شخص يترقب مصيره ويتوقع مستقبله، وينشغل بحسابه، وإن كان من تنفيس أو استفسار فلا يكون إلا همساً؛ لشدة الموقف.

105- ضنكاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(٣). والآية في بيان وعيد المعرض عن القرآن وسائر كتب الله المنزلة.

يقول ابن فارس: " الضاد والنون والكاف لهما أصلان صحيحان وإن قلّ استعمالها في فروع ومعانٍ أخرى، فالأول: الضيق والآخر المرض"(٤)، والضنك: الضيق من كل شيء"(٥). وكلمة وكلمة ضنكا جاءت معبرة تماماً عما أراده السياق، فلا يغني غيرها مكانها؛ حيث تُجَسِّدُ جزاء الْمُعْرِض عن الله من خلال حروفها وأصواتها، فتشعرك بالظلمة والانغلاق والانسداد، فحروفها لاتكاد تفتح معها فمك، بل كلها تتم من خلال ضرب اللسان بجميع أجزائه سقف الحنك، وكأنه ينسجم تماماً مع مدلول الكلمة في الواقع من ضيق في الرزق والصدر والحياة...إلخ. فضلاً عن أن الله سيحشره أعمى عن الحجة التي تنقذه من العذاب، بسبب إعراضه في الدنيا عن الآيات البينات التي تهديه إلى سبيل الرشاد. أضف إلى ذلك أن له في هذه الدنيا عيشًا ضيقًا، ومعيشةً شديدة منغصة، إما بشح المادة وإما بالقلق والهموم والأمراض. وكلمة ضنكا هي كلمة

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص5765.

(٢) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج17.ص184.

(٣) سورة طه، آية رقم:(124).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص374.(بتصرف يسير)

(٥) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج4.ص1598.

تشمل كل معاني الضيق والحزن والهم والكد والحسرة والألم، وتعني الضيق في كل شئ ومن كل شئ في شتى مناحي الحياة، وليس فقط في الصدر بل في الرزق والنفس والبيت وفي كل شئ!. فإنه يحيا حياة لا سعادة فيها، فلا يقنع بما قسم الله، ولا يستسلم إلى قضاء الله وقدره، حتى إذا كان يوم القيامة جاء إلى موقف الحساب مأخوذاً بذنبه، عاجزاً عن الحجة التى يعتذر بها أمام ربه، " والحياة المقطوعة الصلة باللّه ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع. إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال باللّه والاطمئنان إلى حماه. ضنك الحيرة والقلق والشك. ضنك الحرص والحذر:الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت. ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت. وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب اللّه. وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.. إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولا وعرضا وعمقا وسعة، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان"[١].

106- زَهْرَةَ: ورد في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾[٢]. والآية في توجيه سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم - وكل المسلمين إلى الاعتبار بهلاك الأمم الماضية وعدم الالتفات إلى متعهم.

يقول ابن فارس: " الزاي والهاء والراء أصل واحد يدل على حسن وضياء وصفاء...وزهرة الدنيا:حسنها، وقيل:غضارتها وحسنها وبهجتها ومتاعها وزينتها"[٣]، ولقد برع السياق في استدعاء هذا الوصف لمتع الكافرين وما هم فيه ظاهراً من نعيم، كزهرة جذابة لامعة نضِرة سرعان ما يذبل ورقها ويذهب ريحها، فهي صورة بديعة فريدة في مكانها، ولا يغني غيرها غناءها، وللتدليل على زوال متع الكافرين ساق لفظ (زهرة)؛ لأن فيها " إشارة إلى سرعة النهاية والحياة القصيرة، وهي زَهْرة لحياة دنيا، وأيّ وصف لها أقل من كَوْنها دنيا؟ وهذا الذي أعطيناهم من متاع الدنيا الزائل فأخذوا يزهُون به، وما هو إلا فتنة واختبار"[٤]، "والزهرة سريعة الذبول على ما بها من رواء وزواق. فإنما نمتعهم بها ابتلاء «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» فنكشف عن معادنهم، بسلوكهم مع هذه النعمة وذلك المتاع. وهو متاع زائل كالزهرة سرعان ما تذبل«وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى» وهو رزق للنعمة لا للفتنة. رزق طيب خير باق لا يذبل ولا يخدع ولا يفتن. وما هي دعوة للزهد في طيبات الحياة،

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج1.ص2355.

(٢) سورة طه، آية رقم:(١٣١).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص31.

(٤) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص5807.

ولكنها دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية وبالصلة باللّه والرضى به. فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتزازها بالقيم العليا، وتبقى دائما تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار"(١).

107- رَتْقاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾(٢). والآية في توبيخ آخر للمشركين على عدم تدبر آيات الكون الدالة على وجود الإله الواحد، وضرب مثالاً لذلك بالتفكر في خلق السموات والأرض.

الرَّتْقُ: " الضم والالتحام، وهو ضد الفتق، ومعنى الآية أن السموات والأرض كانتا منضمتين إلى بعضهما لا فرجة بينهما"(٣). وما عليه أكثرُ المفسرين: " إن السمواتِ كانت رتْقاً مستويةً صُلبة لا تمطر والأرضُ رتْقاً لا تُنبت ففتق السماءَ بالمطر والأرضَ بالنبات"(٤)، "والإخبار عن السماوات والأرض بأنهما رتق إخبار بالمصدر للمبالغة في حصول الصفة. ثم إن قوله تعالى: {كَانَتَا} يحتمل أن تكونا معا رتقًا واحدًا بأن تكون السماوات والأرض جسمًا ملتئمًا متصلاً. ويحتمل أن تكون كل سماء رتقا على حدتها، والأرض رتقا على حدتها وكذلك الاحتمال في قوله تعالى: {فَفَتَقْنَاهُمَا}. وإنما لم يقل نحو:فصارتا فتقًا، لأن الرتق متمكن منهما أشد تمكن كما قلنا ليستدل به على عظيم القدرة في فتقهما، ولدلالة الفعل على حدثان الفتق إيماء إلى حدوث الموجودات كلها وأن ليس منها أزلي"(٥). وعليه فإن كلمة الرتق تعبر تعبيراً حقيقياً عما كانت عليه السموات والأرض قبل الفصل بينهما، وإن كُنَّا لم نرَ ولم نكن في ذلك الوقت إلا أن السياق قرّب لنا هذه العملية بألفاظٍ قريبة من أفهامنا لنتصور كيف كان على حسب قدراتنا العقلية والبشرية المحدودة، وعليه فلم تغن غيرها مكانها؛ لأن الرتق لا يكون إلا بين شيئين ملتصقين، وهذا ما كانت عليه السموات والأرض ففصل الله بينهما برفع السماء إلى حيث هي، وإقرار الأرض في مكانها. "وقد يشير القرآن أحيانا إلى حقائق كونية كهذه الحقيقة التي يقررها هنا: «أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» ونحن نستيقن هذه الحقيقة لمجرد ورودها في القرآن. وإن كنا لا نعرف منه كيف كان فتق السماوات والأرض. أو فتق السماوات عن الأرض. ونتقبل النظريات

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق. ج4. ص2357.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم:(٣0).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ج1.ص21.

(٤) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج4.ص411.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج17.ص40.

الفلكية التي لا تخالف هذه الحقيقة المجملة التي قررها القرآن. ولكننا لا نجري بالنص القرآني وراء أية نظرية فلكية، ولا نطلب تصديقا للقرآن في نظريات البشر. وهو حقيقة مستيقنة!وقصارى ما يقال: إن النظرية الفلكية القائمة اليوم لا تعارض المفهوم الإجمالي لهذا النص القرآني السابق عليها بأجيال"(١).

108- نَفْحَةٌ: ورد في قوله تعالى:﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾(٢). والآية في الحديث عن المعرضين عن آيات الله وشعورهم وندمهم يوم القيامة عما فرطوا فيه في حياتهم الدنيا.

يقول ابن فارس: "النون والفاء والحاء: أصل يدل على اندفاع الشيء أو دفعه، ونفحت رائحة الطيب نفحاً: انتشرت واندفعت" (٣). والكلمة جاءت في سياق عذاب وهي في أصل وضعها تأتي في سياق الرحمة أو العطاء أو الخير، كما نقول في كلامنا نفح فلان لفلان من عطائه، ولكن سيقت لغرض بلاغي ولعله السخرية والتهكم كما هو شأن القرآن مع المعاندين والمتكبرين كما يقول: "فبشرهم بعذاب أليم" وعليه فهذا أسلوب بلاغي عالٍ ورفيع، ونفحة من العذاب:قطعة منه، والنفحة دفعة. والكلمة فيها إشارة بالمس واللمس الخفيف، كما أن النفحة هي التي تحمل لك رائحة الورد الطيبة فهي لا تحمل لك الورد نفسه بل يظل الورد كما هو ولكن رائحته فقط، كذلك هذه المسَّة من العذاب، إنها مجرد رائحة عذاب، وليس العذاب نفسه، كما نقول لَفْحُ النار الذي نشعر به، ونحن بعيدون عنها، ومع قلة النفحة إلا أنهم يجأرون منها، والكلمة هنا لا تغني غيرها مكانها؛ لأنها حققت المعنى الدلالي المطلوب منها في هذا السياق وهو ذِكْرُ الشيء اليسير الذي لا يكاد يُحَسُّ، مع تغليفه بلون من الامتهان والازدراء، وهذا ما لا تحققه كلمات مثل: "جزء- بعض...إلخ. وهذا ما يؤكده صاحب التحرير قائلاً: " وفي مادة النفح أنه عطاء قليل نزر، وبناء المرة فيها، والتنكير، وإسناد المس إليها دون فعل آخر أربع مبالغات في التقليل، فما ظنك بعذاب يدفع قليله من حل به إلى الإقرار باستحقاقه إياه وإنشاء تعجبه من سوء حال نفسه "(٤).

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2367.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم:(46).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص458.

(٤) ابن عاشور.(2000م). **التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج17.ص59.

109- حَدَبٍ: ورد في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾[1]. والآية في الحديث عن علامات يوم القيامة ومنها خروج يأجوج ومأجوج.

يقول ابن فارس: "الحاء والباء أصل وهو ارتفاع الشيء، فالحدب ما ارتفع من الأرض....والحدب في الظهر"[2]، ولقد ذكر السياق هنا كلمة حدب؛ لأنه طلبها وتعليل ذكرها هنا دون غيرها؛ لأنها عبرت من المقصود دلالةً وموقعاً؛ حيث يقول الشيخ الشعراوي: " الحدب: المكان المرتفع، نقول: فلان أحدب الظهر يعني: في ظهره منطقة مرتفعة، وكذلك هؤلاء المفسدون أتوْا من أماكن مرتفعة في هضبة شمال الصين"[3]. و" الحدب:كل متسنم من الأرض كالجبل والظرب والكدية والقبر ونحوه. وقالت فرقة المراد بقوله، (وهم): (يأجوج ومأجوج)؛ لأنهم يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الأرض"[4]، وعليه تفردت هنا كلمة "حدب"ولم تغن غيرها غناءها.

110- هَامِدَة: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ ﴾[5]. والآية في الاستدلال بخلق الإنسان والنبات على البعث والنشور، عن طريق ذكر مراحل نمو الإنسان وتطوره إلى موته.

يقول ابن فارس: "الهاء والميم والدال: أصل يدل على خمود شيء، وهمدت النار: طفئت ألبتة، وأرض هامدة لا نبات بها، ونبات هامد: يابس"، "وأرض هامدة: أي جافة ذات تراب، مقشعرة لا نبات فيها إلا اليابس المتحطم"[6]، والكلمة هنا في هذا السياق لا يغني غيرها مكانها؛ مكانها؛ حيث إن الهمود درجة بين الحياة والموت. وهكذا تكون الأرض قبل الماء، وهو العنصر الأصيل في الحياة والأحياء. فإذا نزل عليها الماء «اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ»، وهي "حركة عجيبة سجّلها القرآن قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تتشرب الماء وتنتفخ فتربو ثم تتفتح بالحياة عن النبات «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ». وهل أبهج من الحياة وهي تتفتح بعد الكمون، وتنتفض بعد الهمود؟ وهكذا يتحدث القرآن عن

---

(١) سورة الأنبياء، آية رقم:(٩٦).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص36.(بتصرف)

(٣) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص5944.

(٤) الأندلسي.(1420هـ).**المحرر الوجيز**.مرجع سابق.ج4.ص473.

(٥) سورة الحج، آية رقم:(5).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج6.ص65،.

القرابة بين أبناء الحياة جميعًا، فيسلكهم في آية واحدة من آياته. وإنها للفتة عجيبة إلى هذه القرابة الوثيقة. وإنها لدليل على وحدة عنصر الحياة، وعلى وحدة الإرادة الدافعة لها هنا وهناك. في الأرض والنبات والحيوان والإنسان"[١]، ولم يقل ربنا وترى الأرض ميتة، لأنه لو قال هذا إذن فقد ماتت كل عناصر الحياة ولن تنبت بعد اليوم بل قال هامدة وهي منزلة بين الحياة والموت وبالتالي جاء التعبير عنها معبرًا ومتسقاً تماماً؛ ومن ثم فإنها حين وجدتْ عنصرًا واحدًا من عناصر الحياة اهتزت ونمت وربت وأنبتت مباشرة فيَالَدقة التعبير القرآني!

111- عِطْفِهِ: ورد في قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٢]. والآية في النضر بن الحارث، وكيف كان جداله وطعنه في آيات الله لاوياً عنقه مرحاً وتعظماً.

يقول ابن فارس: "العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على انثناء واعوجاج، يقال: عطفت الشيء إذا أملته وانعطف إذا انعاج...... ويقال: للجانبين العطفان سُميا بذلك؛ لأن الإنسان يميل عليهما، ألا ترى أنهم يقولون: ثنى عطفه إذا أعرض عنك وجفاك" [٣]، والتعبير بالحركة هنا من بلاغة القرآن الكريم؛ حيث تنطوي الآية على كناية صريحة عن التكبر والخيلاء والتمثيل له بقوله: (ثانِيَ عِطْفِهِ)متكبرًا عن الإيمان، معرضًا عن القرآن كفرًا وتعظمًا، و"ثَنَى الشيء يعني: لَواه، وعِطْفه: يعني جَنْبه، والإنسان في تكوينه العام له رأس ورقبة وكتفان، وله جانبان وظَهْر، وهذه الأعضاء تُؤدِّي دَوْراً في حياته وحركته، وتدلّ على تصرفاته، فالذي يجادل في الله عن غير علم ولا هدى ولا كتاب منير يَثْني عنك جانبه، ويَلْوي رأسه؛ لأن الكلام لا يعجبه؛ ليس لأن كلامك باطل، إنما لا يعجبه؛ لأنه أفلس وليست لديه الحجة التي يواجهك بها، فلا يملك إلا هذه الحركة. والمجادل بالباطل، أو المجادل بلا علم ولا حجة عنده تراه يكابر ليأخذ آخر ما عند خَصْمه، ولو كان عنده علم وحجة لأنهَى الموقف دون لجج أو مكابرة. والقرآن الكريم يعطينا صورة لهذا الجدل والإعراض عن الحق، فيقول سبحانه:"{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ }"[٤] . والقرآن يعطينا التدرج الطبيعي للإعراض عن الحق الذي يبدأ بلَيِّ الرأس، ثم الجانب، ثم يعطيك دُبُره وعَرْض أكتافه، هذه كلها ملاحظ للفرار من الجدل، حين لا يقوى على الإقناع. ثم يقول سبحانه:{ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2411.

(٢) سورة الحج، آية رقم:(9).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج4.ص351.

(٤) سورة المنافقون، آية رقم: (5).

الله..}هذه عِلَّة ثَنْي جانبه، لأنه يريد أنْ يُضل مَنِ اهتدى، فلو وقف يستمع لخَصْمه وما يلقيه من حجج ودلائل لانهزم ولم يتمكّن من إضلال الناس؛ لذلك يَثْني عِطْفه هَرَباً من هذا الموقف الذي لا يَقْدر على مواجهته والتصدي له"[١]؛ ولذا ناسب العذاب في الدنيا سلوكه فيها، فكان الكبر وعوقب بالخزي، "والله لا يدع المتكبرين المتعجرفين الضالين المضلين حتى يحطم تلك الكبرياء الزائفة وينكسها ولو بعد حين. إنما يمهلهم أحيانا ليكون الخزي أعظم، والتحقير أوقع. أما عذاب الآخرة فهو أشد وأوجع:«وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ». وفي لحظة ينقلب ذلك الوعيد المنظور إلى واقع مشهود، بلفتة صغيرة في السياق، من الحكاية إلى الخطاب:«ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»وكأنما هو اللحظة يلقى التقريع والتبكيت، مع العذاب والحريق"[٢]. وعليه فإن كلمة " عطفه " هنا في هذا السياق لا يغني غيرها غناءها وتفردت فيه.

112- الْمَجُوسَ: ورد في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[٣]، والآية في الحديث عن فصل الله بين الأمم المختلفة في العقائد وغيرها، وإظهار المبطل من المحق.

يقول ابن فارس: " الميم والجيم والسين كلمة ما نعرف لها قياساً، وأظنها فارسية" [٤]، و كلمة "مجوس من الكلمات المعربة، عربت عن لفظة"مغوس" " Maghos"، الفارسية التي تعني "عابد النار" وهي من الألفاظ التي دخلت إلى اليونانية كذلك، حيث وردت لفظة Magi، فيها، وهي جمع "مجوس" "Magus". وقد دخلت إلى لغة "بني إرم". أيضاً. ولا ندري اليوم على وجه صحيح من أي طريق دخلت لفظة"مجوسي"و"مجوس" إلى العربية، عن الفرس أنفسهم، أو عن اليونانية أو عن طريق لغة "بني إرم"!وقد عرف علماء اللغة بأن لفظة "مجوس" من الألفاظ المعربة. وقد ذهبوا إلى أنها معربة عن الفارسية القديمة. ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في أصل اللفظة وفي بيان معناها، وذهبوا في ذلك مذاهب، وبعض هذه التفسيرات والتأويلات مفتعل يدل على عدم وقوف أصحابها على جلية الموضوع" [٥]. وعلة ذكرها هنا في السياق؛ لأن المقام مقام فصل بين كل الديانات التي كان عليها الناس في القدم بالتالي كان لِزاماً ذكر هذا الصنف من البشر وما

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص5985.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج1.ص2411،2412.

(٣) سورة الحج، آية رقم:(17).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص298.

(٥) السامرائي.(د.ت). **لمسات بيانية**.مرجع سابق.ص67

يعتقدون به، وهذا مطلق العدل وهو أن يساوي بين أهل الكتاب وغيرهم في القضاء والحكم وعند الفصل كأنهم سواسية، ثم يظهر تباعاً من المحق ومن المخطئ"لئلا يكون للناس على الله حجة.

113– مَقَامِعَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٍ ﴾[1]. والآية في بيان عذاب أصحاب الجحيم يوم القيامة.

قَمَع: "ضرب، والمِقْمَعة: العمود من حديد، يضرب بها الإنسان على رأسه، والجمع مقامع"[2]، وسميت المقامع مقامع؛ " لأنها تقمع المضروب، أي تذله. قال ابن السكيت: أقمعت الرجل عني إقماعاً: إذا اطلع عليك فرددته عنك{كُلَّمَا أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا } أي من النار{أُعِيدُواْ فِيهَا} أي في النار بالضرب بالمقامع"[3]، والكلمة هنا لا يغني غيرها غناءها؛ حيث عبّرت تعبيراً حياً وواقعياً عن جنس العذاب وطريقته؛ لأنهم يحاولون الخروج مراراً وتكراراً فليس لهم إلا هذه السياط التي تردهم ثانيةً ويقال: ذوقوا عذاب الحريق، وكأن الآية التي سبقتها وهي﴿ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴾ تكلمت عن العقوبة البدنية الداخلية، وهذه تتحدث عن العقوبة الخارجية الظاهرية فكان لابد من ذكر المقامع، وهي السياط التي يضرب بها البدن من الخارج، عند الهروب وغيرها. وكأن مقامع تتناسب مع آخر كلمة في الآية التي سبقتها وهي الجلود، وبالفعل لا يضرب بالمقامع إلا الجلود والأجساد فهي لا تقع إلا على الأعضاء الخارجية للجسم، وقوله بأن هذه المقامع من حديد ليتناسب مع شدة حرارة النار التي لا يستقيم معها أو لا يطيق حراراتها إلا الحديد. والكلمة فيها من الترويع والتهويل والتشديد ما فيها؛ حيث يجتمع فيها حرف القاف الجهرى وتظهر فيه القوة والعنف الذي سيكون عليه العقاب هناك. "إنه مشهد عنيف صاخب، حافل بالحركة، مطوّل بالتخييل الذي يبعثه في النفس نسق التعبير. فلا يكاد الخيال ينتهي من تتبعه في تجدّده"[4]، وعليه تفردت كلمة مقامع هنا في هذا السياق.

---

(١) سورة الحج، آية رقم:(21).

(4) البسومي.(2001م). **معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ج1.ص41.

(5) الشوكاني.(1415/1994). **فتح القدير**. مرجع سابق.ج5.ص104.

(٤) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج1.ص4974.

115،114- ضَامِرٍ،عَمِيقٍ: وردا في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾[١]. وسياق الآية في تلبية نداء إبراهيم- عليه السلام- وقدوم الحجاج إما راجلين أو راكبين نوقهم الضامرة التي أتعبها طول السفر وبعده.

يقول ابن فارس: "الضاد والميم والراء أصلان صحيحان أحدهما: يدل على دقة في الشيء، والآخر: يدل على غيبة وتستر، فالأول قولهم: ضمر الفرس وغيره ضموراً وذلك من خفة اللحم وقد يكون من الهزال"، "ويقول في عميق: " العين والميم والقاف: أصل ذكره ابن الأعرابي قال: العمق إذا كان صفة للطريق فهو البعد، وإن كان صفة للبئر فهو طول جرابها" [٢]، ومن العجب أن هذه الآية على تنطوي إ شارة لطيفة فى القرآن المعجز الموحى منذ أكثر من 14 قرناً مضت يتنبأ فى هذه الآيه بحقيقة علمية وكذا نبوءة بانتشار الإسلام فى شتى بقاع الأرض وهي أولاً: "لتفهموا اللفتة الإعجازية تأملوا معي المعنى اللغوى لكلمة فج وعميق، فج فى اللغة الواسع البعيد الممتد ومنها قوله تعالى: ﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾[٣]، والآن انظر معى إلى لفظة عميق ألا ترى أنها تشير إلى كروية الأرض فمثلاً فى أقصى الأرض بعيدًا عن مكة المكرمة مع كروية الأرض ستجد أن البقعة المقصودة بلد تقع بعيدًا عن مكة المكرمة ولو نظرت إليها من أعلى الكرة الأرضية لوجدت أن الحاج الذى يأتى من هذه البلدة ي أتى من مكان بعيد وعميق أيضا مع استدارة الكرة الأرضية وأيضاً أنها نبوءة بانتشار الإسلام فى شتى بقاع العا لم ونحن نرى فى موسم الحج الناس يأتون من كل بقاع العا لم فمن كان يتصور هذه الآيةِ منذ 14قرناً أنها تصف المستقبل وبنظرة من أعلى كوكب الأرض "[٤]. والعميق: البعيد إلى أسفل لأن العمق البعد في القعر، فأطلق على البعيد مطلقا بطريقة المجاز المرسل، أو هو استعارة بتشبيه مكة بمكان مرتفع والناس مصعدون إليه. وقد يطلق على السفر من موطن المسافر إلى مكان آخر إصعاد كما يطلق على الرجوع انحدار وهبوط"[٥]، وعميق أبلغ من بعيد لأن الفج العميق معناها البعيد الغائر في الأرض لكثرة الغابرين، وبما أن الكعبة في منتصف الكرة الأرضية أي في العمق لا الأطراف كان

---

(١) سورة الحج، آية رقم:(٢٧).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص371.

(٣) سورة نوح،آية رقم: (20).

(٤) الكحيل.عبد الدايم.(2009/5/25م).**من أسرار الأرض في القرآن**.انظر موقع: www.منتديات أتباع الإسلام.com، تاريخ الزيارة:2012/9/13م.

(٥) ابن عاشور.(2000م). **التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج17.ص177.

التعبير بعميق أولى، ويبين الدكتور راتب النابلسي سر اختيار السياق لعميق مع أن المنطق يقول بعيد، فيقول: "وهذا يعني أن الأرض كرة، كلما ابتعدت عن نقطة الكرة نشأ بُعد نحو الأسفل، بُعد غير بُعد المستقيم "من كل فج عميق" والعمق يتنامى مع البُعد على سطح الكرة، أجل فلو أخذت سنتيمتراً على سطح كرة يكون خطاً مستقيماً، أما لو أخذت خمسين سنتيمتراً وهي كرة كبيرة صار الخط منحنياً، إذن العمق يتنامى مع البُعد" [١]، وهذا تكون الآية قد انطوت على إعجاز علمي رائع أكَّده التعبير الدقيق بكلمة (عميق). وبالتالي تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها مكانها. وذكر السياق (**ضامر**) وهي أنسب لما سبقها من كلمات؛ وهذا لأن الطريق بعيد إذن لابد وأن يجهد البعيرَ السيرُ فيضمر من الجهد والجوع، و"فج عميق وإن كان المقصود به البعد لكن كلمة العمق أدل على المشقة حتى كلمة فج أشق من كلمة طريق؛ لأن كلمة فج أصلها طريق في الجبل، وفج: هي طريق وعر في الجبل والجبل فيه صعود ونزول، فإذن فج وعميق كلتاهما تدعو إلى الضمور، إضافة إلى أن الحج ارتفاع، أليس ارتفاعاً إلى الحسنات ورفعة في المقام!فـ (يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)يصعدون إلى الأعلى"[٢]، وعليه فقد تفردت الكلمتان هنا في هذا السياق ولم يغن غناءها غيرهما.

116- تَفَثَهُم: ورد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[٣]. والآية في بيان مكانة البيت الحرام، وبعض من أعمال الحجيج من طواف وذبح وحلق وغيره. و التَّفَثُ: " الوسخ والأدران، والتفث في مناسك الحج:ما كان من نحو قص الأظافر والشارب وحلق الرأس والعانة"[٤]. و" تقول العرب لمن تستقذره:ما أتفثك: أي: ما أوسخك. والحاج أشعث أغبر، لم يحلق شعره، ولم يقلم ظفره، فقضاء التفث: إزالة هذه الأشياء ليقضوا تفثهم، أي:ليزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلق، وقص الشارب، ونتف الإبط، والاستحداد، وقلم الأظفار، ولبس الثياب"[٥]، و"القضاء في الأصل القطع والفصل وأريد به الإزالة مجازًا:أي ليزيلوا ذلك بتقليم الأظفار والأخذ من الشوارب والعارضين كما في رواية عن ابن عباس ونتف الإبط وحلق الرأس والعانة، وقيل: القضاء مقابل

---

(١) النابلسي،راتب.(2011/11/3م).**الحج أسرار وأخبار**.انظر:www.nabulsi.com، تاريخ الزيارة:2013/4/25م.

(٢) السامرائي.(د.ت). **لمسات بيانية**.مرجع سابق.ص72.

(٣) سورة الحج، آية رقم:(٢٩).

(٤) البسومي.(2001م). **معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ج1.ص8.

(٥) البغوي.(1420هـ).**معالم التنزيل في تفسير القرآن**.مرجع سابق. ج5.ص380.

الأداء والكلام على حذف مضاف أي ليقضوا إزالة تفثهم، والتعبير بذلك لأنه لِمُضِي زمان إزالته عُدَّ الفعل قضاء لما فات. وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عمر– رضي اللّه تعالى – عنهم أنه قال:التفث النسك كله من الوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار، والقضاء على هذا بمعنى الأداء كأنه قيل: ثم ليؤدوا نسكهم. وكان التعبير عن النسك بالتفث لما أنه يستدعي حصوله فإن الحجاج ما لم يحلوا شعثاً غبراً وهو كما ترى، وقد يقال: إن المراد من إزالة التفث بالمعنى السابق قضاء المناسك كلها لأنها لا تكون إلا بعده فكأنه أراد أن قضاء التفث هو قضاء النسك كله بضرب من التجوز ويؤيده ما أخرجه عن ابن عباس– رضي اللّه تعالى– عنهما أنه قال: قضاء التفث قضاء النسك كله"[(١)]. وحروف الكلمة ووقعها على الأذن يعطي انطباعاً غريباً عليها حال سماعها، وكأنك تشعر بالتقزز، وهذا لما تستدعيه من صورة هذا الزيادات بعد التخلص منها، وهذا ما لا تضيفه أي كلمة أخرى، وعليه تفردت (تفثهم) هنا في هذا السياق.

117– صَوَامِعُ: ورد في قوله تعالى :﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾[(٢)]. الآية في دفاع اللّه عن المؤمنين وأسباب مشروعية القتال. وأهمية دور العبادة في المحافظة على ديمومة ذكر الله.

والصوامع: "مفردها صومعة وهي للنصارى وهي منار للراهب" [(٣)]، و"الصَوامِعُ للرهبان وهي الأديرة، جمع صومعة وَبِيَعٌ كنائس للنصارى"[(٤)]، وذكرت كلمة (صوامع) هنا؛ لأنها من الأماكن التي يُذْكَرُ فيها اسم اللَّه ويُتَحَنَّثُ فيها ، وتنقطع العبادة بهدمها، وهي من دورالعبادة المعروفة لدى الناس؛ لذا ناسب جداً أن يذكرها السياق هنا، وخاصة أنه ذكر الأماكن والمواضع الأخرى من بيع وصلوات ومساجد وغيرها، و"صوامع جمع صومعة، وهي مكان خاصٌّ للعبادة عند النصارى، وعندهم مُتعبَّد عام يدخله الجميع هو الكنائس، أما الصَّومعة فهي مكان خاص لينفرد فيه صاحبه وينقطع للعبادة، ولا تكون الصَّوْمعة في حضر، إنما تكون في الجبال والأودية، بعيداً عن العمران لينقطع فيها الراهب عن حركة حياة الناس، وهي التي يسمونها الأديرة وتوجد في

---

(١) الآلوسي،محمود بن عبد الله.(1415هـ).**روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**.علي عبد الباري عطية(محقق).بيروت: دار الكتب العلمية.ج9.ص139.

(٢) سورة الحج، آية رقم:(40).

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج7.ص407.

(٤) الزحيلي.(1422هـ). **المنير**.مرجع سابق.ج17.ص225.

الأماكن البعيدة"[١]. ولحكمة الله في خلقه أن يتدافع الناس لحماية مثل هذه الدور؛ لتأثيرها الشديد والقوي في سلوكيات الناس، والحدّ من استشرائهم و طمعهم واندفاعهم في سبيل اغتصاب وقتل وإبادة الآخرين، واللفتة هنا أن السياق أَخّرَ المساجد؛ لأن تأثيرها أعظم وأكبر من كل التي قبلها. قال المساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً. وعليه فقد تفردت هنا كلمة الصوامع لما سبق ذكره من أسباب.

118- بِئْرٍ: ورد في قوله تعالى :﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[٢]. والآية في بيان جزاء الكفار من الأمم السابقة، مع تهديد ووعيد الكفار التي نزلت فيهم هذه الآية بالهلاك إن أعرضوا.

والبئر: "معروفة وهي القليب"[٣]، "ولفظ (البئر) مشتق من: بأرتُ. أي: حفرت. وهي مؤنثة على وزن: فِعْلٌ، بمعنى: مفعول. وتجمع على: آبار. فمعنى (المعطلة): أنها كانت عامرة، فيها الماء، ويمكن الاستقاء منها؛ إلا أنها عطلت. أي: تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها. وتعطيل الشيء في اللغة: إبطال منافعه. والمعنى: وكم من بئر عامرة في البوادي بمياهها عطلت، لا يستقى منها، لهلاك أهلها. أي: تركت بلا وارد يَرِدُها ويستقي منها"[٤]، وكلمة بئر وما بعدها من جملة في نفس الآية جاءت متسقة تماماً مع السياق؛ حيث إن المقام هلاك وخراب، فجاءت البئر المعطلة والقصر المشيد دليلاً حياً ومشاهداً وواقعاً لتأكيد هذا الهلاك؛ ولقد كان السياق دقيقاً في التعبير بهاتين؛ لأن البئر والقصر رمزان وعلاماتان ثابتتان على وجود الحياة، " والبئر حين تكون عاملة ومُسْتفاداً منها تلحظ حولها مظاهر حياة، حيث ينتشر الناس حولها، وينمو النبات على بقايا المياه المستخرجة منها، ويحوم حولها الطير ليرتوي منها، أما البئر المعطّلة غير المستعملة فتجدها خَرِبة ليس بها علامات حياة، وربما تسفو عليها الرياح، وتطمسها فتُعطَّل وتُهجَر، فالمراد معطلة عن أداء مهمتها، ومهمة البئر السُّقيا"[٥]، و ينسحب على وجود البئر وجود الناس ووجود الناس يحتاج إلى مأوى وسكن فكان القصر المشيد، والقرآن الكريم يتبع أسلوباً فريدًا في بنائه ونظمه،

---

(١) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص6046.

(٢) سورة الحج، آية رقم:(٤٥).

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق. ج1.ص301.

(٤) ملتقى التفسير.(2006/3/11م).**تفسير سورة الحج**.(.انظر موقع:http://www.tafsir.net،تاريخ الزيارة:2012/9/19م.

(٥) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص6055.

لتوضيح المعنى واستثارة الانتباه وإعمال الفكر والاعتبار، وبناء الآية فيه إيجاز بالقصر؛ إسراعًا للمطلوب وتركا للإطالة؛ لأن حال السامع ملهوفًا وقلبه شغوفًا وفرائصه ترتعد وذكريات السابقين تتلاحق عنده – وإن حاول ضرب الذكر عنها صفحًا – فهو مشغول بها ، ومن ثم كانت الإشارة بأدق عبارة وأسرع طريق : (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) والبئر هنا لايغني غناءها من مثل (العين) فالعين لا تحتاج إلى عمل أو أدنى جهد يذكر للشرب منها أو الانتفاع بها، فهي تصادفك في الطريق مسطحة يسهل على الجميع الارتواء منها، وهذا عكس ما يتطلبه البئر من وجود رافعات وأدوات وغيرها، فضلاً عن أن البئر عميق، ولا يسهل على طير أو حيوان الاستفادة منه، فلابد من وجود إنسان للرفع والتحويل، وهذا ما يؤكد دقة السياق في اختيار البئر الذي يؤكد به مقصود الآية من الهلاك والاندثار.

119– كَالِحُون: ورد في قوله تعالى:﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾[١]. والآية في الحديث عن أصحاب المعاصي وما يلاقونه من عذاب يوم القيامة من لفح لوجوههم بالنار.

يقول ابن فارس: "(كلح) الكاف واللام والحاء أصلٌ يدلُّ على عُبوس وشَتامةٍ في الوجه. من ذلك الكُلوح، وهو العبوس. يقال كَلَح الرَّجُل، و دهرٌ كالِحٌ " و" الكُلوحُ: التكشّر في عبوس، والكالح من تقلصت شفتاه عن أسنانه"[٢].

وإن تقلص الشفاة التي تتم لهم مع تغير ملامحهم إلى العبوسة والحرق لهو أثر هذا اللفح لهذه النار الشديدة فتشوي وجوههم، وتنحسر شفاهم وتظهر أسنانهم، وهذا " من أثر تقطيع أعصاب الوجه عند شدة الألم "[٣]مع العبوس والحزن الرهيبين اللذين يتبديان عليهم. هذا وجاءت الآية في صورة الجملة الاسمية للدلالة على ثبات هذا الحال والاستمرار عليه. وفي الواقع" إن صورة الوجه الكالح وقد احترق بهذه الطريقة البشعة صورة كريهة منفرة لكل منْ يراها، أو يسمع عنها..

وإن حركة عضلات الوجه وهي تتقلص وجلده وهو يتشمر وشفتيه وهما ترتفعان إلى أعلى أو تنخفضان إلى أسفل.. هذه الحركة تعطى صورة تنخلع لها القلوب رهبة وخوفاً.. ومن ثم يعاجل القرآن هؤلاء الكفار– بعد ذلك – بالسؤال التقريعي التوبيخي ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون؟﴾"[٤]. وهناك تناسب بين لفح النار وبين كلمة كالحون؛ لأنه استنادًا للمعنى

---

(١) سورة المؤمنون، آية رقم:(104).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص134.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج9.ص490.

(٤) إبراهيم.(2010م).**لغة الجسد في القرآن الكريم**.مرجع سابق.ص45.

اللغوي بأن معناها هو تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تظهر وهذا لا يتم إلا عند لفح النار أولاً، وإحراقها وكأنها نتيجة طبيعية للفح، والنار تلفح الجسم كله، وما العلة من تخصيص الوجوه بها؟ يقول حقي مجيباً: "وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء وأعظم ما يصان منها فبيان حالها أزجر عن المعاصى المؤدية إلى النار وهو السر فى تقديمها على الفاعل{وهم فيها كالحون}من شدة الاحتراق. والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان كما ترى الر ءوس المشوية، وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر فى السوق برأس أُخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن وفى الحديث «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته»، فيقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ا بتلوا به من العذاب"[١]. والآية جاءت على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير، وتجسيم المعاني في صور حسية، ومشاهد ذات حركة. و"مشهد لفح النار للوجوه حتى تكلح، وتشوه هيئتها، ويكدر لونها مشهد مؤذ أليم؛ عله يكون رادعاً لأمثالهم ويمتثلوا لما طُلب منهم" [٢]. والكلمة لا يغني غيرها مكانها من مثل: (عابسون-يائسون..)فكالحون أبلغ؛ لأنها ذات شقين دلاليين الأول: وهو شمولها معاني الحزن والهم والغم والعبوس، والثاني: هو التعبير عن شكل الوجه وخاصة الشفتين منه وانحسارهما من الحرق واللفح والنفخ؛ لذا تفردت في مكانها.

120- الأَيَامَى: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ ﴾[٣]. والآية هو الترغيب في الزواج والاستعفاف وحِفْظ الفروج ودعوة أولياء الأمور إلى الإسراع في تزويج من لم يتزوج دون النظر إلى قضية الفقر والغنى فالله وكيلهم في هذا.

وفي معنى الأيامى يقول ابن فارس: "...الأيم: المرأة التي لا بعل لها والرجل لا امرأة له"[٤]، والأيم يدخل تحتها الذكر والأنثى البكر والثيب، ويبدو أن كلمة الأيامى دخلت في الرجال من باب الاستعارة؛ " لأن الأصل فيها: التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً مطلقةً كانت أو متوفىً عنها"[٥]، والمدقق في الفعل قبلها سيجده جاء على صيغة الأمر والغرض منه التحفيز والتشجيع والاستحباب، وهذا ما يؤكده ابن عاشور بقوله:" وفي صيغة الأمر في قوله تعالى: {وَأَنْكِحُوا

---

(١) حقي.(1287هـ).**روح البيان في تفسير القرآن**.مرجع سابق. ج9.ص66.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج5.ص245.

(٣) سورة النور، آية رقم:(32).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج1.ص166.

(٥) الفراء.(1983م).**معاني القرآن**.مرجع سابق.ج2.ص251.

الْأَيَامَى مِنْكُمْ} إلى آخره مجملة تحتمل الوجوب والندب بحسب ما يعرض من حال المأمور بإنكاحهم: فإن كانوا مظنة الوقوع في مضار في الدين أو الدنيا كان إنكاحهم واجبًا، وإن لم يكونوا كذلك فعند مالك وأبي حنيفة إنكاحهم مستحب. وقال الشافعي: لا يندب، وحمل الأمر عل الإباحة، وهو محمل ضعيف في مثل هذا المقام إذ ليس المقام مظنة تردد في إباحة تزويجهم"(١). ونلحظ أيضاً أن الفعل " جاء بهمزة قطع وليس بألف وصل، مع أن الأمر للواحد (انكح) بهمزة الوصل، ذلك لأن الأمر هنا (أنكحوا) ليس للمفرد الذي سينكح الأيِّم، إنما لغيره أنْ يُنكحه، والمراد أمر أولياء الأمور ومَنْ عندهم رجال ليس لهم زوجات، أونساء ليس لَهُنَّ أزواج: عَجِّلوا بزواج هؤلاء، ويسِّروا لهم هذه المسألة، ولا تتشددوا في نفقات الزواج حتى تُعِفُّوا أبناءكم وبناتكم، وإذا لم تعينوهم فلا أقلَّ من عدم التشدد والمغالاة"(٢). وإن أنعمنا النظر سنجد أن السياق اختار الأيامى ولم يقل مثلاً المطلقات أو الأبكار أو الثَّيِّبات أوالمطلِقون إلى غيرها من هذه الأوصاف؛ لأن الأيامى أشمل وأعم من كل هذا ويدخل تحتها كل منْ يوصف بعدم الزواج بغض النظر عما إذا كان ذكراً أم أنثى ثيباً أم بكراً...وهكذا. وحددها الله هنا لما له من خطورة تعود على الشخص نفسه والمجتمع بأسره، كما قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- في الحديث: "(إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)" (٣)، وجاءت الكلمة على الإطلاق من الحرائر والأحرار. وعقب بالعبيد والإماء؛ لأن الأمر والعاقبة تنسحب على الجميع باعتبارهم من البشر ويترتب عليهم ما يترتب على الأحرار. وذكرهم الله هنا؛ لأن سياق الآية هو الاستعفاف والتحصن بالزواج والحلال، وحفظ الفروج والأعراض وبالتالي كان لابد من ذكر هذا الصنف من الناس الذين لم يتزوجوا وهم قادرون عليه بدنيا وصحياً، ولكن قلّة ذات اليد؛ لذا تفردت هنا في السياق ولم يغن غيرها غناءها.

121- مُذْعِنِينَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴾(٤). والآية في فضح المنافقين عن طريق كشف أساليبهم.

قال ابن الأعرابي: مذعنين: "مطيعين مقرين خاضعين....والإذعان الانقياد" (٥)، وكلمة مذعنين توحي بمدى الإسراعِ والإقبال على حكم الرسول-صلى الله عليه وسلم-لعلمهم أن الحق

---

(١) ابن عاشور.(2000م). **التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج18. ص173.

(٢) الشعراوي.(د.ت).**تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ص2795.

(٣) الترمذي،محمد بن عيسى.(د.ت).**سنن الترمذي**.أحمد محمد شاكر(محقق).بيروت: دار إحياء التراث العربي.رقم(1085). حديث حسن صحيح.

(٤) سورة النور، آية رقم:(49).

(٥) الرازي.(1910م).**مختارالصحاح**.مرجع سابق.ج5.ص2119.

حليفهم ولن يحكم رسول الله بغير الحق، وبالتالي ظهروا في صورة ليس فقط المطيعين بل الملبّين والمسرعين حتى وإن لم يكن هناك دعوة بالمجيء، وهذا ينطوي على نفسٍ خبيثة تتمتع بمطلق الأنانية وحب المصلحة الشخصية. وإضافة على ذلك فالكلمة توحي بإتقانهم فنيّ التزلف والتلون وإظهار ما يبطِنون وهذا لا يتأتى إلا مع أشخاص قد مارسوا هذا وتدربوا عليه فمن كثرة نفاقهم أصبح فيهم سجية لا يجدون معه عناءً ولا مشقة، ولكن إذعانهم هذا لم يكن عن اعتقاد منهم أن حكمه هو الحق بل لأنه موافق لأهوائهم، ولذلك فإنهم إذا خالف الحق قصدهم عدلوا عنه إلى غيره. وهذا ما يراه القشيري بقوله: " منقادين يميلون مع الهوى، ولا يقبلون حُكمه إيماناً. وكذلك شأن المريض الذي يميل بين الصحة والسقم؛ فأرباب النفاق مترددون بين الشك والعلم، فليس منهم نَفْيٌ بالقطع ولا إثباتٌ بالعلم، فهم متطوّحون في أودية الشك "[(١)].

والكلمة هنا لايغني غيرها غناءها من مثل: (طائعين-مرحبين-راضين-خاضعين...إلخ)؛ لأن مذعنين تنسحب على كل هذه الدلالات وفوقها السرعة وعدم الانتظار، ففور ما يعلمون أن الحق لهم يهرولون في صورة الراضين الخاضعين لأمر الله ورسوله، والنفس البشرية تحب ما يعود عليها بالنفع والفائدة ولهذا يأتي مسرعاً إذاكان متأكداً من حقه علاوةً على ذلك أنه يقف أمام قاضٍ عادل. والكلمة توحي بمطلق التسليم، ومدى الانقياد والانصياع لأي حكم سيكون وكأن لديهم عدلاً في الغضب والرضا في العسر واليسر سواء لهم أو عليهم. وهذا عكس ما هو في الواقع؛، وفيها تعجب واستنكار من الله لصنيعهم هذا، لذا عقّب السياق بأسئلة استنكارية تعجبية. وللتأكيد على عدم طاعتهم مطلقاً، وقعت الكلمة في جواب الشرط وكأن الإذعان فقط يكون عندما يكون لهم الحق، وهذا دلالة على حقارة نفوسهم ومدى جشعهم وأنانيتهم. وعليه فقد تفردت مذعنين هنا في هذا السياق.

122- لِواذاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾[(٢)]. والآية في الاستئذان عند الخروج، وأدب خطاب النبي - صلّى اللّه عليه وسلم- والتحذير من مخالفة أمره التي يعقبها فتنة أوعذاب أليم.

يقول ابن فارس: " اللام والواو والذال أصل صحيح يدل على إطاقة الإنسان بالشيء مستعيذاً به مُتَستِّراً "[(٣)]. وسياق الآية يكشف عن سلسلة جديدة وحزمة من فضائح المنافقين

(١) القشيري.(د.ت).**لطائف الإشارات**. مرجع سابق.ج5.ص340.

(٢) سورة النور، آية رقم:(63).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص220، 221.

وسلوكياتهم المشينة التي لايزالون يفعلونها والله وراءهم بالمرصاد يكشفها تباعاً كلٌّ حسب ظرفه ووقته، ومنها التسلل والهروب خفية دون إحداث صوت أو حركة تلفت الأنظار إليهم فهم يمشون بخوف وحذر؛ ليخرجوا آمنين دون أن يشعر بهم أحد.

ولقد حددت الآية نوع التسلل وعبَّرت عنه باللواذ، أي التستر بغيره ليخرج بسببه، فهو يتدرج ويتزحزح وينزوي شيئاً فشيئاً ليكون في النهاية خارج المجلس، موهماً الجالسين وكأن أحداً قد دعاه؛ لأنه ليس أمامه إلا هذه الطريقة للخروج؛ ولأنه منافق يخشى أن يفضح ويكشف فكانت هذه الطريقة هي الأنسب لِأن يحقق ما أراد دون أن يُعْرَف، فأراد الله أن يقطع عليهم هذا الطريق. وهذا هو شأن الله دائماً مع المنافقين، وهذا مما يمثل جبنهم عن المواجهة وطلب الإذن، ويتسللون من الصف ابتغاء منفعة، أو اتقاء ضرر، وهذا ما يقول به سيد قطب:"(وهو تعبير يصور حركة التخلي والتسلل بحذر من المجلس ويتمثل فيها الجبن عن المواجهة، وحقارة الحركة والشعور المصاحب لها في النفوس"[١]، وهي حركة الخائر الجبان التي تأنفها النفوس السَّوية، والتعبير بالفعل المضارع يتسلل فيه مشقة وتكلف مستمر على المنافق ويوحي بأن الفعل مشين ولا يصدر من رجل كامل الرجولة عزيز النفس؛ لأنه فعل المخطئين المخالفين؛ ولذا يتستر ويتوارى لدفع مكروه أو الهروب من تكليف أو رفع الحرج عن نفسه لعدم علمه بسبب غيابه وهكذا، والتعبير يجعلك تتخيل الموقف وهم رجال جسام يفعلون فعل الصغار كمجتمع الحيوانات عندما يلوذ بعضهم في بعض خوفاً من الضرر أو الذبح. فالمشهد مشين والصورة أقبح وفيها تأكيد على خبث أنفسهم وجبنهم وخورها . وبناءً على ما تقدم يظهر لنا سر تفرد(لواذاً)هنا في هذا السياق والذي لم يغن غيرها غناءها.

123- فُلَاناً: ورد في قوله تعالى:﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾[٢]. والآية في الحديث عن الظالمين وشعورهم بالندم والخزي في عصيانهم لأوامر النبي واتباعهم لغيره.

يقول ابن فارس: "الفاء واللام والنون كناية عن كل أحد،....هذا في الناس، وإن كان في غيرهم قيل: ركبت الفلانة والفرس الفلان" [٣]. وكلمة فلان فيها من التجهيل والتنكير ما فيها، واستعملها السياق هنا في هذا المكان فقط لما ينطوي عليه من دلالات نفسية صعبة وجو مشحون بالأسى والندم البالغ، فلقد نزلت الآية في عقبة بن أبي معيط وقد كان خليلا مخلصاً

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج4.ص2535.

(٢) سورة الفرقان، آية رقم:(28).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج4.ص447.

ووفيّاً لأمية بن خلف، فلقد رُوي"أنه ذات يوم اتخذ ضيافةً فدعا إليها رسول الله – عليه الصلاة والسلام – فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبيّ بن خلف وهو خليله:وجهي من وجهك حرام إلا أن ترجع فارتد. فالمعنى يا ليتني لم أتخذ أُبيّاً خليلاً، فكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه. وقيل: هو كناية عن الشيطان"[١]، فنلاحظ أنه كنى عن اسمه تحقيراً من شأنه وتقليلاً من فعله، وتنزيهاً أن يذكر اسمه على لسانه بسبب كرهه الشديد له لِما آل إليه بسببه. ونحن دائماً– في دنيا الناس– نستعملها مع أشخاص لا نحب ذكر أسمائهم لكراهةٍ أو لغيرها وهذا ما يتوافق مع مضمون الآية. ولقد استعملت فلان استعمالاً عاماً فأصبح: " كنايةً عن علَمِ كلِّ مَن يضلُّه كائناً مَن كان من شياطينِ الإنس والجنّ وهذا التَّمنِّي منه وإنْ كان مسُوقاً لإبراز النَّدمِ والحسرةِ لكنَّه متضمنٌ لنوعِ تعللٍ واعتذارٍ بتوريثِ جنايتِه إلى الغيرِ "[٢]، فأصبحت كلمة (فلان)علماً على كل صديق ضالٍ مضل، وعليه نكون قد لمسنا بعد هذا سر تفرد (فلان)ف ي هذا السياق والذي لايغني غيره غناءها.

124– تَفْسِيراً: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[٣]. وسياق الآية هو هجر الكفار القرآن ومطالبتهم بإنزاله جملة واحدة.

وتقول المعاجم بأن الفَسْرُ هو: "كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل"[٤]. ولقد وردت تفسيراً في آية تنطوي على استثناء مفرَّغ يشي بالمسارعة إلى إبطال حجج الكافرين ودرء براهينهم، ودحض أدلتهم، بما نأتيك به من الحق الواضح الأبلج والتفسير الذي هو غاية ما يكون من الحسن فلا يبقى معه غموض ولا إبهام، ولا استفسار أو استفهام، فهو كامل الوضوح دقيق الشروح تام المعاني سريع الإفهام. وعليه فكلمة (تفسيرا) هنا لا يغني غيرها مكانها من مثل: (بياناً– تفصيلاً– شرحاً– تعبيراً)؛ لأن كلمة تفسيراً تنطوي على كل هذا مع زيادة أنها تكشف الحجة والمحجة وتجلِّي الدليل وتظهر البرهان؛ ولأن المقام مقام مواجهة ومجابهة، ومقارعة ومقارنة؛ لذا ناسب أن يكون (تفسيراً) هنا في هذا المقام بل زاد عليها قائلاً:

---

(١) النسفي،عبد الله بن أحمد.(1998/1419).**مدارك التنزيل وحقائق التأويل** .يوسف علي بديوي(محقق).بيروت: دار الكلم الطيب. ج2.ص442.

(٢) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.ج5.ص101.

(٣) سورة الفرقان، آية رقم:(33).

(٤) الرازي.(1910م).**مختارالصحاح**.مرجع سابق. ج2.ص2781.

(وأحسن) أي: "ومعنى كونه {أَحْسَنُ}، أنه أحق في الاستدلال، فالتفضيل للمبالغة إذ ليس في حجتهم حسن أو يراد بالحسن ما يبدو من بهرجة سفسطتهم وشبههم فيجيء الكشف عن الحق أحسن وقعًا في نفوس السامعين من مغالطاتهم، فيكون التفضيل بهذا الوجه على حقيقته فهذه نكتة من دقائق الاستعمال ودقائق التنزيل"[١]. وكلمة "التفسير"جاءت على وزن تفعيل، للمبالغة في أنه يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم على التوّ. وعليه فقد تفردت هنا في هذا السياق.

125– ضَيْر: ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[٢]. الآية هو إيمان السحرة باللّه في المبارزة الحاسمة في مشهد عظيم مع فرعون ومَلَئِهِ.

يقول ابن فارس: "الضاد والياء والراء كلمة واحدة وهو من الضيّر والمضرَّة، ولا يضيرني كذا أي: لا يُضِرُّني"[٣]. ولقد عبَّر السياق هنا بكلمة موجزة مختصرة سريعة واثقة متيقنة بوعد الله، غير متوقعة من أمثال هؤلاء الذين ما لبِثوا أن دخلوا في الإيمان منذ لحظات، ولكنها حلاوة الإيمان عندما يخالط بشاشته القلوب يرسخ ويثبت فلا حساب –ساعتها– للوقت أو الزمن، فالعبرة بمن صَدَق وليس بمن سبق؛ لأنها لحظة كشف وإخلاص فمع غلظة التهديد، وقسوة الوعيد، وفظاعة العذاب إلا أنهم قالوا جملة واحدة وهذا شأن الحق دائماً ثابت قوي راسخ رده وإجابته هي أفعاله وليس كثرة الكلام، فكان رداً شافياً وافياً. فكل ما هددهم به فرعون هو نفع في – حقيقة الأمر– لهم؛ لأنه سيقرِّبهم إلى ربهم وهذا غاية ما يأملونه ويتمنونه في هذه اللحظة؛ ولذا جاء التعبير ب(لا ضير)، وهذا ما أكدّه أبو السعود بقوله:" لا ضيرَ في ذلك بل لنا فيه نفعٌ عظيمٌ لما يحصلُ لنا في الصَّبرِ عليه لوجهِ الله تعالى من تكفيرِ الخَطَايا والثَّوابِ العظيم، أو لا ضيرَ علينا فيما تتوعَّدنا به من القتلِ أنه لا بُدَّ لنا من الانقلابِ إلى رِّبنا بسببِ من أسبابِ الموتِ، والقتلُ أهونُها وأرجاها"[٤]. وكلمة لا ضير هنا لا يغني غيرها غناءها من مثل: (ضرر–ضُر–ضرار)وكأن الضير لحظة تتلاشى مع تلاشي الموقف، لحظة خاطفة وسواء تم هذا العذاب فسيكون سريعاً لا نشعر به فهو قليل سريع كما تشير إليه حروف كلمة (ضير) فما يلبث أن يبدأ حتى يزول، وهذا ما لاتعطيه الكلمات الأخرى، فغيرها وكأن فيه استمرار لفترة أطول، أو يدوم لزمن أكثر، ولقد حذف السياق خبرها ليذهب بالقاريء كل مذهب من مثل: " لا ضير في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف. لا ضير

---

(١) ابن عاشور.**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج19.ص48.

(٢) سورة الشعراء، آية رقم:(50).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص379.

(٤) أبو السعود.**إرشاد العقل السليم**.مرجع سابق.ج5.ص138.

في التصليب والعذاب. لا ضير في الموت والاستشهاد.. لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون. وليكن في هذه الأرض ما يكون: فالمطمع الذي نتعلق به ونرجوه «أن يغفر لنا ربنا خطايانا»جزاء«أن كنا أول المؤمنين».. وأن كنا نحن السابقين.."[١]، وكلمة ضير فيها إشارة منهم إلى تقليل وتحقير من شأن ما سيفعله معهم فرعون فقد اتضحت الأمور وانكشف الستار عن حقيقة وماهية الحياة، ورأوا ماذا أعدَّ الله لهم من نعيم مقيم بل هم أحرص منه على لقاء ربهم بالموت أو بغيره، وهذا ما لاتؤديه غيرها من الكلمات؛ لذا تفردت هنا في هذا السياق.

126- شِرْذِمَة: ورد في قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾[٢]. وسياقها: غضب فرعون من السحرة وموسى، وتوعدهم بالاستئصال والهلاك.

وفي معناها يقول ابن فارس: "الشرذمة هي القليل من الناس فالذال زائدة وإنما هي من شرمت الشيء إذا مزقته فكأنها طائفة انمزقت وانمارت عن الجماعة الكثيرة "[٣]. وبقولة فرعون هذه (شرذمة) يريد أن يُهوِّن من شأنهم ويُغري قومه بهم، ويُشجِّعهم على مواجهتهم؛ لأنها طائفة خسيسة فى شأنها قليل عددها. يثير بذلك الحمية فى نفوس جنده، وهكذا شأن الظالمين مع معارضيهم، يبدأ بحرب إعلامية شديدة للتعبئة والتحفيز لمساندته؛ وليجد سنداً قوياً وشرعيةً للفتك بهم. وحروف الكلمة المختلفة توحي بمنتهى السخرية والاحتقار وبمدى الامتهان والازدراء من فرعون لقوم موسى، وعبّر السياق هنا بهذه الكلمة؛ لأنه لا يغني غيرها غناءها من مثل: (طائفة – فئة– مجموعة....إلخ)؛ لأن شرذمة هي أقل ما يمكن أن يُعبر به لوصف عدد قليل من الناس فضلاً عن الدلالات الأخرى التي توحيها وتنسجم مع الجو النفسي الذي يعيشه فرعون وتعكس رأيه فيهم من احتقارهم والتقليل من شأنهم؛ ل قلتهم نِسْبَةً إلى كثرة آل فرعون وقوتهم وما لهم عليهم من هيبة الاسترعاب، والتعبير بالشرذمة موهم أنهم في غاية القلة، وفيه إشارة إلى تفرق قلوبهم، وأنهم منقطعون عن أي قوة، آيسون من أي إسعاف بمدد. واللفظ موغل في القلة وهذا ما يؤكده النسفي بقوله:" والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً. واختار جمع السلامة الذي هو للقلة أو أراد بالقلة الذلة لا قلة العدد أي أنهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا تتوقع غلبتهم"[٤]. ودخول أكثر من

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج1.ص2597.

(٢) سورة الشعراء، آية رقم:(54).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص273.

(٤) النسفي.(د.ت).**مدار التنزيل وحقائق التأويل**.مرجع سابق. ج2. ص471.

مؤكد على الجملة يدلك على مدى رعب وخوف فرعون منهم فاللام وإن وضمير الفصل واستعمال الضمير بدلاً عن التسمية مبالغة في تحقير شأنهم والتقليل من خطرهم، والإلحاح على ذلك، واللفظ يستعمل في سياق الذم أو القبح واستعمال السياق هنا تأكيد على ما كان يدور بصدر فرعون من ارتجاف لما سيؤول إليه مصيره. وهذا هو دور الباطل دائماً مع الحق حرب دعائية للشحن وتعبئة الرأي العام بما يملكه من وسائل دعاية وإعلام. وعليه فقد تفردت الكلمة هنا في هذا السياق.

127- الطَّودِ: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١]. والآية في فرار موسى وقومه ولحاق فرعون بهم.

والطود: "الجبل العظيم"[٢]، والمفسرون يذكرون: "أن الطود هو الجبل العظيم المنطاد في السماء"[٣]، وهنا استعمل السياق الطود أي: الجبل المتطاول أي المرتفع في السماء، والكلمة لا يغني غيرها غناءها في هذا السياق من مثل: (الجبل-الْمُرْتَفَع...)؛ لأنه لو قال الجبل فلعل الجبل فيه انحناءات وانثناءات أو متعرجات، أما الطود فتوحي بالاستقامة على خط واحد دون تعرج ولا نتوء ولا بروز فضلاً عن أنه عظيم الارتفاع، وهذا ما لا يتأتى للجبل؛ لأنه أحياناً يكون الجبل منخفضاً إلى حدٍ ما، وهذا في حد ذاته معجز أن يصبح الماء السائل الذي لا يحجزه شيء، ولا يمنعه شيء من الجريان والسيلان - إلّا إذا كان من سَدٍ أو ما شابه ذلك - أن يتماسك بنفسه وليس هذا فحسب بل يبقى شامخاً ثابتاً مرتفعاً دون تسريب أو تَفَلُّت أو حركة. والكلمة فيها تأكيد على قدرة الله المطلقة فإذا كان هناك جبال من صخور فهذه جبال من ماء ثم وصفها بالعظمة وكأن الطود أكبر حجماً وأكثر ارتفاعاً من الجبل العادي، والتعبير بهذه الكلمة أبلغ في إظهار القدرة والتصرف والإعجاز. والآية تنطوي على تشبيه مجمل، ذكرت فيه أداة الشبه وطرفي التشبيه وحذف وجه الشبه، أي كالجبل في رسوخه وثباته. ووصف الطود بالعظيم تأكيداً على ارتفاعه الشديد الملفت للأنظار. وعليه فقد تفردت الطود هنا في هذا السياق، ولم تتكرر في غيره.

---

(١) سورة الشعراء، آية رقم:(63).

(٢) البسومي.(2001م). **معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ج1.ص34.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج12.ص128.

128- رِيعٍ: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾[1]. الآية في الحديث عن قوم هود وتنبيههم إلى ما ينفعهم.

يقول ابن فارس: "الراء والياء والعين أصلان، أحدهما الارتفاع والعلو والآخر: الرجوع... ومن الباب الريع: الطريق "[2]. والكلمة كما يبدو من الأصل الأول، واختيارهم لمثل هذه الأماكن المرتفعة والمناسبة ينبيء عن خبرة في البناء وفنون في العمارة؛ وكأنهم لم يبنوا في أماكن غيرها؛ حيث لا تصل إليهم الأمطار ولا السيول فتهددها بخطر الهدم والتدمير، فهذا المكان المرتفع أكثر أمناً وأماناً، وهذا يتماشى مع ماقد اشتهروا به من قبل بفنون العمارة والزخرفة والنحت بدقة ومهارة. وهذه خصوصية من خصوصيات قوم هود ، وهي كانت بمثابة مراتع لهم عند الذهاب أو المجيء. وهذا ما يؤكده الإتيان بكلمة آية بعده أي علماً للمارة يخلدون إليه ويستريحون فيه. وجملة ذلك أنَّهُ المكان الْمُشْرِفُ، وهو الذي يتنافس البشر في مبانيه. وهذا ما نراه في دنيا الناس الآن، من البحث والتنقيب عن مكان مناسب وملائم وقريب ومُشْرِف على كل الطرق المؤدية والميسرة والسهلة للطرق الرئيسة والمؤسسات الحكومية والمواصلات العامة وغيرها من هذه المصالح. وللرازي تأويلات يحسن هنا نقلها للتأكيد على ما ذهب الباحث إليه في تفسير كلمة (ريع)؛ إذ يقول: " إنهم كانوا يبنون بكل ريع علماً يعبئون فيه بمن يمر في الطريق إلى هود- عليه السلام-، والثاني: أنهم كانوا يبنون في الأماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخراً فنهوا عنه ونسبوا إلى العبث، والثالث: أنهم كانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طريقهم أعلاماً طوالاً فكان ذلك عبثاً لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم"[3]، وعليه فقد انطوت ريع على ثلاثة تأويلات أتفق فيها مع الرازي؛ ولذا تفردت هنا كلمة ريع ولا يغني غيرها غناءها، فلا تجد كلمة تعطي نفس هذه الدلالات كلها والتي تنسجم مع السياق ومع طبيعتهم في حب العلو والتفاخر، ومع مهارتهم في ذلك. ولكن الشهيد سيد قطب له رأي في ذكر ريع هنا فقد حصره في معنى واحد فقط، وقد يختلف معه الباحث ولكنه رأي له وجاهته من حيث إنه يتفق ومقصود بعض الألفاظ في الآية، فيقول: "والظاهر أنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنيانا يبدو للناظر من بعد كأنه علامة. وأن القصد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة. ومن ثم سماه عبثا. ولو كان لهداية المارة، ومعرفة الاتجاه ما قال لهم:«تعبثون».. فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد، وتنفق البراعة، وينفق

---

(١) سورة الشعراء، آية رقم:(128).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج2.ص467، 468.

(٣) الرازي.(1993م). **مفاتيح الغيب**.مرجع سابق. ج24.ص135.

المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة "[١]، وأيا ما كان الأمر فلقد تفردت هنا (ريع) في هذا السياق.

139- فَارِهِينَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾[٢]. والآية في الحديث عن قصة صالح مع قومه واعتراضه علي كثير من سلوكياتهم وتصرفاتهم.

وعن أصلها يقول ابن فارس: "الفاء والراء والهاء: كلمة تدل على أَشَر وحِذق من ذلك الفاره الحاذق بالشيء" [٣]، ولقد جاءت الكلمة في مَعْرِض الأسلوب الاستنكارى التعجبي من صنيعهم هذا، وجاءت فارهين تعليلاً لهذا الإنكار، وهذا هو شأن القرآن مع الذين لا يعقلون التوبيخ في أسلوب ساخر مستنكر، والمدقق في اشتقاق الكلمة يجدها تنطوي على اشتقاقين كليهما يتماشى مع السياق: الأول: هو فَرُه: من الفره: وهو شدة الفرح؛ لأنهم جعلوها ذات منظر جيد، متنافسين في عمارتها، فيستمتعون ويفرحون بالنظر إليها، من غير حاجة إلى السُّكنى فيها، والثاني من: فرِه، أي حذق، أي حاذقين بنحتها من الفراهة: وهي النشاط، فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب، وعليه فلا تعطي كلمة أخرى نفس هذه الدلالات والتي تنسجم مع الخيط الفكري والدلالي مع سياق الآية، وعليه فلم يغن غيرها مكانها، والقصد أنهم يُضَيِّعُون أوقاتهم وأعمارهم فيما لا فائدة فيه ولا حاجة لهم به، فالأولى أن تنفق الأوقات وتشحذ الهمم وتستغل العزائم وتوجه القوى والإمكانات في طاعة الله والبحث عما يُقرِّبهم منه، ولقد عبَّر بها هنا للتأكيد على أنها جهود ضائعة وأوقات مهدورة، لتعليل هذ النحت لتشييد بيوتٍ هو نوع من أنواع التسلية والترفيه وإظهار البراعة والعضلات فقط، ولوكان لهم به حاجة ما أنكر عليهم نبيهم هذا الصنيع بل سيدفعهم إليه ويشجعهم عليه؛ حيث من المندوب تعمير هذه الأرض. وهذا ما يؤكده حقي بقوله: " والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهى طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة وكل هذه اللذات من لذات أهل الدنيا الغافلين"[٤]. ومن خلال ما تقدم نلحظ أن الكلمة تفردت هنا في هذا السياق.

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج5.ص2609.

(٢) سورة الشعراء، آية رقم:(149).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج4.ص496.

(٤) حقي.(1287هـ).**روح البيان في تفسير القرآن**.مرجع سابق.ج9.ص447.

130- الْخَبْءَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[١]. والآية في الحديث عن قصة الهدهد مع سيدنا سليمان- عليه السلام-.

يقول ابن فارس: "الخاء والباء والحرف المعتل والهمزة: "يدل على ستر الشيء، وهو أيضاً كل شيء غائب مستور" [٢]، وذكر الخبء هنا واستعماله في مثل هذه المناسبة يتسق تماماً مع السياق من وجوه منها: أولاً: أن الهدهد قد جاء بخبر خفيٍّ على سيدنا سليمان - عليه السلام- بعد الجهد والبحث، والخبء مما يُخْفى وبالتالي ناسب سياق الآية. ثانياً: الآية التي سبقت هذه الآية تتحدث عن أن قوم بلقيس يعبدون الشمس من دون الله، والشمس تعتبر من مخبوء السماء؛ لأنها تخرج منها كما أنه يخرج القمر وغيره من مطر وكواكب ونجوم...إلخ؛ وبالتالي ناسب الآية التي قبلها؛ وذلك لأنه - سبحانه وتعالى - هو الذي يخرج الشمس من المشرق بعد أفولها في المغرب، فهذا هو إخراج الخبء في السموات. وناسب تقديم السموات على الأرض؛ لأنه قدم الشمس هناك، وللتأكيد على أن الشمس ليست إله؛ لأنها مما يُخرج وبالتالي هذه ليست من صفات الإله وهذا ما أكَّده الرازي بقوله: " الإله يجب أن يكون قادرًا على إخراج الخبء وعالما بالخفيات، والشمس ليست كذلك فهي لا تكون إلهًا وإذا لم تكن إلها لم يجز السجود لها"[٣]. ثالثاً:أن الهدهد من الطيور التي كان يستعين بها سيدنا سليمان في معرفة أماكن المياه في جوف الأرض وهذه من الأمور المخفية التي خصَّ الله بها الهدهد وهذا كذلك يناسب كلمة "الخبء" في الأرض، وهذا ما نقله صاحب تفسير المنير عن المفسرين قائلاً: " وذكر المفسرون أن سبب بحثه عنه أنه كان يدل على مكان وجود الماء تحت الأرض، بنقره فيها، فيستخرج منها من طريق الجن أو الشياطين، كما كان يرشد سليمان وجنوده إلى الحد الفاصل بين قريب الماء وبعيده أثناء السير بفلاة من الأرض"[٤]. وكلمة (الخبء) تنطوي على كناية وهي: "كناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض. «وَيَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ» وهي مقابلة للخبء في السماوات والأرض بالخبء في أطواء النفس. ما ظهر منه وما بطن"[٥]. وعليه فقد تفردت الخبء هنا في هذا السياق ولم يغن غيرها غناءها.

---

(١) سورة النمل، آية رقم:(25).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص244.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج24.ص552.

(٤) الزحيلي.(1422هـ).**المنير**.مرجع سابق.ج283/19.

(٥) قطب.(1402).**الظلال**.مرجع سابق.ج2639/5.

131- عِفْرِيْت: ورد في قوله تعالى:﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ ﴾[1]. والآية في الحديث عن مناقشة سليمان لرد بلقيس ملكة سبأ وطلبه عرشها.

واشتقاقُه من العَفْرِ وهو الترابُ يقال: " عافَرَه فَعَفَرَه أي صارَعَه فَصَرَعَه، وألقاه في العَفْرِ وهو الترابُ. وقيل: من العُفْر وهو القُوَّةُ، والعِفْريتُ من الجنِّ المارِدُ الخبيثُ. ويقال: عِفْريت نِفْريت وهو إتْباعٌ كشَيْطان لَيْطان، وحَسَن بَسَن. ويُستعار للعارِمِ من الإِنس، ولاشتهارِ هذه الاستعارةِ وُصِفَ في الآيةِ بكونِه من الجِنِّ تمييزاً له"[2]، وعلى هذا الاشتقاق فالكلمة تنسحب على القوي والمارد من الجن أي الشديد ذو قوةً لا تضاهي أقرانه من بني جنسه، فلوكان مثلهم لقال: واحد من الجن أو نفر من الجن أو جنيٌّ، وبالتالي فكلمة عفريت تعني واحداً من الجن بمواصفات خاصة، وقدرات خارقة؛ لأن التبعة ثقيلة والمهمة شاقة؛ لتتناسب مع حجم وقدر ما سيفعله فالمسافة بعيدة والحمل ثقيل؛ لذا عبر بقوله عفريت وهذا يتماشى مع المعنى الاشتقاقي للكلمة، وهو الأنسب بمقام ادعاء الإتيان به في المدة المذكورة. وأكَّد هذا المعنى ابن عاشور قائلاً: "و معنى (عِفْرِيتٌ)حسبما يستخلص من مختلف كلمات أهل اللغة أنه اسم للشديد الذي لا يصاب ولا ينال، فهو يتقى لشره. وأصله اسم لعتاة الجن، ويوصف به الناس على معنى التشبيه "[3]. وعلى ما تقدم فإن الكلمة متسقة تماماً مع السياق وبالتالي لم يغن غيرها غناءها.

132- جَامِدَة: ورد في قوله:﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾[4]. والآية في النفخ في الصور وتسيير الجبال.

وحديث أصحاب المعاجم عن جامدة قالوا: "الجمْد بالتسكين: ما جمد من الماء وهو نقيض الذوب.....جامدة أي صلبة "[5]، والجمود أثبت في الأرض من لو قال ثابتة فالثبوت ربما ربما يكون مؤقتاً ويتحول أما جامدة فهي أمكن في الرسوخ والاستقرار، وتشي بمعنى الصلابة والوقوف والتشبث في الأرض وهذا ظن من يراها. وعبر بالمضارع فكلما رأيتها حسبتها جامدة فتكرار الرؤية يتكرر معه نفس المشهد ونفس الإحساس. فهي واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في مكانه إذا لم يبرح، وهذا مستعار من المياه فهو الذي يجمد بعد حركة فاستعير للدلالة على

---

(١) سورة النمل، آية رقم:(39).

(٢) السمين.(د.ت).**الدر المصون**.مرجع سابق. ج6. ص3866.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج19/264.

(٤) سورة النمل، آية رقم:(88).

(٥) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج2.ص459.

سكونها وعدم انتقالها إلى مكان آخر. وجمد أمسك عن الحركة فعند التدقيق والتحري ستجدها هكذا وهي عكس ذلك، وهذا يؤكد عجز الرؤية البصرية البشرية الضعيفة القاصرة؛ وذلك لأن" كلَّ شيءٍ عظيمٌ، وكلَّ جمع كثيرٌ يقصر عنه الطَّرْف لكثرته فهو في حسبان النَّاظر واقفٌ"(١)، وبالتالي كان التعبير بـ(جامدة) أبلغ من راسخة أو ثابتة أو مستقرة؛ لأنه يضفي ظلال السكون وهما مناسبان للجمادات، والجبال تُعَدُّ من الجماد؛ لأنها لا تتحرك بنفسها بل تتحرك بحركة الأرض التي تحملها وتكتسب الحركة منها؛ إذ لا يمكن أن تتحرك الجبال بنفسها كالسحاب سواء بسواء؛ فالسحاب تحركها الرياح، والجبال تحركها الأرض. والكلمة تنطوي على تشبيه مجمل يلحظ من الفعل الذي قبلها (تحسبها) أي: كأنها جامدة. وبالتالي جاءت جامدة معبرة عن الحال والسياق، ولم يغن غيرها غناءها.

133- جَذْوَة: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾(٢). والآية في الحديث عن رحلة عودة موسى- عليه السلام- إلى مصر.

الجَذْوَة: هي القطعة من الخشب بعد اشتعال النار فيها، أي الجمرة.(٣)، والجذوة من النار هي التي لا لهب فيها؛ وهذا ما قاله الشعراوي في تفسيره: "الجذوة: قطعة من نار متوهجة ليس لها لَهَب، ومعنى تصطلون أي: تستدفئون بها"(٤)؛ لأنهم ليسوا في حاجة إلى إعداد طعام بل إلى الاستدفاء، خاصة برد الصحراء هو برد قارس، ومن ثَمَّ فإن الجذوة استناداً إلى المعنى اللغوي أنها قطعة من خشب الأشجار التي اعتاد العرب أن يستعملوها في الصحراء للاستدفاء أو للإنارة والاهتداء في الظلام، وهذا ما عبر به سيدنا موسى - عليه السلام - ولذا كانت الكلمة مناسبة حالاً وسياقاً حيث إنهم ضلوا الطريق فيحتاجون إلى هادٍ وكذلك حرارة يستدفئون بها.

134- البُقْعَة: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾(٥). والآية في نفس السياق السابق. ويقول ابن فارس عن أصلها: " الباء والقاف والعين أصلٌ واحدٌ ترجع إليه فروعُها كلُّها، وإنْ كان في بعضِها بُعْدٌ فالجنسُ

(١) الأندلسي.(1420هـ).**المحرر الوجيز**.مرجع سابق.ج1.ص668.

(٢) سورة القصص، آية رقم:(29).

(٣) البسومي.(2001م). **معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ج1.ص11.

(٤) الشعراوي.(د.ت). **تفسير الشعراوي**.مرجع سابق.ج1.ص6846.

(٥) سورة القصص، آية رقم:(30).

واحد، وهو مخالَفةُ الألوانِ بعضِها بعضاً، وذلك مثلُ الغُرابِ الأبقع، وهو الأسودُ في صَدْرِهِ بياضٌ. ثم يذكر ابن فارس قول الخليل: البُقْعة قِطعةٌ من الأرضِ على غير هيئةِ التي إلى جَنْبها، وجمعها بِقاعٌ وبُقَعٌ"[١]. وعلى الاشتقاق اللغوي نلحظ أن البقعة تختلف في شكلها وهيئتها ومحتوياتها عن الأرض التي بجوارها، وأيضاً هي المكان المحدد والمعروف شكلاً ورسماً وزاد من تعريفها وتحديدها إضافة (ال) التعريف لها، وقيل عنها هي: " قطعة الأرض التي عليها الشجرة الكائنة بشاطئ الوادي"[٢]. وتميزها عما حولها هو الذي سبَّب اختيار السياق لها، وبالتالي كان اختيار السياق لها مقصود لغوياً ودلالياً؛ لما تضفيه على السياق من معانٍ لا يتأتى لغيرها من مثل:(الأرض– المنطقة– القطعة)فكلها تعبر عن منطقة مجهولة المساحة وغير محددة وبالتالي تفردت البقعة هنا ولا يغني غيرها مكانها. ويقول حقي عن علة وصفها بالمباركة:" لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله سيدنا موسى فيها"[٣].

135– أَفْصَح: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾[٤]. والآية هو: أمر الله لسيدنا موسى بالذهاب لفرعون ودعوته وطلب موسى من الله ليكون معه هارون أخوه للتصديق والتقوية.

ويقول ابن فارس في أصلها اللغوي ومعناها: "الفاء والصاد والحاء أصلٌ يدلُّ على خُلوصٍ في شيءٍ ونقاء من الشَّوب. ومن ذلك: اللِّسان الفصيح:الطَّليق. والكلام الفصيح: العربيّ. والأصلُ أفْصَحَ اللّبَنُ: سكنت رَغْوتُه. وأفْصَحَ الرّجل: تكلَّم بالعربيَّة. وفَصُح: جادت لغتُه حتَّى لا يلحَنُ"[٥].

واستعمال السياق هنا لكلمة أفصح جاء متسقاً تماماً معه؛ حيث المقام مقام جدال ومقارعة وحجج وبراهين وأدلة وتدافعٍ بالشُبهات ورشقٍ بالاتهامات، فضلاً عن أن فرعون وقومه أهل كبر وشدة وغلظة وقساوة، يحتاجون إلى قوةٍ في البرهان ووضوحٍ في البيان، ولسانٍ ثابت الأركان. وموسى– عليه السلام – سيكون وحده و أيضاً قَلَقهُ من أن يتمالأ هؤلاء عليه وهم كُثُر، وبالتالي تفوت عليه الفرصة من تبليغهم وإقامة الحجة عليهم، ولقد علَّل سيدنا موسى لاختيار هارون لأسباب وجيهة جداً كلها متناسبة لما عليه الحدث ففي لسانه فصاحة وبيان، وسيكون

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج1. ص263.

(٢) حومد.(2009/1419).**أيسر التفاسير**.ج3.ص167.

(٣) حقي.(1287هـ).**روح البيان**.ج10.ص145.

(٤) سورة القصص، آية رقم:(34).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج4.ص404.

ردءاً له يقويه ثم خوفه من تكذيب هؤلاء له، وهذا ما يحتاجه أي صاحب مناظرة مع خصمه، وكذلك اتسقت الكلمة لغةً فلا يغني غيرها من مثل: (أوضح- أحسن- أقوى- أبين...إلخ)؛ حيث انطوت كلمة أفصح على كل هذه المعاني وفوق ذلك أنه ليس عنده من عيوب النطق شيء، فضلاً أنه لايصاب بتلعثم حيث الجو ملبد بالخوف والتهديد بالقتل، فالجو لا يساعد أبداً على استقامة لسان ولا ثبات جنان ومع هذا فلا يشغله هذا عما أُسْنِد إليه من مهمة الدفاع والتبليغ، ولا يلحن ولا يشوبه سرعة ولا بطء. والتعبير بقوله: (أفصح) على وزن اسم التفضيل معناه أن سيدنا موسى عنده فصاحة ولكن هارون أفصح ولا ينسحب على أنْ ليس عنده فصاحة مطلقاً، وهذا ما يؤكده صاحب البحر المحيط قائلاً: " و{أَفْصَحُ}:يدل على أنه فيه فصاحة، ولكنَّ أخاه أفصح.{فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ}: أي معيناً يصدقني، ليس المعنى أنه يقول لي: صدقت؛ إذ يستوي في قول هذا اللفظ العيي والفصيح، وإنما المعنى: أنه لزيادة فصاحته يبالغ في التبيان، وفي الإجابة عن الشبهات، وفي جداله الكفار"[١]. وأخيراً لعل استعمال السياق جملة(هو أفصح مني لسانا) أي من جهة اللسان للعقدة التي كانت حصلت له من وضع الجمرة في فيه وهو طفل في كفالة فرعون عندما نتف شعرة من لحيته، وهذا ما ذهب إليه كثير من المفسرين [٢]، وعليه تكون الكلمة متفقة حالاً وسياقاً مع المقام.

136- ردءاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[٣]. وسياق الآية في معرض طلب سيدنا موسى- عليه السلام – من الله- عز وجل- أن يرسل معه أخاه هارون ليكون معيناً له وناصراً في تبليغ الدعوة.

والردء: "العون، تقول: فلان ردء فلان أي معينه، والردء: الناصر، تقول: فلان ردء لفلان أي ينصره ويشد ظهره"[٤]. والكلمة تنطوي على دلالات كثيرة منها النصير والمعين والمؤيد والمانع والمساعد والحاجب. ولقد جاء السياق بالكلمة في صورة المصدر لتأكيد شدة احتياجه له فإن بقي حياً فهو ناصر ومعين له بالحجة والمحجة فقد علل سلفاً سر اختياره له من أنه أفصح منه لساناً وأبين في سوق الدليل والإقناع، وكلمة ردءاً جاءت نكرة بدون تحديد لتشمل كل أنواع العون والنصرة والتآزر، والأمر من موسى- عليه السلام – على سبيل الالتماس والرجاء خاصة بعد أن

---

(١) الأندلسي.(1420هـ).**البحر المحيط**.مرجع سابق.ج7.ص126.

(٢) المراغي،أحمد مصطفى.(1365هـ/1946م).**تفسير المراغي**.مصر: مصطفى البابي الحلبي.ج20.ص47.

(٣) سورة القصص، آية رقم:(34).

(٤) الفيومي.(د.ت). **المصباح المنير**.مرجع سابق.ص86.

أوضح في السياق الدوافع خلف هذا الطلب. والآية كلها تشي بمدى المجهود الضخم والاستعداد الكامل والتأهب من موسى- عليه السلام - قبل لقاء فرعون، فلقاؤه ليس باليسير وهو من هو في ذلك الوقت، فكان لزاماً أن يتجهز بكل ما يملك، فلما علم من نفسه خوفاً طلب العون والمساعدة لأن هارون أ طلق منه لسانا بالبيان، وكان فى لسان موسى -عليه السلام- عقدة من قبل الجمرة التى تناولها و أدخلها في فيه تمنعه عن إعطاء البيان حقه ولذلك قال فرعون ولايكاد يبين. والكلمة لا يغني غيرها مكانها؛ من حيث إنها شملت معاني كثيرة -كما سبق- وعلاوة على ذلك وحسب المعنى الاشتقاقي فهي بمعنى السند الذي يقوي ظهره ويشده وكأنه حائط صد منيع لايؤتى من قِبَله. وهي أيضاً تضفي ظلال القوة والثبات والصلابة، وهذا لا يتأتى لغيرها من الكلمات الأخرى المشابهة لها في المعنى.

والمتأمل فى هذا الكلام الذى ساقه الله - تعالى- على لسان موسى- عليه السلام - يرى فيه إخلاصه فى تبليغ رسالة ربه، وحرصه على أن يؤتى هذا التبليغ ثماره الطيبة على أكمل صورة، وأحسن وجه. وقيل: "إنما سأل موسى ربه أن يؤيده بأخيه، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد"[1].

137- الْمَقْبُوحِين: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾[2]. والآية هو: بيان عاقبة وعقوبة فرعون وقومه.

والقبح: "نقيض الحسن....وقبّحه الله أي نحّاه عن الخير فهو من المقبوحين، والقبح يكون في الصورة والفعل"[3]، ولقد عبّر السياق عن فرعون وقومه هنا في هذه الآية بقوله: (المقبوحين) ولم يقل: (القبيحين) وغيرها مما لها نفس المعنى والترادف؛ وهذا لأن المقبوحين تنسحب على بعدين: الأول منهما: وهو البعد الروحاني فهم مبعدون من رحمة الله مطرودون بعيداً عن كل خير، والبعد الثاني: وهو البعد في الصورة أي في الشكل والهيئة التي تكون على أقبح ما يكون يوم القيامة من سوادٍ في الوجه وزرقةٍ في العين، وهذا ما لا يتأتى لغيرها من الكلمات؛ ولذا تفردت هنا في هذا السياق ولم يغن غيرها غناءها. والتعبير بقوله:وهم في الآخرة من المقبوحين نتيجة طبيعية جداً أن تتغير وجوههم من جمال إلى قبح لما أيقنوا به من مصير ومآل وكذلك طرد ولعنة، فليس أقل من أن يكون قبيح الطلعة وقبيح الوجه وقبيح الهيئة والصورة والخلق والسُّمْعَة؛ وهذا لما قام به

---

(١) الطبري.(2000م).**جامع البيان في تأويل القرآن**.مرجع سابق.ج19.ص577.

(٢) سورة القصص، آية رقم:(42).

(٣) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج1.ص394.

من تقبيح من قبل حالَ حياته في الدنيا من توبيخ لآيات الله واستهزاءٍ برسل الله، وبالتالي جاء الجزاء من جنس العمل. والآية كلها تنطوي على لطيفة ونكتة بلاغية وهي كما عبر عنها ابن عاشور: " والتخالف بين صيغتي قوله {وَأَتْبَعْنَاهُمْ}وقوله {هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}؛ لأن اللعنة في الدنيا قد انتهى أمرها بإغراقهم، أو لأن لعن المؤمنين إياهم في الدنيا يكون في أحيان يذكرونهم، فكلا الاحتمالين لا يقتضي الدوام فجيء معه بالجملة الفعلية، وأما تقبيح حالهم يوم القيامة فهو دائم معهم ملازم لهم فجيء في جانبه بالاسمية المقتضية الدوام والثبات"(١). وعلاوة على ذلك فإن لفظة (المقبوحين) تبعث مشاعر من الاشمئزاز والتقزز على المشهد فلا تكاد تسمعها إلا وتتوقع خبث صورتهم وبشاعة أشكالهم وهذا ما قاله سيد قطب- رحمه الله -: " ولفظة «الْمَقْبُوحِينَ» ترسم بذاتها صورة القبح والفضيحة والتشنيع، وجو التفزز والاشمئزاز. ذلك في مقابل الاستعلاء والاستكبار في الأرض، وفتنة الناس بالمظهر والجاه، والتطاول على اللّه وعلى عباد اللّه"(٢). وعليه فإن اختيار السياق لها في هذا المقام متسق تماماً مع الخيط الفكري للسياق، ومتفق ومقصود الآية.

138- الْعَنْكَبُوت: ورد في قوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ ﴾(٣). والآية في الحديث عن أهل الشرك والكفر الذين اتخذوا من دون الله أولياء بضرب مثال لهم.

وأصلها: (عنكب) والعَنْكَبُوتُ دُوَيْبَّة تَنْسُجُ في الهواءِ وعلى رأْس البئر نَسْجاً رقيقاً مُهَلْهَلاً وهي مؤنثة ومذكرها العنكب، والتأْنيث في العنكبوت أَكثر والجمع العَنْكبوتاتُ وعَنَاكِبُ وعَنَاكِيبُ عن اللحياني وتصغيرها عُنَيْكِبٌ وعُنَيْكِيبٌ"(٤).

والعنكبوت: "صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل وهي ثلاثة أصناف، منها صنف يسمى ليث العناكب وهو الذي يفترس الذباب، وكلها تتخذ لأنفسها نسيجاً تنسجه من لُعابها يكون خيوطاً مشدودة بين طرفين من الشجر أو الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانباً أغلظ وأكثر اتصال خيوط تحتجب فيه وتفرّخ فيه. وسمي بيتاً لشبهه بالخيمة في أنه منسوج

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتوير**.مرجع سابق.ج20.ص62.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج5.ص2695.

(٣) سورة العنكبوت، آية رقم:(41).

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.مرجع سابق.ج1.ص632.

ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر "[١]. والمعنى هو: ضرب الله– تعالى– مثلاً للمشركين الذين اتخذوا آلهة من دون الله، يرجون نفعهم ونصرهم ورزقهم فقال: إن مثل عمل هؤلاء المشركين، مثل العنكبوت التي اتخذت بيتا تحتمي به، مع أن بيتها هو أوهى البيوت، وأضعفها، وأبعدها عن الصلاح لتأمين الحماية، ولو علم المشركون حقيقة حالهم لما اتخذوا من دون الله أولياء لا يغنون عنهم شيئاً، لكن الجهل بلغ من هؤلاء حدا لا يستطيعون معه التمييز بين الخير والشر. والآية تنطوي على تمثيل بديع من مبتكرات؛ إذ تنطوي على تشبيه تمثيلي حيث شبه هيئة بهيئة وهي تشبيه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها واعتمد عليها راجيا نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التى اتخذت بيتا فكما أن بيتها لايدفع عنها حراً ولا برداً ولا مطراً ولا أذىً وينتقض بأدنى ريح فكذلك الأصنام لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً.

وحقيقة هذا التمثيل كان أصدق وأبلغ وأقوى وأوقع؛ " إذ إن العنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه ، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفاً إلى ضعفهم ، ووهناً إلى وهنهم ، فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل "[٢]. والعنكبوب يتخذ لنفسه بيتاً، " ولكن كلما زاد نسجاً في بيته ازداد بُعْداً في الخروج منه ؛ فهو يبني ولكن على نفسه يجني "[٣] ، كذلك الكافر يسعى ولكن على نفسه يجني. وبيتُ العنكبوتِ أكثره في الزوايا من الجدران، كذلك الكافر أمره على التّقِيّةِ والكتمان، وأمَّا المؤمِن فظاهِرُ المعاملةِ، لا ستر ولا مواربة ولا تدليس. ووصف بيت العنكبوت بأوهن البيوت لأنه بلا أساسٍ ولا جدران ولا سقف وغير متماسك كذلك الكافر ، وفيه إشارة إلى أنه لا أ صل لموالاة ماسوى الله. والآية تنطوي على نوع من الإعجاز شائق، نلاحظه في الآتي: " إن كلمة العنكبوت وردت في الآية الكريمة بصيغة التأنيث لا التذكير «اتخذت بيتا». فالعلماء لم يكتشفوا إلا مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي من يقوم بإفراز المادة الحريرية وجدل الخيوط وغزل الشبكة. وكلمة (اتخذت) لا تشير فقط إلى أنثى العنكبوت بل إلى وجود عملية بناء حقيقية تقوم بها بغرض السكن والتفريخ. وفي المقابل يقتصر دور الذكر على التلقيح والارتماء عند

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج11.ص76.

(٢) السعدي.(2000/1420).**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**.مرجع سابق.ج1.ص631.

(٣) القماش،عبد الرحمن بن محمد.(2009م).**الحاوي في تفسير القرآن**.الإمارات.(د.ن).ج11.ص354.

قدمي الأنثى كي تأكله بعد انتهاء عملية التزاوج. وهذا المصير المخيف جعل بعض المفسرين يرون أن المقصود– في الآية الكريمة – هو وهن البيت من الناحية الاجتماعية والأخلاقية لا المادية والميكانيكية؛ فبالمقارنة – حتى مع عالم الحشرات – يُعَدُّ بيت العنكبوت «أوهن البيوت»من الناحية الأسرية وأكثرها أنانية وشراسة ؛ فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح وتأكل أبناءها بعد خروجهم من البيض. ومن هذا المنظور تسجل الآية سبقاً فريداً من حيث الإخبار عن السلوك الداخلي للعنكبوت ووهن بيتها من الناحية الأخلاقية والاجتماعية.!!"[1]

والتفريق بين وهن البيت«كوصف مجازي» وقوة المادة التي يبنى منها يثبته استعمال الآية الكريمة لكلمة «بيت» وليس«خيطاً» أو«شبكة». أضف لهذا أن وهن البيت– من الناحية الاجتماعية والأخلاقية–جاء أصلا في سياق ضرب المثل بمن يتخذ من دون الله أولياء حيث الصلات واهية والروابط متقطعة والغدر وارد في أي لحظة.

وفي بيت العنكبوت إعجاز العلمي يوضحه بحث لأستاذ علم الحشرات ووقاية النبات بكلية الزراعة جامعة عين شمس الدكتور/البمبي، وهذا البحث تناول الدكتور فيه حشرة العنكبوت وطريقة حياتها وكيفية بنائها لبيتها وأسلوبها في صيد فريستها ثم تطرّق البحث إلى الإعجاز القرآني والذي ثبت علمياً حول هذه الآيات. وقد استهل الدكتور بحثه بقول الله تعالى(كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً)، فقال :"ذكر الله تبارك وتعالى كلمة {اتَّخَذَتْ} وهي فعل اتصل به تاء التأنيث للدلالة على المؤنث بعد كلمة العنكبوت، وهي كلمة مذكرة مما يبدو معه بداهة أن هناك – عياذاً بالله – خطأً لغوياً في الآية، يقول الدكتور: "لو صحت لغوياً لكان خطأ علمياً، وهذا لا يمكن أن يصدر من خالق العنكبوت وخالق الكون كله. فمن خلال الدراسات المستفيضة في علم الحشرات وعن طبيعة حشرة العنكبوت اتضحت لنا الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن ذكر العنكبوت لا يستطيع أن يبني بيتاً ، وأن التي تقوم ببناء البيت هي أنثى العنكبوت فقط من خلال مغزل خاص موجود في نهاية بطنها، ولا يوجد مثله عند الذكر. الحقيقة الثانية: لا تبدأ الأنثى في بناء هذا البيت إلا حينما تصل إلى مرحلة البلوغ والاستعداد للزواج ، فتقوم عند ذلك ببناء بيتها، والذي يكون عامل جذب قوي للذكر غير القادر على البناء بطبيعة خلقته. الحقيقة الثالثة: تقوم الأنثى ببناء بيتها بخيوط منسوجة بتداخلات فنية وهندسية خاصة بحيث تكون شديدة الحساسية لأية اهتزازات خارجية، وهذه الخيوط مشبعة بمادة لزجة صمغية

---

(١) عضو ناشط.(2012/9/15). **الإسلام الحق**. انظر موقع :www.swalef soft.com.تاريخ الزيارة:2012/12/2م.

تلتصق بها أية حشرة بمجرد مرورها عليها أو الاقتراب منها، وهذه الخيوط تقوم بتكبيل الحشرة حتى تأتي أنثى العنكبوت فتفترسها. الحقيقة الرابعة: بعد أن تتم مرحلة التزاوج وينتهي الذكر من تلقيح الأنثى، تذهب الأنثى إلى مكان بعيد آمن حيث تضع بيضها وبينما الذكر في بيته يشعر بالأمان، فإذا بالأنثى تنقض عليه فتأكله ، وهذا الأكل لا بد أن يتم ؛ حيث إن أنسجة الذكر مهمة في عملية إنضاج البيض. وبهذه الحقائق التي استخلصها الباحث من بحثه تتضح لنا الأمور التالية:

أولاً: بيت العنكبوت هو أوهن البيوت علي الإطلاق من حيث بنائه ودقة خيوطه التي لا تقي حراً ولا قراً ولا تدفع عن ساكنه عدواً كما قال أهل التأويل رحمهم الله.

ثانياً: على الرغم من أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت على الإطلاق، إلا أنه لا يعدو كونه فخاً وشركاً منصوباً لأية حشرة تقترب منه أو تمرُّ عليه.

ثالثاً: لا يقتصر وهن بيت العنكبوت على الوهن الحسي الطاهر في بنائه فقط، بل إن هناك وهناً معنوياً آخر، حيث بدا هذا البيت لذكر العنكبوت أماناً كاذباً وقد كان مصرعه حيث ظن هذا الأمان. وإذا أردنا أن نقف علي وجه الشبه كاملاً بين بيت العنكبوت وطائفة ممن اتخذوا من دون الله أولياء، فلن نجد أجلى وأظهر من طائفة عباد الأموات الذين اتخذوا من دون الله أولياء يستنصرون بهم ويذبحون لهم وينذرون لهم ويستغيثون بهم من دون الله-عز وجل-"[١]. وعلى ما تقدم ذكره فقد تفردت الكلمة في هذا السياق، ولله در التعبير القرآني.

139- الرُّوم: ورد في قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[٢]. والآية في الحديث عن معركة حدثت بين الفرس والروم وغُلِبتْ فيها الروم.

والروم: "اسم قوم، أصلهم من روما، وقد امتد سلطانهم في بلاد كثيرة. وأكثر الغربيين اليوم من نسلهم. وهم جيل معروف واحدهم رومي ينتمون إلى عيصوبن إسحاق النبي- عليه السلام"[٣].

ولقد تفردت هنا في هذا السياق؛ لأنها لم تتكرر في القرآن كله، ولم تتكرر قصتهم. والآية تنطوي تحت ما يسمى بالإعجاز التاريخي أو الغيبي في القرآن الكريم؛ حيث إنه أخبر من خلالها على انتصار الروم بعد فترة زمنية وجيزة لا تتجاوز بضع سنين. في وقت لا مجال فيه

---

(١) النجار،زغلول.(2012/3/1م).**الإعجاز العلمي في قوله تعالى(إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)**. انظر :http://www.factway.net،تاريخ الزيارة:2013/4/1م.

(٢) سورة الروم، آية رقم:(2).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ص24.

للتنبوءات ولا للتخرصات ولا للحسابات الدقيقة الموجودة الآن التي من خلالها تستطيع أن تقرب وتتوقع بشكل كبير ما سيكون عليه المستقبل. وهذا ما أكدّه صاحب الوسيط قائلاً:" من وجوه إعجاز القرآن الكريم: الإخبار عن المغيبات سلفا في المستقبل، ووقوع الأشياء كما أخبر تماما، ومن هذه الأخبار الغيبية: هزيمة الروم أمام الفرس، ثم انتصار الروم على الفرس، وذلك في حدود بضع سنوات من ثلاث إلى عشر، كما أخبر القرآن، فبعد نزول سورة الروم سنة(622م)ببضع سنين في سنة (627م) أحرز هرقل عظيم الروم أول نصر حاسم للروم على الفرس، في نينوى، على نهر دجلة، وانسحب الفرس لذلك من حصارهم القسطنطينية، ولقي كسرى أبرويز مصرعه سنة (628م) على يد ولده: شيرويه، وهذا ما أرّخه القرآن قبل وقوعه في مطلع سورة الرّوم المكّية"[(١)].

140- خَتَّار: ورد في قوله تعالى:﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾[(٢)]. والآية في التأكيد على أن الله هو المنقذ والمنجي، غير أن المشركين دائماً متناقضون، جاحدون بنعمة الله غير مقرِّين له بها.

وحول أصلها يقول ابن فارس: " الخاء والتاء والراء أصلٌ يدلُّ على تَوانٍ وفُتُورٍ. يقال تَخَتَّرَ الرجلُ في مِشيته، وذلك أن يَمشي مِشْية الكَسْلان. ومن الباب الخَتْر، وهو الغَدْر، وذلك أنّه إذا خَتَر فقد قعَد عن الوفاء. والخَتَّار: الغَدّار"، وقيل: الختر: شبيه بالغدر والخديعة، وقيل هو الخديعة بعينها، وقيل: هو أسوأ الغدر وأقبحه"[(٣)].

والمدقق في الختر يجد أن من معانيه الضعف وذلك لأن الختار يجتهد في هذا الغدر حتى يتعب، ثم يعقبها السياق بذكر كلمة (كفور) وهي بصيغة المبالغة للدلالة على أن الغدر أصبح عادةً له لا يفارقها فهو مبالغ في كفران نعم الله تعالى عليه، وصرَّح بهما؛ لأنهما من أقبح ما يوصف به الكافر. ويعلل الثعالبي بوصف الكافر هنا بالغدر قائلاً: "إن مِنَن اللّه على العباد كأنها عهود ومِنَنٌ يلزمَ عنها أداء شكرها، والعبادةُ لمسديها، فمن كفر ذلك، وجحد به، فكأنه ختر وخان"[(٤)]، ومجيء الكلمة على طريق المبالغة في الوصف لَهِيَ أقبح وأليق ما يمكن أن يوصف به من يجحد بآيات الله بعد ما رأى من الآيات والمعجزات والمشاهد الكونية والتي تتناسب مع الفطرة

---

(١) الزحيلي.(1422هـ). **المنير**.مرجع سابق. ج3.ص1982.

(٢) سورة لقمان، آية رقم:(32).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص244.

(٤) الثعالبي.(د.ت).**الجواهر الحسان** .مرجع سابق. ج3.ص199.

النقية والتي يدعو إليها مبدأ المنطق والعقل. إذن فالكلمة هنا مناسبة لسياق الآيات التي سيقت من أجلها فالمقام فيه وعد فلابد للوعد من وفاء ولكنهم غرّتهم أنفسهم وإمهال الله لهم بعد أن أنجاهم من الهلاك المحقق، والوعد إذا كان مع بشر نسمي الذي يخالف مخالفاً، أما هنا فالوعد مع الله وبالتالي جاء اللفظ شديداً وبصيغة المبالغة وكأنها ليست أول مرة يصدر منهم مثل هذا الصنيع، فهو معتادون على هذا الأمر، وجاءت الكلمة نكرة للتقليل والتحقير من شأن من يفعل هذا، واستناداً إلى المعنى الاشتقاقي فإن الختر هو أسوأ الغدر وأقبحه؛ لأن صاحبه لا يصبر على ماقطعه على نفسه، فضلاً عن رد الجميل بالإساءة، والنعمة بالكفران، والوفاء بالغدر، والعهد بالخيانة. وعليه فلم يغن غيرها غناءها في هذا السياق؛ ولذا تفردت فيه.

141- جَوْف: ورد في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[١]. والآية في الحديث عن أقوال المشركين في قضايا التبني والظهار وإبطالها ودحض ما تهموا به النبي(ص).

يقول ابن فارس: "الجيم والواو والفاء كلمةٌ واحدة، وهي جَوْفُ الشيء. يقال هذا جَوْفُ الإنسان..."، " المطمئن من الأرض، وجوف الإنسان بطنه، والأجوفان البطن والفرج، والجائفة الطعنة التي تبلغ الجوف "[٢]. والجوف: باطن الإنسان أي ما بداخله صدره وبطنه وهما مقرا الأعضاء الرئيسة فيما عدا الرأس التي تحوي العقل ومراكز الإحساس وغيره، و ولو دققنا النظر في القلب سنجده في تجويف صدري محاط بعظام وكأنه في صندوق أجوف أي فارغ من الداخل فصدقت الكلمة مكانا وموقعاً في إطلاقها على الجوف الذي هو في الأصل الصدر وما بداخله، وهذا طبقاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[٣]؛ ونجد ابن عاشور يوضح لنا سر ذكر هذا الظرف هنا وتأكيده على أنه لتقرير المعنى وتصوير مدلول اللفظ للتقريب، قائلاً: "وفائدة ذكر هذا الظرف زيادة تصوير المدلول عليه بالقلب وتجليه للسامع فإذا سمع ذلك كان أسرع إلى الاقتناع بإنكار احتواء الجوف على قلبين، وذلك مثل قوله تعالى: {وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}ونحوه من القيود المعلومة؛ وإنما يكون التصريح بها تذكيرًا بما هو معلوم وتجديدًا لتصوره، ومنه قوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ}"[٤]، وهذا ما يفعله القرآن دائماً من تقريب المعاني بضرب الأمثلة لها أو بذكرها بكل

---

(١) سورة الأحزاب، آية رقم:(4).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج1.ص495.

(٣) سورة الحج، آية رقم:(46).

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق. ج21. ص148

تفاصيلها إمعاناً في الإفهام، وتفادياً لأصحاب الاحتجاج لاحقاً، وعليه فقد تفردت كلمة الجوف هنا ولم يغن غيرها غناءها.

142- نَحْبَه: ورد في قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ ﴾[١]. والآية في الحديث عن وفاء المؤمنين بوعدهم وصدقهم مع الله.

يقول ابن فارس: "النون والحاء والباء أصلانِ: أحدهما يدلُّ على نَذْرٍ وما أشبَهَه من خَطَر أو إخطار شيء، والآخر على صوتٍ من الأصوات. فالأوّل: النَّحْب: النَّذْر. وسار فلانٌ على نَحْبٍ، إذا جهد، فكأنَّه خاطَرَ على شيءٍ فَجدَّ....... وكذا النَّحْب: الموت، كأنَّه نذْرٌ ينذُرُهُ الإنسان يَلزَمُه الوفاءُ به، ولا بُدَّ له منه. "[٢]، "والنَّحْبُ فِي كَلاَمِ العَرَبِ: النَّذْرُ والشَّيءُ الذي يلتزمُهُ الإنسان، وقَد يُسَمَّى الموْتُ نَحْباً، وبهِ فسَّر ابن عبَّاس وغيرُه هذه الآيةَ، ويقال للذي جاهد في أمرٍ حتى ماتَ: قضى فيه نحبه، ويقالُ لمن مات: قَضَى فلانُ نَحْبَه؛ فمن سَمَّى المفسرون أنّه أُشِيرَ إليه بهذه الآية أنس بن النضر عَمُّ أنسِ بن مالكٍ، وذلك أنه غَابَ عن بَدْرٍ فساءَه ذلك، وقال لَئِنْ شَهدت مع رسولِ اللّه – صلى الله عليه وسلم – مَشْهَداً لَيَرَيَنَّ اللّهُ ما أصْنَعُ. فلما كان أُحُد أبلَى بلاءً حَسَناً حَتَّى قُتِلَ وَوُجِدَ فيه نَيِّفٌ على ثمانينَ جُرْحاً، فكانوا يَرَوْنَ أن هذه الآيَةَ في أنس بن النضر ونظرائه"[٣]. وبناءً على كلام المعجميين والمفسرين يتضح أن كلمة نحباً تتسع لأكثر من مدلول وهي النذر والأجل والعهد وكلها تتسق تماماً ومقصود الآية وهذا ما لا يتوفر لأي كلمة أخرى من مثل: (أجله- عمره- نذره)، وكأن الرجل بموته يكون قد أدى ما عليه واستكمل مهمته ووفى بعهده، والآية فيها دعوة للنذر بالموت في سبيل الله؛ لأنه قدر محتوم علينا، ويكأن الذي سيموت في سبيل نصرة هذا الدين والعقيدة هو الذي يمكن أن نطلق عليه (قضى نحبه)؛ لأنها تتماشى والجزء الذي قبلها من الآية (صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ) كما فعل الصحابة الأولون. وقد تنسحب على غيره ممن يموت ولكن ليس في عنقه بيعة؛ لأنه سبق أن تمت الإشارة على أن النحب بمعنى الموت فشاع استعمالها على الميت مطلقاً. وعليه فالكلمة هنا لم يغن غيرها مكانها في هذا السياق.

---

(١) سورة الأحزاب، آية رقم:(23).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص404.

(٣) الثعالبي.(د.ت).**الجواهر الحسان**.مرجع سابق.ج3.ص214.

143- صَيَاصِيْهِم: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾[1]. وسياقها في الحديث عن هزيمة بني قريظة الذين تواطؤوا مع قريش في غزوة الأحزاب، فإن اللّه تعالى أنزلهم من حصونهم وقلاعهم، وأجلاهم عنها، وألقى في نفوسهم الخوف الشديد، لممالأتهم المشركين على محاربة النبي – صلّى اللّه عليه وسلّم-، وصار أمرهم أن قتل المسلمون فريقًا منهم، وهم الرجال المقاتلون، وأسروا فريقًا منهم، وهم النساء والصبيان. والصياصي: "الحصون، وكل شيء امتنع به وتُحِصِّن به فهو صيصية "[2]، والصياصي تطلق كذلك على قرون البقر، وهي تتخذ لها قوة للدفاع عن نفسها بالتناطح، وهي كذلك تُقادُ منها؛ لأنها مجمع قوتها وتملُّك زمامها، ولقوة قرون البقر كانت العرب تُرَكِّبُها في الرماح مكان الأسنة[3]، وعليه فإن الآية تنطوي على تشبيه رائع؛ حيث شبه نزولهم من حصونهم كأنهم بقر منقادون من قرونهم، وهذا لتقرير ذلِّهم وإمكان المسلمين منهم، وفيه إشارة إلى سيطرة المسلمين الكاملة عليهم وانقيادهم صغاراً أذلاء. والكلمة لا تغني غيرها غناءها من مثل: (حصون- قلاع- ملاجيء....)؛ لأن الصياصي أقوى في التعبير عن المراد؛ إذ إن الصياصي في لغة العرب تطلق ولها عدة معاني، فإذا ما أطلقت فإنه يتبادر إلى ذهن السامع جميع هذه المعاني من شوك النساجين الذي يحكّون به، والشوك الناتيء حول رجل الديكة كل هذا يقال له صياصي، كما أنه لو جاء التعبير بـ (حصونهم) لانحصر ذهن السامع في الحصون الحربية فقط، أما صياصي فتنسحب على كل الحصون بأنواعها وبأشكالها المختلفة وفوق ذلك مدى قوتها ومتانتها؛ فالكلمة تجعلك تذهب بخيالك لتتوقع كيف كانت هذه الحصون وما عليها من تحصينات ومتاريس التي تتناسب مع طبيعة اليهود. وعبَّر بالصياصي؛ لأنها أشد أنواع الحصون وهذا يتناسب مع ما كان عليه اليهود من جبن وخور ورعب، وقال بها؛ لأنها تشبه قرون البقر التي هي في أصلها قوية وشديدة لا تلين ولا تكسر ولذا كانت سلاحاً قوياً لا يُخْتَرَق، ومنها أُطلق على الحصون الصياصي لقوتها ولشدتها ولصعوبة الأمر بها كما لو أنها قرون بقر لذا تفردت هنا في هذا السياق. والآية تنطوي على أعجب وأندر وأغرب حالات القتل؛ " إذ إن الإنسان يدافع عادة عن نفسه، عن ماله، عن عرضه، عن داره، عن أهله، عن أرضه، فإذا اجتمعت كلها يدافع عن كل شيء. فكيف إذا جاء أحدهم وقال لك أعطني

---

(١) سورة الأحزاب، آية رقم:(26).

(٢) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج4.ص1044.

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج1.ص2537.

سيفك لأقتلك وآخذ مالك وأرضك وكل ما تملك؟"[1] هذه تعتبر من أغرب حالات القتل وأندرها. فما بالك إذا كان هذا الشخص في حصن فقيل له انزل حتى أقتلك؟ هذه حالة أعجب! والحالة في الآية المذكورة؛ إذ تقول أنه أنزلهم من الحصن وألقوا أسلحتهم وأخذ أراضيهم وديارهم وأموالهم وأولادهم فهل هناك أعجب وأغرب من هذه الحالة!؟ فلقد أَلْقى الرجال الموجودون في الحصن أسلحتهم من غير قتال وكانوا في حالة رعب عجيبة فسلّموا كل ما عندهم من أسلحة، ونزلوا من حصونهم، وأُسِرت نساؤهم وذريتهم فَقُدِّم فريق للقتل وآخر للأسر. وعليه فقد تفردت الكلمة هنا في هذا المقام.

144- وَطَرا: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾[2]. والآية في الحديث عن قصة زيد بن حارثة و زينب بنت جحش وطلاقهما وزواج النبي- صلى الله عليه وسلم - منها.

ومادة هذه الكلمة هي: (وطر) و" الوَطَرُ كلُّ حاجةٍ كان لصاحبها فيها همة فهي وَطَرُه قال ولم أَسمع لها فعلاً أَكثر من قولهم قضيت من أَمر كذا وَطَرِي أَي حاجتي وجمع الوَطَرِ أَوْطارٌ قال الله - تعالى - فلما قَضَى زَيْدٌ منها وَطَراً قال الزجاج الوَطَرُ في اللغة والأَرَبُ بمعنى واحد ثم قال الخليل الوَطَرُ كل حاجة يكون لك فيها هِمَّةٌ فإِذا بلغها البالغ قيل قضى وَطَرَه وأَرَبَهُ ولا يبنى منه فعل"[3].

والكلمة هنا قد اتسقت تماماً مع السياق؛ حيث إن معناها هو بلوغ منتهى ما في النفس من الشئ يقال قضى منها وطراً إذا بلغ ما أراد من حاجة فيها، والكلمة تشي بانقضاء العدة، وخلو رحمها من أي تعلق منه، وعدم رغبته في الاستمرار معها وبالتالي فقد قضى منها وطره، إذن نقول الوطر ما لم يكن ثمت تعلق بها من أي نوع، وتأكد هذا الكلام باستعمال السياق قوله: (قضى) بالتعبير بالفعل الماضي، وجاءت الكلمة بالإفراد والتنكير لتفيد شمول وعموم انقضاء جميع حاجاته منها وانتهائها. ثم استعمل اللفظ وكُنِّي به عن الطلاق؛ لأن الرجل إنما يطلِّق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة، والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصر حظه منها بالنكاح ووطره منه ا طلقها، وما حدث تماماً هو ما عبرت عنه هذه الكلمة. والكلمة لا يغني غيرها مكانها من مثل: (الحاجة - الرغبة - النهمة)؛ فالوطر أشمل من كل هذه الكلمات؛ لأنها تشمل الجماع وغيره مما

---

(١) السامرائي.(2010/7/26م).لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.انظر موقع: www.lip.eshia.ir/42006/1/866. تاريخ الزيارة:2012/12/3م.

(٢) سورة الأحزاب، آية رقم:(37).

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج51.ص4866.

يدعو الرجل للبقاء مع المرأة، أما هذه الكلمات فغالباً ما تشير إلى مدلول واحد فقط وهو الجماع وهو واحد من جملة الأوطار.

145- السَّرد: ورد في قوله تعالى:﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾[1]. والآية في نعم اللّه على داود – عليه السلام –، ومنها عليه صناعة الدروع الحربية.

يقول ابن فارس: " السين والراء والدال أصلٌ مطّرد منقاس، وهو يدلُّ على تَوالِي أشياء كثيرةٍ يتّصل بعضُها ببعض. من ذلك السَّرْد؛ اسمٌ جامعٌ للدروع وما أشبهها من عمل الحِلَق، وقالوا: معناه ليكنْ ذلك مقدَّراً، لا يكونُ الثَّقْب ضيّقاً والمِسمارُ غليظاً، ولا يكون المسمار دقيقاً والثقب واسعاً، بل يكون على تقدير، والسرد في اللغة: تقدم شيء إلى شيء تأتي به متسقاً بعضه في أثر بعض متتابعاً" [2]. والسرد في الأصل يستعمل مع الكلام أو الحكاية لأنه يتم فيه تتابع وتوالي الكلام بعضه بعد بعض واستعير هنا في صناعة الدروع؛ لأنه يكون فيه كذلك متابعة حلق الدروع واحدة تلو الأخرى وكأنها تُشَبَّهُ بالكلام يأتي منظوما متتابعاً متناسقاً متساوياً، وهذا ما يؤكده الثعالبي قائلاً: " مُتَابَعَةُ حَلَقِ الدِّرْعِ شَيْئاً بعد شيء حتى يتناسقَ، يقالُ: فُلاَنٌ يَسْرِدُ "[3]، والمعنى والتوجيه لسيدنا داوود– عليه السلام– أي اقتصد في نسجها؛ بحيث تناسب حلقها حتى لا يكون هناك خلل ما، كما أن الكلام إذا جاء مخلاً فسد المعنى واختلط على الناس الفهم ولم يدركوا مقصود الكلام، وكذا الدروع اقتصد في نسجها وأحكم صنعها لتكون حسب الحاجة تماماً لئلا يترتب عليها ضرر، فهي صنعت للحماية فالأولى أن تكون خفيفة حتى لاينوء صاحبها بحملها وأيضاً تتسم بالقوة لتقيه شر الضربات الموجعة النافذة، ومن هنا نلحظ كيف أن السياق استعمل كلمة "قَدِّرْ" للتأكيد على أن يكون هناك إحكام في النسج لكي لايفوت المقصود منها، أي يكون المسمار على قدر الحلقة فلا يأتي غليظاً فتنكسر ولا دقيقاً فتنفلت، وهذا ما ذهب إليه صاحب المنير قائلاً: "وكان داود – عليه السلام – أول من صنع الدروع، قال قتادة–رحمه اللّه– :«كانت الدروع قبله صفائح ثقالا»فلذلك أمر هو بالتقدير فيما يجمع بين الخفة والحصانة، أي قدّر ما تأخذ من هذين المعنيين بقسطه، أي لا تقصد الحصانة فتثقل، ولا الخفة فتزيل المنعة "[4]. وقد ينسحب معنى (وقدر في السرد) إلى الاقتصاد في صنعها والتكسب منها بقدر حاجتك وما

---

(١) سورة سبأ، آية رقم:(11).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص158.

(٣) الثعالبي.(د.ت).**الجواهر الحسان**. مرجع سابق.ج3.ص231.

(٤) الزحيلي.(1422هـ). **المنير**. مرجع سابق.ج22.ص149.

يسد قوتك، ثم اصرف بقية وقتك إلى العبادة وهذا ما قال به أبو السعود في تفسيره: "وقيل: معنى قَدِّرْ في السَّردِ لا تصرفْ جميعَ أوقاتِك إليه بل مقدارَ ما يحصلُ به القوتُ وأمَّا الباقي فاصرِفْه إلى العبادة وهو الأنسبُ بقوله تعالى:{واعملوا صالحا}عمَّم الخطابَ حسب عموم التَّكليفِ له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ولأهلِه{إِنّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}تعليلٌ للأمرِ أو لوجوبِ الامتثالِ به"[1]. وعلى هذا يمكن القول بأن كلمة السرد تفردت هنا وذلك لتناسق اشتقاقها ومعناها اللغوي مع حالة وشكل حِلَق الدرع المنسوج؛ ولذا استعيرت هنا مع الدرع الذي توبعت فيها الحلق بالحلق وهذا ما أراده السياق وقصده، وعليه فقد تفردت هنا ولم يغن غناءها غيرها.

147- جِفَان: ورد في قوله تعالى ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾[2]. والآية في نعم الله على سيدنا سليمان وما كانت تقوم به الجن المسخر له من أعمال.

والجِفَان: "جمع جَفنة، وهي الوعاء، وخصت بوعاء الطعام"[3]. والجفان: أي القصاع الكبيرة كالحفر الكبيرة، التي كان تصنعها الجن لسيدنا سليمان كآنية للأكل يقدم فيها الأطعمة، وأتى بها السياق في تشبيهٍ مرسل مجمل، الذي ذكر أداة الشبه، وحذف منه وجه الشبه؛ حيث شَبّه هذه القصاع بحياض الإبل الكبيرة والتي قيل كان يجتمع عليها عدد غفير من الناس يأكلون منها، وشبهت الجفان هنا لعظمتها وسعتها بالجوابي، والجوابي:جمع:جابية وهي الحوض العظيم الواسع العميق الذي يجمع فيه الماء لسقي الأشجار والزروع، والغرض من التشبيه إثبات كبر حجمها والتأكيد على كرم سيدنا سليمان من إطعام للطعام واستضافة الناس مع كثرتهم. والكلمة هنا لم يغن غيرها غناءها؛ حيث جاءت في تشبيه أثبت لها كبر الحجم وعِظَمِه وهذا يتناسب مع الملوك وخاصة سليمان – عليه السلام– مع ما كان يشتهر به غنىً وسعة ومُلك، وإضافةً إلى ذلك أن الجفان هي أعظم القصاع وأكبرها على الإطلاق وهذا يتماشى ويتناغم ومقصود الآية من إثبات الكرم والخير والسعة والملك لنبي الله سليمان، وهذا ما ذهب إليه الآلوسي في تفسيره قائلاً: "قال بعض اللغويين: الجفنة أعظم القصاع ويليها القصعة وهي ما تشبع العشرة ويليها الصحفة وهي ما تشبع الخمسة ويليها المئكلة وهي ما تشبع الاثنين والثلاثة ويليها الصحيفة وهي ما تشبع الواحد، وعليه فالمراد هنا المطلق لظاهر قوله تعالى: كَالْجَوابِ أي كالحياض العظام جمع جابية من

---

(١) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**.ج5. ص362.

(٢) سورة سبأ، آية رقم:(13).

(٣) البسومي.(2000م). **معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ج1.ص12.

الجباية أي الجمع فهي في الأصل مجاز في الظرف أو النسبة لأنها يجبي إليها لا جابية ثم غلبت على الإناء المخصوص غلبة الدابة في ذوات الأربع"(١)، ويضيف الرازي هنا نكتة بلاغية فيها تقديم لطيف في الآيات قائلاً: "وقدمت الجفان على القدور مع أن القدور آلة الطبخ والجفان آلة الأكل والطبخ قبل الأكل؛ لأنه لما ذكرت الأبنية الملكية ناسب أن يشار إلى عظمة السماط الذي يمد فيها فذكرت الجفان أولاً لأنها تكون فيها بخلاف القدور فإنها لا تحضر هناك كما ينبيء عنه قوله تعالى: راسِياتٍ على ما سمعت أولا، وكأنه لما بين حال الجفان اشتاق الذهن إلى حال القدور فذكرت للمناسبة"(٢). وعلى ما تقدم فإن الكلمة تفردت هنا في سياقها ومقامها.

147- الْعَرِم: ورد في قوله تعالى:﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾(٣). والآية في الحديث عن عقاب وجزاء الله للمعرضين عن آياته وتعاليمه.

يقول ابن فارس: " العين والراء والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على شِدّة وحِدّة. يقال: عَرُم الإنسان يعرُم عَرامَةً، وهو عارم.... وأمَّا سَيل العَرِم فيقال: العَرِمَةُ: السِّكْر، وجمعها عَرِم. وهذا صحيح؛ لأنَّ الماء إذا سُكِرَ كان له عُرَامٌ من كثرته "(٤). والعرم له دلالات لغوية كثيرة منها: "والعرِمُ المسناة لا واحد لها من لفظها، وهي الأحباس تُبنى في أوساط الأودية، والعَرِمُ:الجُرذ الذكر، والعرم: السيل الذي لا يطاق، وقيل: العرم: المطر الشديد"(٥). وقد سيقت هذه الكلمة في معرض الحديث عن أهل اليمن؛ حيث " كان لأهل سبأ سد عظيم قرب بلاد مأرب (ومأرب من كور اليمن) وكان أعظم السدود في بلاد اليمن التي كانت فيها سدود كثيرة متفرقة وكانوا قد جعلوا هذه السدود لخزن الماء الذي تأتي به السيول في وقت نزول الأمطار في الصيف والخريف فكانوا يعمدون إلى ممرات السيول من بين الجبال فيبنون في ممر الماء سورا من صخور يبنونها بناءً محكماً يصبون في الشقوق التي بين الصخور القار حتى تلتئم فينحبس الماء الذي يسقط هنالك حتى إذا امتلأ الخزان جعلوا بجانبيه جوابي عظيمة يصب فيها الماء يفيض من أعلى السد فيقيمون من ذلك ما يستطيعون من توفير الماء المختزن"(٦). وبناءً على التفسير السابق فإن كلمة العرم لا يغني غيرها غناءها؛ فمن مدلولاتها ومعانيها اللغوية المتعددة من قوة وشدة ومن اسم للسد الذي كان ومن

---

(١) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق.ج11.ص294.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج25.ص215.

(٣) سورة سبأ، آية رقم:(16).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج4.ص292، 293.

(٥) الرازي.(1910م).**الصحاح**. مرجع سابق.ج5.ص1983.

(٦) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج22.ص37.

مطر شديد ومن اسم للجُرذ الذي سلطه الله عليهم وكلها تتناسب مع ما حدث ونتج من إرسال السيل الجارف الذي حطَّم السد وانساحت المياه فطغت وأغرقت، ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت ما كانت عليه البلاد من جنان ونعيم؛ ولذا تفردت الكلمة هنا في هذا السياق والتي لم تتكرر في القرآن.

148، 149- خَمْط، وأَثْل: ورد في قوله تعالى:﴿ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾[1]. والآية في نفس السياق السابق وهو تبديل الله نعمه على أهل سبأ بنقمة تمثلت في استبدال الجنان بأشجار مُرَّةٍ لا ثمر لها.

والخَمْطُ: "شجر له ثمر ذو مرارة"[2]. والمفسرون يذكرون أن الخمط: "هو كل شجرة لها شوك، أو كل شجرة ثمرتها مرة، أو كل شجرة لا تؤكل" [3]، وبناءً على كلام المفسرين واللغويين نتبين أن الخمط يعطي طعم المرارة والكلمة جاءت في سياق عذاب وهذا طبيعي في مقام العذاب؛ إذ إن كفران أهل سبأ بالنعمة التي أنعم الله عليهم بها كانت سبباً في تبديل الجنتين اللتين تنتجان ثماراً طيبة بجنتين أخريين تنتجان ما لا يشتهى ولا يؤكل من الأطعمة؛ ولذا تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها غناءها. وفي الأثل يقول ابن فارس: " الهمزة والثاء واللام يدلُّ على أصْلِ الشيءِ وتجمُّعِه.قال الخليل: الأَثْل شجرٌ يُشبه الطَّرْفاء إلا أنه أعظمُ منه وأجود عُوداً منه، تُصنَع منه الأقداحُ الجِياد، وقال بعضهم: الأثل شجر ثابت الأصل وهو عظيم لا ثمر له" [4]. وعلى المعنى الاشتقاقي فإنه شجر لا ثمر له وبالتالي لا ينتفع به إلا في أضيق الحدود، وهذا تتمة العقاب والعذاب فبعدما كان جنان وثمار وفواكه متنوعة ومختلفة أبدلهم الله بجنتين – على سبيل المجاز والتهكم- أشجارها بين لا ثمر فيها وبين ثمر مر، فلا يطيب لهم طعام، ولا يهنأ لهم عيش ثم يبالغ السياق في إظهار السخرية بقوله: (ذواتي أكل) وكأنها تؤكل ولكن العكس هو الصحيح، وعليه فقد تفردت الكلمتان هنا في هذا السياق لدلالتهما على العذاب والعقاب الذي جاء لهم من جنس ما كانوا يتنعَّمون به؛ حيث كانت هناك أشجار وهذه أشجار كذلك ولكن شتان بين الشجرين!

---

(١) سورة سبأ، آية رقم:(16).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**. مرجع سابق.ج1.ص18.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج12.ص652، 653.

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج1. ص58، 59.

150- التَّنَاوش: ورد في قوله تعالى :﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴾[١]. وسياق الآية هو: تهديد الكفار بشديد العقاب وإيمانهم حين معاينة العذاب، مع تعجب الله منهم فكيف يطلبون الإيمان وهم في دار أخرى غير الدار.

ويقول ابن فارس عنها: "النون والواو والشين أصلٌ صحيح يدلُّ على تناوُل الشيء. ونُشْتُه نَوْشاً. وتناوَشْتُ: تَنَاوَلْت"[٢]. والنَّوش هو:"التناول السهل أو الخفيف"[٣]، والمعنى كيف ومن أين يطلبون أسباب النجاة بعد فوات وقتها، بل يريدونها سهلة بلا تعب ولا وصب، ولقد انقلبوا على معتقداتهم وما كانوا يعبدون، وطلبوا الإيمان بعدما رأو العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وانطوت الآية على أسلوب استفهامي استنكاري يتعجب منهم ويقرر خسارتهم، وأيضاً فقد مثلَّت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء بلا تعب، ومن أين لهم في الآخرة تناول الإيمان والتوبة من الكفر، وقد كان ذلك قريباً منهم في الدنيا فضيَّعوه، وكيف يقدرون على الظفر به في الآخرة وهي بعيدة من الدنيا. والكلمة معبرة جداً عما أراده السياق؛ حيث لا يغني غيرها مكانها من مثل: (التناول- الأخذ - الحصول...إلخ)حيث كل هذه الكلمات تدل بالفعل على الوصول إلى المراد و الحصول عليه، فالتناول هو مد اليد إلى شيء لتصل إليه، أما التناوش فهو مد اليد إلى شيء لا تصل إليه، ولا يمكنه الحصول عليه؛ ولذا كانت التناوش أنسب للسياق ومتسقة مع المقام الذي يقرر استحالة تناولهم الإيمان الذي مكانه في الدنيا وزاد على ذلك بتأكيد البعد بقوله تعالى: (مِنْ مَكاَنٍ بَعِيْدٍ)، وقد تنطوي الآية على استعارة مكنية لطيفة؛ حيث شبه الإيمان وهو شيء معنوي بشيء مادي يمكن تناوله باليد، وذلك لتقريب الصورة وتوضيح المعنى برسم صورة حسية له. وعليه فقد تفردت التناوش في هذا السياق والتي لم تتكرر في غيره من سياقات أخرى.

151- قطمير: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾[٤]. والآية في الحديث عن دلائل الوحدانية والقدرة الإلهية، مع افتقاد غيره لأدنى درجات الملكية. وأردفه بالرد على عبدة الأصنام التي لا تملك شيئًا، ولا تسمع دعاء، ولا تجيب نداء، وتتبرأ من عابديها يوم القيامة.

---

(١) سورة سبأ، آية رقم:(52).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص369.

(٣)البسومي.(2001م). **معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ج1.ص51.

(٤) سورة فاطر، آية رقم:(13).

والقطمير هو: "الفوفة التي في النواة وهي القشرة الرقيقة التي تحيط بالنواة" [(١)]، والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف بأكثرها.إذن فكيف يعبد من لايملك ولا يقدر ولا يخلق، لا يملكون شيئًا، لا قليلًا ولا كثيرًا، حتى القطمير الذي هو أحقر الأشياء. والقطمير هنا لا يغني غيرها غناءها؛ حيث هي أقل ما يمكن أن يُملك وأضعف ما يمكن أن يُصنع، وأحقر ما يمكن أن يُخلق، ومع هذا ما يملكون الخلق ولا الصنع ولا حتى التملك، وساق الله لنا هذه الكلمة؛ لأنها من بيئتهم ومن الميسور رؤيتها ليل نهار؛ للتأكيد على ضعفهم الشديد وعجزهم البالغ، الذي معه لا يملكون حتى القطمير ولذلك فإنهم لا يستحقون العبادة. وهذا من باب ضرب المثل باللاشيء. والقطمير لا يمثل عندهم أي شيء وحينئذٍ ماذا يمكن لك أن تجني من هذا الغشاء. وعليه فقد اتسقت الكلمة هنا مع مقصود الآية تماماً؛ لذا تفردت فيه.

152- مُقْمَحُون: ورد في قوله تعالى﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾[(٢)]. والآية بيان لما سيكون عليه حال المشركين في الآخرة من صورة مخزية مهينة.

والإقماح: "رفع الرأس وغض البصر"[(٣)]، والمعنى أي خاشعون أذلاء لا يرفعون أبصارهم. والمفسرون مختلفون في حمل الآية على المجاز أو على الحقيقة، ولقد لخص أراءهم جميعاً الراغب الأصفهاني ونقلها عنه الفيروز أبادي في البصائر قائلاً:"وقمح البعير رأسه....وقوله مقمحون تشبيه بذلك ومثل لهم وقصد إلى وصفهم بالتأبي عن الانقياد للحق والإذعان لقبول الرشد، والتأبي عن الإنفاق في سبيل الله، والمقصود الإشارة إلى حال الكفرة يوم القيامة" [(٤)]، وعلى هذا فإن الآية تنطوي على استعارة تمثيلية بأن "شبهت حالة إعراضهم عن التدبر في القرآن ودعوة الإسلام والتأمل في حججه الواضحة بحال قوم جعلت في أعناقهم أغلال غليظة ترتفع إلى أذقانهم فيكونون كالمقمحين، أي الرافعين رءوسهم الغاضين أبصارهم لا يلتفتون يمينًا ولا شمالًا فلا ينظرون إلى شيء مما حولهم فتكون تمثيلية"[(٥)] . والكلمة لا يغني غيرها غناءها؛ حيث جاءت متسقة تماماً مع السياق ومع جنس أعمالهم في الدنيا من إعراض وتكبر فوضعوا بذلك أغلالًا على أفكارهم وعقولهم وقيدوها، إذن هذه الأغلال كانت موضوعة أصلا في الدنيا..وضعها أصحاب الأعناق

---

(١) الرازي.(1910م).**الصحاح**. مرجع سابق.ج2.ص2797.

(٢) سورة يس، آية رقم:(8).

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج11.ص297، 298.

(٤) الفيروزآبادي.(1973م). **بصائر ذوي التمييز**. مرجع سابق.ج4.ص296.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج12.ص86.

بكامل إرادتهم، إنها أغلال دنيوية جدًا..لكنها في الدنيا ربما كانت تأخذ أشكالًا أخرى..ربما هوايات، ربما عادات، ربما أنماط حياة، ربما عبودية لمفهوم أو أيدلوجيات..المهم أنها أغلال في الأعناق، وهم مقمحون..لا يستطيعون أن يروا شيئًا؛ لأن الأغلال لا تدعهم أصلا يرون شيئًا..تلك الأغلال "هناك" هي نسخة أخروية من أغلال هنا" [(١)] وشتان بينهما: وهذه هم وضعوها بأيديهم و لايملكون فكاكها، ثم تجد الكلمة جاءت بالاسمية وعبّر عنها في جملة اسمية، لتؤكد مبدأ استمرارية العذاب مع تثبيته و بث الروح والحركة على المشهد، بحيث " يجد القاريء إقناع العقل بالدليل وإمتاع العاطفة بالتخيل ورسم الصورة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيرًا ووجدانًا في تكافؤ واتزان ، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان ، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير، وهكذا تجد وأنت تقرأ القرآن أن العقل يفهم والخيال يتصور، وذلك خلاف المألوف والمعروف لدى قراءة أي كلام أو كتاب آخر وانظر كيف تضع في خيالك إنسانا يلتف حول عنقه غلّ عريض ، مرتفع إلى ذقنه ، جعل رأسه صاعدًا إلى الأعلى لا يتحرك ، فتلك هي الصورة الساخرة للتكبر" [(٢)]. وهذا ما يؤكد دائماً: أن الجزاء من جنس العمل، وما يظلم ربك أحداً.

153- العُرْجُون: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ٱلْمَيِّتَةُ ﴾[(٣)]. والآية في أدلة القدرة الإلهية على البعث والنشور، ومنها مسيرة القمر في منازله بنظام ودقة.

والعرجون: "العذق عامة، وقيل: أصل العذق الذي يعْوّج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً"[(٤)]، والمدقق في الآية يجدها تنطوي على تشبيه لطيف مجمل يوضح من خلاله ما يكون عليه القمر في نهاية رحلته، وهو نفسه ما يكون عليه حال الإنسان تماماً بتمام، وهذا بدوره يؤكد على قدرة الله في الخلق والبعث والنشور، والتشبيه مشتمل على ثلاثة أوضاع:الدقة، والانحناء، والصفرة، وهذا ما نراه تماماً في العذق بعدما يقطع ويترك لفترة يرق ويتقوس ويصفر، وهذا ما عبر به السياق بـ(القديم) فكلما تقادم عليه الزمن دق واعوج وتقفع إلى أن يتلاشى. وهذا التشبيه في حقيقته هو: "تحديد لحجم النور الذي يبرز من القمر ولكن لبعد هذا العنصر عن

---

(١) العمري،أحمد خيري.(2008/3/19م). **كوابيس قرآنية**.انظر موقع: www.rclub.ws/book/473. تاريخ الزيارة:2012/11/21.

(٢) البغا،مصطفى.مستو،محي الدين.(1418/1998).**الواضح في علوم القرآن**.بيروت: دار الكلم الطيب.ط2.ص198.

(٣) سورة يس، آية رقم:(39).

(٤) ابن منظور.(2000م). **لسان العرب**. مرجع سابق.ج9.ص122.

الأرض فما يوحيه هذا النور يرتسم هيئة له، وهذه الهيئة تسمى بالهلال، فالعرجون والقديم، أوصاف حسية دقيقة كشف أسلوب التشبيه من خلالهما عن حقيقة الهلال في آخر الشهر كما يبدو للعين، فما يبدو من شكل الهلال من نحول وتقوس ودقة هو نفسه ما تحمله هذه الأوصاف من معانٍ، فمعناهما معاً فرع النخلة القديم إذا عتق وييس وانحنى"(١). وعلى ما تقدم فلن تجد كلمة تعبر عن هذه الكيفية أبلغ من العرجون لأنها دلت على شكل القمر النهائي في آخر مدار له بمنتهى الدقة والتمثيل، وهذا من بلاغة القرآن في اختيار اللفظ المطابق تماماً للمقصود، وعليه فلم يغن غيرها مكانها. وهذا هو شأن القرآن كيف أنه في أكثر من موضع يضرب أمثلة بأشياء يعرفها العربي وفي بيئته وقريبة منه يراها كل لحظة أمام عينية، فضرب لنا–قبلاً–مثلًا بالنقير والقطمير والفتيل وأعجاز النخل الخاوية وغيرها، وهنا العرجون، وكأنها أكثر شجرة استعان بها القرآن في ضرب الأمثلة، وهذا لتثبيت الفكرة، وتقوية الحجة والصدق في العرض، وتقريب الهدف، وتحقيق المراد.

154– لَازِب: ورد في قوله تعالى:﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبِۭ ﴾(٢). والآية في دحض حجة عدم البعث والنشور، واستنكار ذلك عليهم بدليل أنهم خُلِقوا من طين لازب.

يقول ابن فارس: "اللام والزاء والباء يدلُّ على ثبوتِ شيءٍ ولُزومه، وطين لازب:لاصق ولازق وثابت"(٣). والآية في معرض الاحتجاج على مشركي مكة بطريق الاستفهام التقريري، والمراد إثبات البعث بعد الموت الذي أنكره هؤلاء، والمعنى: " قل لهم أهم أشد خلقاً من الأمم السابقة ومن الأفلاك والسموات والأرضين وما بينهما؟ ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبِۭ ﴾والطين إنما هو من تراب، فمن أين يستنكرون أن يُخْلَقوا من تراب مثله!؟ فالله – عز وجل– لما كان قادراً على خلق الحياة في ذواتهم أولاً، وجب أن يكون قادراً على خلق الحياة فيهم ثانياً " (٤)، والمنعم النظر في الكلمة يجد بأنه لا يغنِ غيرها مكانها من مثل: (لازم – لاصق– لازق)؛ حيث إنها تعطي كل مدلولات هذه الكلمات وفوقها معنى الثبات واللزوم الذي لا يفارقه إلى شيء أو مادة أخرى، والكلمة للتأكيد على أنهم خُلِقُوا من الطين الذي هو في الأصل من التراب، فَلِمَ العجب

---

(1) الأصفهاني.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن** .مرجع سابق.ص365، محمود،مصطفى.(د.ت). **القرآن محاولة لفهم عصري**.مصر: دار المعارف.ص:63-64.

(٢) سورة الصافات، آية رقم:(11).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص245.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج13.ص205- 207.

والإنكار، بل هذا أدعى للتصديق والقبول؛ لأن خلقهم من تراب يجعل بشكل لا يقبل الشك أن الخلق الثاني سيكون أسهل لأنه من تراب كذلك، وهذا ما يؤكده الآلوسي بقوله: " وأيا ما كان فخلقهم من طين لازب إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم في أمر البعث بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه في ضمن خلق أبيهم آدم – عليه السلام – تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا منه مرة ثانية حيث قالوا أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ "[1]. والكلمة فيها شهادة عليهم بالضعف لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة. وهذا أدعى لتسهيل عملية الخلق إذا كانت عسيرة أو مستحيلة – على حسب زعمهم –، والآية تحمل تأكيدات منها (إن، والفعل الماضي)؛ لتنفي تشكيكهم في الخلق والذي لم ينكره منْ هو مخلوق خلقاً أقوى منهم، وأعظم، وأكمل، وأتمّ. وعليه فقد تفردت لازب في السياق ولم يغنِ غيرها مكانها. والسياق سياق إظهار قدرة الله وكيف أنه يخلق العسير فكيف باليسير، وجاءت كلمة لازب هنا للتأكيد على الطينية البسيطة التافهة التي لا تحتاج إلى أدنى مجهود للخلق، فخلقكم أنتم أيها الكافرون أبسط وأهون من خلق السموات والأرض. فنحن خلقناهم من طين لاصق بعضه ببعض وهذا أدعى لإعادته مرة أخرى وبسهولة، والطين مكون من شيئين قابلان للانضمام مرة أخرى، فالأمر مستنكر منهم وإنكارهم غريب ومردود عليهم.

155– غَوْلٌ: ورد في قوله تعالى:﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[2]. والآية في الحديث عن نعيم الجنة بما فيه الخمر التي لا يصدعون منها ولا تغيب عقولهم.

يقول ابن فارس: " الغين والواو واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على خَتْل وأخْذٍ من حيث لا يدري. يقال: غالَهُ يَغُوله: أخَذَهُ من حيث لم يدرِ. قالوا: والغَوْل: بُعْدُ المَفَازَة، لأنَّه يغتالُ من مَرَّ به"[3]، والغول: "إهلاك الشيء من حيث لا يُحسّ به، وفي الآية إهلاك العقل أي غيبوبته، والغول أيضاً ما يعتري شارب الخمر من الصداع والألم". وبناءً على ما قيل في المعنى الاشتقاقي لهذه الكلمة يتضح لنا سر تفردها والذي لا يغني غيرها مكانها؛ إذ إنها تنطوي على كل معاني الهلكة والضرر والألم والوجع والصداع والتغييب والسُّكر والخلل وفقدان الاتزان، وهذا ما لا يتوفر لغيرها من المفردات، وكل هذه الآثار الناجمة عن خمر الدنيا، منفية تماماً عن خمر الآخرة التي يعقبها اللذة

---

(١) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق. ج12.ص74.

(٢) سورة الصافات، آية رقم:(47).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج4.ص402.

والمتعة والرِّيّ، وليس فيها قط أي نوع من أنواع الفساد التي في خمر الدنيا. والآية تنطوي على لفتة بلاغية ظريفة حكاها ابن عاشور في تفسيره قائلاً: " وتقديم الظرف المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص، أي هو منتف عن خمر الجنة فقط دون ما يعرف من خمر الدنيا، فهو قصر قلب... ووقوع{غَوْلٌ}وهو نكرة بعد{لا}النافية أفاد انتفاء هذا الجنس من أصله، ووجب رفعه لوقوع الفصل بينه وبين حرف النفي بالخبر"(١).

156- شَوْب: ورد في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾(٢). وسياق الآية في الحديث عن جزاء الظالمين وأنواع العذاب في جهنم من أنواع المآكل والمشارب بسبب تقليدهم الآباء في الكفر بالله وعبادة الأصنام والأوثان.

يقول ابن فارس: "الشين والواو والباء أصل واحد وهو الخلط "(٣)، ويذكر المفسرون أن الآية في: "الحديث عن حال المشركين والكفار في النار، فبعد أكلهم الزقوم يشتد عطشهم فيخلط لهم الحميم، وهو الماء الحار بغساق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم، وقيل: يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظاً لعقوبتهم وتجديداً لبلائهم"(٤)، ومن الطبيعي بعد امتلاء البطن يُحْتَاج بعده إلى ماء ليهضم وليسيغ الطعام فجاءت كلمة (شوبا) ترتيباً طبيعياً لتتم بها عملية الطعام ولكن بشراب يقطع الأمعاء ويشوي الوجوه، بعدما تطلعوا إلى برد شراب ينقع الغلة ويطفئ اللهيب ويزيل الظمأ، فإذا بهم يغاثون بشوب من حميم والأَوْلَى أن يقول بماء ولكن قال شوباً زيادة في العذاب؛ والحميم ماء شديد الحرارة، يشربونه، فيختلط بالمأكول من شجرة الزقوم، فيصير شوبا لهم، فلا يهنأ لهم طعام، ولا يصفو لهم شراب، فهي أمعن في الإيلام النفسي والبدني، فالطبيعي المرء لا يشرب إذا كان الماء كدرًا، وهذا الحميم هو خليط من الصديد والقيح ومزيج من الشوائب التي يغص بها الحلق، وتأنف منه النفس، ويتقزز منها الجسم، ومع هذا ليس لهم بديل إلاه. حتى يكون الطعام والشراب التي تهنأ به النفس وتقبل عليه يكون نوعاً من أنواع العذاب فهم في عذاب من فوقه عذاب. وعليه فإن الكلمة لا يغني غيرها مكانها وبالتالي تفردت في السياق.

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج23.ص32.

(٢) سورة الصافات، آية رقم:(67).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.ج3.ص225.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.مرجع سابق.ج13.ص232، 233.

157- يَقْطِين: ورد في قوله تعالى:﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾[1].وسياق الآية في الحديث عن قصة سيدنا يونس ونجاته من بطن الحوت، وإنبات الله له شجرة يستظل بها ويأكل منها.

واليقطين: ما لا ساق له من النبات، أو كل شجر لا يقوم على ساق نحو الدباء والبطيخ والقرع والحنظل"[2]. وللمفسرين كلام حول المقصود باليقطين، فيقول الفراء: "قيل عند ابن عباس هو ورق القرع.. وكل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين، والقرع شجرة أنبتها الله له وتجمع خصالاً وهي برد الظل، ونعومة الملمس، وعظم الورق، والذباب لا يقربها، وقيل شجرة الموز يتغطى بورقها، ويستظل بأغصانها، ويفطر على ثمارها، وقد حسن بعض العلماء أن يكون المراد شجرة القرع؛ لأنه أنفع شيء لمن ينسلخ جلده" [3]. ويعلل الزجاج لهذا الاسم بقوله: " أحسب اشتقاقها من قطن بالمكان إذا أقام به، وهذا الشجر ورقه كله على وجه الأرض فلذلك قيل له اليقطين"[4]، ثم يشرح حقي في تفسيره معنى يقطين ويؤكد على أنه القرع لما حباها الله من مميزات عن غيرها من الأشجار والنباتات كما سبق وأن ذكرها المفسرون قائلاً: "ولعل اطلاق اسم الشجر على القرع مع أن الشجر فى كلامهم اسم لكل نبات يقوم على ساقه ولا ينبسط على وجه الأرض مبنى على أنه – تعالى- أنبت عليه شجرة صارت عريشًا لما نبت تحتها من القرع بحيث استولى القرع على جميع أغصانها حتى صارت كأنها شجرة من يقطين وكان هذا الإنبات كالمعجزة ليونس فاستظل بظلها وغطته بأوراقها عن الذباب؛ فإنه لا يقع عليها كما يقع على سائر العشب، وكان يونس حين لفظه البحر متغيرًا يؤلمه الذباب فسترته الشجرة بورقها "[5]. وبناءً لما سبق ذكره فإن كلمة (يقطين) لم يغنِ غيرها مكانها من ذكر أي شجرة أخرى فللأسباب المتقدمة من نعومة ملمسها، وبرد ظلها وعظم أوراقها، وعدم قرب الذباب منها، ولأنها نافعة لمن انسلخ جلده، لهذا كله تفردت في السياق.

---

(١) سورة الصافات، آية رقم:(146).

(٢) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق. ج6.ص2183.

(٣) الفراء.(1983م). **معاني القرآن**. مرجع سابق. ج2.ص393.

(٤) الزجاج.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه**. مرجع سابق. ج2.ص403.

(٥) حقي.(1287هـ).**روح البيان في تفسير القرآن**. مرجع سابق. ج12.ص75.

159- مَنَاص: ورد في قوله تعالى:﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[(١)].
وسياق الآية هو: الحديث عن مصير المشركين السابقين وعقاب الله لهم، و حكاية أحوالهم عند نزول العذاب بهم واستغاثتهم ولكن بعد فوات الآوان، لعل هناك من يتعظ بهم.

ويقول ابن فارس: "النون والواو والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تردُّدٍ ومجيءٍ وذهاب"[(٢)]، والكلمة سيقت هنا في الآية لتخويف الكفار ببيان ما حصل للكفار من السابقين ممن كانوا قبلهم، حينما نزل بهم العذاب والهلاك استغاثوا وطلبوا النجدة، ولكن الوقت ليس وقت فرار ولا وقت هرب، فأنّى لهم من مجيب يسمع نداءهم. ولقد عبَّر السياق هنا بكلمة (مناص)؛ نظراً لأنهم كانوا يستعملونها عندما يُحْمَى عليهم الوطيس وتدور عليهم الدائرة فينادي بعضهم بعضاً قائلين (مناص)، وهذا ما ينقله لنا أبو حيان التوحيدي في كتابه البحر المحيط حكايةً عن الكلبي قائلاً: "كانوا إذا قاتلوا فاضطروا، قال بعضهم لبعض: مناص، أي عليكم بالفرار، فلما أتاهم العذاب قالوا: مناص، فقال اللّه: وَلاتَ حِينَ مَناصٍ"[(٣)]. وتفردت الكلمة في سياقها لاشتمالها على كل معاني الاستغاثة وطلب النصرة فهي تعني:(الملجأ- المفر- المهرب- المغاث- المنجى) وفوق ذلك ففيها معنى المراوغة بحيث لا يعلم مكانه وربما لا تفي بهذا المعنى لو قلنا غيرها من الكلمات من مثل: (الملجأ- المفر..)؛ لأنه ربما يعلم مكان هذه الملاجيء والأصل أن يكون مخفياً، أما هذه فيصعب الوصول إليها ولكن هذا كما يظنون هم، ولكن عذاب الله إذا جاء يَعُمّ كل الأماكن ويأتي على كل المناطق، وأيضاً من معانيها "القوة والحراك"[(٤)]، فالذي يطلب الهروب يجب أن تتوفر فيه القوة والحركة والسرعة التي تفوق عدوه حتى لا يلحق به. وعليه يمكن أن نقول بأن الكلمة تفردت هنا في هذا السياق ولم يغن غيرها مكانها.

159- قِطَّنا: ورد في قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾[(٥)].والآية في في الحديث عن قول المشركين بتعجيل العذاب - تهكما واستهزاء - حين سمعوا بالمعاد والحساب والعقاب، مع إنكار اللّه تعالى عليهم دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب.

---

(١) سورة ص، آية رقم:(3).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص369.

(٣) الأندلسي.(1413/1993).**البحر المحيط**. مرجع سابق.ج9. ص137.

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ص4576.

(٥) سورة ص، آية رقم:(16).

يقول ابن فارس: "القاف والطاء أصلٌ صحيح يدلُّ على قَطْع الشّيء بسُرعةٍ عَرْضاً.... وأمَّا القِطُّ فيقال إنّه الصَّكُّ بِالجائزة. فإنْ كان من قياس الباب فلعلّه من جهة التقطيع الذي في المكتوب عليه. قال الأعشى:

ولا الملكُ النُّعمان يومَ لقيتُه * بِغبْطَتِه يُعطِي القُطوطَ ويأفِقُ**[١]

والمقصود أنه عندما يلتقي النعمان رآه يفيض على الناس من نعمه وفضله بإعطاء كتب الجوائز لهم مع توزيعها عليهم والتي ينصلح بها شأنهم. وعلى هذا يفسَّر قولُه تعالى: {وقالُوا ربَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ} كأنَّهم أرادوا كُتُبَهم التي يُعطَوْنها من الأجْر في الآخرة"[٢]. والكلمة أيضاً تحمل معنى: "النصيب أو كتاب المحاسبة" [٣]، وعليه فإن مدلول الكلمة ينسحب على معانٍ كثيرة منها الحظ والنصيب والقِسْمَة وقرطاس المنحة أو الرقعة التي كتب فيها العطاء، والسياق حسبما يذكر المفسرون أنه ذكرت الجنة أمامهم فاشتهوا ما فيها وقالوا: عجل لنا قطنا، أو عجل لنا صحيفة أعمالنا حتى ننظر فيها، وقيل إنهم قالوا: أرنا منازلنا من الجنة حتى نتابعك" [٤]، وعلى هذا السياق فإن كلمة (قطنا) تتماشى مع السياق بهذا المعنى، وهذا يؤكد معناها بأن فيها عطاء وخير لهم.

وقال بعض المفسرين: "إن النبي حينما كان يتوعدهم بالعذاب كانوا يقولون: ربنا عجل لنا قطنا: أي نصيباً من العذاب" [٥]، ظناً منهم أن الأمر يسير ومدته قصيرة ولذا طلبوا تعجيله في الدنيا وقبل الحساب، وهذا كذلك يتماشى بدوره مع المعنى الاشتقاقي لكلمة (قطنا)؛ حيث هو القسط اليسير من الشيء والذي يمر عرضاً بسرعة الذي ما يلبث وأن يزول وينتهي، وعليه فإن القط يطلق على ما يكتب فيه عطاء أو عقاب، وأياً ما كان فإنهم عبّروا بقولهم القط الذي في الأصل صك العطاء أو ما في معناه فإنهم قصدوا به التهكم والسخرية من وعيد الرسول – صلى الله عليه وسلم – لهم، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور قائلاً: " وعلى تسليم اختصاص القط بصك العطاء لا يكون ذلك مانعا من قصدهم تعجيل العقاب بأن يكونوا سموا الحظ من العقاب قطا على طريق التهكم"[٦]، وعلى ما تقدم فإن الكلمة تفردت في سياقها ولا يغني غيرها غناءها؛ فهي أشمل أشمل وأعم وأتم من مرادفاتها من مثل: (نصيب– قسط – حظ– كتاب– صك) فضلاً عن كونها

---

(١) الأعشى،ميمون بن قيس.(د.ت). **ديوان الأعشى**.د.م:د.ن. ص117.

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص12، 13.

(٣) الفراء.(1983م). **معاني القرآن**. مرجع سابق.ج2.ص400.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج13.ص293.

(٥) القرطبي.(2003/1427).**الجامع لأحكام القرآن**. مرجع سابق.ج8.ص5798.

(٦) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج23.ص126.

تفيد السرعة والقِلة وهذا يتناسب مع ما كان يتمناه الكفار والمشركون من أن يعجّل لهم حتى لا يبقى في الآخرة حساب ولا عقاب.

160- الصَّافِنَات: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴾[1]. والآية في قصة عرض الخيل عليه، ليتعرف أحوالها، ويستعرضها، ويشكر نعمة ربه عليه.

ويقول ابن فارس: " الصاد والفاء والنون أصلانِ صحيحانِ، أحدهما جنسٌ من القيامِ، والآخر وِعاءٌ من الأوعية. فالأوّل: الصُّفون، وهو أن يقومَ الفرسُ على ثلاثِ قوائمَ ويرفعَ الرَّابعة، إلاَّ أنَّه ينالُ بطرَف سُنْبُكِها الأرض". والصَّافن: الذي يصفُّ قدمَيه. ولقد ذكرت الآية هنا وصفين من أوصاف الخيل الجيدة والتي تدل على أصالتها وجودتها وصلاحها بل تفوقها على أقرانها، وهذه كانت خيلاً لملك وهو سيدنا سليمان فكيف لا تكون كذلك!، والكلمة هنا لا يغني غيرها مكانها؛ حيث وصفت الخيل بالصافنات، والصفن هو: " الجمع بين الشيئين ضامًّا بعضهما إلى بعض يقال صفن الفرس قوائمه إذا قام على ثلاث وثنى الرابعة أى قلب أحد حوافره وقام على طرف سنبك يد أو رجل والسنبك طرف مقدم الحافر وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يتفق إلّا فى العربى الخالص"[2]. والكلمة جاءت متسقة تماماً مع السياق اشتقاقاً ودلالةً، ولم يكتف السياق بوصفها بالصافنات وفقط بل وصفها بالجودة، وفي هذا يعلل أبو السعود قائلاً: " وُصفتْ بالصُّفون والجَودةِ لبيان جمعها بين الوصفينِ المحمودينِ واقفةً وجاريةً أي إذا وقفتْ كانتْ ساكنةً مطمئنة في مواقفها وإذا جرتْ كانت سِراعاً خِفافاً في جَريها"[3]، والمقصود:" وصفها بالفضيلة والكمال حالتي وقوفها وحركتها. يعني أنها إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال، فإذا جرت كانت سراعاً في جريها، فإذا طَلَبت لحقت، وإذا طُلبت لم تلحق"[4]. وعليه فبدا لنا جلياً دقة التعبير القرآني في الإفصاح عما يقصده تماماً.

161- رُخَاء: ورد في قوله تعالى:﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴾[5]. والآية في الحديث عن طلب سيدنا سليمان من ربه ملكاً فسخر له الله-عز وجل-الريح طيعة مأمورة له حيث أراد.

---

(١) سورة ص، آية رقم:(31).

(٢) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج12.ص152.

(٣) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**. مرجع سابق.ج5.ص477.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج26.ص390.

(٥) سورة ص، آية رقم:(36).

ويقول ابن فارس في أصلها: " الراء والخاء والحرف المعتلّ أصلٌ يدلُّ على لِينٍ وسخافةِ عقل.... ومن الباب الرُّخاء، وهي الريح الليِّنة"[١]،وقالوا: الشيء الرخو: اللين السهل الهش، وزاد بعضهم بأن رُخاء: السريعة التي لا تُزَعْزِع شيئاً "[٢]. إذن ومن خلال ما تقدم من معانٍ ومدلولات لغوية لكلمة رخاء نتبين أنها هنا وفي هذا السياق لا يغن غيرها مكانها؛ إذ إنها اشتملت على كل صفات الريح المناسبة للإنسان والتي تعود عليه بكل خير وليس فيها ما يقلقه ولا يزعجه، ويتمثل نفعها في: أمان عند ركوبها؛ حيث لا يتزعزع من هو عليها ومستقرة لا اهتزاز ولا رجرجة، وهي كذلك سريعة؛ حيث تؤدي الغرض من ركوبها في أسرع ما يمكن، وفوق هذا وذاك فهي لينة هينة طيعة منقادة مأمورة بأمر ربها أولاً ثم بأمر سيدنا سليمان-عليه السلام- ثانياً حيث أراد، وبالرغم من قوتها وشدتها فهي لا تضر بأحد بل تحمله وجنوده وموكبه حيث أصاب. والريح الأصل فيها التقلب والسرعة وتداخل الاتجاهات وتغيير الجهات وهذا يُصَعِّبُ كثيراً من الأمور من مثل الصيد في البحر وسير السفن فلا تستقرعلى جهة معينة ولا تسير في اتجاه واحد، وعليه لم يغن كلمة رخاء غيرها؛ لأنها تعطي مطلق الانصياع التام، والانقياد الكامل لأوامر سيدنا سليمان؛ مع السلامة والأمن والاطمئنان.

162- مُتَشَاكِسُون: ورد في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾[٣]. والآية في الحديث عن إثبات الوحدانية لله بضرب مثل لمن وحَّد الله تعالى، ولمن جعل معه شركاء.

وشَكِسَ خُلقُه: "أي ساء وضاق، ومتشاكسون: أي مختلفون متشاجرون مختصمون أبدا، ولا يتفقون لشكاسة أخلاقهم"[٤]. وفي هذه الآية: " يضرب اللّه المثل للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضا فيه، وهو بينهم موزع ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج، ولا يستقيم على طريق ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه!، وعبد يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه منه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح.«هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا؟»..إنهما لا يستويان. فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين،

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص501، 502.

(٢) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.مرجع سابق.ج6.ص2354.

(٣) سورة الزمر، آية رقم:(29).

(٤) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ج1.ص30.

وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه، ووضوح الطريق. والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يُرْضِي واحدًا منهم فضلًا على أن يُرضي الجميع!. فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هُدىً؛ لأن بصره أبدًا معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوي به الطريق"[1]. والآية تنطوي على تشبيه تمثيلي رائع بل وفي غاية الحسن في تشبيه الحسن وتقبيح الشرك، فضلاً عن أنه يُصَوِّرُ حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال، وكلمة متشاكسون تُعَبِّر لغةً عن الجدل والمخاصمة والعناد في أخذ ورد، وجذب وشدٍّ. والكلمة لم يغن غيرها مكانها من مثل: (متخاصمون – مختلفون– متناحرون – متجادلون..إلخ) فهذه الكلمات لن تعطي الدلالة الصوتية لـ (متشاكسون) التي جمعت في الكلمة حروف الأسنان والشفة في التاء والشين والسين، تتخللها الكاف، فقد أعطت هذه الحروف مجتمعة نغماً موسيقياً خاصاً حمَّلَها أكثر من معنى الخصوصية والجدل والنقاش بما أكسبها من أزيز ودويٍّ في الأذن ما أن يبلغ السامع حتى يتأكد أن الخصام قد بلغ درجة الفورة والعنف والقوة من جهة، كما أحاطه بجرس مهموس خاص يؤثر في الحس والوجدان من جهة أخرى بصورة فيها فظاظة وغلظة ترفضها النفس، وفوق ذلك فإن المدقق في حروف الفعل سيجد الشين فيها معنى الحركة والنشر، والكاف فيها معنى القطع والبتر، والسين فيها صفير وهمس، فارتباط هذه الحروف معاً في كلمة واحدة تُكَوِّنُ معنىً جديداً فيه التنازع والخلاف والاختلاف و القوة والجدال والمعانتة والتشاجر، وتشعرك بالحركة المستمرة التي لا يكون معها ثبات ولا استقرار ولا طمأنينة، وجاءت بالاسمية للتأكيد على معنى الاستمرارية، فهذا هو حال من يشرك مع الله آلهة أخرى. وعليه فإن الكلمة تفردت في السياق. ولم يغن غيرها مكانها.

163– رَوَاكِد: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓ ﴾[2]. والآية فيالحديث عن دلائل وحدانية الله ومنها قدرته على تسيير الجوَاري في البحرِ.

يقول ابن فارس: "الراء والكاف والدال أصلٌ يدلُّ على سُكون. يقال رَكَدَ الماءُ: سكَنَ. وركَدتِ الرِّيحُ."[3]. والآية فيها بيان أن الله – سبحانه وتعالى– لوشاء أهلك المسافرين عن طريق البحر، وذلك بأن يسكن الريح فتقف السفن ولا تستطيع الحركة ولا الجريان. وكلمة رواكد أبلغ في التعبير من غيرها فلا تعطي نفس المعنى لو قال: (سواكن– ثوابت)؛ لأنها تفيد عدم الحركة مطلقاً،

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج5.ص3049.

(٢) سورة الشورى، آية رقم:(33).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص433.

فالراكد من الأشياء أي الذي فقد الحركة بذاته فلا حركة ولا تحرُك. ولا تعطي نفس المعنى أيضاً لو قال ثابتة أو مستقرة وكأنها بنفسها فعلت ذلك ولَمّا تشاء أن تتحرك فعلت، وهذا يتنافى ومراد الآية من سلب القدرة على الحركة تماماً إلا بفضل من الله ورحمة وهذا يحتاج إلى شكر وتدبر وتعظيم لآلاء الله وشكره عليها. وهذا مما يؤكد أن هناك قدرة تحركها ومتحكمة في سيرها. وكلمة رواكد عند نطقها تبعث في النفس الثِقَل واليأس والقنوط؛ لأنها في وضع لا تحسد عليه؛ لأنه – قديماً– كانت السفن من وسائل المواصلات المهمة والسريعة وكان يُعتمد عليها بشكل كبير، فإذا ركدت أو تعطلت يتبعها شرٌّ وضرر على الناس من خسارة لتجارتهم أو فساد لبضاعتهم، أو تعطيل لمصالحهم، إذ بركودها تركد معها الحياة وتتعطل، والتعبير يوحي بظلال الموت وكأنها أصبحت جثة هامدة لا حراك، وهذا ما قصد إليه التعبير من إضفاء نوع من الإيحاءات والدلالات التي تتمكن من نفس السامع عندما يسمع هذا اللفظ ليبقى الله وحده المحرك لكل شيء في هذا الكون؛ حتى يبقى الحبل به موصولاً. وعليه فقد تفردت هذه الكلمة هنا ولم يغن غيرها غناءها.

164– رَهْوا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًاۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾[١]. والآية في الحديث عن غرق فرعون وجنده.

يقول ابن فارس عن أصلها: "(رهو) الراء والهاء والحرف المعتل أصلان، يدلُّ أحدُهما على دَعَةٍ وخَفْضٍ وسكون، والآخرُ على مكانٍ قد ينخفض ويرتفع. فالأوّل الرَّهْو: البحر الساكن"[٢]. والمعنى أن موسى– عليه السلام– " أراد بعد أن جاوز البحر هو ومن معه أن يضربه بعصاه؛ حتى يلتئم كما ضربه أولاً فانفلق لئلا يتبعه فرعون وجنوده فأمر بأن يتركه رهوًا أي مفتوحًا منفرجًا أو ساكنًا على هيئته قارًّا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا ولا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه اللّه تعالى عليهم"[٣]، وللمفسرين آراء كثيرة حول معنى (رهوا) فقيل: "ساكناً، وقيل: يبساً كما قال تعالى: ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾[٤]، وقيل: دمثاً ليناً، وقيل: سهلاً، وقيل: منفرداً، وقيل منفرجاً " [٥]، وعليه فإن الكلمة ذات دلالات واسعة ومتعددة ومعانٍ مختلفة وكلها تنسحب على الموقف والمقام والسياق ومناسبةً

---

(١) سورة الدخان، آية رقم:(24).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص446.

(٣) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق.ج13.ص121.

(٤) سورة طه، آية رقم:(77).

(٥) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج14.ص149.

له، فلا تعطي كلمة غيرها هذا الكم من الدلالات وعليه فقد تفردت هنا ولم يغن غيرها مكانها، وعلاوةً على ذلك فإن الكلمة تشمل على الأقل المعنيين الأول: الفجوة الواسعة (الانفتاح)، والثاني السكون والهدوء (البقاء على حالته عند مرور موسى- عليه السلام- وقومه) إذن فالسكون مطلوب للخداع والغرر، والفتح مطلوب للمرور، وقد تم هذا وذاك وتحقق مراد الله فيهم.

165- الأَحْقَاف: ورد في قوله تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾(١).

والآية: هو الحديث عن قصة هود- عليه السلام - مع قومه عاد، في وادٍ باليمن بين عمان والمهرة وهذا كان مكان إقامتهم.

والحقف: "المعوج من الرمل والجمع حِقاف وأحقاف..والأحقاف ديار عاد، والأحقاف: رمال بظاهر بلاد اليمن كانت عاد تنزل بها" (٢). والأحقاف هو مكان في اليمن يكثر فيه وديان الرمال وهذا حسْبما قاله المفسرون بأنه: "واد بين عمان والمهرة، وقيل: من عمان إلى حضرموت، وقيل: رمال مشرفة بالشحر من اليمن، وعلى كلٍ فقوم عاد كانت منازلهم في الرمال وهي الأحقاف"(٣). وعليه يمكن القول بأن كلمة (الأحقاف) تفردت هنا في هذا السياق لعدم تكررها في أي موضع القرآن الكريم من جهة، ولم يتكرر جذرها كذلك من جهة أخرى، وعلى حسب كلام المؤرخين بأن الأحقاف هو مكان قوم عاد كانوا يقطنونه ويعيشون فيه.

166- تَعْساً: ورد في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾(٤). وسياق الآية في الحديث عن الكفار وبيان أن مصيرهم الهلاك والزوال والضلال وأنهم لا ثبات لهم في الحرب، وهذا بسبب رفض ما أنزل الله لهم.

يقول ابن فارس: " (تعس) التاء والعين والسين كلمةٌ واحدة وهو الكَبُّ، يقال تَعَسَه الله وأتعسَه"(٥). والتعس: "الهلاك وأصله الكبّ وهو ضد الانتعاش، وقد تَعَس بالفتح يَتْعَسُ تعساَ....، يقال:تعساً لفلان أي ألزمه الله هلاكاً" (٦). والتعس:"العثْر وأن لا ينتعس العاثر من عثرته وأن يُنَكّس في سفال، وقيل: التعس: الانحطاط والعثور.... ومعنى التعس في كلامهم الشرّ،

---

(١) سورة الأحقاف، آية رقم:(21).

(٢) الرازي.(1910). **مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج4.ص1345، 1346.

(٣) الزجاج.(1988م). **معاني القرآن وإعرابه**. مرجع سابق.ج4.ص444.

(٤) سورة محمد، آية رقم:(8).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج1.ص348.

(٦) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج3.ص910.

وقيل: البُعد، وقيل: التعس أن يخرّ على وجهه، والنكْس أن يخر على رأسه" [١]. والتعبير بالمصدر هنا في الكلمة (تعساً) "يفيد بأن عثار هؤلاء الكفار وهلاكهم واجب لا محالة؛ لأن عدم النصرة من آلهتهم نافذ وواقع؛ إذ لا قدرة لها"[٢]. والكلمة تنطوي على كثير من الدلالات والمعاني فقيل:" بعداً لهم، أو حزناً لهم، أو شتماً لهم، أو شقاء لهم، أو رغماً لهم، أو قبحاً وخيبة لهم، أو شراً لهم"[٣]، ولم يكن لغيرها أن تؤدي كل هذه الدلالات؛ لذا فقد اتسقت مقاماً وحالاً، فالجو العام للآيات جو سخط وغضب من الله عليهم حتى بدأت السورة بـافتتاح يمثل الهجوم بلا مقدمة ولا تمهيد!في بداية مؤثرة تخلع قلوبهم وتزلزل أركانهم.

وإضافة الجار والمجرور(لهم) للمصدر من باب اختصاص التعس بهم لا بغيرهم، والكلمة تشي بالتحقير والامتهان لهم، والتفظيع لما جاءوا به. وكما تقدم فمن معانيها العثور والسقوط الذي لا نهوض معه" ومن بدائع القرآن وقوع{فتَعْساً لهم}في جانب الكفار في مقابلة قوله للمؤمنين: {ويُثبتْ أقدامكم} "[٤]. واللفظ يحمل جميع صور اللعن والطرد والقمع والبعد والشقاء، وكأنك عند قراءته تشعر بأن اللفظ يقطر قسوة وغلظة على هؤلاء، وكيف لا وقد سميت السورة بسورة القتال. وهكذا يتناسق الموضوع والصور والظلال والألفاظ مع الإيقاع في سورة القتال. وعليه يتضح لنا سر تفرد هذه الكلمة وأنه لم يغن غيرها مكانها.

167، 168، 179- آسِن، عَسَل، أَمْعَاء: وردت في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[٥]. والآية في الحديث عن صفة نعيم الجنة وعذاب النار.

والكلمة الأولى (آسن) يقول عنها ابن فارس: " الهمزة والسين والنون أصلان، أحدهما تغيّر الشيء،... فأمّا الأوّل فيقال: أسَنَ الماء يأسِنُ ويأسُنُ إذا تغير. وهذا هو المشهور، وقد يقال أَسِنَ "[٦]. وآسِنٍ متغيّر الطعم والرائحة لطول مكثه، وفعله: أسن الماء بالفتح يَأْسَنُ ويأسُنُ كضرب

(١) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق. ج2.ص35، 36.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق. ج27.ص261.

(٣) القرطبي.(1427/2006).**الجامع لأحكام القرآن**. مرجع سابق. ج9.ص6283.

(٤) ابن عاشور.**التحرير والتنوير**. مرجع سابق. ج13.ص474.

(٥) سورة محمد، آية رقم:(15).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.م1. ص104.

ونصر، أو أسن بالكسر مثل علم، وماء الجنة غير متغيّر الطعم والريح، بخلاف ماء الدنيا، يتغيّر بعارض أو بطول مكثه وبقائه في مناقعه أو أوانيه. وكلمة آسن هنا لا يغني غيرها مكانها؛ لأنها تُعبِّر عن التغير في الطعم واللون والرائحة، وهذا ما لا يتأتى لغيرها من الكلمات من مثل: (متغير– مختلف)، وماء الجنة لا يتغير حتى مع طول بقائه ومكثه، فهو ليس من ماء الدنيا الذي شرط طهارته الجريان والحركة والذي إن ركد تغير طعمه ولونه ورائحته فشتان بين الماءين، وجاء الوصف بها على صيغة فَعِل للمبالغة في خُلوِّه تماماً من أي مُغيِّرات أو متغيرات.

وفيما يتعلق بكلمة عسل، يقول ابن فارس عنها: "العين والسين واللام، الصحيح في هذا الباب أصلان، وبعدهما كلماتٌ إن صحّت. فالأول من الأصلين دالٌّ على الاضطراب، والثاني طعامٌ حُلْو، ويُشتقُّ منه. فالطَّعام العَسَل، معروف، والعَسَّالة: التي يتّخذ فيها النَّحْل العسلَ. والعاسل: صاحب العَسَل الذي يَشتاره من مَوضعِه يستخرجُه "[(١)]. وذكر السياق العسل هنا؛ لأنه صِنف من أصناف الشراب التي كانت موجودة عند العرب وكان محبباً إلى نفوسهم كثيرًا؛ ولأنه يختلف عن عسل الدنيا في كونه لم يخرج من بطون النحل فيختلط به الشمع وغيره أو يقع فيه النحل الميت، إنما هو عسل من صنع الله، وزاد السياق وصفاً للعسل بقوله "مُصَفًّى" للتأكيد على أنه منقّى خالٍ من الشمع والقذى وفضلات النحل وغيرها، بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره. ويعلل أحد المفسرين مجيء هذه الأشربة الأربعة بالتحديد وعلى هذا الترتيب قائلاً: "وقد حصل بهذا غاية التشويق إلى الجنة بالتمثيل بما يستلذ من أشربة الدنيا؛ لأنه غاية ما نعلم من ذلك مجردًا عما ينقصها أو ينغصِّها مع الوصف بالغزارة والاستمرار، وبدأ بأنهار الماء لغرابتها فى بلاد العرب وشدة حاجتهم إليها ولما كان خُلوِّها عن تغير أغرب نفاه بقوله غير آسن ولما كان اللبن أقل فكان جريه أنهارًا أغرب ثنَّى به، ولما كان الخمر أعز ثلَّث به، ولما كان العسل أشرفها وأقلها ختم به"[(٢)]. ولكي يتم التشويق للجنة ودفع الناس وتحفيزهم للعمل الصالح ذكر في هذه الأشربة التي يعرفونها في الدنيا " ثم عرى كل واحد من الأشياء الأربعة عن صفات النقص التي هي فيها وتتغير بها في الدنيا، فالماء يتغير يقال أسن الماء يأسن على وزن أمن يأمن فهو آسن، وأسن اللبن إذا بقي زمانا تغير طعمه، والخمر يكرهه الشارب عند الشرب، والعسل يشوبه أجزاء من الشمع ومن النحل يموت فيه كثيرًا، ثم إن اللّه تعالى خلط الجنسين فذكر الماء الذي يشرب لا للطعم وهو عام الشرب، وقرن به اللبن الذي يشرب لطعمه وهو عام الشرب

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.م4.ص313.

(٢) حقي.(1287هـ).**روح البيان**.مرجع سابق.م13.ص427.

إذ ما من أحد إلا وكان شربه اللبن، ثم ذكر الخمر الذي يشرب لا للطعم وهو قليل الشرب، وقرن به العسل الذي يشرب للطعم وهو قليل الشرب"[١]. وعلى ما تقدم فالملاحظ على طول القرآن بسوره أنه يقرِّب نعيم الآخرة بما عَهِدَه العرب في حياتهم من قصور ودور وأثاث ونساء وأطعمة وأشربة...إلخ، ولكن بأوصاف أخرى تخلب اللب، وتثير النفس، وتزيد الرغبة والإقبال عليها، وهذا ما يؤكِّده ابن عاشور بقوله: "ذكر السياق هنا أربعة أشربة هي من أجناس أشربتهم، فكانوا يستجيدون الماء الصافي لأن غالب مياههم من الغدران والأحواض بالبادية تمتلئ من ماء المطر أو من مرور السيول فإذا استقرت أيامًا أخذت تتغير بالطحلب وبما يدخل فيها من الأيدي والدلاء، وشرب الوحوش وقليل البلاد التي تكون مجاورة الأنهار الجارية. وكذلك اللبن كانوا إذا حلبوا وشربوا أبقوا ما استفضلوه إلى وقت آخر لأنهم لا يحلبون إلا حلبة واحدة أو حلبتين في اليوم فيقع في طعم اللبن تغيير. فأما الخمر فكانت قليلة عزيزة عندهم لقلة الأعناب في الحجاز إلا قليلاً في الطائف، فكانت الخمر تجتلب من بلاد الشام ومن بلاد اليمن، وكانت غالية الثمن وقد ينقطع جلبها زمانًا في فصل الشتاء لعسر السير بها في الطرق وفي أوقات الحروب أيضا خوف انتهابها، وكان العسل مرغوبًا فيه يجتلب من بلاد الجبال ذات النبات المستمر"[٢]. والآية تنطوي على فن من فنون البلاغة وهو نوع من أنواع الإطناب والذي يسميه البلاغيون"الاحتراس"وهو:" أن يؤتى بعد كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإيهام"[٣]، فقد ذكر السياق الماء ثم تبعه بأنه (غير (غير آسن)، وذكر اللبن وقال بأنه (لم يتغير طعمه)، ثم الخمر وقال بأنه (لذة) لأن طعم الخمر فيه مرارة وحامضية، ثم العسل وقال بأنه (مصفى) فقد جاء بهذه الكلمات والأوصاف احتراساً من أن يتوهم غير المراد بأن ينصرف ذهن السامع إلى حالها الأصلي وما هي عليه في الدنيا. وفيما يتعلق بكلمة أمعاء، فهي جمع مفردها: المِعَى، و"المِعَى: المصران، وهي من أعفاج البطن وجميع ما في البطن مما يتردد فيه من الحوايا كلها " [٤]. ولعل السياق ذكر الأمعاء هنا؛ لأنها أماكن مجاري المياه والطعام، وبما أن المياه التي يُسقونها مياه شديدة الحرارة ومليئة بالسموم فجدير بها أن تقطع أمعاءهم بل وكل شيء تصل إليه، وعلى الرغم أن المياه تمر على الفم أولاً ثم البلعوم ثم المعدة ولكنه لم يذكر منها شيئاً ولعل العلة في ذلك أنه ذكر مكان استقرار الطعام، فبما أنهم كانوا

---

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج28.ص47.

(٢) ابن فارس.(1991م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.81/26.

(٣) الهاشمي.(1999م).**جواهر البلاغة**. مرجع سابق. ص205

(٤) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ص47.

حريصين على ملء هذه الأمعاء وحشوها فقط، وهذا كان لهم بمثابة نوع من أنواع النعيم واللذة فلقد جاء العذاب في نفس مكان النعيم وكأنه تأكيد لقاعدة"الجزاء من جنس العمل". وذكر السياق الأمعاء في صورة مرعبة مخيفة " وهي صورة حسية عنيفة من العذاب، تناسب جو سورة القتال، وتتناسب مع غلظ طبيعة القوم. وهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام. فالجو جو متاع غليظ وأكل غليظ. والجزاء ماء حميم ساخن وتقطيعٌ للأمعاء، التي كانت تَحِشُّ وتلتهم الأكل كالأنعام! ولن يكون هؤلاء كهؤلاء في الجزاء، كما أنهم في الحال والمنهج ليسوا سواء"(١).

وعلى ما تقدم اتضح جلياً سر تفرد هذه الكلمات في سياقاتها.

170- أَشْرَاطها: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾(٢). والآية في الحديث عن تهديد الله للمنافقين والكافرين بمجيء القيامة فجأة وهم على حالهم، والتأكيد على ظهور أماراتها.

يقول ابن فارس: " (شرط) الشين والراء والطاء أصلٌ يدلُّ على عَلَمٍ وعلامة، وما قارب ذلك من عَلَم. من ذلك الشَّرَط العَلاَمة. وأشراط الساعة:علاماتُها"(٣).

والمراد – كما وضحه المعنى الاشتقاقي للكلمة –بكلمة قد جاء أشراطها هو: مبعثه–عليه الصلاة والسلام–، وأمته آخر الأمم، فمبعثه – صلى الله عليه وسلم– يدل على قرب انتهاء الزمان، وبالتالي عبَّر السياق هنا بالفعل الماضي واستعمال قد معه للتأكيد على هذا، والكلمة لم تحدد لنا ما هي هذه الأشراط لتُحَفِّزَ في نفس السامع أو المتلقي السؤال عنها والحرص على معرفتها والتحقق من حدوثها لعله يرتدع من الحديث عنها فقط ليؤمن إذا كان كافراً، أوليتوب إذا كان عاصياً. والكلمة لا تغني غيرها مكانها من مثل:"أماراتها، علاماتها، مؤشراتها..."؛ لأن أشراط تعني: "أوائل الشيء" (٤) والتعبير بها أبلغ من غيرها، فهي تنسحب على أوائل هذه العلامات وليس كلها، فلو قال:جاءت علاماتها معناها أنها جاءت كلها الصغرى منها والكبرى، وهذا ما لم يحدث إلى الآن، بل ظهرت بدايتها وأوائلها ومؤشراتها، وأيضاً من معاني كلمة أشراط:كل شيء ابتدأ أوله وليس كله؛ لذا كانت(أشراط)هي الأوقع والأنسب مع السياق.

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6.ص3292.

(٢) سورة محمد، آية رقم:(18).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص260.

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ص2236.

171- **أَقْفَالُهَا**: ورد في قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[١].

وسياق الآية هو:الحديث عن إعراض المشركين عن إعمال عقولهم لتدبر القرآن، وفهم آياته، مع اتهامهم بقسوة قلوبهم.

يقول ابن فارس: " (قفل) القاف والفاء واللام أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما على أوبةٍ من سفر، والآخر على صَلاَبةٍ وشِدَّةٍ في شيء...أما الأصل الآخر فالقفيل وهو:الخشب اليابس ومنه القُفل، سمي بذلك لأن فيه شدّاً وشدّة"[٢].

لقد وردت هذه الكلمة في معرض استفهام توبيخي للمشركين. وجملة (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفالُها) تنطوي على استعارة مكنية؛ حيث شبه قلوبهم بالأبواب المقفلة، فهي لا تنفتح لوعظ واعظ، ولا لهدي هادٍ. والكلمة توضح مدى صلابة وقسوة قلوب الكفار والمنافقين، فهم لا يتدبرون القرآن ولايفهمون معانيه؛ لأن على قلوبهم أقفال، فهم لا يعقلون، والآية تشير إلى فراغ قلوبهم وخلوها من الإيمان، كما تشير إلى تغلغل الكفر والنفاق في قلوبهم، وكلمة قفل توحي بإحكام الغلق والإيثاق وبالتالي لا يدخل إليهم نور القرآن لأنهم هم من وضعوا الحواجز والعراقيل التي شبهها الله بالأقفال، والكلمة لا يغني غيرها غناءها من مثل:(مغاليق-متاريس-حواجز)لأن الغلق فقط يوحي بعدم الإحكام بل بلطف دون شدة أوتشديد أما الأقفال تشي بالغلق بإحكام وبعمد فهي مرحلة أشد وتأتي لاحقة للغلق، وهذا يؤكد نيتهم وسلوكهم في عدم الاهتداء، حتى إنهم لم يتركوا لأنفسهم الفرصة ولو لمرة للاستماع أو الإنصات. ولو أنهم تدبروا القرآن بالفعل لزالت عنهم الغشاوة، ولَفُتِحَ ت النوافذ، ولانْسَكب النور، ولَحُرِّكت المشاعر، ولكنهم عطَّلوا وسائل الإدراك عندهم من سمعٍ وبصرٍ وعقلٍ وبالتالي قُفِلت قلوبهم، وحرموا النور. "وتنكير القلوب لتهويل حالها وتفظيع شأنها وأمرها في القساوة والجهالة كأنه قيل:على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يُقَدَّرُ قدرها في القساوة وقيل:لأن المراد قلوب بعض منهم وهم المنافقون فتنكيرها للتبعيض أو للتنويع كما قيل، وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة"[٣]. ولهذا كله تفردت أقفال هنا في هذا السياق.

---

(١) سورة محمد، آية رقم:(24).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.ج5.ص112.

(٣) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق.ج13. ص229.

172- **لَحْن**: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ ﴾[1]. والآية في الحديث عن المنافقين وبيان أحوالهم.

وعن معناها يقول ابن فارس: "(لحن)اللام والحاء والنون له بناءان يدلُّ أحدهما على إمالةِ شيءٍ من جهته، ويدلُّ الآخَر على الفطنة والذَّكاء. ومن البناء الأول اللحن:فحوى الكلام ومعناه، وهذا هو الكلام المورّى بها الْمُزال عن جهة الاستقامة والظهور. واللَّحْن بسكون الحاء:هو إمالة الكلامِ عن جهته الصحيحة في العربية. يقال:لَحَن لحْنًا. ومن هذا الباب قولهم: هو طيِّب اللحن، وهو يقرأ بالألحان؛ وذلك أنَّه إذا قرأ كذلك أزال الشَّيء عن جهته الصحيحة بالزِّيادة والنُّقصان في ترنُّمه"[2]. وجاءت الكلمة معبرة تماماً عن مقصود الآية، فالمنافقون كانوا يقولون للنبي كلاماً ظاهره حسن وباطنه قبيح، ويحتمل تعريضاً وتورية بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وبالصحابة – رضوان الله عليم –، وهذا يؤكد معناها الاشتقاقي من صرف الكلام عن مقصوده الظاهر، وتغيير وجهته عن الاستقامة ولقد قالوا كلامًا كثيرًا، و صرفوه عن سننه الجارى عليه عن التصريح، وصرفوه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهذا محمود إذا كان من جهة البلاغة، فهو فن أصيل فيه لطائف ونكات، ولكن ما فعله المنافقون كان مقصوداً وهذا ما حدث بالفعل، وما يخامر القلوبَ فَعَلى الوجوهِ يلوحُ أثرُه، وفي اللسان يظهر لحنه، وهذا ما حدث تماماً بتمام من هؤلاء المنافقين من خلال لهجتهم ونبرات أصواتهم، وإمالتهم في لفظ الكلمات، وانحراف منطقهم في خطاب الرسول– عليه الصلاة والسلام –، و بطريقة كلامهم الملتوية، حتى وصل الأمر إلى " أنهم كانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول– صلّى اللّه عليه وسلّم – مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح وكانوا أيضا يتكلمون بما يشعر بالاتباع وهم بخلاف ذلك، كقولهم إذا دعاهم المؤمنون إلى نصرهم: إنا معكم، وبالجملة أنهم كانوا يتكلمون بكلام ذي دسائس وكان – صلّى اللّه عليه وسلّم – يعرفهم بذلك"[3]، وعليه فإن الكلمة لا يغني غيرها غناءها لأنها مطابقة تماماً للواقع، ولِمَا كانوا يفعلونه من ميل عن الحق ببعض كلام خاص بهم ظاهره الحق، وباطنه الباطل فكانوا يصرِّحون بما لا يخفون في صدورهم، وهذا ما يتسق مع معناها الاشتقاقي.

---

(١) سورة محمد، آية رقم:(30).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5. ص239، 240.

(٣) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق. ج13، ص232.

173- مَكَّة: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾[١]. والآية في الحديث عن صلح الحديبية الذي عُقد ببطن مكة.

والْمَكُّ: "الازدحام، كالبك، ومكَّه يمكُّه مكاً: أهلكه، ومكة: معروفة: البلد الحرام" [٢]. وبطن مكة أي داخلها. وفي اشتقاق كلمة مكة وجوه: الأول: "أن اشتقاقها من أنها تمك الذنوب أي تزيلها كلها، من قولك: أَمْتَكَ الفصيل ضرع أمه، إذا امتص ما فيه، والثاني: سميت بذلك لاجتلابها الناس من كل جانب من الأرض، يقال أَمْتَكَ الفصيل، إذا استقصى ما في الضرع، ويقال تمكَّكْتُ العظم، إذا استقصيت ما فيه، الثالث :سميت مكة، لقلة مائها، كأن أرضها امتكت ماءها، الرابع: قيل: إن مكة وسط الأرض، والعيون والمياه تنبع من تحت مكة، فالأرض كلها تمك من ماء مكة"[٣]. وعليه فقد اتسقت الكلمة هنا في مكانها فإن كل وجه من هذه الوجوه الاشتقاقية يصلح، ويتماشى مع اسمها ودلالته؛ ولأن الكلام عن حدث معاصر للرسول – صلى الله عليه وسلم– وهو صلح الحديبية، ومن هنا لا يناسب ذكر أي اسم آخر من أسمائها من مثل: (بكة – أم القرى– البلد الحرام...إلخ). ومكة هو الاسم المتداول والمشهور والأكثر استعمالاً. وهناك تأويل لأحد الباحثين له وجاهته؛ لذا رأى الباحث أن ينقله ليضيف سبباً لتفرد الكلمة هنا في هذا السياق، يقول:"اللغة العربية هي أعظم لغة نطقها الإنسان، ففيها الرمز الصوتي (اسم الحرف له معنى، بل إن موضع الحرف من الكلمة يعطي معنى مختلفًا. فإذا كان في أول الكلمة فإن له معنى يختلف عما إذا كان في آخر الكلمة. فالرمز الصوتي لحرف (الباء) يدل على البداية (لعمل أو خلق أو بناء لم يكن موجودًا من قبل). ومن هنا نستطيع ان نفهم لماذا قال الله (بكة) ولم يقل(مكة) في الآية :﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤] . إن الآية تتحدث عن أول بيت وضع للناس على هذه الأرض، وهذا يتفق مع معنى حرف الباء في بداية الكلمة: رمز البداية. إن معنى اللفظ (مكة) وقد بدأت الكلمة بحرف (الميم)وليس حرف الباء هو الثبات والمكث والبقاء الطويل. أي أنه قد بني ليدوم ويمكث طويلا حتى يرث الله الأرض ومن عليها "[٥]. ولعل لفظ مكة فيه دلالة على أن الكلام عن البقعة التي

---

(١) سورة الفتح، آية رقم:(24).

(٢) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج1.ص4248.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج8.ص229.

(٤) سورة آل عمران، آية رقم:(96).

(٥) للزيادة ينظر:عبد العزيز،تحية.(1990م).**التفسير العلمي لحروف أوائل سور القرآن الكريم**.القاهرة.(د.ن).

هي أصل المسجد، وذكر مكة بالميم هنا؛ لأن الكلام على سكان بطن مكة(قريش)المظفور بهم المكفوف عنهم. وعليه فقد تفرد هذا الاسم هنا ولم يغن غيره مكانه

174- الأَلْقَاب: ورد في قوله تعالى﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾[(١)]. والآية في الحديث عن حِزمة من الآداب والأخلاق الإسلامية الاجتماعية.

وعن أصلها يقول ابن فارس: " اللام والقاف والباء كلمةٌ واحدة. اللَّقَب:النَّبَزُ، واحدٌ. ولقَّبْته تلقيباً"[(٢)]. واللقب: "اسم يسمّى به الإنسان سوى اسمه الأول، ويراعى فيه المعنى، وهو ما أشعر برفعة المسمّى أو ضعته"[(٣)]. والمراد من الآية هو النهي عن ذكر الشخص بلقب يكرهه، أما إذا كان حسناً فلا بأس كالصديق وللفاروق...وغيرها من الألقاب الطيبة التي تحمل تشريفاً لأصحابها. ولقد ذكر السياق هنا كلمة الألقاب دون غيرها؛ لأنها اشتهرت في الجاهلية بين الناس وكانت مثار استهزاء وسخرية وامتهان للشخص الملقب، وبالتالي كانت تثير الأحقاد وتُرْبي العداوات وتشحن النفوس وتوغر الصدور، والإسلام حريص على بناء علاقات صافية وتأسيس مجتمع تسوده روابط المحبة والألفة وتفوح منه أخلاق التواضع واللين وخفض الجناح، وهذا لا يتحقق في ظل هذا الجو المشحون المضبب بسحائب من الكراهية والحنق، وكلمة الألقاب ارتبطت في العرف باللقب القبيح لا الحسن، بالذم لا المدح، وهذا ما يقوله حقي في تفسيره:" وتنابزوا بالألقاب لقَّب بعضهم بعضًا، وقيل فى الحديث(قوم نبزهم الرافضة)أى لقَّبهم ثمَّ خص فى العرف باللقب القبيح، وهو ما يكره المدعو أن يدعى به. واللقب ما سمى به الإنسان بعد اسمه العلم من لفظ يدل على المدح أو الذم لمعنى فيه"[(٤)]. وعليه فإن المراد بـ{الألقاب}في الآية الألقاب المكروهة بقرينة، وهو ما أشعر بخسة سواء كان ملقبًا به صاحبه أم اخترعه له النابز له. " وقد خصص النهي في الآية بـ{الألقاب}التي لم يتقادم عهدها حتى صارت كالأسماء لأصحابها وتنوسي منها قصد الذم والسبّ خص بما وقع في كثير من الأحاديث كقول النبي-صلى الله عليه وسلم- "أصدق ذو اليدين"، وقوله لأبي هريرة "يا أبا هر"، ولقب شاول ملك إسرائيل في القرآن طالوت، وقول المحدثين الأعرج لعبد الرحمن بن هرمز، والأعمش لسليمان بن مهران"[(٥)]. ولصاحب الظلال الظلال كلام أليف في هذه الكلمة، فقد قال: "و للفظة جرس وظل فكأنما هي وخزة حسية لا

---

(١) سورة الحجرات، آية رقم:(11).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص261.

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ج45.

(٤) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج14.ص74.

(٥) ابن عاشور.(2000م). **التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج26.ص207.

عيبة معنوية! ومن السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخريةً وعيبًا. ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا. وقد غير رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – أسماءً وألقابًا كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المرهف، وقلبه الكريم، بما يزري بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم"[(١)]. وفى الآية دعوة للمحافظة على كرامة الإنسان ، بصفة عامة . والإنسان المؤمن بصفة خاصة وصون لمجتمعات المسلمين من أساليب الابتذال التى سادت بين الناس فى زمن الفتن الذى نعيشه. ومما سبق نستشف أن الكلمة تفردت ولا يغني غيرها مكانها من مثل: (السِّباب– الشتائم– القبائح..إلخ).

175– بَاسِقَات: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾[(٢)]. والآية في الحديث عن جملة من نعيم الله ومنها النخيل ذات التمر الهضيم.

يقول ابن فارس: " الباء والسين والقاف أصلٌ واحد، وهو ارتفاع الشيء وعُلُوُّه. قال الخليل: يقال بَسَقَتِ النّخلةُ بُسُوقاً إذا طالَتْ وَكَمُلَتْ. وفي القرآن:{والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ}، أي طويلات."[(٣)]، ثمّ حُمِل على هذا شيءٌ آخر، وهو قولهم " أبْسَقَت الشّاةُ فهي مُبْسِقٌ إذا أنْزَلَتْ لبناً مِنْ قَبْلِ الولادةِ بشَهْرٍ وأكثرَ من ذلك فيُحْلَب. وهذا إذا صَحَّ فكأنّها جاءت ببُساقٍ، تشبيهاً له ببُساق الإنسان. والدّليل على ذلك أنهم يقولون: الجارية وهي بِكْرٌ، يصير في ثَدْيها لبَنٌ، فهل ذلك إلاّ كالبُساق"[(٤)]. والباسقات: " الطويلات في ارتفاع، أي عاليات فلا يقال: باسق للطويل الممتد على الأرض. وعن ابن شداد: الباسقات الطويلات مع الاستقامة. ولعل مراده من الاستقامة الامتداد في الارتفاع. وانتصب{باسقات}على الحال. والمقصود من ذلك الإيماء إلى بديع خلقته وجمال طلعته استدلالا وامتنانا."[(٥)]. "وتخصيصُ النخل بالذكرِ معَ اندراجِها في الجناتِ لبيانِ فضلِها على سائرِ الأشجارِ وتوسيطُ الحبِّ بينهما في قوله تعالى" ﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴾[(٦)]؛ لتأكيدِ استقلالِها وامتيازِها عنِ البقيةِ

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6.ص3345

(٢) سورة ق، آية رقم:(10).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق. ج1.ص247.

(٤) السابق. مرجع سابق. ج1.ص247.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.ج26، ص243.

(٦) سورة ق، آية رقم:(9).

البقيةِ معَ ما فيهِ منْ مُراعاةِ الفواصلِ و(باسقات) أيْ طوالاً أو حواملَ منْ أبسقتِ الشاةُ إذَا حملتْ"[١]. والنخل عند العرب هو أهم الأشجار عندهم، وثمره أكثر أقواتهم، وأيضاً يتميز ببديع قوامه، وأنيق جماله، وطول ارتفاعه. والكلمة لا يغني غيرها مكانها من مثل: (عاليات، مرتفِعات، طويلات)؛ لأن النخل ربما يكون بهذه الأوصاف ولكن بدون ثمر، أما باسقات فتنطوي على هذه الدلالات وزيادة، فتشمل المعنيين معاً من ارتفاع وطول واستواء فضلاً عن طلعها الموجود فيها وهذا من خلال معناها الاشتقاقي، وفوق ذلك يطول نفعها ويستمر حتى لا يبلغه نبات من النباتات أوما في مثلها فهي من الأشجار المعمّرة. وقوله تعالى: "باسِقاتٍ يؤكد كمال القدرة والاختيار، وذلك من حيث إن الزرع إن قيل فيه إنه يمكن أن يقطف من ثمرته لضعفه وضعف حجمه، فكذلك يحتاج إلى إعادته كل سنة والجنات لكبرها وقوتها تبقى وتثمر سنة بعد سنة فيقال:أليس النخل الباسقات أكثر وأقوى من الكرم الضعيف والنخل محتاجة كل سنة إلى عمل عامل والكرم غير محتاج، فاللّه تعالى هو الذي قدر ذلك لذلك لا للكبر والصغر والطول والقصر"[٢].

176- الْحُبُك: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾[٣]. والآية في الحديث عن تأكيد وقوع البعث والنشور بطريق القسم.

وعن أصلها الاشتقاقي يقول ابن فارس: " (حبك)الحاء والباء والكاف أصل منقاسٌ مطّرِد؛ وهو إحكام الشَّيء في امتدادٍ واطِّراد....وحُبُك السماء في قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}، قال قومٌ: ذاتِ الخَلْق الحَسن المحْكَم. وقال آخرون:الحُبُك الطرائق، الواحدة حَبِيكة. ويراد بالطَّرائِق طرائِق النُّجوم"[٤]. ولقد ذهب المفسرون[٥]إلى ما ذهب إليه اللغويون من أن الحبك الحبك الطرائق، وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها، ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الأشكال بسبب النجوم، فإن في سمت كواكبها طرائق، وعلى هذا فالمراد به السماء الْمُزَيَّنة بزينة الكواكب، وأيضاً المراد بذات الحبك: ذات الخَلْق الحسن المستوي وهو يتفق مع أحد التفسيرات اللغوية، وقيل: ذات النجوم، وقيل: ذات الطرائق، أو ذات الشدة. وعليه فإن الكلمة لا يغني غيرها مكانها فقد انطوت على دلالات لغوية كثيرة وكلها متسقة تمامًا مع السياق

---

(١) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**. مرجع سابق. ج6.ص192.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج28.ص129.

(٣) سورة الذاريات، آية رقم:(7).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص130.

(٥) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج28.ص489.(بتصرف).

ومع ما عليه السماء من نجوم تشبه الطرائق الموشاة في الثوب المحبوك المتقن، وهذا ما لم يتأتَ لغيرها من الكلمات، وبالتالي تفردت فيه.

177- رَقٍّ: ورد في قوله تعالى: ﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾[١]. والآية في الحديث عن قسم اللّه تعالى ببعض مخلوقاته تنويهًا بشأنها.

وعن الكلمة يقول ابن فارس : "الراء والقاف أصلان:أحدهما صفةٌ تكون مخالفةً للجفاء، والثاني اضطرابُ شيءٍ مائع. ويبدو أن الكلمة من الأصل الأول، فابن فارس يقول في مفردات الأصل الأول: والرَّقّ: الذي يُكتب فيه معروف"[٢]. والمفسرون مجمعون على أن الرق هو الورق الذي يكتب فيه ولكنهم يقولون إن معنى الآية:صحائف الأعمال فمن آخذٍ كتابه بيمينه، ومن آخذٍ كتابه بشماله" [٣]. والرَّقُّ: " الجلدُ الذي يكتبُ فيه استعيرَ لما يكتبُ فيهِ الكتابُ منَ الصحيفةِ، وتنكيرُهُمَا للتفخيمِ أوْ للإشعارِ بأنَّهما ليسَا مما يتعارفُه النَّاس "[٤]. والجلد أكثر ما يكتب فيها قبل اختراع الورق. والمقصود بالرق المنشور:مكتوب فى صحف ميسرة للقراءة. والرَّقُّ: " الورق المـَعَدَّةُ للكتب، وهي مُرَقَّقَةٌ؛ فلذلك سُمِّيَتْ رَقًّا"[٥]، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان، والمنشور خلاف المطْوِيّ. وعلى هذا فإن الكلمة لا يغني غيرها مكانها لأنها جاءت متسقة مع ما كان يستعملوه العرب في الكتابة من جلود رقيقة للكتابة عليها ، وإن كان الأمر يخص اللوح المحفوظ أو كتب العباد التي يقرأونها يوم القيامة فمن باب تقريب الصورة لهم من خلال استعمال وسائل وآلات وأدوات وكلمات من واقع بيئتهم لمعايشة الآيات وتدبرها مع التخييل، وهذا هو مراد القرآن في آياته.

178، 179- قَابَ، قَوْسَيْن: ورد في قوله تعالى:﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[٦]. والآية في الحديث عن لقاء سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- بربه- عز وجل - في رحلة المعراج.

يقول ابن فارس: "(قاب) القاف والألف والباء. القابُ:القَدْر. ويقال:القَابُ:ما بين المِقْبِض والسِّيَة، والسية: هي(ما اعوج من رأس القوس).

---

(١) سورة الطور، آية رقم:(3).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص377.

(٣) الزمخشري.(1424/2003).**الكشاف**.4 مرجع سابق.ج، ص33.

(٤) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**. مرجع سابق.ج6.ص212.

(٥) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**. مرجع سابق.ج13. ص174:170.

(٦) سورة النجم،آية رقم:(9).

ولكلِّ قوسٍ قابَان"[١]. والتعبير يوحي بمنتهى القرب، وفيه دلالة على مكان ومكانة الرسول–صلى الله عليه وسلم–من رب العالمين. وجاء التعبير في الآية على عادة العرب واستعمالها "فإن الأميرين منهم إذا اصطلحا وتعاهدا، خرجا بقوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه"[٢]؛ للدلالة على انتهاء العداوة وقرب القلوب وبداية مرحلة أخرى جديدة، وهما بهذا متظاهران يحمي كل منهما صاحبه.

وعن كلمة قوس يقول ابن فارس: " (قوس) القاف والواو والسين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تقدير شيءٍ بشيء، ثم يُصَرَّف فتقلبُ واوهُ ياءً، والمعنى في جميعِهِ واحد. فالقوْس: الذِّراع، وسمِّيت بذلك لأنَّه يقدر بها المَذْرُوع [وبها سمِّيت القَوسُ] التي يُرمَى عنها. قال الله تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ}. قال أهلُ التفسير:أراد: ذِرَاعَين"[٣]. والمراد: أن مقدار مسافة قرب الرسول – صلى الله عليه وسلم – من رب العزة مثل مقدار مسافة قاب قوسين. والمقصود تمثيل كيفية الاتصال واللقاء والتأكيد على تحقيق استماعه – صلى الله عليه وسلم – لما أوحي إليه، بنفي البعد الْمُوقِع في اللبس والغموض. والكلمة لا يغني غيرها مكانها من حيث إنها مناسبة تماماً لما كانوا عليه من تقدير المساقات وقياس المساحات، ومن واقع لغتهم وعلى قدر أفهامهم، فالعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس، وبهذا يكون أدعى للقبول والتصديق، وهذا ما أكَّده النسفي بقوله: "وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه: «لا صلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين»، وفي الحديث: " لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُم من الجنة وموضعُ قَدِّهِ خير من الدنيا وما فيها، " والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات{أَوْ أدنى}أي على تقديركم كقوله:{أَوْ يَزِيدُونَ}(الصافات:147)وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص"[٤]. والآية فيها "تمثيل لأحوال عجيبة عجيبة بأقرب ما يفهمه الناس لقصد بيان إمكان تلقي الوحي عن الله تعالى إذْ كان المشركون يحيلونه فبين لهم إمكان الوحي بوصف طريق الوحي إجمالا، وهذه كيفية من صور الوحي"[٥].

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج5.ص46.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج14، ص631.

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص40، 41.

(٤) النسفي.((د.ت).**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. مرجع سابق. ج3.ص369.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج27.ص104.

180- ضِيزَى: ورد في قوله تعالى :﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾[١]. وسياق الآية هو: الحديث عن إنكار قول الكفار وتقسيمهم الملائكة إلى ذكور وإناث وجعلهم لله البنات ولهم البنون ، وإخبارهم بأنها قسمة جائرة.

وضاز في الحكم أي: جار، وقوله تعالى"قسمة ضيزى" أي: جائرة، وضأزه فلان حقه يضأزه ضأزا: بخسه ونقصه"[٢]. والكلمة غريبة في حروفها وبنائها، ولكن المفردات القرآنية قد تأتي مألوفة أو غريبة مراعاةً للمعنى، والكلمة ثقيلة من حيث بنيتها وطبيعة أصواتها غير أن علاقتها مع ما قبلها و مابعدها تجعل المفردة هي الأنسب في الاختيار داخل هذا السياق وقد عبَّر السياق هنا بها؛ " لأنها أقوى في الدلالة وأحسن في التعبير من المألوف، ولو قال (ظالمة) أو(جائرة) أو (عوجاء) أو(منقوصة) أو(مخالفة) لانتفى المراد والمقصود منها ؛ إذ إن المشركين لما جاءوا بأغرب الأفعال وهي رغبتهم في البنين ورفضهم للإناث عبّر الله تعالى عنها بأغرب الألفاظ. فهل من المعقول أن يكره الإنسان أمراً ثم يرضاه لله تعالى!إن ذلك لأمر غريب. فإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهة مسوّداً وهو كظيم؛ وهو مع ذلك يقول إن الملائكة بنات الله؛ وهذا أمر يدل على الترابط القوي بين الألفاظ والمعاني في القرآن العظيم"[٣].

وقد وقف الرافعي عند هذه الكلمة وتبين من جمالها مظاهر كثيرة، ووقف على إعجازها البياني فلا يملك من يطَّلع عليها إلا أن يخفض جناح الإقرار والتأييد، قال الرافعي: " فإن حسن(ضِيزَى) في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه ، ولو أدرْت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها؛ فإن السورة التي هي منها، وهي سورة النجم، مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بناتٍ لله مع أولادهم البنات، فقال تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها، الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين

---

(١) سورة النجم، آية رقم:(22).

(٢) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج8.ص105، 106.

(٣) الكحيل،عبد الدايم.(2011/8/4م).**الفواصل في القرآن**.انظر موقع :www.tafsir.net، تاريخ الزيارة:ب.(2012/12/3م).(تصرف)

المدين فيها إلى الأسفل والأعلى. وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية... وأن تعجب فاعجب لنظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه مع ما قبلها؛ إذْ هي مقطعان: أحدهما مدّ ثقيل، والآخر مدّ خفيف، وقد جاءت عقب غُنَّتين في (إِذًا) و(قِسْمَةٌ). وإحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقي. وهذا معنى رابع للثلاثة التي عددناها آنفاً. أما خامس هذه المعاني:فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة على غرابتها، إنما هي أربعة أحرف."[١]. وعلى ما تقدم نلمح سر تفرد الكلمة هنا في هذا السياق.

181- سَامِدُون: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾[٢]. وسياق الآية هو: الحديث عن استنكار الله للمشركين في استقبالهم آيات الله وهم غافلون لاعبون لاهون غير مكترثين.

والسمود: " اللهو، وقوله: "وأنتم سامدون" فسر باللهو، وفسر بالغناء، والسمود: الغناء في لغة حمير يقال: اسمدي لنا أي غني لنا:...ويقول ابن الأعرابي: السامد: "اللاحي، والسامد: الغافل، والسامد الغبي، واللاهي، والمتكبر، والسامد القائم، والسامد المتحير بطراً وأشرا"[٣]، ويقول أحد المفسرين: " (وأنتم سامدون) أى لاهون أو مستكبرون من سمد البعير فى مسيره إذا رفع رأسه قال الراغب:السامد اللاهى الرافع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء واللهو؛ ليشغلوهم عن الاستماع أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع"[٤]. وذكرت الكلمة على وزن اسم الفاعل؛ للتأكيد على أن الغفلة دائمة ومستمرة. وبناءً على ما تقدم فقد انطوت الكلمة على كثير من الدلالات والمعاني الكثيرة والتي كلها تتناسب مع السياق والجو النفسي للآيات ومع حال وسلوك الكفار مع آيات القرآن، وبالتالي تفردت في هذا السياق ولم يغنِ غيرها مكانها من مثل:(غافلون - معرضون - جاحدون....إلخ).

182- مُنْهَمِر: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾[٥]. وسياق الآية هو:الحديث عن قصة نوح؛ حيث دعا قومه للإيمان فأبوا فدعا عليهم، فكانت الإجابة في هذه الآية.

---

(1) الرافعي، مصطفى صادق.(2005م). **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**.مصر: دار الكتاب العربي ط3.ص158.

(٢) سورة النجم، آية رقم:(61).

(٣) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج2.ص489.

(٤) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج14.ص372.

(٥) سورة النجم، آية رقم:(11).

وعن أصلها يقول ابن فارس: " (همر) الهاء والميم والراء:أصلٌ يدلُّ على صَبٍّ وانصباب. وهَمَر دمْعه. وهَمَرَ الدّمعُ وانهمَرَ: سالَ. وفلانٌ يُهامِر الشَّيء، إذا أخذه جَزْفا. وهَمَر في كلامِهِ: أكثَرَ. وهو مِهمارٌ، أي كثير الكلام. وهَمَر له من مالِهِ، كأنَّه صَبّه له صَبًّا"[١]. والآية تنطوي على: " مركب (تشبيه) تمثيلي لهيئة اندفاق الأمطار من الجو بهيئة خروج الجماعات من أبواب الدار على طريقة: (وسالت بأعناق المطي الأباطح)"[٢]. ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم اللّه تعالى بمطلوبهم. وكلمة منهمر: توحي بالكثرة لأن من حروفها تتركب كلمة النهر، ودلالة الكلمة هي الصب والانسكاب بلا حدود ولا توقف، مطر هطيل، وماء غزير، وسيل كثير، ليتحقق مراد الله فيهم، وتوحي الكلمة أيضاً بالتجريف والكسح، فماءٌ بهذه الكثرة التي لم يروا مثلها من قبل مع ضعف بيوتهم وقلة تحصيناتهم فأين يذهبون، والماء من فوقهم ومن أسفل منهم ومن حولهم، وأصوات حروف الكلمة من الهاء المهموسة والتي مع نطقها يخرج الهواء من أقصى الحلق في حركة مستمرة تناسب حركة سيلان الماء، وحرف الراء الذي يتكرر تكراراً مستمراً بتكرر حركة اللسان وهذا يتماشى مع هطول المياه من السماء؛ لذا لم يغن غيرها مكانها؛ لأن غيرها لا يعطي نفس قوة الدفق والدفع التي تحققها كلمة منهمر؛ وأيضاً لأن الفعل مسند إلى قوة الجبار بقوله " وفتحنا " التي لا تضاهيها قوة. وهذا ما يؤكده صاحب الظلال قائلاً: " وهي حركة كونية ضخمة غامرة تصورها ألفاظ وعبارات مختارة. تبدأ بإسناد الفعل إلى اللّه مباشرة: «فَفَتَحْنا» فيحس القارىء يد الجبار تفتح «أَبْوابَ السَّماءِ»..بهذا اللفظ وبهذا الجمع. «بِماءٍ مُنْهَمِرٍ».. غزير متوال. وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها:«وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً».. وهو تعبير يرسم مشهد التفجر وكأنه ينبثق من الأرض كلها، وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيونا"[٣].

183- دُسُر: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[٤]. وسياق الآية هو الحديث عن نجاة نوح وقومه بالسفينة التي أمره الله بصنعها ليتقي بها الغرق هو من آمن معه.

يقول ابن فارس: "(دسر) الدال والسين والراء أصلٌ واحد يدلُّ على الدَّفْع. يقال دَسَرْتُ الشّيءَ دَسْرًا، إذا دَفَعتَه دَفْعاً شديداً..... ومما شذَّ عن الباب وهو صحيحٌ:الدِّسارُ:خَيْطٌ من ليفٍ تُشَدّ به ألواحُ السَّفينة، والجمع دُسُرٌ. ويقال الدُّسُر:المسامير."[٥]. " والدسر جمع دسار وهو

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج5.ص65.

(3) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج27.ص176.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6.ص3430.

(٤) سورة القمر، آية رقم:(13).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص.278.

المسمار فِعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه "[١]، ومن هنا تبين لنا سر تسمية المسمار بهذا الاسم. والسياق لم يذكر السفينة بل ذكر أوصافها ولعل الحكمة من ذلك هو" تفخيم السفينة وتعظيم أمرها. فهي ذات ألواح ودسر. توصف ولا تذكر لفخامتها وقيمتها. وهي تجري في رعاية الله بملاحظة أعينه، وأيضاً ذكر " صفة السفينة، أقيمت مقام الموصوف هنا معوضا عن أن يقال:وحملناه على الفلك لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة وإحكام صنعها. وفي ذلك إظهار لعناية الله بنجاة نوح ومن معه فإن الله أمره بصنع السفينة وأوحى إليه كيفية صنعها ولم تكن تعرف سفينة قبلها"[٢].

"وأصل الدسر الدفع الشديد بقهر فسمي به المسمار لأنه يدق فيدفع بشدة. وقيل:حبال من ليف تشد بها السفن. وقال الليث: خيوط تشد بها ألواحها، وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة والحسن أنها مقاديم السفينة وصدرها الذي تضرب به الموج وتدفعه. وروي عن ابن عباس نحوه. وأخرج عن مجاهد أنها عوارض السفينة أي الخشبات التي تعرض في وسطها. وفي رواية عنه هي أضلاع السفينة. وأيا ما كان فقوله تعالى: ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات على سبيل الكناية، وهو من فصيح الكلام وبديعه"[٣].

184- مُنْقَعِر: ورد في قوله تعالى:﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾[٤]. وسياق الآية في الحديث عن عاد قوم هود، لما أعرضوا عن الإيمان أرسل الله عليهم ريحاً شديدة تقلعهم وتجتثهم كما يجتث النخل الذاهب في قعر الأرض، فلم يبق لهم لا رسم ولا أثر.

يقول ابن فارس: " القاف والعين والراء أصلٌ صحيحٌ واحد، يدلُّ على هَزْمٍ في الشّيء ذاهبٍ سُفْلاً يُقال: هذا قَعر البئر، وقَعر الإناء، وهذه قصعةٌ قَعِيرةٌ. وقَعَّر الرّجلُ في كلامه:شَدَّق.... وانقَعَرت الشّجرة من أرومتِها:انقلعَتْ"و"يقال:قعرت الشجرة قعراً ": قلعتها من أصلها، والمنقعر: المنقلع من أصله"[٥]. وكلمات الآية توحي بالعنف والقوة والشدة ومنها: (تنزع) وهي تفيد الإزالة بعنف لئلا يبقى اتصال بين المزال وبين ما كان متصلا به، ومنه مثلاً: نزع الثياب. وأطلق الأعجاز هنا على أصول النخل؛ لأن أصل الشجرة هو في آخرها مما يلي الأرض.

---

(١) النسفي.(د.ت).**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. مرجع سابق.ج3.ص379.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق.ج6.ص3430.

(٣) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق.ج14.ص82.

(٤) سورة القمر، آية رقم:(20).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص109.

والآية تنطوي على تشبيه مخيف المنظر، بَشِع الصورة، شبَّه فيه الناس المطروحين على الأرض بأصول النخيل المقطوعة التي تقلع من منابتها لموتها؛ إذ تزول فروعها ويتحات ورقها فلا يبقى إلا الجذوع الأصلية فلذلك سميت أعجازا. ولفظة (منقعر) معبرة تماماً عن الحالة التي كانوا عليها والصورة التي قتلوا بها؛ حيث تشير إلى أن الريح صرعتهم صرعا تفلقت منه بطونهم وتطايرت أمعاؤهم، والواقع يدلل على ذلك؛ حيث إن أعواد النخل ترقعر دواخله وذلك يحصل له إذا طال مكثه مطروحًا. وقيل شُبهوا بأعجازِ النخل وهي أصولها بلا فروع "لأنَّ الريحَ كانتْ تقلعُ رؤوسَهُم فتُبقِي أجساداً وجثثاً بلا رؤوسٍ، وقيل: لأَنَّهُمْ كانوا يحتفرون حفراً ليمتنعوا فيها من الريح، فكأَنَّه شَبَّهَ تلك الحُفَرَ بعد النزع بحفر أعجاز النخل"[1]. وعليه فيمكن القول بأن منقعر تفردت هنا في هذا السياق.

185- أَدْهَى: ورد في قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[2]. وسياق الآية في الحديث عن كفار مكة، وما سيلحق بهم من عذاب أليم يوم القيامة، وأنهم سيلقون ما هو أشد وأفظع مما لحقهم في الدنيا أو لحق بغيرهم من كفار الأمم السابقة.

يقول ابن فارس: "الدال والهاء والحرف المعتلّ يدلُّ على إصابة الشّيء بالشيء بما لا يَسُرُّ. يقال ما دَهَاه: أيْ ما أصابه. ولا يقال ذلك إلاّ فيما يسوء. ودواهِي الدَّهر: ما أصابَ الإنسانَ من عظائم نُوَبِه"[3]. ولقد جاءت الآية لتوضيح شيء للكفار لعلهم في غفلة عنه، وهو أن موقف القيامة أهول من موقف بدر الذي حدث لهم فيه أسر وقتل وهزيمة ونحوها، وعذابها أشد وأعظم من عذاب الدنيا،كما أن نارها سبعون ضعفاً من نار الدنيا، وهذا – بحد ذاته – يكفي لِأَن يطلق عليها كلمة (أدهى). وأَدْهَى: " اسم تفضيل من دهاه إذا أصابه بداهية، أي الساعة أشد إصابة بداهية الخلود في النار من داهية عذاب الدنيا بالقتل والأسر. وأمرّ:أي أشد مرارة. واستعيرت المرارة للإحساس بالمكروه على طريقة تشبيه المعقول الغائب بالمحسوس المعروف"[4].

والداهية هي أفظع الأشياء والتي لا مثيل لها في جلب السوء والشر والمكروه والضرر لمن تنزل عليه، وبالتالي عبَّر السياق هنا بها بل جاء بها في صيغة أفعل التفضيل تدليلاً وتأكيداً على

---

(١) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**. مرجع سابق.ج6.ص239.

(٢) سورة القمر، آية رقم:(46).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص305.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج27.ص203.

شناعة ما ينتظرهم من عذاب وأهوال في الآخرة، واللفظة تشيع جواً من الرعب والفزع والهلع عندما تقرع الأذن وكأنك ترى المشهد المليء بأصناف العذاب وأنواع العقاب الذي لا تتخيله وإن حاولت ذلك، وجرس اللفظة مكتظ بالتهديد والوعيد الذي معه تصعق القلوب وترتجف الأوصال وتنتزع القلوب التي في الصدور، وهم لا يبالون شيئاً.

186- الأَنَام: ورد في قوله تعالى:﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[(1)]. وسياق الآية هو الحديث عن أعظم النعم الإلهية الدنيوية والأخروية التي وهبها الله لعباده. ومنها الأرض التي بسطها وهيأها للخلق. والأنام: "ما ظهر على الأرض من جميع الخلق..، وقيل: الجن و الإنس ، وقيل كل ما يعتريه النوم، وقيل: كل ذي روح، وقيل: كل ما ظهر على الأرض من دابة"[(2)].

وبناء على المعنى الاشتقاقي فإن الكلمة تشمل جميع ما له روح وحركة على وجه الأرض، والكل ينتفع بما فيها حسب ما يسر الله له، إذن الأرض وضعت لمنافع الأنام يتقلبون عليها ويتصرفون فوقها، وغلب إطلاقها على الإنسان، وهذا ما يؤكده لنا الرازي بقوله: " إن كلمة الأنام فيها مباحث: الأول هو أنه قد مر أن تقديم الاسم على الفعل كان في مواضع عدم الاختصاص وقوله تعالى لِلأنَامِ يدل على الاختصاص فإن اللام لعود النفع نقول :إن الجواب عنه من وجهين أحدهما: ما قيل: إن الأنام يجمع الإنسان وغيره من الحيوان، فقوله لِلْأَنامِ لا يوجب الاختصاص بالإنسان ثانيهما: أن الأرض موضوعة لكل ما عليها، وإنما خص الإنسان بالذكر؛ لأن انتفاعه بها أكثر فإنه ينتفع بها وبما فيها وبما عليها، فقال لِلْأَنامِ لكثرة انتفاع الأنام بها، وإذا قلنا إن الأنام هو الإنسان، وإن قلنا إنه الخلق فالخلق يذكر ويراد به الإنسان في كثير من المواضع"[(3)]. ونضيف بأن السياق عبَّر هنا بلفظ (وضعها) ومعناه: بسطها ومهدها وهيأها للعيش والتنقل والترحال، وهذا ليس فقط للإنسان فحسب بل لكل من على وجهها، من إنس وجن وحيوان وحتى النبات فقد هيأها بفصولها وطبيعة تربتها لجميع أنواع النباتات والأشجار، وكذلك فهي مهيئة أيضاً للحيوان؛ فاختلاف بيئتها تناسب جميع أنواع الحيوانات، فقد خلق الله الأنام وتكفل لهم بتهيئة ظروف حياتهم عليها لينتفعوا بها وبخيراتها أينما رحلوا وارتحلوا؛ لذا فهي لم توضع لفصيل بعينه أو نوع دون آخر. ومن هنا نلمح سر تفرد كلمة الأنام في هذا السياق والذي لم يغن غيرها مكانها فهي كانت جامعة وشاملة لجميع الأنواع والفصائل، وهذا ما لا يحققه غيرها

---

(١) سورة الرحمن، آية رقم:(10).

(٢) الفراء.(1983م).**معاني القرآن**.مرجع سابق. ج3،ص313.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق. ج29. ص344.

187- فَان: ورد في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[1]. وسياق الآية هو الحديث عن زوال الدنيا بكل منْ وما فيها ولا يبقى إلا وجه الله. بعد تعداد النعم الدينية والدنيوية والأخروية، والاستدلال على قدرة اللّه وتوحيده في الأنفس والآفاق، نعى الحق - سبحانه وتعالى- الكون بأجمعه، وأخبر بأن جميع النعم الدنيوية والكائنات فانية، ولا يبقى إلا ذات اللّه تعالى.

ويقول ابن فارس: "(فني) الفاء والنون والحرف المعتلّ. هذا بابٌ لا تنقاس كلِمُهُ، ولم يُبْنَ على قياسٍ معلوم، وقد ذكرنا ما جاء فيه. قالوا: فَنِيَ يَفْنَى فَناءً، والله تعالى أفناهُ، وذلك إذا انقطع. والله تعالى قَطَعه، أي ذهب به"[2]. ويفهم من ابن فارس قلة المفردات التي جاء منها هذا الأصل - فني- والفناء نقيض البقاء، والفناء عبارة عن إعدام جميع المخلوقات والموجودات من إنسان وحيوان وغيره، والآية فيها إشارة إلى نهاية كل موجود على الأرض. والفناء متناسب تماماً مع سياق الآية؛ حيث إنه هو أبلغ من الموت أو الهلاك؛ لأن القضية هي وجود وعدم والأبلغ هي الفناء يعني لا شيء، وكل من عليها وله صفة الوجود سيؤول إلى عدم كما كان من قبل، ولكن الله أوجده، ولذا عبَّر بالفعل بعدها بقوله: ويبقى: يعني الباقي والدايم هو الله وما عداه إلى عدم. وعليه فقد ناسب استعمال السياق نقيض البقاء هو الفناء، وبالتالي يكون هناك انسجام حتى بين المتضادات في الألفاظ. وعليه فقد تفردت الكلمة هنا ولا يغني غيرها غناءها.

والآية ترسم وتجسد طرفي المعادلة البقاء الخاص بالله تعالى والفناء المتعلق بالمخلوقات. " ولا يملك التعبير البشري أن يصور الموقف ولا يملك أن يزيد شيئًا على النص القرآني، الذي يسكب في الجوانح السكون الخاشع، والجلال الغامر، والصمت الرهيب، والذي يرسم مشهد الفناء الخاوي، وسكون الموت المخيم بلا حركة، ولا نأمة في هذا الكون الذي كان حافلاً بالحركة والحياة. ويرسم في الوقت ذاته حقيقة البقاء الدائم، ويطبعها في الحس البشري الذي لا يعرف في تجاربه صورة للبقاء الدائم ولكنه يدركها بعمق في ذلك النص القرآني العجيب!ويعقب على هذه اللمسة العميقة الأثر بنفس التعقيب. فيعد استقرار هذه الحقيقة. حقيقة الفناء لكل من عليها، وبقاء الوجه الجليل الكريم وحده. يعد استقرار هذه الحقيقة نعمة يواجه بها الجن والإنس في معرض الآلاء:«فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟»"[3].

---

(١) سورة الرحمن، آية رقم:(26).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج 4، ص453.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6، ص3454.

188- **شُوَاظ**: ورد في قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾[١].

وسياق الآية في الحديث عن أهوال يوم القيامة في أرض المحشر من إرسال ألهبة من النيران تسوق الناس، فلا يبقى معه مناص ولا مهرب من العقاب، ولا من الامتناع منه.

ويقول ابن فارس: " الشين والواو والظاء كلمة واحدة صحيحة، فالشوَاظ: شُواظُ اللّهب من النار لا دُخانَ معه"[٢].

وبناء الفعل (يُرْسَل) للمجهول هنا ليذهب بالعقل كل مذهب وعدم التصريح بالكيفية إمعاناً في الترهيب والوعيد والتخويف فلا يدري من أين ولا كيف ستأتيه هذه الألسنة من اللهب و الشظيات المحرقة بل المدمرة وهي صورة فريدة، وردت لها نظائر قليلة في القرآن، تشبهها ولا تماثلها، وقدم الجار والمجرور لتخصيص هذا العذاب لهما والتأكيد عليه، وجاءت شواظ نكرة للتهويل والتعتيم والتجهيل ليبقى صاحب العذاب يفكر في شكلها وحجمها وتأثيرها، وبهذا تؤدي دورها في بث الرعب والفزع في نفوسهم لعلهم يرجعون.

وحينما يتحدث القرآن الكريم عن النار وشدة العذاب يختار لهذا السياق ما يوافق مقامه من الأصوات والألفاظ الدالة على الشدة وإثارة الفزع، وعند إمعان النظر في الكلمة وتحليل أصواتها نجد اجتماع صوتي(الظاء،والشين)؛ فهذه الأحرف تنقل لنا في سياقها المؤتلف مع بقية أحرف الكلمة من الواو وألف المد التي تعطي الكلمة طولاً صوتياً يتناسب مع طول الإرسال ويجعل الخيال يرسم له صورة واقعية يشاهدها حيةً وكأنها تتطاير في الهواء أمام عينيه، مع إعطاء صورة مشهدية متكاملة للنار مهتاجة مغتاظة غاضبة، تكاد تنقض على الكافر الْمُعْرِض عن دعوة الله، الصَّاد عن سبيله .كما أن هناك نسبة كبيرة من الحروف يرتبط صوتها بما تؤديه من معنى ارتباطاً وثيقاً، وذلك وفقاً لما قاله ابن جني عند حديثه عن هذا الأمر بقوله: "فإنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها"[٣]. وتأسيساً على هذا الطرح وجدنا السياق القرآني يوظف مجموعة من الحروف في كلمة واحدة تم اختيارها بدقة لتحاكي أصواتها المؤلفة لها، وتستوحي دلالتها من جنس صياغتها، فجاءت دالة على ذاتها بذاتها . وبناءً على ما تقدم فإن الكلمة تفردت هنا في هذا السياق ولا يغني غيرها غناءها.

---

(١) سورة الرحمن، آية رقم:(35).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3. ص228.

(٣) ابن جني،أبو الفتح عثمان.(2006) **الخصائص**..محمد علي النجار(محقق). بيروت: عالم الكتب. م2.ص157.

189- أَفْنَان: ورد في قوله تعالى: ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴾[١]. وسياق الآية هوالحديث عن أنواع نعم اللّه على المتقين في الآخرة، ومنها وصف الجنات بأن لها أغصان وارفة.

يقول ابن فارس: " الفاء والنون أصلانِ صحيحان،... والآخر الأفانين: أجناس الشّيء وطُرُقُه. ومنه الفَنَن، وهو الغصن، وجمعه أفنان" و" الأفنان: جمع فنن والفنن: الغصن، وق يل الأفنان: جمع فن: وهو اللون، وفسرت الآية بالتفسيرين فقيل: ذواتا أغصان، وذواتا أفنان"[٢].

وجملة: "(ذَوَاتَا أَفْنَانٍ)صفةٌ لجنَّتيِ وما بينهُمَا اعتراضٌ وُسّطَ بينهُمَا تنبيهاً على أنَّ تكذيبَ كل من الموصوفِ والصفةِ موجبٌ للإنكارِ والتوبيخِ والأفنانُ إمَّا جمعُ فَنَ أيْ ذَوَاتا أنواعٍ من الأشجارِ والثمارِ، أو جمعُ فَنَنٍ أي ذَوَاتا أغصانٍ متشعّبةٍ من فروعِ الشجرِ وتخصيصُها بالذكرِ لأنها التي تورقُ وتثمرُ وتمد الظلَّ { فَبِأَيِّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ}وليسَ فيها شيءٌ يقبلُ التكذيبَ"[٣]. والجنَّات بالتأكيد تكثر فيها الأشجار ولكن عبَّر السياق هنا بجزء من الشجرة وذكر الجزء وأراد الكل وكأنها تنطوي على مجاز مرسل عبَّر فيه بالجزء وأراد الكل، وذكر الأفنان هنا لأنها حلقة متوسطة بين أوراق وثمار الشجرة وجذرها أوساقها الرئيسي فمتصلة بينهما وأيضاً لأهميتها لأنها هي التي تورق وتثمر وتمد الظل وهذا ما لا يحققه أي جزء آخر من الشجرة!. وهذا ما يؤكِدّه حقي في تفسيره قائلاً: " وهو الغصن المستقيم طولا أو الذى ينشعب من فروع الشجرة أى ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجرة وتخصيصها بالذكر؛ لأنها التى تورق وتثمر وتمد الظل وتجتنى منها الثمار يعنى أن فى الوصف تذكيرًا لها على سبيل الكناية كأنه قيل ذواتا أوراق وأثمار وأظلال"[٤]. والتنكير للأفنان كأنه للتكثير أو للتعجب، وعلى تأويل معناها باللون فيكون: ذواتا ألوانٍ من كلِّ صنفٍ ولونٍ تشتهيه النَّفْسُ والعينُ وبالتالي ينسحب على جميع أصناف الفاكهة والثمار وهذا ليس بمستغرب مع أشجار وثمار الجنان.وعلى تفسير فن بمعنى نوع:أي فيهما فنون من الأشجار وأنواع من الثمار. ولا تؤدي كلمة نفس دلالتها وبالتالي لا يغني غيرها مكانها.

وللرازي كلام طيب يحسن إثباته هنا في هذا المقام، يقول: "إ ن الجنات في الأصل ذوات أشجار، والأشجار ذوات أغصان، والأغصان ذوات أزهار وأثمار، وهي لتنزه الناظر إلا أن جنة الدنيا لضرورة الحاجة وجنة الآخرة ليست كالدنيا فلا يكون فيها إلا ما فيه اللذة وأما الحاجة فلا،

---

(١) سورة الرحمن، آية رقم:(48).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج4.ص435.

(٣) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**. مرجع سابق.ج6.ص252.

(٤) حقي.(1287هـ).**روح البيان**.ج14.ص477.

وأصول الأشجار وسوقها أمور محتاج إليها مانعة للإنسان عن التردد في البستان كيفما شاء، فالجنة فيها أفنان عليها أوراق عجيبة، وثمار طيبة من غير سوق غلاظ، ويدل عليه أنه تعالى لم يصف الجنة إلا بما فيه اللذة بقوله: ذَواتا أَفْنانٍ أي الجنة هي ذات فنن غير كائن على أصل وعرق بل هي واقفة في الجو وأهلها من تحتها "[١].

190- الْيَاقُوت: ورد في قوله تعالى:﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[٢]. وسياق الآية هو:وصف نساء أهل الجنة وتشبيههن بالياقوت والمرجان.

واليَاقُوت: " فارسي معرّب، سكت عن ذكره أكثر أهل اللغة، وهو حجر إذا نفخ عليه النار ازداد حسناً وحُمرة"[٣]. والآية تنطوي على تشبيه مجمل رائع لنساء الجنة حذف فيه وجه الشبه لإشعارك أن المشبه هو نفسه المشبه به، فقد شبههن بالياقوت والمرجان في صفائهن وحسن بياضهن وحمرتهن. وكلمة الياقوت هنا لا يغني غيرها مكانها فقد عبَّر بها السياق؛ لأن الياقوت من أصفي وأنقى الأحجار الكريمة فلونه صافٍ تماماً ونقي لدرجة أنه يُرى ما خلفه من شدة بياضه. ونصاعة لونه. وفيه إشارة إلى شدة اللمعان والنضارة والصفاء والنقاء اللاتي عليها الحور العين فهن ناضرات لامعات . ولعل كلمة الياقوت تشمل دلاتين الأولى: الحسن والبهجة، والثانية: حمرة الوجنة والوجه أدباً وحياء؛ لذا تفردت هنا في سياق هذه الآيات، ويقول الرازي لافتاً النظر بأن في الكلمة "إشارة إلى صفائهن في الجنة، فأول ما بدأ بالعقليات وختم بالحسيات، كما قلنا:إن التشبيه لبيان مشابهة جسمهن بالياقوت والمرجان في الحمرة والبياض، فكذلك القول فيه حيث قدم بيان العفة على بيان الحسن ولا يبعد أن يقال:هو مؤكد لما مضى لأنهن لما كن قاصرات الطرف ممتنعات عن الاجتماع بالإنس والجن لم يطمثهن فهن كالياقوت الذي يكون في معدنه والمرجان المصون في صدفه لا يكون قد مسه يد لامس"[٤].

والياقوت: " من الأشياء التي قد برع حسنها واستشعرت النفوس جلالتها، فوقع التشبيه به لا في جميع الأوصاف لكن فيما يشبه ويحسن بهذه المشبهات، ف(الياقوت) في إملاسه وشفوفه، ومنه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في صفة المرأة من نساء أهل الجنة:« يرى مخ

---

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج19، ص371.

(٢) سورة الرحمن، آية رقم:(58).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ص55.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج 29، ص327.

ساقها من وراء العظم» (والمرجان) في إملاسه وجمال منظره، وبهذا النحو من النظر سمَّت العرب النساء بهذه الأشياء كدرة بنت أبي لهب. ومرجانة أم سعيد وغير ذلك"[١].

191- مُدْهَامَتَان: ورد في قوله تعالى: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾[٢]. وسياق الآية في الحديث عن صفة الجنتين اللتين هما دون الجنتين اللتين أعدهما الله للخائفين من مقامه – سبحانه وتعالى-.

يقول ابن فارس: "(دهم)الدال والهاء والميم أصلٌ يدلُّ على غِشيانِ الشّيء في ظلامٍ ثم يتفرّع فيستوي الظَّلامُ وغيرُه،....والدُّهمة: السَّواد.... وادْهامَّ الزّرعُ، إذا عَلاه السَّوادُ رِيّاً. قال الله جلّ ثناؤُه في صِفة الجنَّتين: (مُدْهَامَّتَانِ)، أي سَوداوانِ في رأي العَين، وذلك للرّيّ والخُضْرة "[٣]. والكلمة فيها إشارة إلى شدة تمكن اللون الأخضر، وهذا ما يحدث في الواقع فكلما اشتد لون الزرع خضرةً كلما شعرت بأن لونه أسود، وهذا ما ذهب إليه الرازي قائلاً: " مُدْهامَّتانِ أي مخضرتان في غاية الخضرة، وإدهام الشيء أي اسواد لكن لا يستعمل في بعض الأشياء والأرض إذا اخضرت غاية الخضرة تضرب إلى أسود "[٤]. وهذا من النعيم الذي يخص العين فتشعر معه بلذة النظر إليه مع جلاء البصر، وهذا ما يؤكده حقي قائلاً: " والنظر إلى الخضرة يجلو البصر كما قال- عليه السلام -:« ثلاث يجلون البصر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجارى وإلى الوجه الحسن"[٥]. ويقدم لنا العلم الحديث دلالة جديدة للون الأخضر وهو: "أن اللون الأخضر يعني الحياة بما فيها من معانٍ للاستقرار والراحة، ويحمل أيضاً دلالة الخصوبة. ذلك فضلاً عما اكتشفه العلماء من أنه عندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنها تنبه الغدة النخامية والجسم الصنوبري مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية، وبالتالي السيطرة المباشرة على تفكيرنا ومزاجنا وسلوكياتنا،....وكان مما اكتشفوه أن اللون الأخضر بالذات يقتل الجراثيم والبكتريا ويسكن الآلام ويقاوم الإنهاك والشعور بالتعب، فيشعر صاحبه بأريحية وسعادة ويشفي من الأمراض الميكروبية، وبذلك عرفوا السرَّ في استخدام الفراعنة للون الأخضر في مقابرهم لحفظ المومياوات من التحلل البكتيري. وذلك فضلاً عن ما يؤديه لون الخضرة من تقوية للنظر والزيادة في حاسة البصر، وسبب ذلك فيما يقوله أهل الطب أن اللون الأخضر يجمع الروح

---

(١) ابن عطية.(1398/1977).**المحرر الوجيز**. مرجع سابق. ج6.ص274.

(٢) سورة الرحمن، آية رقم:(64).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص307، 308.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج29. ص379.

(٥) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج14.ص493.

الباصر جمعاً رفيقاً مستلذاً غير عنيف، وإن كان اللون الأسود يجمع الباصر أيضاً لكنه يجمعه بعنف واستكراه على ضد ما يجمعه اللون الأخضر"[١].

192- نَضَّاخَتَان: ورد في قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[٢]. وسياق الآية هو: الحديث عن وصف الجنتين اللتين أعدهما الله للطائعين، بأنهما تفور بالخير والبركة.

يقول ابن فارس: "النون والضاد والخاء قريب من الذي قبله، والذي قبله هونضح بالحاء وفيها يقول: النون والضاد والحاء أصل يدل على شيء يُنّدي وماء يرش، فالنضح رش الماء"[٣].

والسياق هنا عبَّر بالنضخ ولم يقل النضح؛ لأن النضخ فيه قوة وتواصل واستمرار، وهذا يتأتى لنا من وقع صوت الحرفين الخاء والحاء؛ حيث إن الخاء أقوى من الحاء صوتياً؛ لأن الخاء من حروف الاستعلاء، والاستعلاء من أوصاف القوة، وحروفه تميل إلى التفخيم، فضلاً عن أن صوتها مجهور؛ لذا اكتسبت الكلمة قوتها الأدائية في التعبير عن المعنى ، من قوة صوت الخاء . والعرب غالباً ما كانت تستخدم الصوت الأقوى للدلالة على المعنى الأقوى، وهذا ما يؤكده ابن جني قائلاً: " والنضح للماء ونحوه، و النضخ أقوى، قال تعالى: (فيهما عينان نضاختان)، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه"[٤].

والنضخ في حركته وصورته يرسم صورة واقعية تبهج النفس عند رؤيتها من حيث إ ن الماء إذا فار وارتفع وقع متناثر القطرات كحبات اللؤلؤ المتناثرة كما يُشاهد في النافورات العامة المنتشرة في الميادين العامة ويلتف حولها الناس للمشاهدة والمتعة. ولأن النضخ فيه فوران وحركة وقوة تشي بمعنى الاستمرارية والتواصل وعدم الانقطاع؛ لذا عبَّر السياق به ولم يغن غيره مكانه. وهذا ما ذهب إليه حقي قائلاً: " ونضخ الماء اشتد فورانه من ينبوعه كما فى القاموس أى فوَّارتان بالماء لاتنقطعان، وهذا يدل أيضًا على فضل الأوليين على الأخريين؛ لأنه – تعالى – قال فى الأوليين{عينان تجريان}وفى الأخريين{نضاختان}.. وقال ابن عباس رضى الله عنهما نضاختان بالمسك والعنبر وقال الكلبي بالخير والبركة"[٥].

---

(١) عرب نت.(2009/8/7م).**الألوان في القرآن رؤية فنية ومدلول**.انظر موقع :WWW.ARABNET.CoM، بتاريخ:2013/2/20م.(بتصرف).

(٢) سورة الرحمن، آية رقم:(66).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص438.

(٤) ابن جني.(2006م).**الخصائص**. مرجع سابق.ج2.ص158.

(٥) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج14.ص495.

193- الْخِيَام: ورد في قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾[1]. وسياق الآية هو: في وصف خيام الجنة التي يسكنها الحور العين التي هيأهن الله لمتعة المؤمنيين في الجنة.

يقول ابن فارس: "(خيم) الخاء والياء والميم أصلٌ واحد يدلُّ على الإقامة والثَّبات. فالخَيْمة معروفة؛ والخَيْم: عيدانٌ تُبنَى عليها الخَيْمة" ويقال خَيَّم بالمكان: أقامَ به. ولذلك سمِّيت الخَيْمة. والخِيم: السجِيَّة، بكسر الخاء؛ لأنّ الإنسانَ يُبنَى عليها ويكون مرجعُه أبداً إليها"[2]. والخيام هي بيوت العرب المرتحلين وكانت تصنع من أخشاب مع فرش وأستار من الصوف والقماش، وكانت سهلة الحمل خفيفة الوزن.

والكلمة فيها من الإشارات التي لا تخفى على ذي عينين؛ حيث تشير إلى الستر والحفظ والصون عن الآخرين مراعاةً لِغَيْرَة أصحابهن، وهذا ما قاله حقي من أن الكلمة فيها: " إشارة إلى أنهن لايظهرن لغير المحارم وإن لم تكن الجنة دار التكليف، وذلك لأنهن من قبيل الأسرار وهى تصان عن الأغيار غيرةً عليها، يقال امرأة قصيرة وقصورة أي مخدرة مستورة لاتخرج ومقصورات الطرف على أزواجهن لايبغين بهم بدلا والأخيام جمع خيمة وهى للقبة المضروبة على الأعواد هكذا جمع خيام الدنيا وهى لاتشبه خيام الجنة إلا اسماً فقط فإنه قد قيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهلون مايرون إلا حين يطوف عليهم المؤمنون وقال ابن مسعود لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا"[3]. ولعل السياق عبَّر بلفظ الخيمة هنا مع الفرق في التكوين والمادة؛ لأنها من الأشياء المحببة لدى العربي؛ لأنه كان يقضي فيها وقتاً طيباً فكانت خفيفة الحمل نافعة يقضي فيها أربه وتستره من الشمس وتحفظه من الريح والحر والمطر والبرد، و لقربها من بيئته ومعرفته بها. وهي تناسب ما تفعله الحور العين؛ حيث إنهن يتحركن بها إلى حيث يريدهن الرجال. إضافة إلى أن لفظة الخيام تلقي بظل البداوة على الجو العام وهذا ما كان يميل إليه العربي. فهو نعيم بدويّ أو يمثل مطالب أهل البداوة..فما كان يستعمله ويراه حال حياته هو ذاته، فهناك اتفاق في الاسم واختلاف في الشكل والمضمون؛ حتى تقترب له صورة النعيم لكي يدركها ويتخيلها، ولا تذهب نفسه بعيداً، ولتكن هناك صورة قريبة لما كان في واقعه، ولكن شتان بين الخيمتين.

---

(١) سورة الرحمن، آية رقم: (72).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج2.ص363.

(٣) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق. ج15.ص1.

194- **رَفْرَفٍ**: ورد في قوله تعالى:﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ** ﴾(١). وسياق الآية هو: وصف لحال الآرائك والأسرَّة التي يتكيء عليها أهل الجنة، وما هم فيه من نعيم وتمتعهم بما أعد الله لهم.

ويقول ابن فارس: "...وأمّا ما كان من جهة الاضطراب فالرّفرَفَة، وهي تحريك الطّائرِ جناحَيه. ويقال إنّ الرَّفْرافَ:الظَّليمُ يرفرِف بجناحَيه ثم يعدو. ومن الباب الرَّفيف:رفيف الشجرة، إذا تندَّتْ. ومنه الرَّفْرَف وهو كِسْر الخباءِ ونحوِه. وسمِّي بذلك لما ذكرناه؛ لأنه يتحرَّك عند هُبوب الرِّيح. ويقال ثوبٌ رفيفٌ بيِّنُ الرَّفَف، وذلك رقّته واضطرابُه. فأمّا قوله تعالى في الرّفْرَف، فيقال هي الرِّياض، ويقال هي البُسُط، ويقال الرَّفرف ثِيابٌ خُضْر" ويقال: "هي ثياب خضر تتخذ منها المحابس، وهي في الأصل ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصنعة ثم اتسع به، وقيل الفرش والبسط. وقيل:هي الوسائد"(٢). ويأتي الرفرف في اللغة بمعنى الحركة؛ إذ يقال:" رفرف الطائر إذا حرك جناحيه، وهو لايبرح مكانه، ويأتي بمعنى البساط ، فيقال فرشوا لنا رفرفا ، وهو ضرب من البسط الخضر ، وقد يأتي الرفرف بمعنى المنتشر من الأوراق ، والرفرف:اسم جنس يأتي بمعنى الجمع ومفرده رفرفة، والمعنى أنهم متكئون على بسط تشبه الرياض. وإذا كانت الرفرفة مأخوذة من الحركة، فهذا يعني أنهم على تلك البسط المرفوعة التي ورد ذكرها في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَفُرُش مَرْفُوعَةٍ)(الواقعة:34) فالتكرير في الصوت يتبعه تكرير في دلالة المادة ، كما هي الحال في حركة البساط أو أجنحة الطائر"(٣).

والمدقق في الكلمة يجد أن صوت الراء فيه تكرار حركة اللسان مع سقف الحنك الأعلى، وزاد في حركته تكراره مرة أخرى في نفس الكلمة؛ فتشعر فيه بأن هذه الآرائك والبُسُط متحركة حركة هادئة ناعمة، ترتاح معها النفس وخاصة قد سبقها السياق بقوله: (متكئين)؛ لأن الاتّكاء غاية الراحة والسعادة، والإنسان المتكيء ليس عنده ما يشغله وإلا ما اتكأ، ولو كان مشغولاً بشيء لتهيّأ له وما اتكأ، وهذا ما نراه في بيوت الأغنياء يتخذون متاكيء وأراجيح متحركة تسكن إليها أجسادهم وأنفسهم. وأكثر ما ورد الاتّكاء في القرآن مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية ولهذا وصِف به أهل الجنة ولم يأت وصفهم بالنوم؛ لأنه لا نوم في الجنة أصلاً؛ ولذا تفردت الكلمة في سياقها. وفي وصف هذه الرفرف بالخضرة لدلالة على أهمية هذا اللون للإنسان، و ما

---

(١) سورة الرحمن، آية رقم:(76).

(٢) ابن فارس.(1991).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص309.

(٣) خلف، يونس حمش.(د.ت). **الصوت في القرآن الكريم أنماطه ودلالاته**.الموصل: (د.ن).م1.ص20.

أكثر ما يرد لفظ الخضرة في آيات القرآن الكريم، والتي تصف حال أهل الجنة أو ما يحيط بهم من النعيم في جو رفيع من البهجة و المتعة والاطمئنان النفسي.

195- عَبْقَرِيّ: ورد في قوله تعالى :﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[١].

وسياق الآية هو: وصف لحال الأرائك والأسرة التي يتكأ عليها أهل الجنة وما هم فيه من نعيم وتمتعهم بما أعد الله لهم.

"والعبقر: موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن....ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه وقوته فقالوا: عبقري، وعلق بعضهم على ذلك فقال: لا أدري أين هذه البلاد ولا متى كانت، والعبقري: البسط، وقيل الطنافس المبسوطة، وقيل الطنافس الثخان، وقيل: الديباج، وقيل: عبقر قرية في اليمن توشي فيها الثياب والبسط فثيابها أجود الثياب فصارت مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع" [٢]. وبناءً على المعنى الاشتقاقي يمكن القول بأنها طنافس منقوشة عجيبة الوشي نادرة في صنعتها وطريقة تركيبها وجمال صورتها. ويقول الإمام البقاعي نقلاً عن الخليل بأن العبقري هو: " كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم، ومنه قول النبي –صلى الله عليه وسلم– في عمر– رضي الله عنه –: (فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه)، ولما كان المراد به الجنس، دل على كثرته بالجمع مع التعبير بالمفرد إشارة إلى وحدة تكامله بالحسن فقال: (حسان) أي هي في غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف"[٣]. وكأن الكلمة تطلق على كل ما هو عجيب أو غريب أو نادر من الجمادات أو الأحياء سواء في الشكل أو في الصورة أو في الأفعال، وهذا ما نراه في دنيا الناس. وقد استعمل السياق هذه الكلمة لتقريب وصفها إلى العرب، وقد كانوا ينسبون كل عجيب إلى وادي الجن:عبقر!. ويقول حقي معللاً سبب التسمية: " وهو ضرب من الفرش جعله الله مثلاً لفرش الجنة وفى (التكملة)[٤]، عبقر اسم موضع يصنع فيه الوشى كانت العرب اذا رأت شيئاً نسبته إليه، فخاطبهم الله على عادتهم"[٥]. ومن هنا ظهر لنا سر تفردها وذكرها هنا في هذا السياق دون غيرها

---

(١) سورة الرحمن، آية رقم:(76).

(٢) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج2، ص734، 735.

(٣) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج7.ص400.

(٤) الفارسي، أبو على(1999م)،.**التكملة**.كاظم بحر المرجان(محقق).بيروت: عالم الكتب.ط2.

(٥) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج15.ص5.

196- رَجّاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾[١]. وسياق الآية هو: الحديث عن يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال وأحداث جِسام ومنها اضطراب الأرض وزلزالها.

يقول ابن فارس: "(رج) الراء والجيم أصلٌ يدلُّ على الاضطراب، وهو مطَّردٌ منْقاس ويقال كتيبةٌ رَجْراجة: تَمَخَّضُ لا تكاد تسير"[٢].

وفي هذه الآية ومثيلاتها من آيات المشاهد الكونية ليوم القيامة نجد أن القرآن استعمل طائفة من الألفاظ، تم اختيار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، واستوحى دلالتها من جنس صياغتها، فكانت دالة على ذاتها بذاتها، فلا تحتاج معانيها إلى بيان أو ألفاظها إلى ترجمان. فالآية تنطوي على صورة مفزعة تُرْتَسم من خلال جرس ألفاظها، بل وتعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا، فأصوات حروفها من الراء المكررة والتي تملؤ فمك بالاهتزاز عند نطقه وهذا ينسحب على الكون بأكمله ومنها الأرض فتشعر عند النطق به وكأنك ترى الأرض تهتز وترتج، ويزيد من هذا الرج تشديد الجيم - وهي حرف انفجاري-، وتكرار اللفظ بجملته وجرسه ثانيةً، فضلاً عن أن السياق بدأ بالفعل مبنياً للمجهول وهذا بدوره يُضيف ظلالاً من الهول والهيبة، ثم بالاسم مُنَكَّراً ليشمل كل أنواع الرج المعهود والمعروف وغيره مما تخبئه لنا القيامة، وكل هذا دلَّ على شدة زلزلتها وارتجاجها. وأصوات هذه الحروف تتناسب والمعنى الدلالي لها وأيضاً تتماشى مع جو السورة الرعيب الرهيب؛ ولهذا لا يغني غيرها غناءها.

ويبدو " أن تسمية المفعول المطلق بهذا المصطلح جاءت لإطلاقه من لفظ فعله فضلاً عن عدم تقيده بحرف من حروف الجر كبقية المفاعيل، و أن أكثر ما ورد من المفعول المطلق في العربية ما جاء مجانسًا للفظ عامله في سياقات يكون للإيقاع الذي يتشكل من هذه الظاهرة ما يعين المعنى ويشده ويتناغم معه، من خلال صفات الأصوات المتكررة في المفعول المطلق وعامله، فلا يكون الجناس مقبولاً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، حتى تجده لا تبتغي به بدلاً ولا تجد عنه حولاً، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه و أعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه"[٣]، وفي هذا السياق وهذه الآية "يكون للتأثير الصوتي الناتج عن التجانس بين الفعل ومعموله دور مهم في إيصال المعنى المقصود وهو تأكيد الحدث، وبهذا المعنى يخرج المفعول المطلق من شرط بعض البلاغيين الذين قصروا التجنيس

---

(١) سورة الواقعة، آية رقم:(4).

(٢) ابن فارس.(1991).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج2.ص384.

(٣) الجرجاني،عبد القاهر.(1991م).**أسرار البلاغة**. مرجع سابق. ج1.ص8.

على الألفاظ المتطابقة في وجه من الوجوه مع اختلاف معناه"[١]، وعليه فقد خدم الفعل ومعموله المعنى في التأكيد عليه والتحقق من حدوثه، وتمكنه من نفوس السامعين؛ لذا تفرد هنا في هذا السياق.

197- مَوضُونَة: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾[٢]. وسياق الآية هو: الحديث عن نعيم أهل الجنة وسبل الراحة المتوفرة لهم هناك من أَسِرَّة مرتبة ومجهزة وغيرها.

وُضِن(الدِّرع): " أي أُحكم نسجه، والسرر الموضونة: أي السرر المنسوجة بإحكام" و" الوضن: نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم والمقصود منسوجة بالجواهر والدرر وبعضها متداخل في بعض"[٣].

والآية فيها تكملة لبقية النعيم الخاص بأصحاب الميمنة، وهو النعيم المادي وتبدأ بقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾، وحرف الجر (على) فيه دلالة على العلو والارتفاع. وقد بدأ وصف النعيم بوصف المكان الكريم المعد للسابقين وأتبعه بوصف الولدان القائمين على خدمتهم، مؤخِرًا بذلك ذكر ما أعد لهم من لذائذ الأكل والشرب. وفي هذا غاية التكريم والتعظيم، فأول ما يبتديء به المرء حين ينزل عليه ضيف كريم هو تهيئة المكان اللائق به، وهكذا بدأ – سبحانه وتعالى– بذكر المكان اللائق بهم، وهذا فيه كل معاني الاستعداد والتهيؤ، رِفعة لشأنهم وتقديراً لمقامهم، ويظهر ذلك جليا حين تقابله بما بدأ به من نعيم أهل اليمين حيث بدأ بذكر لذائذ الطعام وصنوف الشراب أولاً.

واللفظ "استعير لمطلق النسج أو لنسج محكم مخصوص، ومن ذلك وضين الناقة وهو حزامها؛ لأنه موضون أي مفتول والمراد هنا على ما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس مرمولة أي منسوجة بالذهب، وفي رواية عنه بقضبان الفضة، وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت، وقيل: مَوْضُونَةٍ متصل بعضها ببعض كحلق الدرع، والمراد متقاربة"[٤]، وعلى ما قاله الآلوسي والأصل الاشتقاقي فإن الكلمة تنطوي على إحكام في النسج وخصوصية فيه وعلى قوة وزخرفة وترصيع بجواهر وغيرها، وهذا ما لا يتأتى لكلمة غيرها؛ لذا تفردت في سياقها.

---

(١) ابن الأثير.(1995). **المثل السائر**.مرجع سابق. ج1.ص342.

(٢) سورة الواقعة، آية رقم:(15).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**. مرجع سابق.ص54.

(٤) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق. ج14.ص135.

198- مَخْضُود: ورد في قوله تعالى:﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾[١].

وسياق الآية هو الحديث عن أنواع النعيم الذي يتمتع به أهل اليمين في الجنة من سدر بلا شوك وخلافه. والخَضَدُ: "هو الشجر الذي قطع شوكه" و" خضدت الشجر: قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود"[٢]. وعلى المعنى الاشتقاقي فإن السدر المخضود غير ذى شوك لا كسدر الدنيا فإن سدر الدنيا مخلوق بشوك وسدر الجنة بلا شوك كأنه خضد شوكه أى قطع ونزع عنه، والسدر في الدنيا من الأشجار التي لا ثمر فيها أي لا متعة فيها ولا لذة، وهو من أشجار الصحراء، فكيف تذكر في الجنة على أنها من أنواع النعيم فيها!، إذن ما الحكمة في قوله تعالى: فِي سِدْرٍ وأية نعمة تكون في كونهم في سدر مخضود؟!، ونجد الإجابة عند الإمام الرازي قائلاً:" فيه حكمة بالغة غفلت عنها الأوائل والأواخر، واقتصروا في الجواب والتقريب أن الجنة تمثل بما كان عند العرب عزيزًا محمودًا، وهو صواب ولكنه غير فائق، والفائق الرائق الذي هو بتفسير كلام اللَّه لائق، هو أن نقول: إنا قد بينا مرارًا أن البليغ يذكر طرفي أمرين، يتضمن ذكرهما الإشارة إلى جميع ما بينهما، كما يقال: فلان ملك الشرق والغرب، ويفهم منه أنه ملكهما وملك ما بينهما، ويقال: فلان أرضى الصغير والكبير، ويفهم منه أنه أرضى كل أحد إلى غير ذلك، فنقول: لا خفاء في أن تزين المواضع التي يتفرج فيها بالأشجار، وتلك الأشجار تارة يطلب منها نفس الورق والنظر إليه والاستظلال به، وتارة يقصد إلى ثمارها، وتارة يجمع بينهما، لكن الأشجار وأوراقها على أقسام كثيرة، ويجمعها نوعان: أوراق صغار، وأوراق كبار، والسدر في غاية الصغر، والطلح وهو شجر الموز في غاية الكبر، فقوله تعالى:فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ إشارة إلى ما يكون ورقه في غاية الصغر من الأشجار، وإلى ما يكون ورقه في غاية الكبر منها، فوقعت الإشارة إلى الطرفين جامعة لجميع الأشجار نظرًا إلى أوراقها، والورق أحد مقاصد الشجر"[٣]. ويواصل الرازي كلامه عن معنى كلمة المخضود قائلاً: " نقول فيه وجهان أحدهما: مأخوذ الشوك، فإن شوك السدر يستقصف ورقها، ولولاه لكان منتزه العرب، ذلك لأنها تظل لكثرة أوراقها ودخول بعضها في بعض، وثانيهما: مخضود أي متعطف إلى أسفل، فإن رؤوس أغصان السدر في الدنيا تميل إلى فوق بخلاف أشجار الثمار، فإن رؤوسها تتدلى، وحينئذ معناه أنه يخالف سدر الدنيا، فإن لها ثمرًا

---

(١) سورة الواقعة، آية رقم:(28).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**.مرجع سابق.ص17.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج29.ص404.

كثيرًا"[١]. ولعل السر أيضاً من ذكر السدر المخضود هنا كما يقول الإمام البقاعي:أنه" تنبيه على أن كل ما لا نفع فيه أو فيه نوع أذى له في الجنة وجود كريم لأن الجنة إنما خلقت للنعيم"[٢]. وعليه فإن الكلمة تفردت في السياق هنا ولم يغن غيرها مكانها.

199- طَلْح: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾[٣]. وسياق الآية هو نفس السياق السابق. وعن أصل طلح يقول ابن فارس: " الطاء واللام والحاء أصلانِ صحيحان، أحدهما جنسٌ من الشجر،...فالأوّل الطَّلْح، وهو شجرٌ معروف، الواحدةُ طَلحة..."[٤].

والمفسرون مختلفون في تفسير لفظ الطلح " فقيل بأنه الموز، وقيل: شجر ظله بارد رطب، وقيل: شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل، ولا عجب في ذلك فالآية في جزاء أهل اليمين"[٥]. ولقد وصف السياق الطلح بأنه منضود أي: معد للتناول بلا كد ولا مشقة ولا عناء، وهذا من أنواع النعيم والراحة في الجنة.

وللتأكيد على أن الطلح أبلغ هنا في سياقه من أي كلمة أخرى ولو كانت الطلع، إليك هذه القصة التي يرويها لنا الرازي في تفسيره قائلاً: "روي أن عليًا عليه السلام سمع من يقرأ: وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ فقال: ما شأن الطلح؟ إنما هو(وطلع)، واستدل بقوله تعالى : (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ)(ق:10) فقالوا: في المصاحف كذلك، فقال: لا تحول المصاحف. فنقول: هذا دليل معجزة القرآن، وغزارة علم علي رضي اللّه عنه. أما المعجزة فلأن عليا كان من فصحاء العرب ولما سمع هذا حمله على الطلع واستمر عليه، وما كان قد اتفق حرفه لمبادرة ذهنه إلى معنى، ثم قال في نفسه: إن هذا الكلام في غاية الحسن، لأنه تعالى ذكر الشجر المقصود منه الورق للاستظلال به، والشجر المقصود منه الثمر للاستغلال به، فذكر النوعين، ثم إنه لما اطلع على حقيقة اللفظ علم أن الطلح في هذا الموضع أولى، وهو أفصح من الكلام الذي ظنه في غاية الفصاحة فقال: المصحف بين لي أنه خير مما كان في ظني فالمصحف لا يحول. والذي يؤيد هذا أنه لو كان طلع لكان قوله تعالى: (وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) تكرار أحرف من غير فائدة، وأما على الطلح فتظهر فائدة قوله تعالى: وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ"[٦].

---

(١) السابق، نفسه.

(٢) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج7.ص409.

(٣) سورة الواقعة، آية رقم:(29).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص418.

(٥) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق. ج29، ص227، 228.

(٦) السابق.ج29.ص405.

والظاهر هنا بأن الله – تعالى– ذكر هنا الأشجار التي لها ورق والأشجار التي لها ثمر فكانت طلح هنا أنسب من طلع ولوكانت طلع لما كان للآية التي بعدها فائدة ، وهي (وفاكهة كثيرة)؛ لأن الطلع هو ثمار الفاكهة التي تنتجه الأشجار فكيف يكررها مرتين – كما قال الرازي– وبالتالي هذه لم يغن غيرها مكانها. ولقد كان من الإعجاز ذكر هذه الأشياء التي كانت قريبة من بيئة العربي فالسدر والموز سيدا فواكه الجنة، ثم سرد الظل والماء وهذه من مظاهر النعيم والراحة عند العربي فذكرها الله للحث والاستزادة والمداومة على انتهاج سلوك أصحاب اليمين لنيل هذا النعيم.

200– مَسْكُوب: ورد في قوله تعالى:﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾[1]. وسياق الآية هو: نفس السابق.

وعن أصلها يقول ابن فارس: " (سكب)السين والكاف والباء أصلٌ يدلُّ على صبّ الشيء. تقول: سكب الماء يسكبه. وفرسٌ سَكْبٌ، أي ذرِيعٌ، كأنّه يسكُبُ عدْوَه سكبا، وذلك كتسميتهم إيّاه بحراً "و" ماء مسكوب أي يجري على الأرض من غير حفر"[2].

والمفسرون يؤكدون على أن مسكوب: مصبوب، وجاء في غير أخدود ومنساب لا يتعب فيه ساقِيه، فهو يجري ليلاً ونهارًا من غير انقطاع، وهذا ما لم يكن متوافرًا عند العرب، فقد كانت بلادهم حارة وبادية، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء، فوعدوا في الجنة خلاف ذلك" [3]، وبالتالي كانت الكلمة مناسبة جدًا لمقام النعيم، ومتسقة تماما مع النعم السابقة لها فكلها من بيئة العربي، وبالتالي لا يغني غيرها غناءها.

ويُعلِّل الإمام البقاعي ذكر الماء المسكوب هنا في هذا السياق قائلاً: " ولما كان ما ذكر من الري لا يستلزم الجري قال: (وماء مسكوب) أي جارٍ في منازلهم من غير أخدود ولا يحتاجون فيه إلى جلب من الأماكن البعيدة، ولا الإدلاء في بئركما لأهل البوادي"[4]. والماء مَسْكُوب جار جار دائم لا ينقطع، مصبوب يسكب لهم من فوق، وهذا عكس ما كان في بيئته من رفع – بعد كد– للماء من البرك والآبار، وهذا ما يقوله الرازي: " فيه أيضا وجوه الأول: مسكوب من فوق، وذلك لأن العرب أكثر ما يكون عندهم الآبار والبرك فلا سكب للماء عندهم بخلاف المواضع التي فيها العيون النابعة من الجبال الحاكمة على الأرض تسكب عليها، الثاني: جار في غير

---

(١) سورة الواقعة،آية رقم:(31).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص88.

(٣) الفراء.(1983م).**معاني القرآن وإعرابه**. مرجع سابق.ج5، ص212.

(٤) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج7.ص409.

أخدود؛ لأن الماء المسكوب يكون جاريًا في الهواء ولا نهر هناك، كذلك الماء في الجنة، الثالث: كثير وذلك الماء عند العرب عزيز لا يسكب، بل يحفظ ويشرب، فإذا ذكروا النعم يعدون كثرة الماء ويعبرون عن كثرتها بإراقتها وسكبها، والأول أصح"(١). ولهذا كله اتضح لنا سر تفرد كلمة مسكوب هنا في السياق.

201- الْمُزْن: ورد في قوله تعالى:﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴾(٢).

وسياق الآية هو الحديث عن تعدد نعم الله على الكافرين وجحودهم لها في سياق الحديث عن الدلائل الواضحة على وقوع البعث ومن بين هذه النعم الماء النازل من السحاب.

والمزن: "السحابة البيضاء المضيئة وهي المطرة، وقيل: السحاب عامة، أوالسحاب ذو الماء"(٣). ويقول الرازي عن معنى المزن هو: "السحاب الثقيل بالماء لا بغيره من أنواع العذاب"(٤). وقيل: "هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب"(٥). ولعل السياق خصه هنا بالذكر؛ لأن الشرب يتناسب مع الماء العذب أما لو قال سحاب فربما يحمل لنا ماءً مالحاً، وكلمة المزن هنا لا يغني غيرها غناءها، من مثل السحاب؛ لأن المشهور في كلمة السحاب والغالب فيها أنها تحمل العذاب والعقوبة أو الماء المالح، ومن خلالها وعن طريقها أهلك الله أقواماً، وبالتالي كانت المزن هي الأليق والأنسب للسياق؛ لأنها تتحدث عن نعم الله والماء الذي يسوقه إلى الناس فينتفع منه الطير والشجر والبشر.

202- الْحُلْقُوم: ورد في قوله تعالى:﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴾(٦).

والآية في الحديث عن لحظة الاحتضار التي لا يمكن معها رد الروح ثانية إلى الجسد. والحلقوم: "الحلق وهو مجرى النفس والسُّعال من الجوف، وهو من أطباق غضاريف ليس دونه من ظاهر باطن العنق إلا جلد، وطرفه الأسفل في الرئة وطرفه الأعلى في أصل عكدة اللسان - (والعكدة هي: العُكْدَةُ والعَكَدَةُ أَصل اللسان والذنب وعُقْدَتُه والجمع عُكَدٌ وعَكَد وفي الحديث إذا قطع اللسان من عُكْدَتِه ففيه كذا العُكْدَةُ عُقْدَةِ أَصل اللسان وقيل معظمه وقيل وَسَطُه وعَكْدُ كلِّ

---

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج29.ص406.

(٢) سورة الواقعة، آية رقم:(69).

(٣) الفراء.(1983م).**معاني القرآن وإعرابه**. مرجع سابق.ج5، ص114.

(٤) الرازي.(1993م). **مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج29.ص422.

(٥) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق.ج14.ص148.

(٦) سورة الواقعة، آية رقم:(83).

شيءٍ وسَطُه)[1]-، ومنه مخرج النفس والريح والبصاق والصوت، وجمعه حلاقم وحلاقيم، واختلف في الميم فبعضهم يرى أصالتها وآخرون يرون زيادتها" [2]. والآية تبين أن الكفار وإن أنكروا الحشر فهم لا ينكرون الموت. فهو شيء لا بد منه ولا مناص عنه. وعبر السياق هنا بالحلقوم؛ لأنه آخر مرحلة ومكان تخرج منه الروح إلى بارئها، وبالتالي فإذا وصلت إلى هذا الحد معناها الموت وعدم التمكن من الرجوع إلى الجسد مرة أخرى، وهي جاءت لتعجز هؤلاء إن كان الأمر بأيديهم فليرجعوها إلى حيث كانت، وعليه فإن اختيار الحلقوم هنا في هذا السياق لا يغني غيره لأن الحلقوم في الجسد والروح كذلك، وبما أنها وصلت إليه فمعنى ذلك أنها ما زالت أيضًا في الجسد ومع كل هذا هل يمكن لهم أن يرجعوها، وبالتالي أعجزتهم هذه الكلمة. وهذه الآية وما بعدها"

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ الواقعة:(٨٣ – ٨٧) تنطوي على إيجاز رائع فيه إيجاز بالحذف؛ حيث إن أصل تركيب هذه الجملة: إذا كنتم- أيها الجاحدون المكذبون – لم تعتبروا ولم تتعظوا بكل ما سقناه لكم من ترغيب وترهيب على لسان رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم – فهلا اعتبرتم واتعظتم وآمنتم بو حدانيتنا وقدرتنا، خاصة حين يصل الأمر بأحد أحبابكم إلى خروج روحه وأوشكت على أن تفارق جسده، وخرجت إلى تلك الحالة التى تنذر بقرب نهايته، وأنتمَ تنظُرُونَ إلى ما يقاسيه من غمرات الموت، وتبصرون ما فيه من شدة وكرب، وتحرصون كل الحرص على إنجائه مما حل به ولكن حرصكم يذهب أدراج الرياح. ونحن أقرب إلى هذا المحتضر منكم، ولكنكم لا تدركون ذلك لجهلكم بقدرتنا النافذة، وحكمتنا البالغة... فهلا إن كنتم غير عاجزين عن رد قضائنا فى هذا المحتضر الحبيب إليكم فافعلوا. وهذا الكلام كله اختصره السياق في أقل من أربع آيات. فإذا علمت هذا اتضح لك انتظام الآية التي نُظِمَت نظمًا بديعًا من الإيجاز. والآية تحمل في طياتها مشهداً مليئاً بالمشاعر المتداخلة ومواجهتهم في النهاية بمشهد الاحتضار"في لمسة عميقة مؤثرة. حين تبلغ الروح الحلقوم، ويقف صاحبها على حافة العالم الآخر، ويقف الجميع مكتوفي الأيدي عاجزين، لا يملكون له شيئًا، ولا يدرون ما يجري حوله، ولا ما يجري في كيانه. ويخلص أمره كله للّه، قبل أن يفارق هذه الحياة. ويرى هو

---

(١) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج3.ص300.

(٢) السابق.ج3، ص294.

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6.ص3462.

طريقه المقبل، حين لا يملك أن يقول شيئًا عما يرى ولا أن يشير!"(١). وهذه الآية والتي بعدها تشي بإعجاز علمي فيما يخص الزمن، وفي التفرقة بين استعمال القرآن لكلمة الحين بدلاً من الآن ليدل على أصغر وحدة زمنية، وهذا ما يقوله د: منصور محمد أستاذ الفيزياء بكلية البنات جامعة عين شمس: " والحديث هنا عن اللحظة الزمانية الحاسمة التي تبقى للروح بعد أن وصلت إلى آخر الحافة بين العالم المحسوس (الحلقوم) وأول عتبة من عالم الغيب المكنون. وهذه هي بالضبط اللحظة التي لا أبعاد لها ولا يمكن أن يكون لها تقدير في معايير العالم المحسوس، وذلك لأن سرعة الروح غير معروفة، ولأن الحد الفاصل بين عالم الحس وعالم الغيب غير معروف. ولهذا صورت الآية حيرة الجالسين بجوار المحتضر وهم لا يدرون ماذا يفعلون، ولا يملكون من الأمر شيئاً.. وبهذا يكون (الحين) أو(الآن)، أي أمر الكينونة وأمر الفناء عند الله جزءاً زمنياً ليس له وجود في الزمن الفيزيائي، وإنما وجوده ذهني فقط وحقيقة علمه عند الله تعالى"(٢).

203- مَرْصُوص: ورد في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾(٣). وسياق الآية هو الدعوة للوقوف يداً واحدة وعلى قلب رجل واحد عند قتال المشركين.

وعن أصل الكلمة يقول ابن فارس: " (رص) الراء والصاد أصلٌ واحد يدلُّ على انضمامِ الشَّيء إلى الشيء بقوَّةٍ وتداخُل. تقول: رصَصْتُ البُنيانَ بعضَه إلَى بَعْضٍ"(٤).

والآية تنطوي على تشبيه نادر ورائع؛ وفيها تشبيه المقاتلين وهم في التحام والتصاق بعضهم ببعض بالبنيان يشد بعضه بعضاً ويقويه؛ حيث يبين الله من خلال هذا التشبيه حبه لمن يثبت في الجهاد، كثبوت البنيان المرصوص، ويكونون في هذا مجتمعين على كلمة واحدة. والكلمة متسقة تماماً مع سياقها؛ حيث إنها مستوحاة من البيئة المكية؛ وهذا ما يؤكده حقي نقلاً عن ابن عباس قائلاً: " قال ابن عباس رضى الله عنهما يوضع الحجر على الحجر ثم يرص بأحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميه أهل مكة المرصوص، والمعنى حال كونهم مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه إلى بعض ورصف حتى صار شيئاً واحدًا، وقال الراغب بنيان

---

(٢) الحق،فراس.(2010/9/6م). **الزمن بين العلم والقرآن**. http://quran-m.com/firas/farisi ،تاريخ الزيارة:2013/1/28م.

(٣) سورة الصف، آية رقم:(4).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص374.

مرصوص أى محكم كأنما بنى بالرصاص"[1]. والآية فيها دعوة إلى عباده الذين يجاهدون في سبيل إعلاء كلمته أن يقفوا أثناء القتال صفًا، لا فرجة بينهم، وكأنهم بنيان مشدود مرصوص، متلاحم الأجزاء؛ لأن هذا التراص أثناء القتال يقوي معنويات الجند، ولا يترك للعدو فرجة بين صفوفهم ينفذ منها. ويضيف الإمام البقاعي كلاماً جميلاً يؤكد به سر تفرد كلمة مرصوص في هذا السياق قائلاً: "(كأنهم) أي من شدة التراص والمساواة بالصدور والمناكب والثبات في المراكز بنيان (وزاد في التأكيد بقوله: (مرصوص) أي عظيم الاتصال شديد الاستحكام كأنما رص بالرصاص فلا فرجة فيه ولا خلل، فإن من كان هكذا كان جديرًا بأن لا يخالف شيئٌ من أفعاله شيئًا من أقواله، فالرص إشارة إلى اتحاد القلوب والنيات في موالاة الله ومعاداة من عاداه المنتج لتسوية الصفوف في الصلاة التي هي محاربة الشيطان، والحرب التي هي مقارعة حزبه أُولى الطغيان، والأفعال التي هي ثمرات الأبدان "[2].

204، 205- خُشُبٌ، مُسَنَّدَة: وردا في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾[3]. وسياق الآية:هو الحديث عن صفات المنافقين التي من أهمها الكذب في ادعاء الإيمان، وحلف الأيمان الفاجرة الكاذبة، وجبنهم وضعفهم وتآمرهم على النبي – صلى اللّه عليه وسلم – وعلى المؤمنين، وصدهم الناس عن دين اللّه.

يقول ابن فارس: "(خشب) الخاء والشين والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خشونةٍ وغِلَظ"[4].

و" السَنَد: المعتمد، والخشب المسندة أي المدعّمة بغيرها"و"(سند) السين والنون والداء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على انضمام الشيء إلى الشيء. يقال سَنَدتُ إلى الشيء أَسْنُدُ سنوداً، واستندت استناداً. وأسندتُ غيري إسناداً. والسِّناد: النّاقة القويّة، كأنها أُسنِدت من ظهرها إلى شيءٍ قويّ. والمِسْنَدُ: الدهرُ؛ لأن بعضَه متضامّ. وفَلان سَنَدٌ، أي معتمَدٌ "[5].

والمعني: " أي إذا نظرت إليهم تروقك هيئاتهم ومناظرهم، لما فيها من النضارة والرونق وجمال الصورة واعتدال الخلقة، وإن تكلموا حسُن السماع لكلامهم، وظُنَّ أن قولهم حق وصدق،

---

(١) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج15.ص28.

(٢) البقاعي.(1415م).**نظم الدرر**. مرجع سابق. ج7.ص573.

(٣) سورة المنافقون، آية رقم:(4).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص185.

(٥) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**. مرجع سابق.ص28، وانظر:ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.ج3.ص105.

لفصاحتهم وحلاوة منطقهم وذلاقة ألسنتهم، كأنهم أخشاب جوفاء منخورة مستندة إلى الحيطان، فهم مجرد كتل بشرية لا تفهم ولا تعلم، وقد كان عبد اللّه بن أبي رأس المنافقين فصيحًا جسيمًا جميلاً، ولكنه وصحبه لا وعي ولا إدراك لديهم، لخلوهم عن الفهم النافع، والعلم الذي ينتفع به صاحبه، فهم صور بلا معان. فقوله: وَإِذا رَأَيْتَهُمْ يعني عبد اللّه بن أبي، ومغيث بن قيس، وجدّ بن قيس، كانت لهم أجسام ومنظر، تعجبك أجسامهم لحسنها وجمالها، وكان عبد اللّه بن أبي جسيمًا صبيحًا فصيحًا"[١]. والآية فيها تشبيه مرسل مجمل؛ حيث حذف وجه الشبه وأثبت الأداة، وينطوي على قدح وذم وتوبيخ وتقبيح لأفعالهم وسلوكياتهم في صورة جوفاء خرساء صامتة تُسْتَمدُّ من تفاهة عقولهم وفراغ ألبابهم، فهم قوالب بشرية خالية خاوية غير نافعة لا تصلح إلا للزينة والعرض فقط. فهم أجسام البغال وأحلام العصافير. ولعل تشبيههم بالخشب لأن الخُشُبَ لا تعقل ولا تفهم، فكذلك أهل النفاق كأنهم في ترك التفهم، والاستبصار بمنزلة الخشب. وللرازي تعليلات رائقة يحسن إثباتها يؤكد بها سر تفرد هذه الكلمات في هذا السياق، فيقول:" لِمَ شبههم بالخشب المسندة لا بغيره من الأشياء المنتفع بها؟ نقول لاشتمال هذا التشبيه على فوائد كثيرة لا توجد في الغير الأولى: شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير، بالخشب المسندة إلى الحائط، ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكًا فارغًا غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع، ويجوز أن يراد بها الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحائط شبهوا بها في حسن صورهم، وقلة جدواهم. الثانية: الخشب المسندة في الأصل كانت غصنًا طريًا يصلح لِأَن يكون من الأشياء المنتفع بها، ثم تصير غليظة يابسة، والكافر والمنافق كذلك كان في الأصل صالحًا لكذا وكذا، ثم يخرج عن تلك الصلاحية. الثالثة: الكفرة من جنس الإنس حطب، كما قال تعالى:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾

والخشب[٢] المسندة حطب أيضا. الرابعة: أن الخشب المسندة إلى الحائط أحد طرفيها إلى جهة، والآخر إلى جهة أخرى، والمنافقون كذلك، لأن المنافق أحد طرفيه وهو الباطن إلى جهة أهل الكفر، والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة أهل الإسلام. الخامسة: المعتمد عليه الخشب المسندة

---

(١) الزحيلي.(1422هـ).المنير.مرجع سابق. ج28.ص217.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم:(98).

ما يكون من الجمادات والنباتات، والمعتمد عليه للمنافقين كذلك، وإذا كانوا من المشركين إذ هو الأصنام، إنها من الجمادات أو النباتات."(١). وعلى ما تقدم بدا جلياً تفردهما في سياقهما.

206- التَّغَابُن: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾(٢). وسياق الآية هو: الدعوة إلى الإيمان بالله وعمل الصالحات، والتحذير من أهوال القيامة.

والغَبْن: "النقص، وغبنه (في البيع والشراء) أي خدعه وغلبه ونقّصه في الثمن، ويوم التغابن: هو يوم القيامة؛ حيث يقف الناس للحساب، فيأخذ هذا من حسنات هذا، وتُطرح سيئات هذا على هذا، ليستوفي كل إنسان حقه من الآخر"و" الغين والباء والنون كلمةٌ تدُلُّ على ضَعفٍ واهتضام. يقال غُبِنَ الرّجُل في بَيعه، فهو يُغْبَنُ غَبْناً، وذلك إذا اهتُضم فيه. وغَبَنَ في رأيه، وذلك إذا ضَعُف رأيُه. والقياسُ في الكلمتين واحد.."(٣). وعن سبب تسميته بيوم الجمع وبيوم التغابن يقول الزحيلي في تفسيره:"سمي يوم القيامة بيوم الجمع؛ لأن اللّه يجمع فيه جميع المخلوقات في صعيد واحد. يَوْمُ التَّغابُنِ يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، مستعار من تغابن التجار بأن يبيع البائع بأقل من القيمة، أو يشتري المشتري بأكثر من الثمن. وتغابن الآخرة، هو التغابن في الحقيقة، لا في أمور الدنيا، لعظم أمور الآخرة ودوامها، وفسر بعض المعاصرين يوم التغابن بأنه يوم الذهول. وفيه تهكم بالأشقياء"(٤). والآية تنطوي على استعارةٍ، وحَصُلَت عن طريق إطلاق التغابن على ما يكون يوم القيامة من مبادلة الخير بالشر، وهو يشبه المبادلة والمعاوضة والتجارة. واللفظ هنا ليس على حقيقته في الاستعمال، ولكن لمجرد الاستعارة، ويؤكد هذا الكلام ابن عاشور قائلاً: " فليست مادة التغابن في قوله:{يوْمُ التَّغَابُنِ} مستعملة في حقيقتها؛ إذ لا تعارض حتى يكون فيه غبن بل هو مستعمل في معنى الخسران على وجه المجاز المرسل. وأما صيغة التفاعل فحملها جمهور المفسرين على حقيقتها من حصول الفعل من جانبين ففسَّرها أهل الجنة غبنوا أهل النار إذ أهل الجنة أخذوا الجنة وأهل جهنم أخذوا جهنم قاله مجاهد وقتادة والحسن. فحمل القرطبي وغيره كلام هؤلاء الأيمة على أن التغابن تمثيل لحال الفريقين بحال متبايعين أخذ أحدهما الثمن الوافي، وأخذ الآخر الثمن المغبون، يعني وقول عقبه{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ}، إلى قوله:{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}قرينة على

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج30.ص548.

(٢) سورة التغابن، آية رقم:(9).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**.ص36، انظر:ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.ج4.ص329.

(٤) الزحيلي.(1422هـ).**المنير**. مرجع سابق.ج28.ص243.

المراد من الجانبين وعلى كلا المعنيين يكون قوله:{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً} إلى قوله:{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} تفصيلاً للفريقين، فيكون في الآية مجاز وتشبيه وتمثيل، فالمجاز في مادة الغبن، والتمثيل في صيغة التغابن، وهو تشبيه مركب بمنزلة التشبيه البليغ إذ التقدير:ذلك يوم مثل التغابن"(١). ولعل السياق اختار هذه الكلمة؛ لأنها المعبرة بشكل حقيقي وواقعي عن الغبن الحقيقي الذي ليس بعده شيء والذي يخص فوات شيء من أمور الآخرة من جنة ونعيم ورضا الله، أما التغابن فى الأمور الدنيوية فإنها أمور فانية سريعة الزوال ضرورية الفناء لا يبقى شئ منها لأحد فلا غرو في ذلك؛ لذا عبر عنه بالتغابن، وعليه فقد تفردت هنا ولم يغن غيرها مكانها.

207- ثَيِّبَات: ورد في قوله تعالى:﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾(٢). وسياق الآية هو: الحديث عن بعض أحوال نساء النبي- صلى الله عليه وسلم- معه، وطريقة القرآن في تعليمهن كيفية التعامل مع النبي - صلى الله عليه وسلم-.

والثَّيب: "المرأة التي سبق لها الزواج، وتقال للرجل أيضا " والثيب من النساء: التي دخل بها وفارقت زوجها بأي وجه كان، بعد أن مسها سواء أكانت مات زوجها أم طلقت ثم رجعت إلى النكاح، وقالوا فيها أيضاً: الراجع بعد زوال العذرة" (٣). وذكر الجنسين هنا في الآية؛ لأن في أزواجه – صلّى اللّه عليه وسلم – من تزوجها ثيِّبًا وفيهن من تزوجها بكرًا، وجاء الذكر هنا على حسب ما وقع وتم، ولعل الكلمة فيها إشارة أن زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – منهن لم يكن حسب الرغبة والشهوة –كما تدَّعي الافتراءات – ولكن حسب ابتغاء مرضاة الله. ولعل الحكمة في تقديم وصف ثيبات على أبكار تكمن في أن: " أكثر أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – لما تزوجهن كُنَّ ثيبات. ولعله إشارة إلى أن الملام"(٤) الأشد موجه إلى حفصة قبل عائشة وكانت حفصة ممن تزوجهن ثيبات وعائشة هي التي تزوجها بكرًا. وهذا التعريض أسلوب من أساليب التأديب كما قيل الحر تكفيه الإشارة"(٥). والمدقق في الآية يجد أن السياق " بدأ في وصفهن بالإسلام وهو الانقياد، ثم بالإيمان وهو التصديق، ثم بالقنوت وهو الطواعية، ثم بالتوبة

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج28.ص247.

(٢) سورة التحريم، آية رقم:(5).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**. مرجع سابق.ص10.

(٤) والملام بسبب ما حصل من اختلاء النبي صلى الله عليه وسلم بجاريته مارية في دار حفصة وفي نوبتها، فوجدت حفصة من نفسها فاسترضاها بقوله — عليه الصلاة والسلام –:«هي عليّ حرام ولا تخبري عائشة» فأخبرت عائشة بما أُسرّ إليها.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحريروالتنوير**.مرجع سابق.ج28.ص324.

وهي الإقلاع عن الذنب، ثم بالعبادة وهي التلذذ بالمناجاة للّه، ثم بالسياحة وهي كناية عن الصوم. وأما الثيوبة والبكارة فلا يجتمعان في امرأة واحدة، لذا عطف أحدهما على الآخر، ولو لم يأت بالواو لاختل المعنى"[١]. ويعلل الرازي ذكر الثيبات في مقام المدح هنا على الرغم من إعراض الرجال عنهن وزهدهم فيهن فيقول: " يمكن أن يكون البعض من الثيب خيرًا بالنسبة إلى البعض من الأبكار عند الرسول – صلى الله عليه وسلم – لاختصاصهن بالمال والجمال، أوالنسب، أو المجموع مثلا، وإذا كان كذلك فلا يقدح ذكر الثيب في المدح لجواز أن يكون المراد مثل ما ذكرناه من الثيب"[٢]. ثم يسترسل مبيناً أن لكل صنف محاسن وميزات، فيقول: "و وجه هذا التفصيل في الزوجات المقدرات؛ لأن لكلتا الصفتين محاسنها عند الرجال؛ فالثيب أرعى لواجبات الزوج وأميل مع أهوائه وأقوم على بيته وأحسن لُعابًا وأبهى زينة وأحلى غنجا. والبكر أشد حياءً وأكثر غرارةً ودلاً وفي ذلك مجلبة للنفس، والبكر لا تعرف رجلاً قبل زوجها ففي نفوس الرجال خلق من التنافس في المرأة التي لم يسبق إليها غيرهم"[٣].

وعلى الجملة فما اعتزت واحدة من أزواج النبي– صلى الله عليه وسلم– بمزية أو تفردت بوصف إلا وقد أنبأها الله بأن سيبدله خيرًا منها في تلك المزية أيضًا. ليبقى شخص الرسول– صلى الله عليه وسلم– عزيزاً، فكيف تظنون بشخص تولى الله الدفاع عنه وحفظه من أدنى درجات الأذى النفسي حتى وإن كان طفيفاً أو عارضاً، ولو كان من أقرب الناس إليه–صلى الله عليه وسلم–. وعليه فإن الكلمة قد تفردت ولم يغن غيرها مكانها.

208– نَمِيم: ورد في قوله تعالى:﴿ **هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ** ﴾[٤]. وسياق الآية هو الحديث عن أوصاف بعض الكفار وما تنطوي عليه أنفسهم من الأخلاق الذميمة، والدعوة إلى التشدد معهم ومخالفتهم، ومنهم الوليد بن المغيرة.

وعن أصلها يقول ابن فارس: " (نم) النون والميم أصلٌ صحيح له معنيان: أحدهما إظهار شيءٍ وإبرازُه، والآخر لونٌ من الألوان"[٥]. إذن النَّم هو إظهار الحديث، والنميمة الوشاية بالرجل والسعي به. والنمّام ناقل الحديث المؤذي. وجاءت الكلمة على صيغة المبالغة للتكثير، وللتعريض بأن ليس له عمل إلا هذا ودلالة على سوء وخبث نفسه التي لا تنطوي على خير وفطرة. وهي

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحريروالتنوير**.مرجع سابق.ج28.ص324.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج30.ص571.

(٣) السابق، نفسه.

(٤) سورة القلم، آية رقم:(11).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5. ص358.

من صفات المنافقين. والكلمة تدل على قدر الجهد والمشقة التي يبذلها النمام للوقيعة بين الناس، ويظهر جلياً من قوله (مشَّاء)، فهو كثير المشي والسعاية، وكأنه قطع على نفسه وعداً بألا يقصر في هذا الشأن، والآية تشتمل على صورةٍ الهدف منها توبيخ وتقبيح النمام، فيقول ابن عاشور عن هذه الصورة: " والمشي: استعارة لتشويه حاله بأنه يتجشم المشقة لأجل النميمة مثل ذكر السعي في قوله تعالى: {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً} [المائدة:33]. ذلك أن أسماء الأشياء المحسوسة أشد وقعًا في تصور السامع من أسماء المعقولات، فذكر المشي بالنميمة فيه تصوير لحال النمام، ألا ترى أن قولك:قطع رأسه أوقع في النفس من قولك:قتل"[(١)]. ولشناعة هذا الصنيع الذميم فلم" يكن بد للإسلام أن يشدد في النهي عن هذا الخلق الذميم الوضيع، الذي يفسد القلب، كما يفسد الصحب، ويتدنى بالقائل قبل أن يفسد بين الجماعة، ويأكل قلبه وخلقه قبل أن يأكل سلامة المجتمع، ويفقد الناس الثقة بعضهم ببعض، ويجني على الأبرياء في معظم الأحايين!"[(٢)]. وهو مشاء بنميم. يمشي بين الناس بما يفسد قلوبهم، ويقطع صلاتهم، ويذهب بموداتهم. وهو خلق ذميم كما أنه خلق مهين، لا يتصف به ولا يقدم عليه إنسان يحترم نفسه أو يرجو لنفسه احتراما عند الآخرين. حتى أولئك الذين يفتحون آذانهم للنمام، ناقل الكلام، المشاء بالسوء بين الأودّاء. حتى هؤلاء الذين يفتحون آذانهم له لا يحترمونه في قرارة نفوسهم ولا يودونه. ولقد كان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – ينهى أن ينقل إليه أحد ما يغير قلبه على صاحب من أصحابه. وكان يقول: " لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئًا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر"[(٣)]. ومما تقدم فقد بدا جلياً سر تفرد هذه الكلمة في سياقها.

209- زَنِيم: ورد في قوله تعالى:﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾[(٤)]. وسياق الآية نفس السابق.

يقول ابن فارس: " (زنم) الزاء والنون والميم أصلٌ يدلُّ على تعليق شيء بشيء. من ذلك الزَّنيم، وهو الدَّعِيُّ. وكذلك المزَنَّمُ؛ وشُبِّه بزنَمَتَيْ العنز، وهما اللتان تتعلَّقان من أذنها. والزَّنَمَة: اللَّحمة المتدلّية في الحلْق"و"الزَّنيم: الدعيّ في القوم، أي: الملصق بهم وليس منهم"[(٥)]. ويذكر المفسرون بأن بأن الوصف بزنيم هو وصف لأحد الكفار وهو الوليد بن المغيرة، وهو يعني الدعي الملصق في قوم ليس منهم أو الرجل المعروف بالشر واللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها، وذكر العلماء وجوهًا أخرى

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق. ج29.ص68.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6.ص3663.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود.

(٤) سورة القلم، آية رقم:(13).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص29.

في معنى وبيان الكلمة فقالوا: الظلوم، اللئيم، أو المريب أو القبيح الأفعال، وعليه فإن الكلمة تشمل أنواعاً كثيرة من الصفات السيئة ولو هذه فقط لكفته شرًا وخبثاً. وقيل: " هو الذي يُعرف بالشر وبلؤمه"[(١)]. والكلمة معبرة تماماً عن حال هذا الصنديد من خلال اشتقاقها اللغوي، وعن واقعه الذي يكشف لأول مرة ولم يعرفه أحد إلا القليل، والكلمة تعبر عن أقبح صفاته وأشنع أوصافه فتشمل تحتها الكثير من الدلالات السيئة والمعاني المشينة، والصفات القبيحة من الشر والسوء والظلم...وغيرها. ويوضح حقي معنى الكلمة وعن أصلها فيقول: " {زنيم}دعى ملصق بالقوم وملحق بهم فى النسب وليس منهم فالزنيم هو الذى تبناه أحد أى اتخذه ابنا وليس بابن له من نسبه فى الحقيقة، قال الراغب الزنيم والمزنم الزائد فى القوم وليس منهم أى المنتسب إلى قوم وهو معلق بهم لا منهم تشبيهًا بالزنمتين من الشاة وهما المتدليتان من أذنها ومن الحلق وفى الكشاف الزنيم من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة فى حلقها لأنه زيادة معلقة بغير أهله، والظاهر من قول ابن عباس رضى الله عنهما الحقيقة حيث قال إنه لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف أنه كان له زنمة أى فى حلقه ويقال كان يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال العتبى لا نعلم أن الله وصف أحدًا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فأُلْحِقَ بهِ عارٌ لا يفارقه أبدًا، وفى قوله بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه، وكان الوليد دعيًّا فى قريش وليس من نسبهم ونسخهم أي أصلهم ادعاهـأبوه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده"[(٢)]. والمدقق في ترتيب الصفات يجد أنها آخر صفة ذكرت فيه وهذا يدل على أنها أشد معايبه وأقبح أوصافه؛ لأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشيء منها. والتعبير بها القصد منه الإذلال فبعد أن كان مختالاً فخوراً صار صاغراً ذليلاً. وعليه فإن الكلمة لم يغن غيرها من الصفات فهذه كانت موجعة وقاصمة وليس بعدها شيء خاصة في البيئة العربية التي يطعن فيها المرء بالسيف والنصل ولا يطعن في النسب والحسب والأصل.

210- الْخُرْطُوم: ورد في قوله تعالى:﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾[(٣)]. وسياق الآية هو الحديث عن صفات الوليد بن المغيرة وما يفعله الله به يوم القيامة.

والخُرطوم: " الأنف"[(١)]. "ومن معاني الخرطوم طرف أنف الخنزير البري.. ولعله هو المقصود هنا كناية عن أنفه!والأنف في لغة العرب يكنَّى به عن العزة فيقال:أنف أشم للعزيز.

---

(١) الرازي.(1993م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج1. ص1946.

(٢) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج15. ص492.

(٣) سورة القلم،آية رقم:(16).

وأنف في الرغام للذليل.. أي في التراب!ويقال ورم أنفه وحمي أنفه، إذا غضب معتزًا. ومنه الأنفة.. والتهديد بوسمه على الخرطوم يحوي نوعين من الإذلال والتحقير..الأول الوسم كما يوسم العبد.. والثاني جعل أنفه خرطومًا كخرطوم الخنزير! وما من شك أن وقع هذه الآيات على نفس الوليد كان قاصمًا. فهو من أمة كانت تعد هجاء شاعر – ولو بالباطل – مذمة يتوقاها الكريم! فكيف بدمغه بالحق من خالق السماوات والأرض. بهذا الأسلوب الذي لا يبارى. في هذا السجل الذي تتجاوب بكل لفظ من ألفاظه جنبات الوجود. ثم يستقر في كيان الوجود.. في خلود..إنها القاصمة التي يستأهلها عدو الإسلام وعدو الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم"(٢). ونستزيد من ابن عاشور الحكمة من استعمال الخرطوم فيقول: "وذكر الخرطوم فيه جمع بين التشويه والإهانة فإن الوسم يقتضي التمكن وكونه في الوجه إذلالا وإهانة، وكونه على الأنف أشد إذلالا. والتعبير عن الأنف بالخرطوم تشويه، والضرب والوسم ونحوهما على الأنف كناية عن قوة التمكن وتمام الغلبة وعجز صاحب الأنف عن المقاومة؛ لأن الأنف أبرز ما في الوجه وهو مجرى النفس، ولذلك غلب ذكر الأنف في التعبير عن إظهار العزة في قولهم: شمخ بأنفه، وهو أشم الأنف، وهم شم العرانين. وعبر عن ظهور الذلة والاستكانة بكسر الأنف، وجدعه، ووقوعه في التراب في قولهم:رغم أنفه"(٣). ويضيف الرازي في تفسيره سبباً آخر نقلاً عن المبرد قائلاً: " وإنما ذكر هذا اللفظ على سبيل الاستخفاف به، لأن التعبير عن أعضاء الناس بالأسماء الموضوعة، لأشباه تلك الأعضاء من الحيوانات يكون استخفافًا، كما يعبر عن شفاه الناس بالمشافر، وعن أيديهم وأرجلهم بالأظلاف والحوافر"(٤). وأخيراً تنطوي الآية على تهديد ووعيد من الجبار القهار، يلمسه في نفسه ويمسه في جسده موضع الأنفة والعزة كما يمس موضع الاختيال والفخر بالمال والبنين كما لمس وصفه من قبل موضع الاختيال بمكانته ونسبه. ويجدر بنا هنا لإتمام بلاغة هذه الكلمة وإلقاء مزيد من الضوء على جمالها يقول د/كمال عبد العزيز: " وبمعاودة النظر في بلاغة تلك الصورة الساخرة لهذا الصنف من البشر نرى أن القرآن الكريم يستخدم لذلك جملة قصيرة هي﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ ولكن كل جزئية فيها تشي بهذه السخرية اللاذعة وتجسمها وتضخمها. فالسين تدل على قرب وقوع الفعل وفي هذا طمأنة للرسول بأن الله سينتصر له من

---

(١) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**. مرجع سابق.ص17.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق. ج6، ص3664.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق. ج29. ص73.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق. ج30.ص606.

هذا الباغي عما قريب ،كما يدل قرب وقوع الحدث على التهديد والتخويف لهذا الصنف من البشر كي لايتمادي في الطغيان والاستكبار. والتعبير بضمير الغائب في (سنسمه) للاحتقار.
والتعبير بالوسم بدلا من الكي يستحضر الصورة الدائمة المستمرة للحيوان المكوي، لأن الوسم- كما يقول صاحب القاموس المحيط-هو أثر الكي، فقد يذهب الكي بآلامه المحرقة، ولكن يبقى الوسم علامة مستمرة على أن هذا قد تعرض للكي يوما ما، فيستمر إذلاله ما بقي هذا الوسم. إن الكي عقاب بدني ولكن الوسم إذلال نفسي يتناسب تناسباً عكسياً مع ما عرف عن صاحبه من علو واستكبار"[1]. وعليه فإن الكلمة لم يغن غيرها مكانها وبالتالي تفردت في سياقها.

211- حَرْد: ورد في قوله تعالى:﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾[2]. وسياق الآية حكاية عن أصحاب الحديقة التي ضنوا بما جادت به على أصحاب الحقوق من المساكين والفقراء وغيرهم، وعقاب الله لهم.

يقول ابن فارس: " الحاء والراء والدال أصول ثلاثة: القصد والغضب والتنحي، فالأول القصد يقال: حرد حرده أي قصد قصده"[3].

ولقد تعددت معاني ودلالات هذا اللفظ ومنها: (القصد والجد، والغضب والحنق، والمنع، واسم القرية التي كانوا يعيشون فيها أو اسم الجنة التي كانوا يمتلكونها)، وهذا ما ذهب إليه جمع من العلماء كأبي عبيدة، وابن الأنباري، وابن السيد البطليوسي، وابن الشجري وغيرهم [4]. وتجدر الإشارة إلى أن كل هذه المعاني جميعها- القصد والسرعة، الغضب والحنق، والمنع، وعلم على الجنة أو اسم القرية – فُسرت بها الآية الكريمة [5]. ولابن عاشور كلام رائق في سر إيثار كلمة (حرد) على غيرها؛ فيقول: " وفي إيثار كلمة{حَرْد} في الآية نكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من حيث المعنى، ومن جهة تعلق المجرور به بما يناسب كل معنى من معانيه، أي بأن يتعلق{على حرد} بـ{ قادرين}، أو بقوله{غَدوا} فإذا علق بـ{قادرين} فتقديم المتعلَّق يفيد تخصيصاً، أي قادرين على المنع، أي منع الخير أو منع ثمر جنتهم غير قادرين على النفع. والتعبير

---

(١) إبراهيم.(2010م).**لغة الجسد في القرآن الكريم دراسة بلاغية**. مرجع سابق.ص50.

(٢) سورة القلم، آية رقم:(25).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج2.ص51.

(٤) الفراء.(1983م).**مجاز القرآن**.ج2.ص265، 266. ابن السيد البطليموسي، عبد الله بن محمد.(1401هـ/ 1981م).**المثلّث**.صلاح مهدي الفرطوسي(محقق).ص435، 436، دار الرشيد، العراق. ابن الشجري،هبة الله بن علي،(1413هـ/1992م).**ما اتفق لفظه واختلف معناه**.عطية رزق(محقق).بيروت: دار النشر. ص123، 125.

(٥) الشوكاني.(1415/1994).**فتح القدير**.مرجع سابق.ج5.ص272.

بقادرين على حرد دون أن يقول:وغدوا حاردين تهكم لأن شأن فعل القدرة أن يذكر في الأفعال التي يشق على الناس إتيانها قال تعالى:{لا يَقدرون على شيء مما كسبوا} (البقرة:264)وقال:{بلى قادرين على أن نسوي بنانه} (القيامة:4)فقوله:{على حرد قادرين}على هذا الاحتمال من باب قولهم: فلان لا يملك إلاّ الحِرمان أو لا يقدر إلاّ على الخيبة. وإذا حمل الحرد على معنى السرعة والقصد كان{على حرد} متعلقاً ب-{غَدَوا}مبيناً لنوع الغُدو، أي غدوا غدُوَّ سرعة واعتناء، فتكون{على}بمعنى باء المصاحبة، والمعنى:غدوا بسرعة ونشاط، ويكون{قادرين}حالاً من ضمير{غدوا}حالاً مقدَّرة، أي مقدرين أنهم قادرون على تحقيق ما أرادوا. وفي الكلام تعريض بأنهم خابوا، دل عليه قوله بعده {فلما رأوها قالوا إنا لضالون}، وقولُه قبله{فطاف عليها طائف من ربّك وهم نائمون }.

وإذا أريد بالحرد الغضب والحَنق فإنه يقال: حَرَدٌ بالتحريك وحَرْدٌ بسكون الراء ويتعلق المجرور ب-{قادرين} وتقديمه للحصر، أي غدوا لا قدرة لهم إلاّ على الحَنق والغضب على المساكين لأنهم يقتحمون عليهم جنتهم كل يوم فتحيلوا عليهم بالتبكير إلى جذاذها، أي لم يقدروا إلاّ على الغضب والحنق ولم يقدروا على ما أرادوه من اجتناء ثمر الجنة "[١].

ومما تقدم تبين لنا سر تفرد كلمة حرد هنا في هذا السياق ولم يغن غيرها مكانها.

212، 213:حُسومًا، صَرْعَى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[٢]. وسياق الآية هو الحديث عن العذاب المتمثل في الريح التي أرسلها الله على قوم عاد ممن كفروا بنبي الله هود – عليه السلام –.

يقول ابن فارس: "الحاء والسين والميم أصل واحد وهو قطع الشيء عن آخره. فيقال هي المتتابعة، ويقال: الشؤم، ويقال: سميت حسومًا لأنها حسمت الخير عن أهلها"و" الحَسْمُ: إزالة أثر الشيء، وحَسَم الشيء أي قطعه، ومعنى الآية "ثمانية أيام حسومًا" أي مُذهبة لأثرهم قاطعة لأعمارهم"[٣]. وعلى المعنى الاشتقاقي فإن الريح فيها قوة قاطعة قضت على آثارهم، واستأصلت جذورهم عن آخرهم، وقطعت دابرهم؛ لأنها استمرت متواصلة متتابعة ثمانية أيام، وهذه المدة كفيلة بأن تفعل الأفاعيل. وحول معنى (حسوماً) وسر ذكرها هنا في هذا السياق يقول الرازي:" حُسُوماً أي متتابعة متوالية، واختلفوا في الحسوم على وجوه أحدها:وهو قول الأكثرين (حسوما)،

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج15.ص328.

(٢) سورة الحاقة،آية رقم:(7).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص57.

أي متتابعة، أي هذه الأيام تتابعت عليهم بالريح المهلكة، فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع، وعلى هذا القول: حسوم جمع حاسم. كشهود وقعود، ومعنى هذا الحسم في اللغة القطع بالاستئصال، وسمي السيف حسامًا؛ لأنه يحسم العدو عما يريد من بلوغ عداوته، فلما كانت تلك الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى أتت عليهم أشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم في إعادة الكي، على الداء كرة بعد أخرى، حتى ينحسم. وثانيها:أن الرياح حسمت كل خير، واستأصلت كل بركة، فكانت حسوما أو حسمتهم، فلم يبق منهم أحد، فالحسوم على هذين القولين جمع حاسم"(١). والكلمة من خلال أصوات حروفها ترسم لنا حركة هذه الريح من خلال الحاء المضمومة والتي تحدث بخروج الهواء الرئتين قاطعاً رحلة طويلة تبدأ من آواخر الحنجرة مروراً بالأوتار الصوتية محتكاً بها، ثم السين المضمومة كذلك بصفيرها والواو الممدودة التي تتناسب وتتجانس مع المضمومات قبلها لتعطي لنا مداً صوتياً يتسق مع طول فترة هبوبها، وتستعد الشفتان بضم مع ترك فتحة لمرور كل هذا الكم من الهواء مختلطاً بخفيف الحاء وأزيز السين وهذا–لعمرالله–صوت الريح عند هبوبها، ثم أخيراً تُغلق الشفتان لتنطق لنا بالميم والتي تُؤذن بانتهاء المدة المحددة للهبوب.

والتعبير بحد ذاته يرسم"مشهد العاصفة المزمجرة المدمرة المستمرة هذه الفترة الطويلة المحددة بالدقة:«سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ»، ثم يعرض المشهد بعدها شاخصًا:«فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ»، فترى.. فالمنظر معروض تراه، والتعبير يلح به على الحس حتى يتملاه!«صَرْعى ».. مصروعين مجدلين متناثرين"(٢). وأظن بهذا تفردت الكلمة. وعند الانتقال لكلمة (صرعى) نجد أن ابن فارس يقول عنها: "(صرع) الصاد والراء والعين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على سقوطِ شيءٍ إلى الأرض، ثم يُحمَلُ على ذلك ويشتقُّ منه. من ذلك صَرَعْتُ الرَّجلَ صَرْعَاً، وصارعتُهُ مصارَعة، ورجلٌ صَرِيع.."و" الصَّرْعُ: الطرح، والصريع هو من أصابه داء فصرعه، أي طرحه وألقاه. وصرعى جمع صريع، أي مطروحون على الأرض"(٣). واستناداً للمعنى الاشتقاقي نجد أن صرعى معناها مطروحون على الأرض، وهذا يتناسب مع ما فعلته الريح تماماً مع هؤلاء القوم من صرعهم على وجوههم مستلقين على الأرض. فكانت الريح تخلعهم من أوكارهم ثم تجهز عليهم وتطرحهم أرضاً جثثاً متناثرين، وأكد السياق هذه الحالة بإضافة التشبيه لها من أنهم بعد هذا الصرع كأنهم أعجاز نخل خاوية ملقاة على الأرض وهذا هو حال جذوع النخل وجذورها

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج30. ص621.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق. ج6. ص3678.

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج3.ص342.

عند قلعها وخلعها من الأرض، فالصورة موحية ومعبرة تماماً عن وضعهم. والكلمة تتسق مع مدة الهبوب وفظاعة صنيعها بهم، فضلاً عن أن الصرع يكون فقط مع الإنسان وليس مع غيره؛ لذا تفردت صرعى هنا في سياقها ولم يغن غيرها من مثل(موتى-هلكى-...)؛ لأن السياق هنا حدد الطريقة والكيفية.

214- واهية: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴾[(١)]. وسياق الآية هو الحديث عن أحداث يوم القيامة ومنها انشقاق السماء وتشققها بعد أن كانت محكمة.

يقول ابن فارس:" (وهي) الواو والهاء والحرف المعتلُّ يدلُّ على استرخاء في شيء. يقال:وَهَتْ عَزالِيُّ السَّحابِ بمائِهِ. وكلُّ شيءٍ استرخَى رباطُه فهو واهٍ. والوَهْيُ: الشَّقُّ في الأديم وغيرِه"[(٢)]. وتأسيساً على المعنى الاشتقاقي فإن هذه السماء القوية والشديدة ستضعف وتصبح "واهية" ضعيفة مسترخية متمزقة من الخوف ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة مستمسكة، ولعل هذا حدث من شدة هذا اليوم. والسياق سبق وأن ذكر الأرض والجبال وعليه فكان لزاماً أن يذكر السماء وعبَّر بالوصف الذي ستكون عليه يوم القيامة. وهذا ما يتفق مع الدراسات الحديثة في علم الفلك. بل إن الله تعالى وبسبب أهمية هذا الحدث الكوني أنزل سورة كاملة هي سورة الانشقاق، يقول تعالى في بداية السورة:(إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) (٣) ، ليخبرنا بأن الكون لن يدوم للأبد، بل سيتشقق وينهار، وقد شاء الله أن يكتشف العلماء أدلة مادية على ذلك، لتكون برهاناً ملموساً للمشككين، بأن يوم القيامة آتٍ لا ريب فيه. وإليك دليلاً منها: "إن طاقة الشمس المنبعثة منها تحتوي الكثير من الإشعاعات المميتة للمخلوقات الأرضية، ولو وصلت تلك الأشعة إلى الأرض لانعدمت الحياة عليها. إن الأشعة فوق البنفسجية القادمة مع أشعة الشمس عند اصطدامها بالأوكسجين الجوي تحوله إلى طبقة أيونية تمتص تلك الإشعاعات وتصنع غلافًا يحيط الكرة الأرضية حافظًا للحياة. قال تعالى:(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)(الأنبياء32)، أي حافظا للحياة وطبقة الأوزون الغازية الواهية التي تحيط بالأرض حدثت فيها تصدعات قليلة ربما تهدد البشرية بكارثة.... فكيف إذا انشق هذا الغلاف الواهي أي أصبحت الأرض معرضة وبشكل مباشر إلى كل إشعاعات الشمس فلابد أنها القيامة . و" حفظ السماء لا يكون بالأوزون فقط يضاف لذلك الغلاف الجوي حيث بالاحتكاك يفتت

---

(١) سورة الحاقة، آية رقم:(16).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج6.ص113.

(٣) سورة الانشقاق،آية رقم:(1-2).

النيازك ويحولها إلى شهب، كذلك الأحزمة المغناطيسية - أحزمة فان إلن - التي تحمي الجسيمات الذرية باتجاه القطبين بشكل الوهج القطبي المعروف). قال تعالى:(وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ)، فلا يوجد لفظ معبر تمامًا عن هذه التقلبات الفلكية أو عن الذي سيحدث تحديداً إلا كلمة واهية لذا جاء التعبير بها"[١]. وعليه فقد تفردت هذه الكلمة هنا في هذا السياق.

215- الوَتِين: ورد في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[٢]. وسياق الآية في معرض التهديد لمن يكذب ويفتري على الله - عزّ وجلّ -.

يقول ابن فارس عن أصلها: "(وتن)الواو والتاء والنون:كلمةٌ تدل على ثَباتٍ ومُلازَمة...ومنه الوَتِين:عرقٌ ملازمٌ للقَلْبِ يَسقِيه "[٣]. الوتين:" عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه، وقيل: إن الوتين يسقي العروق كلها الدم ويسقي اللحم وهو نهر الجسد، وقال الزجاج:عرق يستبطن الصلب يجتمع إليه البطن وإليه تضم العروق، وهو نياط القلب" [٤]. والآية تنطوي على تشبيه حال من يتقول على الله وعقاب الله له بقطع وتينه بالجزور التي تنحر عن طريق قطع وتينها، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور؛ إذ يقول: " فقطع الوتين من أحوَال الجزور ونحرها، فشبه عقاب من يُفرض تَقوُّله على الله بجزور تنحر فيقطع وتينها"[٥]. واللفظة لم تستعملها العرب في التعبير عن القتل أو حتى التهديد به؛ حيث يؤكده أيضاً ابن عاشور قائلاً: " ولم أقف على أن العرب كانوا يكنّون عن الإهلاك بقطع الوتين، فهذا من مبتكرات القرآن"[٦]. والكلمة هنا لم يغن غيرها مكانها من مثل:(أهلكناه — ضربنا عنقه — قتلناه....)لأنه تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه، لتضفي نوعاً من الرعب والفزع في قلوب السامعين لئلا يتجرأوا على التقول على الله-عزَّ وجلَّ -. واستناداً للمعنى الاشتقاقي للكلمة يتبين علة اختيار السياق لها ولعلها سرعة الإجهاز عليه وإهلاكه. وطريقة الإهلاك هذه تدلك على مدى فظاعة وشدة جرم ما جاءوا به؛ لأنه لا يجوز في حق الله مطلقاً أن يكون هناك من يتجرأ على مقامه-تبارك وتعالى-؛

---

(١) الكحيل.(2009/9/13م).**أحداث القيامة**.انظر:www.alargam.com/maths/falak/ragm75.htm، بتاريخ:2013/2/13م.

(٢) سورة الحاقة، آية رقم:(46).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.ج6.ص63.

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج15.ص209.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج15.ص374.

(٦) السابق، نفسه.

ومن ثم فإذا وجد هذا الصنف من الناس فستكون هذه عاقبته ونهايته. وهي حزمة من التهديدات المرعبة التي تخلع القلوب عند سماعها فقط، فما بالك بمن ستُنَفَّذ فيه.

216- هَلُوعًا: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾[١]. وسياق الآية هو الحديث عن: خلق الإنسان بأنه جُبل على الحرص والضن وغيره.

ويقول ابن فارس: "(هلع)الهاء واللام والعين: يدلُّ على سُرعةٍ وحِدَّة... ومنه الهَلَعُ في الإنسان: شِبْه الحِرْص. ورجلٌ هَلِعٌ وهَلُوع" و" الهَلَع: أشد الجزع"[٢].

والهلع في الآية مفسر بما بعده؛ أي الذي إذا ناله الشر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنع. وذلك في قوله تعالى: (إذا مسّه الشّر جزوعا، وإذا مسّه الخير منوعاً). وجاءت الكلمة على وزن فعول للمبالغة، و الهلوع: سريع الحزن والجزع شديد الحرص قليل الصبر، وهي حالة تنتاب الإنسان وتعتريه عند المخاوف وعند المطامع. والمدقق في حروف الكلمة يجدها تنطلق من الحلق مبتدئة بالهاء المفتوحة والتي لها إيحاءات صوتية فهي تعبر دائماً عن التوجع والدهشة والألم والاضطرابات النفسية، واللام المضمومة وتنشأ من ضرب طرف اللسان سقف الحنك وكأنها في إضراب، والواو الممدودة لزيادة امتداد الصوت قليلاً والعين المفتوحة ذات الصوت المجهور، وهي"ذات قيمة تعبيرية واضحة في تصوير الحركات والأصوات العنيفة"[٣]؛ وكل هذا أضاف أبعاداً صوتية للكلمة فكان لها تأثيرها في النفس ووقعها في الأذن، وحققت ما يرجوه السياق من إظهار شعوره وحالته النفسية في كلتا الحالتين الضراء التي بطبيعة الحال هو فيها شاكياً مما لحقه، والسراء التي هَلَعَ فيها وخاف من أن تزول أو يطلب منه للزكاة أو المساعدة فتجده يبخل دائماً بل يتظاهر- والأمر يصل إلى حد القسم - بأنه من الفقراء، وهو صادق في هذا الشعور، وهذا ما أكدَّه المثل العربي "الحريص محروم" فيشعر دائماً بالحرمان مع سعة رزقه وكِبَر دخله، و بقية الحروف يخرج معها الهواء دون توقف وحركات الحروف مع تقسيمات الوجه عند النطق بها تتسق تماما مع المعنى الدلالي للكلمة، فالضراء تمسهم إذن، و السراء تمسهم كذلك، و الشر يمسهم و الخير كذلك، ولم يشأ القرآن العظيم تغيير المادة بل اللفظ عينه في الحالتين، وذلك للتعبير عن شدة الملابسة و الملامسة و الالتصاق. وعليه فقد تفردت الكلمة ولم يغن غيرها مكانها.

---

(١) سورة المعارج، آية رقم:(19).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج6.ص62.

(٣) العبد، محمد السيد سليمان.(1989م).**من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**.الكويت. ص ٧٩.

217- عِزِين: ورد في قوله تعالى:﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾[1]. وسياق الآية هو الحديث عن:أحوال الكفار المكذبين بالرسول - صلّى اللّه عليه وسلّم- في الدنيا والآخرة.

يقول ابن فارس عن أصلها: " العين والزاء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الانتماء والاتِّصال"و".عَزا إلى: نسب إلى، والعِزَةُ الجماعة، وعزين أي حلقا حلقا، وجماعة جماعة"[2].

والمعنى كما يقول أبو السعود:" أي فِرَقاً شتَّى جمعُ عِزَةٍ، وأصلُهَا عِزْوَةٌ من العِزِّ، وكأنَّ كلَّ فرقةٍ تعتزي إلى غيرِ من تعتزي إليهِ الأُخرى، كانَ المشركونَ يحلّقونَ حولَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - حِلقاً حِلقاً وفِرقاً فِرقاً ويستهزئونَ بكلامِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ"[3]. وعزين هنا أبلغ في السياق من غيرها من مثل: (موجودين- مجتمعين- موزَّعين..). فإنها كلها تعطي معنى الاتحاد ولكن ظاهراً فقط ولعل الأجساد مجتمعة والعقول في أماكن أخرى فالنائم يقال عليه موجود، والسارح يقال له أيضاً موجود، ولعلها تنبيء بقصر مدة الاجتماع واللقاء. أما عزين فهي تعطي معنى القصد والعمد والاستمرارية والتواصل وعلى كل المستويات وفي كل الجهات والاتجاهات وهذا واضح من قوله - تعالى-:(عن اليمين والشمال..). مع التركيز الشديد لما يقال بإقبال وإمعان. وعلى هذا جاءت كلمة عزين، وهذا ما لا يتأتى لغيرها من الكلمات. والآية فيها تمثيل حالهم بحال من يحرص ويسعى للهداية والطريق المستقيم ويظهر هذا من خلال الإسراع على هذا الوجه الذي لا ينبغي أن يكون إلا فيما يتحقق أنه تَحْصُلُ به السعادة الأبدية والتفافهم حوله - صلى الله عليه وسلم- مع مد العنق والتركيز بالسمع والبصر، لأنه لا يلتف حوله هكذا إلا من يطلب الجنة، وهذا ليس على الحقيقة، ولكن كأنهم يفعلون هذه الحركات من أجل هذا، ولكن الواقع ليس كذلك بل للسخرية والاستهزاء والكيد والرد والدحض، والنص يشعرك بسخريته منهم وتهكمه من صنيعهم هذا، وهذا ما أكدَّه صاحب الظلال قائلاً:" وفي التعبير تهكم خفي بحركتهم المريبة. وتصوير لهذه الحركة وللهيئة التي تتم بها. وتعجب منهم. وتساؤل عن هذا الحال منهم!وهم لا يسرعون الخطى تجاه الرسول ليسمعوا ويهتدوا، ولكن فقط ليستطلعوا في دهشة ثم يتفرقوا كي يتحلقوا حلقات يتناجون في الكيد والرد على ما يسمعون!ما لهم؟ «أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ؟»"[4].

---

(١) سورة المعارج، آية رقم:(37).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص309.

(٣) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. مرجع سابق.ج6. ص381.

(٤) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6.ص3702.

218- نَسْرا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾(١). وسياق الآية هو الحديث عن موقف قوم نوح من دعوته وتحريض الناس بالاستمساك بالأصنام التي يسمونها آلهة وعبادتها من دون الله.

قال ابن فارس: "النون والسين والراء: أصل صحيح يدل على اختلاس واستلاب... ومنه النسر: كأنه ينسر الشيء....والنسر الطائر"(٢).

ويقول بعض المفسرين بأنها "كانت أصناماً منحوتة على صور مختلفة من الحيوان"(٣)، وهذا ما يقول به أبو السعود في تفسيره: " وقيلَ كان ودٌّ على صورةِ رجلٍ، وسواعٌ على صورةِ امرأةٍ، ويغوثُ على صورة أسدٍ، ويعوقُ على صورةِ فرسٍ، ونسرٌ على صورةِ نسرٍ"(٤)، واستناداً لكلام المفسرين والاشتقاق اللغوي بأن الكلمة تفردت هنا ولم يغن غيرها مكانها؛ لأنها دلَّت على تطابقها لما كان عليه هذا الصنم. ولصاحب الظلال كلام يثبت به سر ذكر هذه الأصنام تحديداً دون غيرها قائلاً:" وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأناً فخصوها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامة المضَلَّلِين الحميةَ والاعتزازَ.. « وَقالُوا لا تَذَرُنَّ وَدًّا، وَلا سُواعاً، وَلا يَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْراً».. وهي أكبر آلهتهم التي ظلت تعبد في الجاهليات بعدهم إلى عهد الرسالة المحمدية"(٥).

219- حَرَساً: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴾(٦). وسياق الآية هو: الحديث عن أخبار الجنّ، ومنها محاولاتهم استراق السمع لأخبار السماء، قبل البعثة النبوية، ثم منعوا منها بعدها، دون أن يدروا سبب المنع وإقامة الحراسة على السماء. يقول ابن فارس: "(حرس)الحاء والراء والسين أصلان:أحدهما الحِفْظ والآخر زمانٌ " و " حرَسَ: حفظ، واحترس منه أي تحفظ، والحَرَسُ جمع حرّاس"(٧). وهنا لم يقل السياق جنوداً ولا حفظة ولا مراقبين، لأنها لا تفي بالمطلوب والمقصود من السياق؛ لأن حرساً فيها معنى التنبه الشديد و اليقظة والأهبة والاستعداد لكل من يمر أو يقترب أو يمس كما عبر السياق. وكلمة

---

(١) سورة نوح،آية رقم:(23).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص425.

(٣) مجموعة من علماء الأزهر.**المنتخب**. مرجع سابق. ج3. ص14.

(٤) أبو السعود.(د.ت).**إرشاد العقل السليم**. مرجع سابق.ج6.ص387.

(٥) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6.ص3716.

(٦) سورة الجن، آية رقم:(8).

(٧) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص38.

الحرس أعلى منزلة وقوة من غيرها من الكلمات التي تتولى معنى المتابعة والمراقبة فنحن في بيئتنا العربية لا نقول جندي شخصي بل نقول حارس شخصي لأنها فيها معنى الخصوصية من جانب والقوة والتأهيل والعمل الجاد مع عدم التفريط في الأداء بل على أكمل وجه ؛ لأن المسألة ليست معركة ولا حرباً بل وظيفتهم الأولى هي الحراسة والمراقبة، والحارس بطبيعة الحال متيقظ قوي منتبه، وفوق ذلك أكدَّ السياق بقوله شديداً بصيغة المبالغة لتتخيل كيف ستكون قوتهم وشدة بأسهم، وعبَّر بجمع القلة لندرة الشبه بهم ولتخصيصهم وتشريفهم بهذا العمل، مثلها مثل العسكر الحفظة الكتبة وغيرها. وعليه فقد تفردت هنا في هذا السياق.

220- هَرَبًا: ورد في قوله تعالى:﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾[١].

وسياق الآية هو: نفس السياق السابق من ذكر بعض أحوال الجن وصفاتهم ومنها أنهم علموا بقدرة اللّه الحاكمة عليهم، دون التمكن من الإفلات منها.

يقول ابن فارس: "(هرب) الهاء والراء والباء كلمةٌ واحدة، هي هَرَب، إذا فَرّ"و" الهَرَب: الذهاب بسرعة عن خوف"[٢]. والمعنى أنه: " لن نعجزه – سبحانه – في الأرض إن أراد بنا أمرًا، ولن نعجزه – عز وجل– هربًا إن طلبَنَا، وحاصله إن طلبنا لم نفته، وإن هربْنا لم نخلص منه سبحانه، وفائدة ذكر الأرض تصوير أنها مع هذه البسطة والعراضة ليس فيها منجى منه تعالى ولا مهرب لشدة قدرته سبحانه وزيادة تمكنه–جل وعلا–، وقيل فائدة ذكر الْأَرْضِ تصوير تمكنهم عليها وغاية بعدها عن محل استوائه سبحانه وتعالى وليس بذاك"[٣]. وبالتالي فكلمة هربا لا يغني غيرها غناءها من الاختباء أو التمويه أو الاستتار أو التخفي فهي تفي بهذا كله وتعطي معنى الفرار، والفرار هو أسرع أنواع التخلص لذا عبر السياق به فهي تشي بالسرعة والخفة مع الخوف الشديد الرعيب، لأن الله هو الذي يطلبهم فأين يذهبون!؟، وهربا تعطي دلالات لا تكون لغيرها من الكلمات فالهارب عنده دوافع قوية تدفعه لاتخاذ الحيطة والتدبر لأمره والحذر الشديد ومع هذا يعترفون بأنهم لن يتمكنوا من الفرار من الله والهروب منه إلى السماء على الرغم من أن لهم قدرات خاصة ومع هذا لا يقوون على فعله لإحاطة قدرة الله بهم.. فقدرة الله حاكمة عليهم، وأنَّا لن نعجزه تعالى، ولو أمعنا في الهرب، فإنه علينا قادر، ولا يعجزه أحد منا، " فهم يعرفون قدرة اللّه عليهم في الأرض، ويعرفون عجزهم عن الهرب من سلطانه–سبحانه–والإفلات من قبضته،

---

(١) سورة الجن، آية رقم:(12).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج6.ص49.

(٣) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق.ج15.ص99.

والفكاك من قدره. فلا هم يعجزون اللّه وهم في الأرض، ولا هم يعجزونه بالهرب منها. وهو ضعف العبد أمام الرب، وضعف المخلوق أمام الخالق. والشعور بسلطان اللّه القاهر الغالب"[١].

221- غَدَقاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾[٢].
وسياق الآية هو:تحضيض الكافرين على اتباع طريق الهدى والرشاد لما سيعود عليهم فيه من خير وفير.

يقول ابن فارس: " (غدق) الغين والدال والقاف أصلٌ صحيح يدلُّ على غُزْر وكثرةٍ ونَعْمَة. من ذلك الغَدَق، وهو الغَزير الكثير"[٣]. ويعلل الآلوسي تخصيص ذكر الماء الغدق هنا في هذا السياق قائلاً: " لأنه أصل المعاش وكثرته أصل السعة فقد قيل المال حيث الماء ولعزة وجوده بين العرب لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ أي لنختبرهم كيف يشكرونه أي لنعاملهم معاملة المختبر وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة اللّه تعالى وطاعته سبحانه ولم يتكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنختبرهم"[٤]. وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع المترتبة على وجوده. والماء منه كل شيء حي فضلاً عن أنه كان عزيزًا عند العرب، به يُكثر الرزق، وتُزيَّن الأرض، ويُرغد به العيش؛ لذا تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها مكانها.

222- الْمُزَّمِّل: وردت في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾[٥]. وسياق الآية هو: الحديث عن موقف النبي- صلى الله عليه وسلم - حين أكرمه الله برسالته ، وابتدأه بإنزال وحيه بإرسال جبريل إليه، فرأى أمرًا لم ير مثله ، ولا يقدر على الثبات له إلا المرسلون ، فاعتراه في ابتداء ذلك انزعاج حين رأى جبريل – عليه السلام – وجرى بينهما ما جرى، فأتى إلى أهله، فقال: " زملوني زملوني " وهو ترعد فرائصه.

والتزمل: "التلفف بالثوب"[٦]، والمزمل:اسم فاعل من تزمل وأصلها المتزمل فأدغمت التاء في الزاي بعد قلبها زاياً لتقاربهما. "واتفقت كلمة المفسرين على أن المزمل هو النبي- عليه الصلاة والسلام–ولكن اختلافهم في سبب تزمله بثيابه وقيل المراد:المزمل بالنبوة أو بالقرآن[١].

---

(١) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج6.ص3732.
(٢) سورة الجن،آية رقم:(16).
(٣) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة. مرجع سابق.ج4.ص415.
(٤) الآلوسي.(1415هـ) .روح المعاني. مرجع سابق.ج15.ص100.
(٥) سورة المزمل، آية رقم:(1).
(٦) الرازي.(1910م).**الصحاح**. مرجع سابق.ج4.ص1718.

وحسب السياق وما حدث من قول: "زملوني زملوني" وطبقاً لما قال فقد خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمر . فنداء النبي بوصف (المزمل) باعتبار حالته وقت ندائه وليس المزمل معدوداً من أسماء النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنه لم يعرف به لاحقاً. " قال العلماء كان هذا الخطاب للنبي– صلى الله عليه وسلم– في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول "[٢]، ويبدو جلياً طريقة الخطاب العالي والأدب الجم مع النبي – عليه الصلاة والسلام – حتى قبل أن يوحى إليه. والكلمة هنا لا يغني غيرها مكانها من مثل: (المدثر– المتلفف– المغطى بثيابه...إلخ)؛ حيث هي المعبرة تماماً عن الحال التي كان عليها الرسول– صلى الله عليه وسلم–، ولابن عاشور كلام لطيف في هذا؛ حيث يقول: " افتتاح الكلام بالنداء إذا كان المخاطب واحداً ولم يكن بعيداً يدل على الاعتناء بما سيلقى إلى المخاطب من كلام. والأصل في النداء أن يكون باسم المنادَى العلم إذا كان معروفاً عند المتكلم فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلاّ لغرض يقصده البلغاء، فإذا نودي المنادى بوصف هيئته من لِبسة أو جِلسة أو ضِجعة كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه ولهيئته، ومنه قول النبي– صلى الله عليه وسلم– لعلي بن أبي طالب وقد وجده مضطجعاً في المسجد وقد علق تراب المسجد بجنبه «قُم أَبا تراب» وقوله لحذيفة بن اليمان يوم الخندق«قم يا نَوْمانُ»، وقولِه لعَبْد الرحمن بن صخر الدوسي وقد رآه حاملاً هِرّة صَغيرةً في كمه«يا أبا هُريرة».فنداء النبي بـ{يا أيها المزمل}نداء تلطف وارتفاق....وأريد في إطلاقه معنى شدة التلبس، وكثر مثل هذا في الاشتمال على اللباس، فمنه التزمل ومنه التعَمّم والتأزّر والتقمّص، وربما صَاغوا له صيغة الافتعال مثل: ارتَدى وائتز"[٣].

223– غُصَّة: ورد في قوله تعالى:﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٤]. وسياق الآية هو الحديث عن جزاء الكافرين المكذبين وعقوبتهم حيث يكون طعامهم الزقوم والضريع.

والغصة: "الشجا، أو ما اعترض في الحلق وأشرق" [٥]، وقالوا: "إنه شوك كالعوسج يأخذ بالحلق يدخل ولا يخرج، وقال ابن عباس: شوك من نار يعترض في حلوقهم لا يخرج ولا ينزل"[٦].

---

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.ج30.ص793.

(٢) البغوي.(1420هـ).**معالم التنزيل في تفسير القرآن** .عبد الرازق المهدي(محقق).بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج8.ص246.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.ج15.ص452.

(٤) سورة المزمل، آية رقم:(13).

(٥) الفيروزآبادي.(1973).**بصائر ذوي التمييز**.ج4.ص135.

(٦) القرطبي.(1427هـ/2006م).**الجامع لأحكام القرآن**.مرجع سابق.ج10.ص7084.

وعلى حسب القانون الإلهي فإن الجزاء من جنس العمل فقد كانوا يهنأون بلذة العيش الرغيد والطعام اللذيذ، السهل المضغ والبلع والهضم؛ لذا كان العذاب بأن يكون هناك طعام ولكن غير الطعام يتوقف في الحلق لا يسيغه ماء ويصيبهم بالشرق والأصل ألا يهنأ لهم فيتألمون ويتعذبون مع ما كانوا ينعمون به تأكيداً للقانون الرباني (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)، "وإضافة الطعام إلى الغُصة إضافة مجازية وهي من الإضافة لأدنى ملابسة، فإن الغصة عارض في الحلق سببه الطعام أو الشرب الذي لا يستساغ لبَشاعةٍ أو يبوسة "[(١)]. وتنكير غصة جاء على التهويل والتعظيم والترعيب. والكلمة لا يغني غيرها مكانها؛ حيث هي تمنع كل ما يدخل إلى الحلق وما يخرج منه من مثل الطعام والشراب والنفس وهذا كل ما يحتاجه الإنسان للحياة. والمدقق في حروف الكلمة يجدها تتناسب معها صوتياً وحركياً فصوتا الكلمة الرئيسان هما الغين والصاد، والغين تحدث نتيجة احتكاك اللهاة ببداية فتحة الحلق وكأنها تتعمد انسداده، وضمها يرسم حركة وجه الغاصِّ عند محاولة التخلص من الغصة وكأنك تراه واقعاً ملموساً، ثم حركة حرف الصاد التي تتم أيضاً "باصطدام الصوت الخارج من الرئتين بحائل وهو ما بين الثنايا العليا والثنايا السفلى" [(٢)]، والتصاقهما بعضهما البعض مع التشديد ومرور الهواء من خلالهما بصعوبة بالغة وكأنه يتفلت منهما بالقوة والمدافعة محدثاً صفيراً مدوياً يظهر فيه توجع صاحبها وتألمه أولاً، ويجعلك تتخيل حركة الطعام وتوقفه في الحلق وارتداده صعوداً وانخفاضاً محاولاً النزول أو الرجوع ثانياً، ولكن أنى له ذاك!. فالغاية هي الإمعان في الألم وتجرعهم العذاب، وهكذا تعاضدت أصوات الحروف مع المعنى الدلالي والأصل الاشتقاقي لتصل بالسامع والقاريء إلى تحقيق هدف السياق من بث الرعب والفزع، وإظهار مدى سطوة العذاب وشدته على المكذبين المعاندين.

224، 225- كَثِيباً، مهيلاً: وردا في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا** ﴾[(٣)]. وسياق الآية هو الحديث عن أهوال القيامة، وفيه تنهال الجبال وتكون قطعاً متحركة مجتمعة من الرمل.

يقول ابن فارس: "(كثب) الكاف والثاء والباء أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُّ على تجمُّع وعلى قُرْب... ومنه كثيب الرَّمل "[(١)]، وكثبت الشيء: "إذا جمعته ، وانثكب الرمل أي اجتمع ، وكل ما

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق. ج15. ص463.

(٢) سويد،أيمن رشدي.(2011/7/6م).**من طعام أهل النار**.انظر:www.dar-alhejrah.com، تاريخ التصفح:2013/4/10م.

(٣) سورة المزمل، آية رقم:(14).

انصب في شيء فقد انكثب فيه ، والكثيب من الرمل:القطعة تنقاد محدودبة....قال الفراء: الكثيب الرمل، والمهيل الذي تحرك أسفله، وقال الراغب:رملاً متراكباً " [٢]. وبالنظر إلى الأصل الاشتقاقي لكلمة مهيلاً نجد أصلها هو: "هَالَ الشيء: "أي صبه وأرسله، ومَهيلاً: مصبوباً سائلاً لا يتماسك "[٣]، ومهيل: اسم مفعول من هال الشيءَ هيلاً، إذا نثره وصبّه، وأصله مهيول، استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الساكن قبلها فالتقى ساكنان فحذفت الواو، لأنها زائدة ، وبقيت الياء فكسر ما قبلها وهو الهاء التي نقلت إليها الضمة في الخطوة الأولى.

"وجيء بفعل(كانت)في قوله:{وكانت الجبال كثيباً}، للإشارة إلى تحقيق وقوعه حتى كأنه وقع في الماضي. ووجه مخالفته لأسلوب {ترجف} أن صيرورة الجبال كثيباً أمر عجيب غير معتاد، فلعل السامعين يستبعدونه وأما رجف الأرض فهو معروف، إلاّ أن هذا الرجف الموعود به أعظم ما عرف جنسه"[٤]. والمهيل من الرمل، الذي لا تماسك بين أجزائه، وقد كانت الجبال قبل ذلك صلبة شديدة الأسر والتماسك. وكونها مفتتة مهيلة متناثرة أدعى لأن تكون هباء منبثاً لاحقاً. وكأنها مراحل، كما قال ربنا- عزّ وجلّ- :(فكانت هباء منبثاً). والكلمة تشير إلى مدى السيولة والليونة التي تكون عليها الجبال بعدما كانت صلبة متماسكة، وجاءت(مهيلا)لتأكيد هذا التفتيت إلى ذرات صغيرة. والكلمة فيها إشارة لقدرة الله المطلقة التي تقوى على كل شيء، وهذه الصورة للجبال أدل على تلك القدرة وذلك التصرف العجيب فيما خلق.

وأصوات حروف كلمة (مهيلاً) تتنوع بين اللين والرخاوة من هاء وياء وهذا يؤكد ما عليه هذه الرمال في الواقع من سيلان وليونة وسيولة والكلمة فيها حركة مستمرة؛ لأنه عبر بالمصدر أو بصيغة المبالغة لتتخيل ما فيها من دوران وهيلان وتنقل مستمر وهذا بسبب الرجفة.

وكلمات الآية كلها تتناسق وتتسق مع الترتيب الطبيعي الذي يحدث يوم القيامة، فأولاً يكون الرجف:وهو الزلزلة والاضطراب المتكرر والمستمر، وهو الذي يكون به انفراط أجزاء الأرض وانحلالها وتفتتها ومن هذه الأجزاء الجبال التي وصفها السياق بأنها كثيباً والكثيب نتيجة طبيعية لما قاله الله تبارك وتعالى- من قبل: (وبست الجبال بساً) فبعد التفتيت والطحن تتجمع هذه الذرات المتناثرة مع بعضها البعض ومكونة كثباناً رملية وهذه نتيجة طبيعية للرجف والتفتيت؛ لذا لا يغني

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج5.ص162.

(٢) الفراء.(1983م).**معاني القرآن**. مرجع سابق. ج3.ص198.

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق. ج1.ص53.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. ج15.ص463.

عن لفظة (كثيبا) غيرها هنا في مكانها، ثم يتدرج بوصف آخر متفق تماماً مع حالة هذه الجبال بعد أن صارت كثباناً رملية تسير وتتحرك وتنهال بلا رابط ولا ضابط لأنها مفككة مفتتة غير متماسكة؛ لذا عبر عنها بقوله: (مهيلاً)وهي بعد طحنها ودغدغتها صارت مهيلا في لينها فتنهال من أعلى إلى أسفل لأن الحركة تبدأ من أسفل، وهذا ما نراه في الجبال أو البيوت أو أي مكان مرتفع تُحرّكُ من أسفل فانهيال وانهيار من أعلى؛ لذا كان اللفظ معبراً تماما عن المشهد فكأنك ترى المشهد شاخصاً أمام عينيك والجبال في حالة سيلان وانهيال.

فها هي ذي صورة للهول تخلع قلبك، وتُزَلْزِلُ أوصالك، وتُرعِدُ مفاصلك، وتنزل كالصاعقة على سمعك وترتسم أمام ناظريك، وتأخذ بعقلك وأنت ترى مثل هذه الصورة التي لم ترها من قبل، فهي قد صنعت الأعاجيب بالجوامد الصلاب فكيف بك أيها الهزيل الضعيف؛ فها هي ذي قد ارتجفت منها الأرض.

226- الْمُدَثِّر: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾[1]. وسياق الآية هو:الحديث عن الرسول وندائه بهيئته وحاله التي عليه وقتها، وأمره بإعلان الدعوة والصدع بالإنذار بجد ونشاط.

يقول ابن فارس: " الدال والثاء والراء أصلٌ واحد منقاسٌ مطّرد. وهو تضاعُفُ شيءٍ وتناضُدُه بعضِه على بعض... والدِّثار: ما تدثَّر به الإنسانُ، وهو فوق الشِّعار"[2].

وأجمع المفسرون على أن المدثر هو الرسول – صلى الله عليه وسلم– ولكنهم اختلفوا في المراد منه، "فمنهم من أجراه على ظاهره وهو تدثره في ثيابه، ومنهم من خالف هذا الظاهر، وذكروا في سبب تدثره أقوالاً مؤداها جميعاً أن الرسول– صلى الله عليه وسلم – حينما نزل عليه الوحي لأول مرة رجع خائفاً مرتعداً قائلاً لأهله: دثروني، أو أنه لما آذاه الكفار ورموه بالسحر والجنون رجع إلى بيته محزوناً وقال: دثروني، أو أنه – صلى الله عليه وسلم – كان نائماً في بيته متدثراً بثيابه فجاءه الوحي ودعاه بهذا. أما منْ حملوه على غير ظاهره فقالوا المراد:المتدثر بدثار النبوة والرسالة، أو المتدثر بدثار الاختفاء نظراً لاختفائه — عليه الصلاة والسلام–في غار حراء، أو المراد المتدثر بدثار العلم العظيم والخلق الكريم؛ لأن الله جعله رحمة للعالمين"[3].

ويقول حقي في تفسيره على لسان السهيل – رحمه الله – معللاً سرد ندائه بهذا الوصف: " كان – عليه السلام – متدثرًا بثيابه حين فزع من هول الوحى أول نزوله قال :دثرونى دثرونى

---

(١) سورة المدثر، آية رقم:(1).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص271.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج30. ص822(بتصرف).

فقال له ربه أيها المدثر ولم يقل يا محمد ولا يا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم فى المزمل وفائدة أخرى هي:مشاكلة الآية بما بعدها، ووجه المشاكلة بين أول الكلام وبين قوله قم فأنذر خفى، إلا بعد التأمل والمعرفة بقوله – عليه السلام – إنى أنا النذير العريان ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب إذا اجتهد جرد ثوبه وأشار به مع الصياح تأكيداً فى الإنذار والتحذير"(١). وهذا النداء الرائق يحدث دائماً في دنيا الناس من باب الملاطفة والمؤانسة تأكيداً على القرب والحب الواقع بين المنادِي والمنادَى عليه، تضفي به جواً من التخفيف والتلطيف خاصة أن مثل هذا الموقف يستدعي هذا، وهو خوف النبي – صلى الله عليه وسلم – ورعبه وارتعاده فاحتيج إلى جو من اللطف لنقله مما هو فيه إلى جو مغاير تماماً؛ لذا تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها.

وهنا تجدر الإشارة إلى الفرق بين المعنيين المزمل والمدثر؛ حيث إن المعنيين قريبان ومتداخلان؛ لذا وجب التفريق بينهما، ولماذا لم يغن أحدهما مكان الآخر لما بينهما من قربى في الترادف ورحم في المعنى فـ" (الْمُدَّثِّرُ)نَزَلتْ في أول ما نَزَل على رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-......،أما المزمل (الْمُزَّمِّلُ) فمتأخرة نزولا عن المدثر. وقيل إن: التَّزَمّل والتَّدَثّر بمعنى واحد. ومِن العلماء من قال إن(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)أمْرٌ للرسول – صلى الله عليه وسلم- بِترك النوم وقيام الليل؛ لأن قيام الليل مما يُستَعان به على الشدائد والأمور الصعبة، وهكذا الصلاة. وهذا هو الأنسب في شأن التَّزمّل ؛ لأن سورة المزمّل جاء فيها الأمر بِقيام الليل. وقيل في تفسير سورة المزمّل: أمُر الله تَعَالَى رَسُولَه- صلى الله عليه وآله وسلم -أن يَتْرُك التَّزَمّل . والفرْق بين (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)أنه خِطاب له بعدما تغطّى حُزنا وخوفا مما أصابه . و(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)أمْرٌ بالقيام من النوم إلى الصلاة؛ لأنه يستعين بها على تحمّل الشيء الشديد وهو الوحي. أو هو أمر بالنهوض بالأعباء الملقاة عليه -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ حيث إن التزمل فيه معنى التحمل، وليس ذلك التدثر. والتزمل: التحمّل، واستشهد له بحديث أبي الدرداء: (لئن فقدتموني لتفقدن زملا عظيما، والزمل: الحمل، يريد حملا عظيما من العلم، ويساعد على ما فهمناه سياق السورتين، فالأولى أمرت بقيامه من دثاره بعد تغطيه، والثانية القيام بالعبادة والدعوة. "(٢).

---

(١) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج16.ص227.

(٢) النجار، زغلول.(2008/7/3م).**الفرق بين المزمل والمدثر**.انظر:www.attaweel.com، تاريخ التصفح:2013/4/10م.

227– **قَسْوَرَة**: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾[1]. وسياق الآية هو: الحديث عن المشركين وإعراضهم بشدة عن الهداية والطريق المستقيم وهربهم من الرسول – صلى الله عليه وسلم – عند رؤيته.

القَسْر: " القهر، والقسورة الأسد"[2]. وقسورة على وزن فعولة، والقسر هو القهر والغلبة، وكأنه اشتق هذا الاسم له؛ لأنه يفترس كل شيء قهراً وقسرا و يغلب السباع ويقهرها. وقيل:إن أهل الحبشة يقولون للأسد: قسورة، والآية انطوت على تشبيه نادر وجديد، وفرار الحمر الوحشية من الأسد شيء طبيعي وذلك لأن طبعها أصلاً الهلع والفزع على أقل تهديد فما بالك إذا عاينت الأسد فإنها تهرب أشد الهرب وأيا ما كان "فقد شُبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر وحشية جدت في نفارها مما أفزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله – سبحانه – كمثل الحمار يحمل أسفارًا أو شهادة عليهم بالبله وقلة العقل"[3]. والسياق يستنكر عليهم هذا الإعراض عن الحق وإقبالهم على الباطل، وفي هذا يقول البقاعي: وتجدهم عند " التذكر العظيم بالقرآن خصوصاً وبغيره عموماً معرضين ، وعلى الباطل وحده مقبلين، وذلك من أعجب العجب؛ لأن طبع الإنسان إذا حُذِّر من شيء حذره أشد الحذر كما لو حذر المسافر من سبع في طريقه فإنه يبذل جهده في الحيدة عنه والحذر منه وإن كان المخبر كاذباً، فكيف يعرضون عن هذا المحذور الأعظم والْ مُخْبِر أصدق الصادقين، فإعراضهم هذا دليل على اختلال عقولهم واختبال فهومهم، وزاد ذلك عجباً شدة نفارهم حتى كأنهم في إعراضهم عن التذكرة من شدة النفرة والإسراع في ال نفرة حمر أي(من حمر الوحش)وهي أشد الأشياء نفاراً، ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل بسرعة السير بالحمر في عدْوها إذا وردت ماء فأحست عليه ما يريبها "[4]. والسين والتاء في مستنفرة للمبالغة في الوصف مثل:استكمل واستجاب واستخرج واستنبط، أي نافرة نفاراً قوياً فهي تعدو بأقصى سرعة العدو ، وكأنها مُوجِدة لهذا النفار عن قصد و بكامل رغبتها فيه حتى كأنها تطلبه من أنفسها لأنه من شأنها وطبعها.

(١) سورة المدثر، آية رقم:(51).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ص40.

(٣) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق.ج29.ص134.

(٤) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص238.

والأسد هو ملك الغابة وسيد الحيوانات وأشدهم شراهة وشراسة وافتراساً بلا هوادة؛ لذا كان اختيار السياق له باعتبار مؤهلاته وقدراته موفقاً تماماً وعليه فقد تفردت الكلمة في سياقها هنا وحققت ما رمى إليه من أهداف. والآية توحي بشدة جبنهم وخورهم في اتباع الحق، وكأنه ضد مصالحهم الشخصية ومآربهم الذاتية.

228- سُدىً: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[1]. والآية في سياق التدليل على إمكان حدوث وقوع البعث، ومحاسبة الإنسان على ما قدّم من خير أو شر.

يقول ابن فارس: "(سدو)السين والدال والواو أصلٌ واحد يدلُّ على إهمال وذَهابٍ على وجه. من ذلك السَّدْو، وهو ركوبُ الرأس في السَّير. ومنه قولُهُ جلَّ ثناؤه:{أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدَىً}، أي مُهْمَلاً لا يؤمر ولا يُنْهَى"[2].

والآية توضح وجهة نظر الكفار القاصرة في هذه الحياة فـ " لقد كانت الحياة في نظر القوم حركة لا علة لها ولا هدف ولا غاية.. أرحام تدفع وقبور تبلع.. وبين هاتين لهو ولعب، وزينة وتفاخر، ومتاع قريب من متاع الحيوان. فأما أن يكون هناك ناموس، وراءه هدف، ووراء الهدف حكمة؛ وأن يكون قدوم الإنسان إلى هذه الحياة وِفق قدر يجري إلى غاية مقدرة، وأن ينتهي إلى حساب وجزاء، وأن تكون رحلته على هذه الأرض ابتلاء ينتهي إلى الحساب والجزاء.. أما هذا التصور الدقيق المتناسق، والشعور بما وراءه من ألوهية قادرة مدبرة حكيمة، تفعل كل شيء بقدر، وتنهي كل شيء إلى نهاية.. أما هذا فكان أبعد شيء عن تصور الناس ومداركهم، في ذلك الزمان"[3]. وهذه الآية تنطوي على لمسة " هي إحدى لمسات القرآن التوجيهية للقلب البشري، كي لا يتلفت ويستحضر الروابط والصلات، والأهداف والغايات، والعلل والأسباب، التي تربط وجوده بالوجود كله، وبالإرادة المدبرة للوجود كله. وفي غير تعقيد ولا غموض يأتي بالدلائل الواقعة البسيطة التي تشهد بأن الإنسان لن يترك سدى.. إنما دلائل نشأته الأولى:(ألم يك نطفة من مني يمنى؟ ثم كان علقة فخلق فسوى؟ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى؟"[4].

والآية أيضاً تنطوي على استفهام استنكاري، والآية فيها تكرير وتعدد للإنكار على الكافرين وتكذيبهم بالعبث، وهي تشي أيضاً بحكمة الله في خلقه بأن كل شيء عنده بمقدار

---

(١) سورة القيامة، آية رقم:(36).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص150.

(٣) قطب.(1402م).**الظلال**. مرجع سابق.ج7.ص409.

(٤) قطب.(1402م).**الظلال**. مرجع سابق.ج7.ص409.

وقدر ولم يخلق شيئاً عبثاً فكلٌ له حكمة وغاية من خلقه. وأيضاً تنطوي على كناية عن الجزاء لأن التكليف في الحياة الدنيا مقصود منه الجزاء في الآخرة.

ومن حكمة الله أنه يُذَكّر الإنسان بما عليه، وفي هذا يقول البقاعي :" ولما كان الإنسان يجري على ما في طبعه من النقائص فيغفل عما خلق له فتراكم عليه ظلماته فيبعد عن علم ذلك إما بجهل بالحكمة أو بجهل بالقدرة، رَحِمَهُ – سبحانه – بإعادة البرهان على المعاد بأمر يجمع القدرة والحكمة، وذلك أنه لا يجوز في عقل عاقل أن صانعاً يصنع شيئاً ويتركه ضياعاً وهو حكيم أو حاكم فكيف بأحكم الحكماء والحاكمين فقال منكراً عليه ظنه أنه يهمله – سبحانه – مع علمه بصنائعه المحكمة فيه"[١]. وعليه فإن كلمة سدى أبلغ في السياق من غيرها من مثل مهملا أو متروكا لأن السدى معناه الإهمال الشديد إلى حد بعيد فلا يسأل عما يفعل سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل وإن بناء الفعل هنا للمجهول لأدل على أنه لا يؤبه له من أي سائل وهذا يؤكد شعور الكافر بأنه لا يسأل لا الآن ولا بعد مماته " أَئِنَّا لمبعوثون" نعم بالتأكيد " وقفوهم إنهم مسئولون" والكلمة هنا جاءت متسقة مع الخيط الفكري للآية وأيضاً تتماشى مع ما يظنه الكافرون من أنه لا حساب ولا جزاء ولا بعث، فقد نفى لهم مثل هذه الأفكار المستحيلة بأسلوب ساخر لاذع، وتدليلاً على أنه تفكير غير وارد إطلاقاً جاء بالفعل أيحسب الذي بمعنى الظن والشك وتأكيدا لهذا ساقه في استفهام استنكاري كما سبق وذُكِرَ آنفاً؛ لذا تفردت في سياقها.

229- أَمْشاج: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾[٢]. وسياق الآية هو:الحديث عن خلق الإنسان وتكوينه من نطفة ذات عناصر شتى، اختلط بعضها ببعض، لنختبره بالتكليف.

وفي أصلها يقول ابن فارس: " الميم والشين والجيم أصل صحيح وهو الخلط، ونطفة أمشاج: وذلك اختلاط الماء والدم، ويقال: إن الواحد مشْج ومشيج"[٣].

واتفقت المعاجم على أن الأمشاج: "الأخلاط، فيقال: مشجت بينهما مشجاً: خلطت، وقال الفراء: الأمشاج: الأخلاط ماء الرجل وماء المرأة، وقال الزجاج: أخلاط مني ودم ثم ينتقل من حال إلى حال، وقال ابن السكيت: الأخلاط ويريد بها النطفة لأنها ممتزجة من أنواع، ولذلك

---

(١) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**.مرجع سابق.ج8.ص257.

(٢) سورة الإنسان، آية رقم:(2).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص326.

يولد الإنسان ذا طبائع مختلفة" [1]. وتعددت أقوال العلماء حول المراد منها وأوردها البغوي في تفسيره نقلاً عن الضحاك؛ إذ يقول: " أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة ، فنطفة الرجل بيضاء وحمراء وصفراء، ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء وهي رواية الوالبي عن ابن عباس. وكذلك قال الكلبي: قال: الأمشاج البياض في الحمرة والصفرة. وقال يمان: كل لونين اختلطا فه ما أمشاج. وقال ابن مسعود: هي العروق التي تكون في النطفة ، وقال الحسن: نطفة مشجت بدم، وهو دم الحيضة، فإذا حبلت ارتفع الحيض ، وقال قتادة: هي أطوار الخلق نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظمًا ثم يكسوه لحمًا ثم ينشئه خلقا آخر "[2]. وباستقراء ما كتبه المفسرون حول معناه ا لوحظ أن "فيه تنوعًا كبيرًا يشمل كل المعاني: اختلاط الماء بالماء ، والدماء والعروق ، والألوان بالألوان ، والمعادن من الأرض والهواء ، واختلاط المراحل عند التكوين ، ولم لا؟ ونحن نقر ونعترف بما أثبته العلم الحديث أن الحيوان المنوي الذي لا يرى بالعين يحمل في تكوينه صفات المولود الخَلْقية والخُلُقية الكثير والكثير، وكذلك بويضة المرأة، فإذا ما اختلطا حصل التخصيب، ونفدت إرادة الله التي مزجت هذا بذاك ، فكان ميراث صفات الأبوين معا ، كما أن توسط الشين للفعل يعنى: الانتشار بين صلب الرجل وترائب المرأة !، وفي هذا دلالة على قدرة الله"[3] .

ويذكر أكثر المفسرين أن المراد من كلمة الأمشاج: " أن الله – تعالى – جعل في النطفة أخلاطاً من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة" [4]. والكلمة بهذا اتفقت اشتقاقاً ودلالة بين اللغويين والمفسرين وبهذا تكون قد دلَّت على المراد علمياً ولغوياً وهذا ما عليه الواقع وما أكدته البحوث العلمية الحديثة؛ ولذا تفردت في السياق.

والكلمة عبَّرت عما يجري بالرحم خير تعبير، ومما تقدم فلها دلالات كثيرة من أخلاط وألوان وخصائص وعناصر وكلها تتماشى مع ما هي عليه في الرحم بعد دخولها إليه، وهذا يعنى أن " تلك النطفة وإن بدت في مرأى العين مجرد ماء ، هى في حقيقتها ماء مشوب بأشياء أخرى ، أودعتها فيه قدرة الخالق – جل وعلا –، كما أودعت في هذه البذرة، صورة الشجرة ولون زهرها، وطعم ثمرها.. كذلك هذه النطفة الأمشاج ، قد حملت في كيانها صورة الإنسان ، ولونه، ومستوى إدراكه، ومستودع عواطفه، ومشاعره، وكل ما يكون به إنسانا له ذاتيته التي يتميز بها عن غيره من

---

(١) الفراء.(1983م). **معاني القرآن**. مرجع سابق. ج3. ص214.

(٢) البغوي.(1420هـ). **معالم التنزيل**. مرجع سابق. ج8. ص292.

(٣) جامعة الإمام محمد بن سعود.(2007/9/2م). **من بلاغة القرآن في سورة الإنسان**. انظر موقع: www.uqu.edu.sa/page/ar/114393

(٤) الأندلسي.(1420هـ). **البحر المحيط**. مرجع سابق. ج10. ص358.

أبناء جنسه"[١] ؛ لذا تفردت في السياق. وفي سياقات أخرى عبر عن عملية الخلق بتعبيرات مختلفة فمرة يقول من ماء مهين، وأخرى من ماء دافق وأخرى من نطفة من مني يمنى....وهكذا ومع هذا فإن كلمة أمشاج هنا هي المناسبة لهذا السياق؛ لأن المقام مقام التذكير بنعمة الله على الإنسان بعدما كان لا شيء وصار شيئاً، أما المواضع الأخرى فأراد فقط التفكر والتدبر ومعرفة قدرة الله على الخلق والتكوين والإيجاد من العدم ثم مراحل العمر وكيفية الخلق والتكوين، والأمر هنا ليس بغرض العلم بقدر ما هو بغرض معرفة الحكمة من خلقه. وأخيراً فإن كلمة أمشاج تستعمل مفرداً وجمعاً كما هو الحال في كلمات كثيرة في القرآن، فنجد كلمة بشر، وطفل، وقفر تستعمل جمعاً ومفرداً، ولعل اختيار الجمع هنا لكثرة ما فيها من أخلاط وامتزاجات.

230- قَمْطَرِيرًا: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[٢]. وسياق الآية هو بيان وصْف من أوصاف يوم القيامة، وهو وصفه بالشدة والصعوبة.

والقمطرير: "الشديد، يقال: يوم قماطر وقمطرير أي: شديد، ويوم قماطر وقمطرير: مقبض ما بين العينين لشدته، وقيل: إذا كان شديداً غليظاً "[٣].

والقمطرير: وصف للعبوس بأنه عبوس بالغ الغرابة في شدته ، متناهٍ في صفته . ولفظ القمطرير، يحكى بجرسه ما يشبه هدير الرعد ، وقصف العواصف . فبناؤه اللفظيّ يجسّم أصدق صورة لمعناه. وكلمة (قمطريرا) من الألفاظ ذات الجرس الموسيقي الواردة في سياق الحوار الداخلي الذي تضمنته قصة الأبرار. لما كانت الغاية من هذا الحوار هي لفت انتباه السامع إلى ضرورة أن يكون العمل خالصاً لوجه الله – تعالى –، فقد علل النص القرآني هذه الضرورة بمخافة الله تعالى والسعي إلى تحصيل مرضاته، ومن أجل ذلك أورد في سياق النص ألفاظاً تعضد هذا المعنى وتعلله ومنها لفظة (قمطريرا) التي جاءت صفة ثانية ليوم القيامة بعد لفظة (عبوسا)، فكان من شأنها التعريف بذلك اليوم بعدما جيء به منكرًا؛ إذْ دلت بثقل أصواتها على ثقل ذلك اليوم وطوله[٤]. فلفظة قمطريرا تعني: الشديد، ولعل هذا المعنى ظاهر في نطقها فهي ذات أصوات تمتاز بالفخامة والشدة. (فالقاف)حرف قلقلة ذو صوت مهموس انفجاري [٥]يتناسب وفخامة الطاء المهموسة

---

(١) الخطيب،عبد الكريم.(2009/10/13م).**التفسير القرآني للقرآن**.انظر موقع:
www.al-eman.com/%d8%a7%d9%84%d9%83%d8%aa%d8%a7

(٢) سورة الإنسان، آية رقم:(10).

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج11.ص304.

(٤) قطب، سيد.(2002م).**مشاهد القيامة في القرآن الكريم**.مصر: دار الشروق.ط4.ص484.

(٥) الشيخ.(2004م).**مقدمة في علم الأصوات**. مرجع سابق.ص276.

الانفجارية[١]، لاسيما وأن (الميم) المجهورة واقعة بينهما ساكنة. فساعد ذلك في زيادة وضوحهما في السمع، ثم تلا ذلك سلسلة من الجهر المتواصل بين (الراء) المتكررة الجهر وانفتاحها على صوتي المد المجهورين (الياء والألف) فأسهم ذلك في إحداث تنوع إيقاعي متأرجح بين الانخفاض والارتفاع ولعله نتج عن طول النسيج المقطعي وصفة التوسط في صوت الراء بين الرخاوة والشدة[٢]، فكان لهذا التركيب الصوتي الذي تشكلت منه اللفظة أثر كبير في ايجاد ضرب من المسار الإيقاعي انسحب أثره على النص جميعه . واللفظة أيضاً تتكون من أربع مقاطع صوتية أدى إلى طول زمنها الصوتي عند النطق بها وهذا يتناسب مع طول يوم القيامة. و" بهذا نجد أن الجرس الصوتي لم يأت اعتباطاً في النص القرآني وإنما جاء بحسب الدلالة المتوخاة منه فكل جرس يستعمله الله – تعالى – في آية ما له رابط دلالي معين بتلك الآية ولذا تباينت الأجراس على أساس تباين الدلالات منها، ويبدو أن المسألة لا تتعلق بالدلالة فحسب و إنما تتعلق بالناحية الجمالية لنوع الجرس المختار لهذه الآية دون سواه فانتقاء الصوت له أثر كبير في نفس المتلقي على أساس تحسسه لطبيعة الصوت وما يتركه من فعل بالغ في تصوره وروحه معاً"[٣] .

وجاءت قمطرير على فعلليل وهي تدلّ على الشّدة. والآية تشي بمدى حب هؤلاء الناس الذين يخشون هذا اليوم للخير والصدقة وبرقة قلوبهم فهي"الرحمة الفائضة من القلوب الرقيقة الرفيقة، تتجه إلى الله تطلب رضاه. ولا تبتغي بها جزاء من الخلق ولا شكراً، ولا تقصد بها استعلاء على المحتاجين ولا خيلاء. كما تتقي بها يوماً عبوساً شديد العبوس، تتوقعه وتخشاه، وتتقيه بهذا الوقاء"[٤].

وإذا استعرضنا الآيات السابقة نجد أنه –تعالى– " قد ذكر عبادتين ظاهرتين هما الوفاء بالنذر والإطعام، وعبادتين قلبيتين هما الخوف من اليوم الآخر والإخلاص لوجه الله ، ونفى عنهم شيئين هما الجزاء والشكور، وذكر صنفين ممن يطعَمون هما صنف مسا لم (اليتيم والمسكين) وصنف محارب (الأسير)، وذكر صنفين من المسالمين هما المسكين واليتيم ، وأحدهما بالغ والآخر قاصر . وهذا من روائع القرآن"[٥] .

---

(١) السابق، ص250.

(٢) نفسه.ص346.

(٣) توفيق،خالد.(2011/8/19م).**دلالة الجرس والإيقاع**. انظر موقع:
www.qassimy.com/vb/showthread.php?t=442153

(٤) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج7.ص416.

(٥) السامرائي،فاضل.(2011/9/22م).**لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**.انظر موقع: www.mojtamai.com/books/almaktabah/d9%84%d9%85%d8%b3

231- زَمْهَرِيرا: ورد في قوله تعالى: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴾[١].
وسياق الآية هو الحديث عن جو الجنة المعتدل لا هو بارد ولا هو حار. والمعنى أن الجنة لا ترى فيها شمساً فتُؤْذَى بحرها ولا زمهريرا فَتُؤْذَى بشدة برده.

والزمهرير: "البرد وقيل:شدته"[٢]. ولا يستبعد أن تكون شدة البرد جزاء أليماً للكفار بسبب ما اقترفوه في دنياهم. ومن صور النعيم " أنهم في جلسة مريحة مطمئنة والجو حولهم رخاء ناعم، دافئ في غير حر، نديّ في غير برد. فلا شمس تلهب النسائم، ولا زمهرير وهو البرد القارس!ولنا أن نقول:إنه عا لم آخر ليست فيه شمسنا هذه ولا شموس أخرى من نظائرها"[٣].

والآية تنطوي على نوع لطيف من أنواع البديع وهو"الاحتباك"، وهو معروف عند البلاغيين، فهو عند الزركشي(794 هـ)من أقسام الحذف وقد سماه بالحذف المقابل وعرَّفه بقوله: "وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه "[٤]، ويقول عنه في شرح عقود الجمان "كلها من زيادتي، فمن أنواع البديع الاحتباك وهو نوع لطيف لم يتنبه له أحد من أهل هذا الفن ولا ذكره أصحاب البديعيات ولم نقف على أحد تعرض لذكره إلا رفيق الأعمى في شرح بديعيته ، وكنت تأملت قول الله تعالى(لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) وقولهم إن الزمهرير هو البرد أو القمر، قولان، فقلت لعل المراد به البرد، وأشير بالشمس إلى أنه لا حرّ فيها، فحذف من الأول الحر، ومن الثاني القمر، والتقدير لا شمس فيها ولا قمر ولا حر، ولا برد، وقلت في نفسي هذا نوع لطيف لكن لا أعرف في أنواع البديع ما يدخل فيه، ثم اجتمعت بصاحبنا العلامة برهان الدين البقاعي فذكر أن بعض شيوخه أفاده أن من أنواع البديع ما يسمى الاحتباك وهو أن تذكر جملتان في كل منهما متقابلان، وتحذف من كل ضد ما ذكر في الأخرى كقوله -تعالى- (فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) فحذف من الأول مؤمنة، ومن الثاني تقاتل في سبيل الشيطان، وقال لي لم أقف على من تعرض لهذا النوع ولم أره في كتاب، وقد ألفت فيه كراسة سميتها الإدراك، فلما طالعت شرح بديعية ابن جابر لرفيقه أحمد بن يوسف الأندلسي رأيته ذكره في أثناء كلامه استطرادا..."[٥].

---

(١) سورة الإنسان، آية رقم:(13).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3. 54، 55.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج7.ص416.

(٤) الزركشي.(1376/1957).**البرهان في علوم القرآن**. مرجع سابق.ج2.ص129.

(٥) السيوطي.(د.ت).**شرح عقود الجمان**.مرجع سابق.ص133.

والمدقق في حروف الكلمة يجدها معبرة تماماً عن حركة جسم الإنسان عند الإصابة بالبرد أو في جو يتسم بالبرودة ولم يأخذ فيها احتياطاته من ملبس ووسائل تدفئة، فتعاضدت حروفها مع وقع أجراسها وطريقة ترتيبها حتى لكأن من يراك عند نطقها يظن أنك مصاب ببرد من شدة تناسق حروفها ودلالتها التعبيرية على المعنى المطلوب؛ فتبدأ الكلمة بأزيز الزاي وهو يحدث من خلال اندفاع الهواء من الحنجرة إلى الخارج وفيه حركة ارتطام الفكين بعضهما البعض واصطدام الأسنان وهذا يكون مصاحباً للرعشة الجسدية التي تحدث عند الشعور بالبرد، ثم الميم وهي تحدث عند ضم الشفتين محاولاً من خلالها وقف هذا الارتطام الناتج من حركة الفكين المستمرة، ثم الهاء التي تسمعها بتوال وتكرار هـ هـ هـ هـ دافعاً بها متخلصاً مما في داخله من برودة وكأنها تخرج دفقات رعدية من جوفه، ثم الراء بحركتها المستمرة بلا توقف مع وصلها بالياء لتنطلق مرة أخرى بعد تكرارها مع وصلها بألف المد لتعطي مداً صوتياً يتناسب وطول فترة العذاب بالزمهرير، وللتأكيد على الحال الذي يكون فيه الشاعر بالبرودة من زفزفة وهزهزة ورجرجة وارتجاف، وهذا ما مثلته لنا حروف هذه الكلمة بأصوات حروفها ونغم جرسها؛ لذا تفردت في سياقها.

والشمس هي دليل النور، والزمهرير في اللغة هو البرد الشديد وقد قيل في لغة العرب أيضاً أنه هو القمر فإذا أخذنا في الاعتبار المعنى الأول للزمهرير تكون الآية بمعنى لا يرون فيها لا شمساً ولا قمراً وإذا أخذنا المعنى الآخر للزمهرير وهو البرد الشديد تكون الآية بمعنى لا يرون فيها دفئاً ولا برداً، والدفء يأتي من الشمس والزمهرير من البرد فنفى البرد والحرّ ونفى القمر في آن واحد، ولهذا اختار كلمة الزمهرير لأنها تجمع بين هذين المعنيين. ولو استعمل القمر بدل الزمهرير لأفاد معنىً واحداً فقط.

232- زَنْجَبِيلا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾[(١)]. وسياق الآية هو: الحديث عن أشربة أهل الجنة وطعمها.

والزنجبيلُ: "نبات من الفصيلة الزنجبارية ، له عروق غلاظ تضرب في الأرض ، حِرِّيفة الطعم ، وقد كانت العرب تحبه لأنه يسبب لذعاً في اللسان ، إذا مزج في الشراب "[(٢)]. وهي كلمة: " معربة وأصلها بالكاف الأعجمية عوض الجيم. قال الجواليقي والثعالبي: هي فارسية، وهو اسم لجذور مثل جذور السُّعْد بضم السين وسكون العين تكون في الأرض كالجَزَر الدقيق واللفت الدقيق لونها إلى البياض لها نبات له زهر، وهي ذات رائحة عِطرية طيبة وطعمها شبيه بطعم الفُلفل، وهو ينبت

(١) سورة الإنسان، آية رقم:(17).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ج1.ص25.

بلاد الصين والسند وعُمان والشحر، وهو أصناف أحسنها ما ينبت ببلاد الصين، ويدخل في الأدوية والطبخ كالأفاويه ورائحته بهارية وطعمه حريف. وهو منبه ويستعمل منقوعاً في الماء ومربى بالسّكر. وقد عرَّفه العرب وذكره شعراء العرب في طيب الرائحة. أي يمزجون الخمر بالماء المنقوع فيه الزنجبيل لطيب رائحته وحسن طعمه "[١]. وعلة اختيار السياق للزنجبيل؛ لأنه كان من مشروباتهم المفضلة والمحببة لنفوسهم؛ "وكان الشراب الممزوج به أطيب ما يستطيب العرب وألذ ما تستلذ به لأنه يحذو اللسان ويهضم الطعام "[٢]. ويضيف الرازي كلاماً عن علة اختيار السياق له قائلاً: " العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في المشروب؛ لأنه يحدث فيه ضرباً من اللذع فلما كان كذلك وصف الله شراب أهل الجنة بذلك، ولابد وأن تكون في الطيب على أقصى الوجوه قال ابن عباس وكل ما ذكره الله تعالى في القرآن مما في الجنة فليس منه في الدنيا إلا الاسم "[٣].
والملاحظ من بناء الفعل يسقون للمفعول دلالة على التجهُز والاستعداد لهم من خدم وحشم يقدمون لهم هذه الأشربة، بل لا يبذلون أي مجهود يذكر لأن هناك من يقوم بالخدمة. وهذا من النعيم المقدم إليهم.

233– كِفَاتاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾[٤]. وسياق الآية هو: الحديث عن التذكير بنعم الله – عز وجل– الكثيرة، ومنها الأرض وحفظها للإنسان حياً وميتاً.
يقول ابن فارس: " (كفت) الكاف والفاء والتاء أصلٌ صحيح ، يدلُّ على جَمْعٍ وضمّ . من ذلك قولهم: كفَتُّ الشَّيءَ، إذا ضممتَه إليك.. يقول: إنَّهم يَمشُون عليها ما دامُوا أحياءً ، فإذا ماتُوا ضمَّتهم إليها في جَوْفها"[٥]. والكفات: الموضع الذي يضم فيه الشيء ويجمع ومنه الآية، وكفات الأرض: ظهرها للأحياء وبطنها للأموات...والمعنى: أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم، وتضم الأموات في بطنها أي تحفظهم وتحرزهم" [٦]. وتأسيساً على المعنى الاشتقاقي فإن الأرض تكفت الإنسان وجميع ما يتعلق به ويحتاجه من مأكل ومشرب، لأن كل ذلك يخرج من الأرض، بل ما يخرج منه وينتج عنه فهي ضامَّة له وحافظة أيضاً والأبنية الجامعة

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16. ص50.
(٢) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج16.ص343.
(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج20.ص220.
(٤) سورة المرسلات، آية رقم:(25).
(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص190.
(٦) الفراء.(1983م).**معاني القرآن**. مرجع سابق..ج3.ص224.

للمصالح الدافعة للمضار مبنية منها؛ لذا كانوا يسمون الأرض بـ (الأم) لأنها في ضمها للناس كالأم التي تضم ولدها وتكفله[١].

والكلمة لا يغني غيرها مكانها فهي كالوعاء قابل لجميع ما يوضع فيه وضمه جميعاً وحفظه، فهي فعلاً حاوية للأنهار والبحار، وضامة للنباتات والأشجار، وحاملة للجبال والهضاب، وخازنة للبترول والآبار، ومستودع للكنوز والأسرار بكل الأصناف والأنواع، وأخيراً تكون مقبرةً له ولرفاته بعد وفاته. وهذا ما دلت عليه الكلمة واقعاً في دنيا الناس وما نراه حولنا في الحياة، فاتسقت مقاما وحالاً. ولقد سيقت في استفهام استنكاري، للتعجيز ولفت النظر وحصر نعم الله علينا.

234- شَامِخَات: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾[٢].

وسياق الآية هو: الحديث عن الأرض وما جعله الله فيها من جبال عالية وهذا من قبيل نعم الله على الناس. يقول ابن فارس: "(شمخ) الشين والميم والخاء أصلٌ صحيح يدل على تعظُّم وارتفاع . يقال جَبَلٌ شامخٌ، أي عالٍ"[٣]. والجبال الشوامخ "هي الشواهق، وشمخ الجبل يشمخ شموخاً: علا وارتفع....وجبل شامخ وشماخ: طويل في السماء" [٤]. أي هذه الجبال ثابتات سامقات، تتجمع على قممها السحب، وتنحدر عنها مساقط الماء العذب . وتنوين شامخات للتعظيم لِدلالة ذلك على عظيم القدرة.، لئلا تميد الأرض بأهلها. والكلمة هنا لم يغن غيرها مكانها من مثل:(عاليات- مرتفعات- سامقات)؛ لأن الشموخ فيه دلالة إظهار عظيم قدرة الله، وهي تشمل كل هذه الدلالات مع زيادة في الطول والهيبة والقوة والعظمة، وجاء تنكيرها للتعظيم، وعلى الرغم من ارتفاعها الشاهق إلا أنها راسية وثابتة وراسخة ومتجذرة في الأرض.

235- وَهَّاجا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾[٥]. والآية في سياق بيان قدرته- تعالى- والحديث عن عجائب مخلوقاته ومنها الشمس فلقد خلقها جامعة بين النور والحرارة.

---

(١) للمزيد ينظر:الزمخشري.(1424/2003).**الكشاف**. مرجع سابق.ج4.ص203.

(٢) سورة المرسلات، آية رقم:(27).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص212.

(٤) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج1.ص425.

(٥) سورة النبأ، آية رقم:(13).

يقول ابن فارس: "(وهج) الواو والهاء والجيم:كلمةٌ واحدة، وهي الوَهَج:حَرُّ النَّار وتَوقُّدُها. ويُستعار ذلك فيقال: تَوهَّجَ الجوهرُ: تلألأ. وتوهَّجَتْ رائحةُ الطِّيب ووَهَج الطِّيب: أرَجُه ورائحتُه. وسراجٌ وَهَّاجٌ: وَقَّادٌ. وكذلك نَجْمٌ وَهَّاج. "[١]. والسِّراج الوهَّاج: "يعني الشمس، والوهج حصول الضوء، ووهاجاً: مضيئاً وقاداً"[٢]. وجعل الله الشمس سراجًا منيرًا متلألئًا بالغًا الغاية في الضياء والحرارة؛ لتنتفع بها الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض . والكلامُ على التشبيهِ البليغ والغرض من التشبيه تقريب صفة المشبّه إلى الأذهان ، وزيد ذلك التقريب بوصف السراج بالوهّاج، أي الشديد السَّنا. ويطلق الوهاج على المتلألىء المضيء وهو المراد هنا لأن وصف وهاج أُجريَ على سراج، أي سراجاً شديد الإضاءة، ولا يقال: سراج ملتهب؛ ولذلك أوثر فعل: (جعلنا)دون: خلقنا، لأن كونها سراجاً وهّاجاً حالة من أحوالها وإنما يعلق فعل الخلق بالذوات "[٣]. قال الراغب: "الوَهجُ حصول الضوء والحرِّ من النار. وفي «الأساس» عَدَّ قولَهم: سراج وهاج في قسم الحقيقة. وعليه جرى قوله في «الكشاف»: «متلألئاً وقَّاداً. وتوهجت النار، إذ تلمظت فتوهجت بضوئها وحرّها"[٤] فإذن يكون التعبير عن الشمس بالسراج في هذه الآية هو مَوقع التشبيه. والكلمة تفردت هنا في هذا السياق لأن السراج لا يوصف إلا بالوهاج واشتهر به ووهاج هي أعلى درجات الضوء والنور وهذا هو واقع الشمس حقيقةً؛ لذا تفردت هنا في هذا السياق، ومع القمر قال الله في شأنه:سراجاً منيرا فلأنه بدون وهج ولا حرارة؛ لذا ناسبه المنير، أما الشمس فضوؤها شديد وفيها حرارة؛ لذا ناسب أن يقول وهاجاً. "وفي السراج توقد وحرارة وضوء.. وهو ما يتوافر في الشمس. فاختيار كلمة«سراج »دقيق كل الدقة ومختار "[٥]. وجاءت الكلمة على وزن فعّال للمبالغة وإظهار مدى شدة توهجها وحرارتها. وروى الرازي في تفسيره نقلاً عن الكلبي قائلاً:" وروى الكلبي عن ابن عباس أن الوهاج مبالغة في النور فقط، يقال للجوهر إذا تلألأ توهج، وهذا يدل على أن الوهاج يفيد الكمال في النور "[٦].

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج6.ص113.
(٢) الفراء.(1983م).**معاني القرآن وإعرابه**. مرجع سابق.ج5.ص272.
(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتوير**. مرجع سابق.ج16.ص113.
(٤) الأصفهاني.(1412هـ).**مفردات ألفاظ القرآن**. مرجع سابق..ج2.ص542.
(٥) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج7.ص436.
(٦) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج1.ص4642.

236- **ثَجَّاجا**: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾[١]. والآية في سياق بيان قدرته- تعالى- والحديث عن عجائب مخلوقاته، ومنها إنزال الماء من السماء. يقول ابن فارس: "(ثج) الثاء والجيم أصلٌ واحد، وهو صبُّ الشيء. يقال ثَجَّ الماءَ إذا صَبَّه؛ وماءٌ ثَجّاجٌ أي صَبّابٌ"[٢]. والثج: "الصبّ الكثير، وخص بعضهم به صب الماء الكثير" [٣]. وقال الطبري: "ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة: الثج، وإنما الثج: الصب المتتابع"[٤]. و يقال إن الزيادة في المبنى تعطي زيادة في المعنى فإن الكلمة تشعرك بأنه ثج من بعده ثج من خلال تكرار المقطع الأخير من جا جا.ففيها توالٍ وتتابع وكثرة للصبّ والدفق للمياه . ومما سبق يتبين لنا أن الكلمة تعني السيلان والصبّ عند اللغويين، وهي كذلك عند المفسرين: فقوله: "ماء ثجاجا"شديد الانصباب أو منصباً بكثرة. و (مَاءً ثَجَّاجًا)أي صبابًا، وقال مجاهد: مدرارًا. وقال قتادة: متتابعًا يتلو بعضه بعضًا. وقال ابن زيد: كثيرًا"[٥]. واستناداً إلى هذا فإن الكلمة تنطوي على كثير من الدلالات وكل هذا يخدم الغاية من إثباتها هنا. وجاء الوصف للماء هنا بثجاج على وزن فعال للمبالغة وهي توحي بكثرة الماء المنصب.

والكلمة هنا لايغني غيرها مكانها فالمقام مكرر في القرآن ولكن لكل خصوصيته فمثلاً وردت في سورة الجن فقال: "لأسقيناهم ماء غدقا"؛ لأن المقام مقام إغراء وتحفيز للعبادة وهم لا يحتاجون إلى ماء يوصف بالكثرة ، بل إلى ماء يوصف بالبركة والنفع والخير، وماء فراتا في سورة المرسلات أي عذبًا حلواً لأن الحديث عن نوعية الماء ودرجة جودته، أما هنا في هذا السياق فالحديث عن الماء بالكثرة والسيلان؛ لأن الغرض منه ليس الشرب والسقاء بل لإنبات الحب والشجر وجنات كثيرة ذات أغصان وثمر؛ لذا كان التعبير بالثجاج مناسب للحال ومتسق مع الهدف والغاية. ولهذا تفردت هنا. " ووصف الماء هنا بالثّجاج للامتنان. وقد بينت حكمة إنزال المطر من السحاب بأن الله جعله لإنبات النبات من الأرض جمعاً بين الامتنان والإيماء إلى دليل تقريب البعث ليحصل إقرارهم بالبعث وشكر الصّانع "[٦]. والآية تنطوي على إعجاز علمي

---

(١) سورة النبأ، آية رقم:(14).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج1. ص467.

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج2.ص85.

(٤) الطبري،ابن جرير.(2002/1423).**جامع البيان في تأويل القرآن**.بيروت: دار ابن حزم.ج24.ص155.

(٥) البغوي.(1420م).**معالم التنزيل**. مرجع سابق.ج8.ص313.

(٦) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج16.ص115.

يتجلى في الآتي: "عندما تحدث ظاهرة البرق ، ويتم التفريغ الكهربي في الجو ، فإن ومضات البرق المتقاربة يصل طول الواحدة منها الي الميل وتتفاوت فترات ومضها بين 0002, . ثانية وثانية واحدة، ونتيجة لحدوث البرق يتمدد الهواء بصورة فجائية ، فيندفع الهواء المجاور ليحل محله محدثا أصواتا شديدة هي الرعد الذي قد تستمر الموجة الواحدة منه إلي عدة ثوان ، ويصاحب حدوث العواصف الرعدية عادة سقوط أمطار ذات قطرات كبيرة ، وقد تصاحب بحبات البرد وبللورات الثلج التي قد تصل إلي الأرض متجمدة ، وقد تنصهر إلي قطرات مائية كبيرة قبل وصولها إلي الأرض . من هذا الاستعراض يتضح بجلاء أن المعصرات هي مجموعة من السحب الطباقية والركامية التي تشحن شحناً كبيراً ببخار الماء وقطراته، والتي تحدثها الأعاصير المدارية... والتي تجعل هذه السحب الطباقية والركامية المشبعة بالماء(المعصرات)مهيأة لإسقاط المطر الغزير(الثجاج)والذي قد يستمر في السقوط إلي عدة أيام دون انقطاع . فسبحان الذي أنزل من قبل أربعة عشر قرناً قوله الحق: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا)، أنزلها علي نبي أمي – صلي الله عليه وسلم –، وفي بيئة صحراوية لم تشاهد شيئاً من تلك المعصرات .... وإن دلت هذه الدقة العلمية المبهرة التي صيغت بها هذه الآية القرآنية الكريمة علي شيء فإنها تنطق بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وتشهد بالنبوة لسيدنا محمد – صلي الله عليه وسلم – "[1].

237– دِهَاقا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[2]. وسياق الآية هو الحديث عن نعيم المتقين الفائزين من حدائق وبساتين، ونساء كواعب وكئوس وشراب. يقول ابن فارس: " (دهق) الدال والهاء والقاف يدلُّ على امتلاءٍ في مجيءٍ وذَهاب واضطراب . يقال أدْهَقْتُ الكأسَ: ملأتُها"[3]. وكأس دهاق: مترعة ممتلئة، وقيل معنى دهاقاً: متتابعة على شاربيها من الدهق الذي هو متابعة الشد، وقيل دهاقاً صافية"[4]. والدهاق وصفت به الكأس للمبالغة فى امتلائه، لتطمئن لتطمئن وتأمن النفس وترتاح، فعند تقديم الشراب في كأس مملوءة تفرح بها النفس وينشرح بها الصدر، والعكس صحيح؛ لذا وصفها بالدهاق، وخاصة أن الشراب عزيز وغالٍ وليس باليسير الحصول عليه وهو الخمر. والآية فيها ترتيب عجيب من النِّعَم يناسب تماما ما كانت تتوق إليه

---

(١) النجار،زغلول.(2010/5/19). **من أسرار القرآن الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمية** http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title. تاريخ الزيارة:2013/3/13.

(٢) سورة النبأ، آية رقم:(34).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج2.ص307.

(٤) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق. ج4.ص1478.

نفس الرجل في البيئة العربية فكلٌّ منهم كان يتمنى أن يكون له بستان يجلب عليه أموالاً من بيع ثماره ومرتعاً يقضي فيه أيام الصيف بعيداً عن القيظ، ثم امرأة فيها نضارة يستمتع بها ويقضي معها لياليه ويأنس بها، ثم شراب بارد يرتوي منه ويتلذذ به. ولم يزد عليها، فكأن هذا هو جُلُّ نعيمه مع الاختلاف لما تكون عليه في الآخرة. وهي نِعَم ظاهرها حسي، لتقريبها للتصور البشري. أما حقيقة مذاقها والمتاع بها في الآخرة فلا يدركها أهل الأرض . وقد استعملت العرب هذا المركب(كأس دهاق)وجري مجرى المثل، فلقد نقل ابن عاشور في تفسيره: " عن عكرمة أنه قال: قال ابن عباس: سمعتُ أبي في الجاهلية يقول: اسْقِنَا كأساً دِهاقاً، ولذلك أفرد كأساً، ومعناه مملوءة خمراً، أي دون تقتير"[1]. وفي الكلمة دلالات وأقوال متباينة منها " الأول وهو قول أكثر أهل اللغة اللغة كأبي عبيدة والزجاج والكسائي والمبرد و دِهَاقاً أي ممتلئة دعا ابن عباس غلاماً له فقال اسقنا دهاقاً فجاء الغلام بها ملأى فقال ابن عباس: هذا هو الدهاق قال عكرمة ربما سمعت ابن عباس يقول اسقنا وادهق لنا. القول الثاني: دهاقاً أي متتابعة وهو قول أبي هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد قال الواحدي : وأصل هذا القول من قول العرب أدهقت الحجارة إدهاقاً وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض ذكرها الليث والمتتابع كالمتداخل القول . الثالث: يروى عن عكرمة أنه قال دِهَاقاً أي صافية والدهاق على هذا القول يجوز أن يكون جمع داهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكأس الخمر قال الضحاك كل كأس في القرآن فهو خمر التقدير وخمراً ذات دهاق أي عصرت وصفيت بالدهاق "[2]. وجلسات السمر مع النساء لا تخلو من طعام وشراب؛ لذا قال البقاعي هنا: "ولما ذكر النساء ذكر الملائم لعشرتهن فقال: (وكأساً) أي من الخمر التي لا مثلي لها في لذة الذوق ظاهراً وباطناً وكمال السرور وإنعاش القوى. ولما كانت العادة جارية بأن الشراب الجيد يكون قليلاً، دل على كثرته دليلاً على جودته بقوله: (دهاقاً) أي ممتلئة"[3]. وعلى ما تقدم فقد تفردت الكلمة في سياقها ولم تغن غيرها مكانها.

238- نَشْطاً: ورد في قوله تعالى:﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴾[4]. وحديث الآية عن الملائكة وما تقوم به من أعمال مع الخلائق من قبض للأرواح، وسرعة تنفيذ أوامر الله – عز وجل-.

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص129.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج31.ص19.

(٣) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص304.

(٤) سورة النازعات، آية رقم:(2).

يقول ابن فارس: "(نشط)النون والشين والطاء:أصلٌ صحيح يدلُّ على اهتزازٍ وحركة. منه النّشاط معروفٌ وهو لما فيه من الحركة والاهتزاز والتَّفتُّح"[١]. والناشطات من النَّشْط، وهو السرعة في العمل، والخفة في أخذ الشيء، "ومنه الأنشوطة، للعقدة التي يسهل حلها"[٢].

وقد كثر كلام المفسرين حول مدلول هذا اللفظ فقالوا: " {وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا هي الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي تحل حلا رفيقًا فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي يحل برفق، حكى القَّراء هذا القول ، ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنْشَطْتُ العقال، إذا حللته، وأنشطته: إذا عقدته بأنشوطة. وفي الحديث: "كأنما أُنْشِط من عقال"، وعن ابن عباس: هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت. وقال علي بن أبي طالب: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغم، والنَّشْط: الجذب والنزع، يقال:نشطت الدلو نشطًا إذا نزعتها قال الخليل: النشط والإنشاط مَدُّك الشيء إلى نفسك، حتى ينحل . وقال مجاهد: هو الموت ينشط النفوس. وقال السدي: هي النفس تنشط من القدمين أي تجذب. وقال قتادة: هي النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي تذهب ، يقال: نشط من بلد إلى بلد ، إذا خرج في سرعة ، ويقال: حمار ناشط، ينشط من بلد إلى بلد"[٣].

وكأن الأقرب لـلصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله – جل ثناؤه – أقسم بالناشطات نشطا، وهي التي تنشط من موضع إلى موضع فتذهب إليه ، ولم يخصص الله بذلك شيئا دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات والملائكة تنشط من موضع إلى موضع ، وكذلك الموت وكذلك النجوم. ويلاحظ أن الأكثرية على أنها الملائكة كما قال ابن كثير وابن الجوزي وهو أقرب. ولعل الحكمة من تركها مبهمة دون تحديد موصوفها؛ لتذهب أفهام السامعين كلَّ مذهب ممكن، فتكثر خطور المعاني في الأذهان، وتتكرر الموعظة والعبرة باعتبار وقْع كل معنى في نفس السامع أو القاريء لها، ففيها أشدُّ وقْع وذلك من وفرة المعاني مع إيجاز الألفاظ.

وكأن هناك ارتباطاً بين المقسم والمقسم عليه، وهذا ما يقوله السعدي: " ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحدان ، وأنه أقسم على الملائكة ؛ لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده ،

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص426.

(٢) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج6. ص4428.

(٣) البغوي.(1420هـ).**معالم التنزيل**. مرجع سابق. ج8.ص324.

فقال:{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا}، وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة ، وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح ، فتجازى بعملها .{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا}وهم الملائكة أيضا ، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط ، أو أن النزع يكون لأرواح الكفار، والنشط لأرواح المؤمنين"[١]. والسياق في هذه الآيات: "يمهد لها بمطلع غامض الكنه يثير بغموضه شيئاً من الحدس والرهبة والتوجس. يسوقه في إيقاع موسيقي راجف لاهث، كأنما تنقطع به الأنفاس من الذعر والارتجاف والمفاجأة والانبهار:{والنازعات غرقاً. والناشطات نشطاً. والسابحات سبحا}"[٢]. والآيات فيها توال وترتيب وتدرج من النزع ثم النشاط ثم السباحة في الملكوت ثم السبق إلى القدس الأعلى، وهكذا حتى تصل إلى رجف الراجفة ثم القيامة.

والكلمة لا يغني غيرها مكانها، وتأسيساً على ما قاله الآلوسي [٣]في تفسيره، فإن النازعات هي ملائكة العذاب تأتي تنزع الروح بقوة وشدة، فكان لابد من ذكر الناشطات التي هي ملائكة الرحمة التي تأخذ روح المؤمن برفق ولين ويسر وسهولة. فتنشط الروح للخروج لفرحتها بما ينتظرها فهي أحرص للخروج لملاقاته. وهنا في الآية التي قبلها ذكر نوعاً واحداً من السل والأخذ وهو نزع الروح بالشدة والقوة، فكان لابد من ذكر النوع الثاني وهو النشط بالرفق واللين

239- نَخِرَة: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾[٤]. وسياق الآية هو الحديث عن إنكار الكفار البعث والنشور، وأسئلتهم التشكيكية الاستنكارية حول ذلك.

و نَخِر:بَلِيَ ورم، ونَخِرَت الشجرة: أي بَليت حتى سُمِع فيها نخير الريح ، والعظام النخرة العظام البالية. "[٥]، ويقال: "نخر العظم والشيء:بلي وتفتت ورمّ" [٦]. والمعنى أنه بعدما تصبح العظام بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شئ من الحياة. و(نخرة) صفة مشتقة من قولهم: نَخِر العَظْم، وهي أصلب البدن فكيف بما عداها من الجسم. ونخرة جاءت على صيغة المبالغة أو الصفة المشبه وهذا أبلغ من لو قال الناخرة؛ لأنها أمكن في الثبوت والاستمرار من اسم الفاعل. وتأنيث (نخرة)؛ لأن موصوفه جمع تكسير. "وهذا الاستفهام إنكاري مؤكد للاستفهام الأول للدلالة الذي قبله

---

(١) السعدي.(1420/2000).**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. مرجع سابق.ج1.ص908.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج7.ص440.

(٣) الآلوسي.(1415هـ). **روح المعاني**. مرجع سابق.ج30.ص24.(بتصرف).

(٤) سورة النازعات، آية رقم:(11).

(٥) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ص49.

(٦) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج2.ص824.

على أن هذه الحالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت، فهما إنكاران لإظهار شدة إحالته"[١].

والتعبير بالعظام النخرة أدق من لو قال الجلود؛ لأنها أقوى شيء في أجزاء الجسم وأشدها فإذا صارت هي هكذا فكيف بما سواها وهذا كله يخدم هدف الكفار من التدليل على عدم فرضية الحياة مرة أخرى. وعلى الرغم من تكرار كلمة العظام في القرآن إلا أن وصفها يتغير حسب المقام والسياق، ففي موقع آخر قال: يحي العظام وهي رميم؛ لأنه يتحدث عن الإحياء فناسب أن يقول رميم، أما هنا فالأمر متعلق بالبعث والنشور لذا ناسب أن يقول نخرة حتى تتماشى مع غرض الكفار من إثبات استحالة البعث مرة أخرى. والكلمة توحي بمدى التفتت والزوال والانتهاء والتمزق الذي عليه الجسم فكيف ستكون الاستعادة لبعث أو نشور، فقد ناسبت السياق وما رمى إليه من أن الكفار جاءوا بأشد وأقسى وصف للعظام والذي ليس بعده شيء من الهلاك.

والكلمة جاءت في أسلوب استفهامي استنكاري، والسياق عرض سؤالهم هنا من أجل توبيخ صنيعهم والتقليل من شأنهم وهذا هو الحال في الواقع عندما يسأل أحد الناس أو الطلاب سؤالاً ماكان ينبغي أن يُسأل مثله، فيقوم المسئول بعرضه مرة أخرى من باب التهكم والسخرية وهذا هو شأن القرآن مع أمثال هؤلاء. وعليه فقد اتضح سر تفرد الكلمة هنا دون غيرها.

240- السَّاهِرَة: ورد في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾[٢]. والآية في سياق الرد على منكري البعث..

يقول ابن فارس: "(سهر) السين والهاء والراء معظم بابه الأرَق ، وهو ذَهاب النوم. يقال سَهَرَ يَسْهَرُ سَهَراً. ويقال للأرض: السّاهرة، سمِّيت بذلك لأن عملها في النَّبت دائماً ليلاً ونهاراً . ولذلك يقال: "خَير المالِ عينٌ خَرّارة، في أرض خوَّارة، تَسْهَرُ إذا نِمتَ، وتشهَد إذا غِبْتَ"[٣].

"والساهرة: الأرض المستوية البيضاء التي لا نبات فيها يُختار مثلُها لاجتماع الجموع ووضْعِ المغانم. وأريد بها أرض يجعلها الله لجمع الناس للحشر، وقيل: هي الأرض التي لا ينام سالكها بسبب الخوف "[٤]. والإتيان ب(إذا) الفجائية للدلالة على سرعة حضورهم بهذا المكان عقب البعث. وعطفها بالفاء لتحقيق ذلك المعنى الذي أفادته (إذا)؛ لأن الجمع بين المفاجأة والتفريع

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص146.

(٢) سورة النازعات، آية رقم:(14).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3. ص108.

(٤) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**. مرجع سابق.ص28.

أشد ما يعبر به عن السرعة مع إيجاز اللفظ. والمعنى: " إن الله يأمر بأمر التكوين بخلق أجسادٍ تحلّ فيها الأرواح التي كانت في الدنيا فتحضر في موقف الحشر للحساب بسرعة "[١].

واتفق كثير من المفسرين على سبب تسمية أرض المحشر بتلك التسمية فقالوا"لأن السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة يعنى أن بياض الأرض عبارة عن خلوها عن الماء والكلأ شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة، وقيل لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة يقال سهر كفرح لم ينم ليلا، أو هى جهنم لأن أهلها لا ينامون فيها، أو كأنه مقلوب الصاد سينًا من صهرته الشمس أحرقته وقال الراغب:حقيقتها الأرض التى يكثر الوطء بها كأنها سهرت من ذلك، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس "[٢]. وعليه فإن للكلمة دلالات كثيرة ومعان متعددة كلها تصب في خدمة السياق وتحقيق المراد، وبالتالي تفردت في سياقها ولم يغن غيرها مكانها.

241- سَمْكَهَا: ورد في قوله تعالى: ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾[٣]. وسياق الآية هو الحديث عن عجائب خلق الله في معرض الاستنكار على الكافرين كفرهم وعدم اعتبارهم بمخلوقات الله العجيبة من مثل السموات وارتفاعها وعجيب خلقها.

يقول ابن فارس: "(سمك)السين والميم والكاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على العُلُوّ. يقال سَمَك، إذا ارتفَعَ. والمسموكات:السماوات"[٤]. وفي هذا المعنى يقول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ[٥]

وسمك الله السماء سمكاً: رفعها، والسمك: السقف، وقيل: هو من أعلى البيت لأسفله"[٦]. " وقال آخرون بل المراد رفع سمكها من غير عمد وذلك مما لا يصح إلا من الله تعالى"[٧]. والكلمة توحي بشدة العلو؛ حتى ذكر المفسرون أن ما بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام؛ حيث جعل الله -سبحانه وتعالى- سقفها مديداً رفيعاً، ولا عجب في ذلك

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص148.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج31.ص35.

(٣) سورة النازعات، آية رقم:(28).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص102.

(٥) الفرازدق،همام بن غالب.(1407/1987).**ديوان الفرزدق**.علي فاعور(محقق).بيروت: دار الكتب العلمية.ج2.ص209.

(٦) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**. مرجع سابق.ج13.ص585، 586.

(٧) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج31.ص43.

فالصانع والخالق هو الله الذي أحسن كل شيء خلقه. والكلمة لا يغني غيرها مكانها من مثل: (طول-ارتفاعها- قدرها- مكانها- مكانتها)فهي تشتمل على كل هذا وفوق ذلك فهي تنطوي على العلو قدرًا ومنزلةً ومكانةً، والعلو ارتفاعًا ومكاناً. لذا تفردت في سياقها. والإتيان بالفعل رفع وهو مرادف للسمْك وتعديته إلى «السمك» " للمبالغة في الرفع، أي رَفَعَ رفْعَهَا أي جَعله رفيعاً "[1].

وهنا كلام لصاحب الظلال يحسن نقله، يقول: " هذه السماء الأشد خلقاً بلا مراء..{بناها}.. والبناء يوحي بالقوة والتماسك، والسماء كذلك. متماسكة. لا تختل ولا تتناثر نجومها وكواكبها. ولا تخرج من أفلاكها ومداراتها، ولا تتهاوى ولا تنهار. فهي بناء ثابت وطيد متماسك الأجزاء.{رفع سمكها فسواها}وسمك كل شيء قامته وارتفاعه. والسماء مرفوعة في تناسق وتماسك. وهذه هي التسوية:{فسواها}والنظرة المجردة والملاحظة العادية تشهد بهذا التناسق المطلق. والمعرفة بحقيقة القوانين التي تمسك بهذه الخلائق الهائلة وتنسق بين حركاتها وآثارها وتأثراتها، توسع من معنى هذا التعبير، وتزيد في مساحة هذه الحقيقة الهائلة، التي لم يدرك الناس بعلومهم إلا أطرافاً منها، ووقفوا تجاهها مبهورين، تغمرهم الدهشة، وتأخذهم الروعة، ويعجزون عن تعليلها بغير افتراض قوة كبرى مدبرة مقدرة، ولو لم يكونوا من المؤمنين بدين من الأديان إطلاقاً!"[2].

242- الطَّامّة: ورد في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[3]. وسياق الآية هو الحديث عن أحداث القيامة وما يصاحبها من أهوال وتذكر الإنسان ما فعله في دنياه. يقول ابن فارس: "(طم) الطاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تغطيةِ الشَّيءِ للشَّيءِ حتى يسوّيهِ به، الأرض أو غيرها. من ذلك قولهم طمَّ البئر بالتراب: ملأها وسَوَّاها"[4]. والطامة: "القيامة تطم على كل شيء"[5]. وإليه ذهب الزجاج: "الطامة هي الصيحة التي تطم على كل شيء. وتسمى الداهية التي لا يستطاع دفعها: طامة. قال الطبرسي(ت:548هـ): وهي القيامة لأنها تطم كل داهية هائلة، أي تعلو وتغلب، ومن ذلك قيل: ما من طامة إلا وفوقها طامة، والقيامة فوق كل طامة،

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص157.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج7.ص446.

(٣) سورة النازعات، آية رقم:(34).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص407.

(٥) الفراء.(1983م).**معاني القرآن**. مرجع سابق.ج3.ص234.

فهي الداهية العظمى"[١]. ويعلل د/الصغير لسبب اختيار الطبرسي لتفسير الطامة بالداهية قائلاً: "ولعل اختيار الطبرسي للداهية في تفسير الطامة باعتبارها داهية لا يستطاع دفعها، ولأن القيامة تطم كل داهية هائلة، لا يخلو من وجه عربي أصيل، فالعرب استعملت الطامة في الداهية العظيمة تغلب ما سواها، وأية داهية أعظم من القيامة لا سيما وهي توصف هنا بالكبر ى"[٢]. ومن هنا فليس هناك شيء يعلو الطامة، ومع هذا الطمم فإن الإنسان يتذكر كل ما فعل ولا ينسى قط مع هذه الظروف التي تذهل الأم عن رضيعها. ووصف القيامة بهذا الوصف" يؤذن بالشدة والهول؛ إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة ثم بُو لِغ في تشخيص هولها بأن وصفت"بالكبرى"فكان هذا أصرح الكلمات لتصوير ما يقارن هذه الحادثة من الأهوال"[٣].

والمدقق في الكلمة يجدها من الكلمات ذات الم قاطع الصوتية المغرقة في الطول والمد والتشديد، بالرغم من ندرة صيغة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعدّ بالأصابع، فإننا نجد القرآن الكريم يستع م ل أفخمها لفظاً، وأعظمها وقعاً؛ فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدّتها، لتستنتج من ذلك أهميتها في موقعها وضرورتها في السياق التي ترد فيه. وهذه الصيغة بخصوصيتها الصوتية وطريقتها التركيبية تمتاز باصطكاك السمع بصداها المدوي، وبتفاعل الوجدان معها مترقباً: الأحداث، والمفاجآت، والنتائج المجهولة. والطامة ومن على شاكلتها مثل: (الصاخة- الحاقة..) كلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع، كل ذلك مما يؤكد مجموعة العلاقات القائمة بين اللفظ ودلالته في مثل هذه العائلة الصوتية الواحدة، فإذا عرفنا أنها في القرآن لها معنى محدد، وهو يوم القيامة، تأكدنا من شدة الاتساق، والتوافق والانسجام بين الشدة الصوتية والشدة الدلالية بين صوت الكلمة ومعناها الحقيقي. فسياقها عن أهوال وفظائع القيامة وبالتالي لابد من أن يكون الصوت صارخاً وشديداً وجهورياً وقوياً ليتسق وما يراه الرائي في هذه الأثناء؛ لذا تفردت هنا هذه الكلمة ولم يغن غيرها مكانها.

243- قَضْباً: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾[٤]. وسياق الآية هو:الحديث عن كثرة نعم الله- عز وجل- على الإنسان وتذكيره بها.

---

(١) انظر:اللسان. ج15.ص263، الطبرسي، مجمع البيان. ج5.ص433، 434.

(٢) الصغير، محمد أحمد. الصوت اللغوي في القرآن.ص168، 170.

(٣) التحرير والتنوير. ج30.ص90.

(٤) سورة عبس، آية رقم:(28).

يقول ابن فارس: "(قضب) القاف والضاد والباء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قطْعِ الشَّيء. يقال: قَضَبْتُ الشيءَ قَضْبا، وكان الرسول- صلى الله عليه وسلم- إذا رأى التَّصليب في ثوبٍ قَضَبَه، أي قطعه. والقضيب: الغُصْن. والقَضْب: الرَّطْبة، سمِّيت لأنَّها تُقْضَب"[١].

هذا وقد اختلفت آراء المفسرين في بيان معنى "قضبا" فقيل: "الرطبة، وقال بذلك جمع من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس والضحاك ومقاتل وغيرهم، والقضب هو العلف بعينه،...، وقيل: ما يقضب ليأكله ابن آدم غضاً من النبات كالبقول" [٢]. "والقضبُ: الفِصْفِصة الرطبة، سميت قضباً لأنها تعلف للدواب رطبة فتقضب، أي تقطع مرة بعد أخرى ولا تزال تُخلف ما دام الماء ينزل عليها، وتسمى القَت "[٣]. وبناءً ما تقدم فكأنها العنب والنباتات التي تؤكل طرية غضة وتقضب من مثل القتة والخيار من الخضراوات والعنب ومثله من الفواكه. وجاءت الكلمة معبرة تماماً عن طبيعة هذه الفواكه والنباتات بأنها غضة طرية وكيفية التعامل معها وطريقة أكلها عن طريق القطع. وأيضاً مدلول الكلمة وحسب الأصل الاشتقاقي بأنه طعام يصلح للإنسان وكذا للحيوان، ولقد جاور السياق بين العنب والقضب في الآية؛ لأن هناك تناسقاً بينهما من أن كليهما نبات غض طري سهل في المضغ وسهل في الهضم، وعلاوة على ذلك أن العنب يزداد عند قطف عناقيده، وكذا القضب يكثر عند قطعه مرة بعد مرة استناداً لما قاله اللغويون. يقول الإمام البقاعي: "ولما كان لذلك في بيان عجائب الصنع ليدل على القدرة على كل شيء فيدل على القدرة على البعث فذكر ما إن أخذ من منبته قبل بلوغه فسد، وإن أخذ وعولج صلح للادخار، أتبعه ما لا يصلح للادخار بوجه فقال:وقضباً وهو الرطب من البقل وغيره، وهو يزيد على الماضيين بأنه فيه ما هو دواء نافع وسم ناقع، وبأنه يقطع مرة بعد أخرى فيخلف، وسمي بمصدر قضبه إذا قطعه بحصد أو قلع "[٤].

244- أبًّا: ورد في قوله تعالى:﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٥]. وسياق الآية هو نفس سياق الآية السابقة.

يقول ابن فارس: " (أبّ)اعلم أن للهمزة والباء في المضاعف أصلين: أحدهما المرعَى، والآخر القَصْدَ والتهيُّؤ. أما الأول فقول الله عزّ وجلّ:{وفَاكِهَةً وَأَبّاً} (عبس 31)، قال أبو زيد

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص100.

(٢) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج31.ص227.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص190.

(٤) البقاعي.(1415م).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص331.

(٥) سورة عبس، آية رقم:(31).

الأنصاريّ: لم أسمع للأبِّ ذكراً إلاّ في القرآن. قال الخليل وأبو زيد: الأبُّ: المرعى، بوزن فَعْل."[١]

والأب: جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية والمرعى المتهيء للرعي، وزاد بعضهم بأنه هو الذي لم يزرعه الناس"[٢]. وأظن أن العرب لم تكن تعرف كلمة الأب في الاستعمال والدليل على ذلك أن سيدنا عمر بن الخطاب– رضي الله عنه – لم يعرف معناها وسأل عنها، وهذا ما قال به د/ إبراهيم السامرائي[٣]. والمفسرون لم يبعدوا عما ذهب إليه اللغويون فقالوا: إن الأب ما تأكله البهائم من العشب، وقيل:التبن خاصة " [٤]. والكلمة جاءت متسقة تماماً مع الآية التي جاءت بعدها القائلة: (متاعاً لكم ولأنعامكم) فالفاكهة توافقت مع (لكم)، والأبُّ اتسق مع (أنعامكم)، ومن هنا تفردت الكلمة ولم يغن غيرها مكانها. وقد ذكرت الآيات قبلها الأطعمة والفواكه الخاصة بالإنسان فكان لزاماً ذكر الأطعمة الخاصة بالأنعام.

245– الصَّاخَّة: ورد في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾[٥]. وسياق الآية هو الحديث عن أهوال القيامة وأحوال الناس فيه.

يقول ابن فارس: "(صخ) الصاد والخاء أصلٌ يدلُّ على صوتٍ من الأصوات. من ذلك الصَّاخَّة يقال إنَّها الصَّيحةُ تُصِمُّ الآذان"[٦]. والصاخة: الصيحة تصم لشدتها، والصاخة: القيامة والداهية ومنها سميت القيامة"، والصاخة: صيحة تصخ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدتها، ومنه سميت القيامة. ويقال: كأن في أذنه صاخة، أي طعنة "[٧].

وفي القرآن كلمات شديدة الإيحاء قوية التعبير، عالية التأثير لما تتضمنه من المعاني وهناك عدد كبير من الألفاظ تصور بحروفها المشهد الذي تعبر عنه تماماً بتمام، و من ذلك ما اشتقه القرآن ليوم القيامة من أوصاف ومنها:الصاخة، فالصّاخّة كما قال د/ياسر الزيدي عنها بأنها لفظة تكاد تخرق صِماخ الأذن في ثقلها وعنف جرسها ، وتصمها فلا تسمع. والمدقق في حروف الكلمة يجدها يبدأ بأزيز الصاد وزاد في جرسه التشديد مع ألف المد الذي يعطيها مداً صوتياً ليبالغ في إظهار شدتها وبطشها وقوة تأثيرها على أذن المتلقي لتأكيد ما سيحدث فيها من شدائد

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج1.ص6.

(٢) الزجاج.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه**. مرجع سابق. ج5.ص286.

(٣) برنامج **لمسات بيانية**، تقديم/ محمد خالد، ود إبراهيم السامرائي، تاريخ المشاهدة 2010/4/9م.قناة الشارقة.

(٤) القرطبي.(1427/2006).**الجامع لأحكام القرآن**. مرجع سابق. ج10.ص7258.

(٥) سورة عبس، آية رقم:(33).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج3.ص281.

(٧) الزمخشري.(1419/1998).**أساس البلاغة**.محمد باسل(محقق).بيروت: دار الكتب العلمية.ج1.ص539.

وأهوال جسام، ثم الخاء المشددة ذات الصوت الجهوري، فالصوتان معاً كفيلان عند النطق بهما يُصرعان كل حي ويصمان كل ذي سمع، ويُخرِجان كل ما هو مكنون، ويجرفان كل ما هو مستور، ويُزلزِلان كل ما هو ساكن، ويُفرقان كل ما هو مجموع، وهذا واضح جداً من الآية بعدها، يوم يفر المرء من كل من كان قريباً منه الأخ الأم الأب الزوج الأبناء، " ورتبت أصناف القرابة في الآية حسب الصعود من الصنف إلى من هو أقوى منه تدرجاً في تهويل ذلك اليوم. فَابْتُدِيء بالأخ لشدة اتصاله بأخيه من زمن الصبا فينشأ بذلك إلف بينهما يستمر طول الحياة، ثم ارتُقي من الأخ إلى الأبوين وهما أشد قرباً لابْنيهما، وقدمت الأم في الذكر لأن إلْفَ ابنها بها أقوى منه بأبيه وللرعي على الفاصلة، وانتقل إلى الزوجة والبنين وهما مُجتمع عائلة الإنسان وأشد الناس قرباً به وملازمة"[١]. ولفظاعة هذا المشهد الذي يخدم الكلمة التي سيقت من أجله ودلّت عليه صوتا ودلالة يقول صاحب الظلال: "والصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً، حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً!، وهو يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به ... أولئك الذين تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم؛ ولكن هذه الصاخة تمزق هذه الروابط تمزيقاً، وتقطع تلك الوشائج تقطيعاً "[٢].

246- الوُحُوش: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[٣]. وسياق الآية هو: الحديث عن علامات الساعة ومنها جمع وحشر جميع الحيوانات كلها في صعيد واحد.

والوَحْش: " هو حيوان البر الذي لا خلطة له بالإنس ولا أُنس له ، وجمعه وحوش ، وأوحش المنزل أي أقفر وذهب عنه الناس "[٤]. والوحش: حيوان البر مما لا يستأنس، والآية في علامات الساعة؛ حيث تحشر جميع المخلوقات بما فيها الوحوش، قيل: ليعوضها الله عن آلامها التي تعرضت لها في الدنيا، وقيل: حشرها ليقتص للجماء من القرناء، وقيل: وقتها قد يُبْقِيها الله سروراً لبني آدم وإعجاباً بصورتها، وقد أشار بعضهم في هذا إلى ملحظ مؤداه: أن هذه الحيوانات كانت في الدنيا تفر في الأرض من الإنسان فصارت منضمة إليه في ذلك اليوم من أهواله" [٥]. وحَشرها: جمعها في مكان واحد، أي مكان من الأرض عند اقتراب فناء العالم فقد يكون سبب

---

(١) ابن عاشور. (2000م). **التحرير والتنوير**. مرجع سابق. ج16. ص193.

(٢) قطب. (1402هـ). **الظلال**. مرجع سابق. ج7. ص465

(٣) سورة التكوير، آية رقم: (5).

(٤) البسومي. (2001م). **معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق. ص53.

(٥) الأندلسي. (1420هـ). **البحر المحيط**. مرجع سابق. ج10. ص415.

حشرها طوفاناً يغمر الأرض من فيضان البحار فكلما غمر جزءاً من الأرض فرت وحوشه حتى تجتمع في مكان واحد طالبة النجاة من الهلاك، ويُشعر بهذا عطْف{ وإذا البحار سُجرت } عليه.

ولعله ذكر هذا بالنسبة إلى الوحوش " إيماء إلى شدة الهول فالوحوش التي من طبعها نفرة بعضها عن بعض تتجمع في مكان واحد لا يعدو شيءٌ منها على الآخر من شدة الرعب، فهي ذاهلة عما في طبعها من الاعتداء والافتراس، وليس هذا الحشرَ الذي يُحشَر الناس به للحساب بل هذا حشر في الدنيا وهو المناسب لما عدّ معه من الأشراط "[١].

وبناء الفعل (حشرت) للمفعول يوحي بالرعب والتفكير في كيفية جمعها وبأي طريقة، فمثل هذه الوحوش المفترسة التي لا يقوى عليها شيء ليس من شأنها أن تنقاد، فمن المؤكد أن هناك قوة قادرة وفاعلة هي المسئولة عن ذلك، وحشرت أي: " جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن بعض وعن الناس أيضا وتفرقها فى الصحارى والقفار، وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل بعثت للقصاص إظهارًا للعدل قال قتادة :يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فـإذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم وإعجاب بصوته أو صورته كالطاووس والبلبل ونحوهما، فإذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقًا لمقتضى العدل... وفيه إشارة الى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق وباب القدس بأن أهلكت وأفنيت وجمعت إلى ما منه بدت "[٢]. والآية تشي بم شهد الانقلاب التام لكل معهود، والثورة الشاملة لكل موجود. الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية، والوحوش كنموذج لهذا الانقلاب، وأن تحشر معاً مع اختلاف أنواعها فهذا بسبب ما تراه من رعب وفزع، والغرض من ذكر قصة الوحوش ههنا وجوه: " أحدها أنه – تعالى– إذا كان يوم القيامة يحشر كل الحيوانات إظهارًا للعدل فكيف يجوز مع هذا أن لا يحشر المكلفين من الإنس والجن. الثاني:أنها تجتمع في موقف القيامة مع شدة نفرتها عن الناس في الدنيا وتبددها في الصحاري فدل هذا على أن اجتماعها إلى الناس ليس إلا من هول ذلك اليوم . والثالث: أن هذه الحيوانات بعضها غذاء للبعض ثم إنها في ذلك اليوم لا تجتمع ولا يتعرض بعضها لبعض وما ذاك إلا لشدة هول ذلك اليوم، وفي الآية قول آخر لابن عباس وهو أن حشر الوحوش عبارة عن موتها يقال – إذا أجحفت

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.ج16.ص197.

(٢) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج17.ص33.

السنة بالناس وأموالهم – حشرتهم السنة وقُر يء حشرت بالتشديد"[١]. وعليه فقد تفردت هنا في سياقها ولم يغن غيرها مكانها.

ومن الجمال في الآيات أنها بدأت بمشهد علوي من الشمس وتكويرها والنجوم وانكدارها، ثم بمشهد سفلي من الجبال وسيرها، والعشار وتعطيلها، والوحوش وحشرها، والبحار وتسجيرها، والنفوس وتزويجها، والمؤودة وسؤالها، ثم صعوداً مرة أخرى بمشهد علوي إلى الصحف ونشرها، والسماء وكشطها، والجحيم وسعيرها والجنة وقربها، وهكذا وكأن هناك تناسق بين هذا الترتيب وما يحدث من أحداث يوم القيامة تبدأ من السماء بالنفخ ثم الانشقاق والتكوير والانكدار ثم ينعكس هذا المشهد على الأرض من تفجير وتسجير وزلازل ومواقف الأحياء منه من إنسان وحيوان وعرض وحشر، ثم بعد الأهوال يكون الحساب والجزاء ثم المصير إلى جنة أو نار وهذا بدوره يكون في السماء مرة أخرى، ولله در التعبير القرآني!وسبحان العليم الخبير.

247– الْمَوْءُدَة: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[٢]. وسياق الآية هو الحديث: عن سؤال يوجه للبنت التي دفنت حية ويكون يوم القيامة.

والموءودة: "المدفونة حية، يقال وأد بنته يئدها وأداً فهي موءودة أي:دفنها في القبر وهي حية"[٣]. وكانت العرب في الجاهلية يدفنون بناتهم وهن أحياء ويسمون ذلك وأدا؛ مخافة الإملاق أو الاسترقاق أو لحوق العار بهم من أجلهن، وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن. والقصد من هذا السؤال هو تقريع تلك الفعلة الشنيعة وتوبيخ من كان يفعلها. والآية تحمل في طياتها تهديداً رعيباً للوائد لجرم ما جاء به، فأي نفس قاسية خبيثة هذه التي تنطوي بين جنبي منْ فعل هذا!. " وبمناسبة ذكر تزويج النفوس بالأجساد خص سؤال الموءودة بالذكر دون غيره مما يُسأل عنه المجرمون يوم الحساب. ذلك لأن إعادة الأرواح إلى الأجساد كان بعد مفارقتها بالموت، والموت إما بعارض جسدي من انحلال أو مرض وإما باعتداء عدواني من قتل أو قتال، وكان من أفظع الاعتداء على إزهاق الأرواح من أجسادها اعتداء الآباء على نفوس أطفالهم بالوأد، فإن الله جعل في الفطرة حرص الآباء على استحياء أبنائهم وجعل الأبوين سبب إيجاد الأبناء، فالوأْد أفظع أعمال أهل الشرك وسؤال الموءودة سؤال تعريضي المراد منه تهديد وائدها وَرُعْبِهِ بالعذاب، وظاهر الآية أن سؤال الموءودة وعقوبة من وأدها أول ما يُقْضَى فيه يوم القيامة

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج31.ص62.

(٢) سورة التكوير، آية رقم:(8).

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج15.ص190.

كما يقتضي ذلك جعلُ هذا السؤال وقتاً تعلم عنده كل نفس ما أحضرت فهو من أول ما يعلم به حين الجزاء"[١].

والمؤودة هو اسم مفعول من وأد و قيل أصل الفعل:" هو مقلوب آداه، إذا أثقله لأنه إثقال الدفينة بالتراب"[٢]. قال في الكشاف: "كانَ الرجل إذا وُلدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر تَرعَى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية يقول لأمها طيّبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها:انظري فيها ثم يدفَعُها من خَلْفها ويُهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض. وقيل:كانت الحامل إذا أقربت حفرت فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابناً حبسته "[٣]. وللأسف كانوا يفعلون ذلك "خشية من إغارة العدوّ عليهم فيُسْبي نساءهم ولخشية الإملاق في سِني الجدب لأن الذكر يحتال للكسب بالغارة وغيرها والأنثى عالة على أهْلها، قال -تعالى-: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٥]. وإذ قد فشا فيهم كراهية ولادة الأنثى فقد نما في نفوسهم بغضها فتحركت فيها الخواطر الإجرامية فالرجل يكره أن تولد له أنثى لذلك، وامرأته تكره أن تولد لها أنثى خشية من فراق زوجها إياها وقد يهجر الرجل امرأته إذا ولدت أنثى. وقد توارثت هذا الجهل أكثر الأمم على تفاوت بينهم فيه، ومن كلام بعضهم وقد ماتت ابنته:«نِعم الصهْر القَبر»...، ولم يكن الوأد معمولاً به عند جميع القبائل، قيل: أول من وأد البنات من القبائل ربيعةُ، وكانت كندة تئد البنات، وكان بنو تميم يفعلون ذلك، ووأدَ قيسٌ بن عاصم المِنْقَري من بني تميم ثمان بنات له قبل إسلامه. ولم يكن الوأد في قريش البتةَ. وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق من بني تميم يفتدي من يعلم أنه يريد وأد ابنته من قومه بناقتين عُشَرَاوين وجَمَل، فقيل: إنه افتدى ثلاثمائة وستين موءودة، وقيل: وسبعين وفي«الأغاني»: وقيل: أربعمائة،

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج16.ص197.

(٢) السابق.ج16.ص198.

(٣) الزمخشري.(2003/1424).**الكشاف**. مرجع سابق.ج4.ص708.

(٤) سورة الإسراء، آية رقم:(31).

(٥) سورة النحل، آية رقم:(58،59).

وفي توجيه السؤال إلى الموءودة: {بأي ذنب قتلت} في ذلك الحشر إدخال الروع على من وأدها، وجعل سؤالها عن تعيين ذنب أوجَب قتلها للتعريض بالتوبيخ والتخطئة للذي وأدها وليكون جوابُها شهادة على من وأدها فيكون استحقاقه العقاب أشد وأظهر "[١]ولقد ذكرها السياق هنا جنباً إلى جنب مع كل هذه الأهوال . والقرآن يجعلها " يجعلها موضوعاً من موضوعات الحساب يوم القيامة. يذكره في سياق هذا الهول الهائج المائج، كأنه حدث كوني من هذه الأحداث العظام ، ولتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته"[٢]، لشناعتها وفظاعتها. وعلى ما تقدم فقد اتسقت الكلمة سياقاً ومقاماً ولم يغن غيرها مكانها.

248- الكُنَّس: ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾[٣]. وسياق الآية في معرض القسم بالنجوم والكواكب على أن جبريل هو أمين الوحي ورسول يتبع كلام ربه – عزّ وجلّ– ويطيعه.

يقول ابن فارس عن أصله: " (كنس)الكاف والنون والسين أصلانِ صحيحان، أحدهما يدلُّ على سَفْر شيءٍ عن وجهِ شيء، وهو كَشْفُه. والأصل الآخر يدلُّ على استخفاء. فالأصل الأوَّل:.....والأصل الآخر: الكِناس: بيتُ الظَّبي..... والكُنَّس: الكواكب تَكْنِسُ في بُروجها كما تَدخُل الظِّباءُ في كِناسها. قال أبوعبيدة:تَكنِس في المِغيب. "[٤]. والكنس: "الكواكب لأنها تكنِس في المغيب أي تُستر، قال الزجاج:الكنس النجوم تطلع جارية، وكنوسها أن تغيب في مغاربها التي تغيب فيها، وقيل: الكنس الظباء والبقر تكنس أي تدخل كنسها إذا اشتد الحر، وقيل: الكنس الملائكة ذكره بعض أهل الغريب كما قال صاحب التاج"[٥].

والمقسم به جاء متناسقاً تماما مع المقسم عليه، فالمقسم به هو الكواكب السيارة الضخمة التي تتحرك ثم ترجع إلى مغيبها وهي في السماء، ثم الليل بدخوله على الدنيا ليصل إلى كل أركانها وهو يلوح في السماء أيضاً، ثم الصبح وهو كذلك يظهر من خلال السماء، والمقسم عليه وهو سيدنا جبريل وهو ملك من ملائكة السماء وحركته المستمرة من السماء إلى الأرض بهدف تبليغ الرسالة وما يُطلب منه للرسول – صلى الله عليه وسلم– وأمانته في ذلك، وطاعته

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج16.ص198-200.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق. ج7.ص470.

(٣) سورة التكوير، آية رقم:(16).

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص115.

(٥) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج12.ص167.

المطلقة لله– عزّ وجلّ – وكذلك هذه النجوم والأجرام في استقامتها وخضوعها للنظام الذي حدده الله من الالتزام في مسارها ومجراها الذي حُدِّد لها سلفاً، وبالتالي نلاحظ الدقة والانسجام فيما بينهما وهذا من طلاقة قدرة الله حتى على مستوى السياق القرآني.

وطريقة القسم في القرآن الكريم تختلف عما هو في دنيا الناس فـ " نفي القسم في أسلوب القرآن الكريم تأكيد له وكأنه – تعالى– يقول لا حاجة للقسم مع تلك الحجة البينة، وقد ورد القسم في معرض الاستدلال على أن القرآن وحي من عند الله ، قال تعالى: (فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصّبْحِ إِذَا تَنَفّسَ. إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)، وتنعكس عظمة القسم وأهميته في الاستدلال على المقسوم به وهو هنا مذكور بصفات تلتقي تماما مع صفات ما يسمى بالثقوب السوداء، فهي في الأصل نجوم تجري في مداراتها فيصدق عليها الوصف باللفظ (جوار)، وأما اللفظ (خنس) فيتطابق معها بكل معانيه في اللغة ومنها: التواري والاحتجاب والاختفاء، والتراجع والاندثار بعد ظهور وازدهار ، وهي بالفعل نجوم عملاقة هوت في نهاية أعمارها وانكمشت مادتها واستترت ولا يظهر منها أية ضوء، والسبب شدة جاذبيتها التي تجعلها تكنس كل شيء يجاورها في طريقها وتبتلعه فتزداد كتلة وقوة؛ وهنا يتجلى وصفها بلفظ (الكنس) أو المكانس العظام. والمعرفة بتلك الأوصاف حديثة؛ لذا فإن ورودها في القرآن بألفاظ تدل عليها بدقة في معرض تأكيد الوحي به لدليل حاسم على أنه كلام الله الخالق "[1]. ومن هنا تبين لنا سر تفرد الكنس في هذا السياق ولم يغن غيرها مكانها

249– ضَنِين: ورد في قوله تعالى:﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾[2]. وسياق الآية هو الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتنزيهه عن بعض ما اتهمه به المشركون.

يقول ابن فارس: "(ضن) الضاد والنون أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على بُخْلٍ بالشيء. يقال ضَنِنْتُ بالشّيءِ أَضَنُّ به ضَنّاً وضَنانةً، ورجلٌ ضَنين"[3].

وضنين: أى بخيل، والمعنى أنه – عليه الصلاة والسلام –: لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن أو العرَّاف ما عنده حتى يأخذ عليه أجرةً أو يُسأل تعليمه فلا يعلِّمُهُ وفيه إشارة إلى أن إمساك العلم عن أهله بخل. وليس محمد – صلى الله عليه

---

(١) الغزالي، سليم.(2012/12/2م).**ما معنى الكنس**.www.ejapat google.com، تاريخ الزيارة:2013/4/21م.

(٢) سورة التكوير، آية رقم:(24).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص357.

وسلم - بالمتهم على القرآن، بل إنه ثقة أمين لايبدِّل فيه ولا يحرِّف، ولا يضن ببذله لكل أحد فهو غير بخيل بما يأتي به الوحي وخبر السماء.

واختلف القراء في كلمة ضنين هل هي بالضاد أم بالظاء، وهنا يوضح ابن عاشور و إذا كانت بالوجهين فإن المعنى يطلبهما والسياق قصدهما، فيقول: " وإذ تواترت قراءة (بضنين)بالضاد الساقطة، و (بظنين) بالظاء المشالة علمنا أن الله أنزله بالوجهين وأنه أراد كلا المعنيين. فأما معنى ضنين بالضاد الساقطة فهو البخيل الذي لا يعطي ما عنده مشتقّ من الضَنّ بالضاد مصدر ضَنَّ، إذا بخل، ومضارعه بالفتح والكسر. فيجوز أن يكون على معناه الحقيقي، أي وما صاحبكم ببخيل أي بما يوحَى إليه وما يخبر به عن الأمور الغيبية طلباً للانتفاع بما يخبر به بحيث لا ينبئكم عنه إلا بِعِوَض تُعطونه، وذلك كناية عن نفي أن يكون كاهناً أو عرَّافاً يتلقّى الأخبار عن الجنِ؛ إذ كان المشركون يترددون على الكهان ويزعمون أنهم يخبرون بالمغيبات، قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) ﴾[١] ، فأقام لهم الفرق بين حال الكهان وحال النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإشارة إلى أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يسألهم عوضاً عما يخبرهم به وأن الكاهن يأخذ على ما يخبر به ما يسمونه حُلْواناً، فيكون هذا المعنى من قبيل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[٢] ، ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ ﴾[٣] ، ونحو ذلك.... وأما معنى «ظنين» بالظاء المشالة فهو فعيل بمعنى مفعول مشتق من الظن بمعنى التهمة، أي مظنون. ويراد أنه مظنون به سوءٌ، أي أن يكون كاذباً فيما يخبر به عن الغيب، وكثر حذف مفعول ظنين بهذا المعنى في الكلام حتى صار الظن يطلق بمعنى التهمة فَعُدّي إلى مفعول واحد. وأصل ذلك أنهم يقولون: ظَنّ به سُوءاً، فيتعدى إلى متعلّقه الأول بحرف باء الجر فلما كثر استعماله حذفوا الباء ووصلوا الفعل بالمجرور فصار مفعولاً فقالوا ظنه: بمعنى اتهمه، يقال: سُرِق لي كذا وظَنَنْت فلاناً "[٤].

والكلمة لا يغني غيرها مكانها، من مثل: (بخيل- ممسك- حريص..)؛ لأن الضن أبلغ من البخل أو ما في معناه، فالبخل هو من عند الشخص سواء أعطي بدلا أو عوضاً عما عنده أم

---

(١) سورة الحاقة، آية رقم:(41- 42)

(٢) سورة الفرقان، آية رقم:(57).

(٣) سورة الأنعام، آية رقم:(90)

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج16.ص212.

لا فهو يريد أن يبقي ماعنده دون استعمال مع أخذ ما في أيدي الناس فيستشعر لذة الكنز ويشعر بدفء الجمع والاستحواذ ونهم الاستيلاء، أما الضن فالأمر معلق عند وجود المقابل المقنع فإنه يعطي بمقابل مجزٍ، وهذا ما يتناسب مع الآية هنا، كما هو حال العرافين والكهان في ذلك الوقت فكانت لهم تجارة رابحة ورائجة، فأراد السياق أن ينفي هذا تماما عن النبي- صلى الله عليه وسلم -، وذكر أبو هلال العسكري معنى لطيفاً يبين فيه سر تفرد ضنين هنا واستعمالها دون غيرها قائلاً: "الفرق بين الضن والبخل: أن الضن أصله أن يكون بالعواري، والبخل بالهيئات ولهذا تقول هو ضنين بعلمه ولا يقال بخيل بعلمه لأن العلم أشبه بالعارية منه بالهبة ، وذلك أن الواهب إذا وهب شيئًا خرج من ملكه فإذا أعار شيئًا لم يخرج أن يكون عالما به فأشبه العلم العارية فاستعمل فيه من اللفظ ما وضع لها ولهذا قال الله تعالى : {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ }ولم يقل بخيل"[(١)].

250- المُطَفِّفِين: ورد في قوله تعالى:﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[(٢)]. وسياق الآية هو الحديث عن فئة من التجار يُخْسِرون الموازيين مع تهديدهم بإنزال أشد العذاب بهم.

يقول ابن فارس: "(طف) الطاء والفاء يدلُّ على قِلّةِ الشيء. يقال: هذا شيءٌ طفيف... والتَّطْفِيف: نقص المكيال والميزان . قال بعض أهل العلم: إنّما سمِّي بذلك لأنَّ الذي ينقصه منه يكون طفيفاً "[(٣)]. والتطفيف: نقص المكيال وهو أن لا تملأه إلى أصباره، وهو: البخس في الكيل والوزن ونقص المكيال، والتطفيف: نقص يخون به صاحبه في كيل أو وزن، وقد يكون النقص يرجع إلى مقدار الحق فلا يسمى تطفيفاً " [(٤)]. ويقول الزجاج: "وإنما قيل للفاعل مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف حتى لا ينتبه إليه صاحبه. والعجيب أنه لن يستفيد شيئاً من هذا القليل " [(٥)]. ولقد جاءت الكلمة في سياق التقريع والوعد بالعقاب الشنيع لشناعة وحقارة ما يفعلون من غش وتدليس على الناس. وفعله "طفَّف" بالتشديد وتكرار الفاء فيه للدلالة على المحاولة والتكلف والعمد؛ لأن المطفف يحاول أن ينقص الكيل دون أن يشعر به

---

(١) العسكري،أبو هلال.(د.ت).حسام الدين القدسي(محقق).**الفروق اللغوية**.بيروت: دار الكتب العلمية. ج1.ص332.

(٢) سورة المطففين، آية رقم:(1).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج3.ص405.

(٤) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج4.ص1395.

(٥) الزجاج.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه**.مرجع سابق.ج5.ص297.

المكتال. وجاءت الآية بعدها صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذين استحقوا به الذم والدعاء بالويل.

وجاءت كلمة ويل نكرة لزيادة التهويل والتجهيل في كيفية العقوبة والجزاء ثم إضافة اللام للاسم لتخصيص هذا الويل فقط لهم دون غيرهم. وعبَّر السياق بالاسم هنا عن فعلهم للتأكيد على أنه وصْفٌ لازم لهم تحقيراً لشانهم، كأنه صار عادةً لهم لا يقبلون عنها حولاً، ولا يرضون بها بدلاً. وورد هذا العقاب بكلمة ويل دائماً مع الكذب والغش والخداع والتدليس والغرر والغبن فقال الله "ويل: لكل أفاك أثيم، للمكذبين، للمطففين، لكل هُمزة، ويبدو أن هذا الويل لكل من يطول الآخرين بأذى وضرر مادي مثل غش أو خداع..أو معنوي بسب أوقذف... أوغيرها. والآية تنطوي على صيحة مدوية وصرخة مجلجلة تفضح فيها كل من يستوفي الميزان إذا اكتال لنفسه، وينقصه إذا كال لغيره، ولا يعطي الناس حقوقهم.

وسر تفرد هذه الصفة خاصة دون غيرها وتسمية السورة بها يقول عنه الرازي في تفسيره: "واعلم أن أمر المكيال والميزان عظيم، وذلك لأن عامة الخلق يحتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر المكيال والميزان، فلهذا السبب عظَّم الله أمره فقال: {وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} (الرحمن: 7،9)"[١]. وعليه فقد تفردت الكلمة في سياقها ولم يغن غيرها مكانها.

251- رَحِيق: ورد في قوله تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾[٢]. وسياق الآية هو الحديث عن شراب أهل الجنة وأوصافه.

يقول ابن فارس: "(رحق) الراء والحاء والقاف كلمةٌ واحدة. وهي الرَّحيق: اسمٌ من أسماء الخمر، ويقال هي أفضَلُها."[٣]. والرحيق: "الخمر الصافية التي لا غش فيها، وهي من أعتق أنواع الخمور وأفضلها، وكذلك الزجاج يفسر الرحيق بأنه هو الشراب الذي لا غش فيه وأنشد قول حسان- رضي الله عنه – في مدح الغساسنة:

يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ بَرَداً يُصَفَّقُ بِالرَحِيقِ السَّلْسَلِ "[٤]

---

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج31.ص81.

(٢) سورة المطففين، آية رقم:(25).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص497.

(٤) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج4.ص1480.والبيت من ديوان حسان بن ثابت. ج1.ص74.

ويقول الرازي على لسان القفال: " يحتمل أن هؤلاء يسقون من شراب مختوم قد ختم عليه تكريماً له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان، وهناك خمر آخر تجري منها أنهار كما قال : {وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ }(محمد:15)إلا أن هذا المختوم أشرف في الجاري الثاني قال أبو عبيدة والمبرد والزجاج المختوم الذي له ختام أي عاقبة"[١] .

والآية في معرض الشراب ولا يكون هناك مجلس شراب إلا إذا سبقه من المطعوم والملبوس والمنكوح، ومجالس الشراب غالباً تكون مجالس أنس وتمتع لا أرق فيها ولا تعب، وجاء وصف الشراب بأنه الرحيق، ووصف الشراب به وكأنه المشروب بعينه للدلالة على جودة هذا المشروب وجمال رائحته وصفاء لونه، وروعة مذاقه، فضلاً عن وصفه بالمختوم أي:خالصاً صافيا معتقاً، ونحن في دنيا الناس لا نختم شيئاً إلا إذا استكمل نواقصه، واستوفى مطالبه، وعظمت رتبته، وعزَّت نفاسته، وخلا من العيوب والنقائص، وسلم من الأقذاء والأقذار والرواسب والشوائب. وليس فيه ما يكرهه الطبع ولا ما يفسده. وبالتالي تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها مكانها.

ويؤكد هذا الكلام الشهيد سيد قطب قائلاً: " والرحيق الشراب الخالص المصفى، الذي لا غش فيه ولا كدرة. ووصفه بأنه مختوم ختامه مسك، قد يفيد أنه معد في أوانيه، وأن هذه الأواني مقفلة مختومة ، تفض عند الشراب، وهذا يلقي ظل الصيانة والعناية. كما أن جعل الختم من المسك فيه أناقة ورفاهية !وهذه الصورة لا يدركها البشر إلا في حدود ما يعهدون في الأرض. فإذا كانوا هنالك كانت لهم أذواق ومفاهيم تناسب تصورهم الطليق من جو الأرض المحدود!"[٢]. وعبَّر السياق بـ(يسقون) دون: يشربون: "للدلالة على أنهم مخدُومون يخدمهم مخلوقات لأجل ذلك في الجنة. وذلك من تمام الترفه ولذة الراحة"[٣].

252- كَدْح: ورد في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾[٤].
وسياق الآية هو: تذكير الإنسان بأمره؛ وبمصيره الذي هو صائر إليه. وعليه الطاعة والخشوع والاستسلام لله رب العالمين كما فعلت من قبل السماء والأرض وكل الموجودات.

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق. ج31.ص90.
(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق. ج7.ص489.
(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق. ج16.ص240.
(٤) سورة الانشقاق، آية رقم:(6).

يقول ابن فارس: "(كدح) الكاف والدال والحاء أصلٌ صحيح يدلُّ على تأثيرٍ في شيء . يقال كَدَحه وكدّحه ، إذا خَدَشَه. وحمار مُكَدَّح: قد عضَّضَتْه الحُمُر. ومن هذا القياس كدَح إذا كَسَبَ، يكدَح كَدْحاً فهو كادح. قال الله – عزّ وعلا– :{إنَّكَ كَادِحٌ}،

أي كاسِب"[١]. والكدحُ: " يطلق على معان كثيرة لا نتحقق أيَّها الحقيقة، وقد أهمل هذه المادة في «الأساس» فلعله لأنه لم يتحقق المعنى الحقيقي. وظاهر كلام الراغب أن حقيقته:إتعاب النفس في العمل والكد. وتعليق مجروره في هذه الآية بحرف (إلى) يؤذن بأن المراد به عمل ينتهي إلى لقاء الله، فيجوز أن يضمن{كادح} معنى ساعٍ لأن كدح الناس في الحياة يتطلبون بعمل اليوم عملاً لغد وهكذا، وذلك يتقضَّى به زمن العمر الذي هو أجل حياة كل إنسان ويعقبه الموت الذي هو رجوع نفس الإنسان إلى محض تصرف الله، فلما آل سعيه وكدحه إلى الموت جُعِل كدحُه إلى ربه. فكأنه قيل: إنك كادح تسعى إلى الموت وهو لقاء ربك، ... و{كدحاً} منصوب على المفعولية المطلقة لتأكيد {كادح} المضمن معنى ساع إلى ربك، أي ساع إليه لا محالة ولا مفر"[٢].

والمعنى: يأيها الإِنسان إنك باذل فى حياتك جهدا كبيرا من أجل مطالب نفسك، وإنك بعد هذا الكدح والعناء.. مصيرك فى النهاية إلى لقاء ربك، حيث يحاسبك على عملك وكدحك فقدم فى دنياك الكدح المشروع، والعمل الصالح. والسعى الحثيث فى طاعته –تعالى–، لكى تنال ثواب ربك ورضاه.

وعلى هذا فإن الكلمة لا يغني غيرها مكانها؛ إذ إنها تشمل كل معاني التعب والكد والجهد والتعب والسعي والجهاد لتأمين الحياتين المعيشية والروحية، وكذلك الأمر لا يقتصر على كدح البدن بل المشاعر والتفكير، وكل ما تتخيله من كد، وعبر بها باسم الفاعل لثبات صفة الكدح ثم بالمصدر المطلق مرة أخرى للتأكيد. والآية فيها اتساق مع ما قبلها من الآيات لأن ظاهر الآيات السابقة هو الحديث عن السماء مع عظم جرمها والأرض مع مساحة أصلها {وأُذِنَتْ لِرَبِّهَاوَحُقَّتْ} مع أنها لم تتحمل أمانة ولن تسأل عن واجب، فكان الإنسان أحق بالسمع والطاعة في كدحه إلى أن يلقى ربه. والتأكيد على أن الكدح واقع لا محالة فاجعله لله لأنك يوما ما ملاقيه وسائلك فأحسن بضاعتك لتتشرف بها ولتكون سبباً في سعادتك وانتهاء

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص135.

(٢) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتوير**. مرجع سابق.ج16.ص251.

كدحك، والكدح أيضاً يتضمن معنى السير والسعي ولكن سير عناء وجهد، والكلمة فيها معنى الشدة.

والمدقق في حروف الكلمة يجد أن فيها (كد) إضافة إلى حرف الحاء التي تنتهي به، وهو حرف احتكاكي ليتسق مع ما يقوم به الإنسان من احتكاك وصراع مع هذه الحياة في كل الاتجاهات لتوطيدها وتسخيرها لراحته. وبالتالي تفردت في سياقها.

253- تَسْنِيم: ورد في قوله تعالى:﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴾[1]. وسياق الآية هو الحديث عن صفة شراب أهل الجنة وطعمه ومذاقه.

يقول ابن فارس: "(سنم) السين والنون والميم أصلٌ واحد ، يدلُّ على العلوّ والارتفاع"[2].

وتسنمه أي: "علاه وتسنيم: ماء في الجنة ينبع من عين سميت تسنيما" [3]. وقال أبو حاتم الرازي في الزينة: " لا يوجد له – تسنيم– أصل في الشعر الجاهلي ولا في اللغات السامية القديمة، لذلك اعتبره نولدكي من الكلمات التي نطق بها القرآن"[4].

ورأْيُ المفسرين على أن تسنيم "عين في الجنة يشرب منها الأبرار والمقربون، وماء هذه العين يتنزل عليهم من معال وينصب في أوانيهم، فإذا امتلأت هذه الأواني أمسك الماء فلا تقع منه قطرة على الأرض، وقالوا أيضاً في صفته: إنه أشرف شراب الجنة، وقالوا أيضاً: إنها عين تجري من تحت العرش، وما قاله الحسن عنها: وهو أنه أمر أخفاه الله – تعالى – لأهل الجنة وعلى هذا القول فلا يعرف له اشتقاق" [5]. وتسنيم من الأعلام العربية وهذا ما يؤكده ابن عاشور قائلاً: "وهذا العلم عربي المادة والصِّيغة ولكنه لم يكن معروفاً عند العرب فهو مما أخبر به القرآن، ولذا قال ابن عباس لما سئل عنه: «هذا مما قال الله تعالى:{فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين}(السجدة:17)، يريد لا يعلمون الأشياء ولا أسماءها إلا ما أخبر الله به. ولغرابة ذلك احتيج إلى تبيينه بقوله:{عيناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}، أي حال كون التسنيم عيناً يشرب منها المقرّبون "[6].

---

(١) سورة المطففين، آية رقم:(27).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج3.ص107.

(٣) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق. ج6.ص394.

(٤) الرازي، أبوحاتم.(1957م).**الزينة في الكلمات العربية الإسلامية**.حسين الهمداني(محقق).القاهرة: دار الكتاب العربي ط2. ج1.ص135.

(٥) الفراء.(1983م). **معاني القرآن**. مرجع سابق. ج3.ص249.

(٦) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق. ج16.ص242.

ويعلل الرازي اختيار الاسم هنا وسر تفرده في هذا المقام قائلاً: " تسنيم علم لعين بعينها في الجنة سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه؛ إما لأنها أرفع شراب في الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوق على ما روي أنها تجري في الهواء مسنمة فتنصب في أوانيهم وإما لأنها لأجل كثرة ملئها وسرعته تعلو على كل شيء تمر به وهو تسنيمه، أو لأنه عند الجري يرى فيه ارتفاع وانخفاض فهو التسنيم أيضاً، وذلك لأن أصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع ومنه سنام البعير وتسنمت الحائط إذا علوته، ... المسألة الثانية: أنه تعالى ذكر أن تسنيم عين يشرب بها المقربون قال ابن عباس أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم لأنه يشربه المقربون صرفاً ويمزج لأصحاب اليمين، واعلم أن الله – تعالى– قسم المكلفين في سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام المقربون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم إنه – تعالى– لما ذكر كرامة المذكورين في هذه السورة بأنه يمزج شرابهم من عين يشرب بها المقربون علمنا أن المذكورين في هذا الموضع هم أصحاب اليمين وأقول هذا يدل على أن الأنهار متفاوتة في الفضيلة فتسنيم أفضل أنها ر الجنة والمقربون أفضل أهل الجنة والتسنيم في الجنة الروحانية هو معرفة الله ولذة النظر إلى وجه الله الكريم والرحيق هو الابتهاج بمطالعة عا لم الموجودات فالمقربون لا يشربون إلا من التسنيم أي لا يشتغلون إلا بمطالعة وجهه الكريم وأصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجاً فتارة يكون نظرهم إليه وتارة إلى مخلوقاته"(١). ولرفعة هؤلاء القوم وعلو منزلتهم ذكرهم الله دائماً في كل أحوالهم بالعلو والرفعة فالسرائر مرفوعة، وهم في أعلى طبقات الجنة وفي أعلى الرتب، وهذا لأنهم حال حياتهم في دنياهم طلبوا المعالي من الطاعات وفعل الخيرات ولم يرضوا بالدنايا وجاهدوا أنفسهم في ذلك؛ لذا لا عجب أن يكون حتى شرابهم في علو وارتفاع فهذا حقهم فمن زرع حصد ومن تَخَلَّص خلُص، وعليه فقد تفردت الكلمة في سياقها ولم يغن غيرها.

254– دَافِقٍ: ورد في قوله تعالى:﴿ **خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾(٢). وسياق الآية هو الحديث عن خلق الإنسان ودعوته للتفكر في كيفية خلقه.

يقول ابن فارس: " (دفق) الدال والفاء والقاف أصلٌ واحد مطَّرِدٌ قياسُه ، وهو دفْع الشَّيء قُدُما. من ذلك: دَفَقَ الماءُ، وهو ماءٌ دافق. وهذه دُفْقَةٌ مِن ماء "(٣).ودافق أي: "خارج بقوة وسرعة والأشهر أنه يقال على نطفة الرجل، وأُطنب في وصف هذا الماء الدافق لإدماج

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج31.ص91.

(٢) سورة الطارق، آية رقم:(6).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج2.ص286.

التعليم والعبرة بدقائق التكوين ليستيقظ الجاهل الكافر، ويزداد المؤمن علماً ويقيناً. ووُصف أنه يخرج من{بَيْنَ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}؛ لأن الناس لا يتفطنون لذلك "[1]. والكلمة هذه هنا لا يغني غيرها مكانها؛ حيث إنها تعبر بالضبط وبالوصف الدقيق عن حالة هذا الماء لحظة خروجه فوصفه بالدافق أبلغ من لو قال: دافع- سريع- نازل....إلخ؛ لأن الدفق فيه معاني القوة والدفع والسرعة والصب، وهذا ما لا تحتويه المرادفات الأخرى، والتعبير باسم الفاعل أضاف صورة تشخيصية موحية وكأن الماء هو الذي يدفق نفسه بنفسه، وهو من باب الإسناد المجازي. وعبّر السياق بقوله ماء ولم يقل ماءين على الرغم من أنه في الواقع ماءان: (ماء الرجل وماء المرأة " إشارة إلى أنهما يجتمعان في الرحم، ويمتزجان أشد امتزاج بحيث يصيران ماءً واحداً "[2]. والآية وكأنها إجابة على سؤال مفاده: مم خلق؟ فقيل: خلق من ماء ذى دفق. وقضية أن هذا الماء هو خليط بين الماءين ماء الرجل وماء المرأة لم تكن معروفة إلا منذ وقت قريب، "فلقد كان هذا سراً مكنوناً في علم الله لا يعلمه البشر. حتى كان نصف القرن الأخير؛ حيث اطَّلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بطريقته؛ وعرف أنه في عظا م الظهر الفقارية يتكون ماء الرجل، وفي عظام الصدر العلوية يتكون ماء المرأة. حيث يلتقيان في قرار مكين فينشأ منهما الإنسان! ، والمسافة الهائلة بين المنشأ والمصير.. بين الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب وبين الإنسان المدرك العاقل المعقد التركيب العضوي والعصبي والعقلي والنفسي.. هذه المسافة الهائلة التي يعبرها الماء الدافق إلى الإنسان الناطق توحي بأن هنالك يداً خارج ذات الإنسان هي التي تدفع بهذا الشيء المائع الذي لا قوام له ولا إرادة ولا قدرة، في طريق الرحلة الطويلة العجيبة الهائلة، حتى تنتهي به إلى هذه النهاية الماثلة. وتشي بأن هنالك حافظاً من أمر الله يرعى هذه النطفة المجردة من الشكل والعقل، ومن الإرادة والقدرة، في رحلتها الطويلة العجيبة. وهي تحوي من العجائب أضعاف ما يعرض للإنسان من العجائب من مولده إلى مماته "[3].

255- الهَزْل: ورد في قوله تعالى:﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾[4]. وسياق الآية في الحديث عن القرآن وبيان أنه جد وحق أي أنه أنزل بالجد ولم ينزل بالباطل واللعب.

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص282.

(٢) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص388.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج8.ص7.

(٤) سورة الطارق، آية رقم:(14).

والهزل: "ضد الجد ونقيضه، وفلان يهزل في كلامه: إذا لم يكن جاداً، والهزل: كل كلام لا تحصيل له ولا ريع تشبيهاً بالهزال، وقوله: {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} أي ليس بهذيان، أو ما هو باللعب"[١].

وجاء التعبير بهذا القول لما كانوا يتهمون به النبي- صلى الله عليه وسلم- من أنه كان يهزي بكلام عجيب من إحياء الموتى ثانية حتى لا يتبعه أحد من العامة. وجاء التعبير بالمصدر لنفي قليله وكثيره جذرياً. وعبَّر السياق بقوله بالهزل ولم يقل:هزلاً، فتعريف الكلمة بـ (ال)كان أكثر تحديداً وأكثر دقة فَبِهِ ينفي عنه نفياً تاماً وقاطعاً جنس الهزل من أصله. ولم يتسرب إليه ولا إلى أي كلمة من كلماته – حاشاه – فهو نزل من لدن من سمَّى نفسه بالحق وقال – جل في علاه – :﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ ﴾[٢]، فكيف مع هذا النص القاطع يوصف بأنه هزل. والمدقق في حروف الاسم يجدها قليلة فقط ثلاثة حروف، فما يقولونه لا يستحق الحديث عنه، ومدلول الكلمة يعبر عن أشياء لا فائدة من ورائها ولا تحصيل منها كذلك لا تستحق مثل هذه الكلمات إنفاق الكثير من الحروف في التعبير عنها، وهذا حقيقة تلفت النظر إليها، ومن هنا كان سر تفردها في هذا السياق.

"ثم أكد الأمر لشدة إنكارهم وجحدهم وتغطيتهم الحق بالباطل بالنفي فقال: (وما هو) أي القرآن في باطنه ولا ظاهره بالهزل: أي بالضعيف المرذول الذي لا طائل تحته، فمن حقه ما هو عليه الآن من كونه مهيباً في القلوب معظماً في الصدور يرتفع به قارئه وسامعه عن أن يلم بهزل ويعلم به في أعين العامة والخاصة "[٣]. والآية جاءت في معرض التوكيد لما سبقها من أنه فصل وفرق بين الحق و الباطل. ويعلل ابن عاشور سر التعقيب بهذه الصفة بعد هذ المحمدة العظيمة التي ذكرها في الآية التي قبلها قائلاً: "والذي أراه في ذلك أنه أعقب به الثناء على القرآن رداً على المشركين؛ إذ كانوا يزعمون أن النبي – صلى الله عليه وسلم – جاء يهزل؛ إذ يخبر بأن الموتى سيحْيَوْن، يريدون تضليل عامتهم حين يسمعون قوارع القرآن وإرشاده وجزالة معانيه يختلقون لهم تلك المعاذير ليصرفوهم عن أن يتدبروا القرآن وهو ما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾[٤]، فالهزل على هذا الوجه هو ضدّ

---

(١) الرازي.(1993م). **مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج5.ص1850.

(٢) سورة الإسراء، آية رقم:(105).

(٣) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**.مرجع سابق.ج8.ص391.

(٤) سورة فصلت، آية رقم:(26).

الجدّ أعني المزح واللعب، ومثل هذه الصفة إذا وردت في الكلام البليغ لا محمل لها إلا إرادة التعريض وإلا كانت تقصيراً في المدح لا سيما إذا سبقتها محمدة من المحامد العظيمة"(١).

256- نَمَارِق: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾(٢). وسياق الآية هو الحديث عن أوصاف الجنة وما أعد فيها من نعيم لأهلها.

يقول ابن فارس: "فيما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أوله نون: نمارق ومنه النمرقة: الوسادة وهذا مما زيدت فيه القاف إنما هي النمرة وهي: الكساء المخطط. وبالرجوع إلى نمر وجدت ابن فارس يقول: "النون والميم والراء أصلان أحدهما: لون من الألوان، والآخر يدل على نجوع وشراب، فالأول النمر معروف من اختلاط السواد والبياض في لونه غير أن البياض أكثر.....وكذلك النمرة: إنما هي كساء ملون مخطط" (٣). ويبدو أن النمارق من ذلك حيث فسرت النمارق بأنها الوسائد، . ومما تقدم يتبين أن النمارق هي:الوسائد ذات الألوان المختلطة، وما المانع من أن تكون الوسائد ملونة بألوان مختلفة ومخططة. والكلمة هنا لايغني غيرها مكانها من مثل: (وسائد – أرائك – متاكي)؛ لأن النمارق لا تكون إلا للاتكاء والاتكاء لا يكون إلا مع الراحة واعتدال المزاج والبال والرضا والنعيم، والاتكاء هي جِلسة المرتاح والْمُنَعَّم وهذا ما أراد السياق إثباته مما هم فيه من نعيم واسترخاء وهدوء، فالأمر ليس فقط بالجلوس بل الاتكاء هو الأصل في جلسات أهل الجنة بعضهم مع بعض؛ ولذا لا تجد آية فيها سرر أو فُرُش أورفارف أو أرائك إلا وتجدها مردفة بكلمة متكئين. وهذا إمعانا في إظهار ما هم عليه من استقرار وراحة وما هم فيه من ترف ونعمة. ووصف هذه الم ساند وا لمطارح بالمصفوفة لدلالة على حسن الإعداد والتجهيز والترتيب لما عليه الجنة لتستقبلهم أينما حلّوا وحيثما رحلوا، فيجدون مجالس للجلوس عليها وأخرى للاتكاء إليها.

" ولما أنزل الله – تعالى– هذه الآيات فى صفة الجنة وفسر النبي – عليه الصلاة والسلام –بأن ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والأكواب الموضوعة لا تدخل فى حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابى كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة وتطول النمارق هذا الطول وتنبسط الزرابى هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك فى الدنيا فقال الله –تعالى– أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت طويلة ثم تبرك حتى تركب

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق. ج16.ص285.

(٢) سورة الغاشية، آية رقم:(15).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج5.ص480، 484.

أو تحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأط يء للمؤمن كما يطأط يء الإبل، وإلى السماء كيف رفعت رفعاً بعيد اً الذى بلا إمساك وعمد، ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل فى حساب الخلق فكذا الأكواب، وإلى الجبال كيف نصبت نصباً ثابتاً فهى راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق، وإلى الأرض كيف سطحت سطحاً بتمهيد وتوطئة فهى كلها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق فكذا الزرابى، ويجوز أن يكون المعنى أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال والإبل "[١].

وكلمة مصفوفة تشي بمدى الراحة والترف؛ حيث إنها قد صفت لهم ورتبت احتفاءً بقدومهم، ولم يقوموا بفعل أي شيء؛ حيث إن الدار دار جزاء وليس عمل. ف قد أُريحوا عن أن يضعوها، و يصفّوها بأنفسهم. وكلمة نمارق توحي بأنها في غاية الكثرة ولا ترتبط بعدد الخلق.

257- زَرَابِيّ: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[٢]. وسياق الآية السابق نفسه. وزرابي: " جمع زَربيّة، وزرابي النبات ما بدا فيه اليُبس فاحمرّ أو اصفرّ وفيه خضرة ، وفي الآية البُسُط المنسوجة من الصوف الناعم تُفرش في الأرض للزينة والجلوس عليها ، لأهل الترف واليسار، وأصل زربية أذربيّة، نسبة إلى أذربيجان"[٣]. وقيل هي: " الطنافس المخملة والبسط"[٤].

وقيل إن أصل الزرابي "نسبة إلى (أذربيجان) بلدٍ من بلاد فارس وبخَارى، فأصل زربية أذربية، حذفت همزتها للتخفيف لثقل الاسم لعجمته واتصال ياء النسب به، وذَالها مبدَلة عن الزاي في كلام العرب لأن اسم البلد في لسان الفرس أزربيجان بالزاي المعجمة بعدها راء مهملة وليس في الكلام الفارسي حرف الذال، وبلد (أذرْبيجان) مشهور بنعومة صوف أغنامه. واشتهر أيضاً بدقة صنع البُسُط والطنافس ورقّة خَمَلها. والمبثوثة: المنتشرة على الأرض بكثرة وذلك كناية عن الكثرة "[٥]. ويقول الإمام البقاعي في الزرابي معنى جميلاً وكأنه يعلل ذكرها هنا في سياق هذه الآيات: " {وزرابيّ} أي بسط عريضة كثيرة الوبر كأنها الرياض فاخرة ناضرة زائدة عن مواضع

---

(١) النسفي.(د.ت).**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. مرجع سابق.ج4.ص334، 335.

(٢) سورة الغاشية، آية رقم:(16).

(٣) البسومي.(2001م).**المعجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ص25.

(٤) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج1.ص143،ص291.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير و التنوير**. مرجع سابق.ج16.ص311.

استراحاتهم، و(مبثوثة) أي مبسوطة على وجه التفرق في المواضع التي لا يراد التنزه بها من مواضع الرياحين النابتة والأشجار المتشابكة كما بسط -سبحانه وتعالى-أديم الأرض ورصّعه بأنواع النبات الفاخرة بما بسطوا أنفسهم في الدنيا للحق وألانوها له "[١]. وعلى هذا فإن الكلمة لم يغن غيرها مكانها؛ حيث إن الكلام عن الأثاث الفاخر المعد لأهل الجنة، وسبق أن ذكر النمارق أي الوسائد التي يتكأ عليها فكان من الضروري ذكر البسط والفرش التي يُجْلَس عليها؛ لذا عبر بالزرابي التي تزيد المكان بهجة وزينة وتمتعا، ولتعطى شكلاً جمالياً ولتمتص وقع الأقدام عليها زيادة في الهدوء والراحة، وتحافظ على أرضية الحجرات، والكلمة فيها إشارة إلى انشراح صدورهم وانبساط أرواحهم وانفتاح قلوبهم.

258- إِرَم: ورد في قوله تعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾[٢]. وسياق الآية في مقام الاعتبار لمن أراد أن يعتبر بهلاك من كفر من الأمم السابقة، ومنهم قبيلة عاد.

وإِرَم: "هي بلدة عاد، وقال مجاهد: إن معنى إرم القديمة، وعنه أيضاً القوية، والإِرَم هو العَلَمُ المبني من الحجارة."[٣]. ويقول ابن فارس: "(أرم) الهمزة والراء والميم أصلٌ واحد، وهو نَضْد الشيء إلى الشيء في ارتفاعٍ ثم يكون القياس في أعلاه وأسفله واحدا . ويتفرّع منه فرعٌ واحد، هو أخْذُ الشيء كلِّه ... والإرَم العَلَم، وهي حجارةٌ مجتمعة كأنَّها رجلٌ قائم. "[٤]. وقيل في تعريفها: "اسم لبلدة هؤلاء الطغاة، وقيل اسم جبل، وقيل: اسم قبيلة، وقيل: مدينة، وقيل اسم لجد عاد"[٥].

و"(إرم) عطف بيان لعاد للإيذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أي سبط إرم أو أهل إرم على ما قيل من أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان إلى حضر موت وهى بلاد الرمال والأحقاف ويؤيده القر اءة بالإضافة..، وفى المفردات الآرام أعلام تبنى من الحجارة وإرم ذات العماد إشارة إلى أعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة أو على هيئة القبور"[٦]. والكلمة دلت اشتقاقاً على ما كانوا يصنعون ويبنون، ودلت حقيقةً ونسباً على اسم

---

(١) البقاعي.(1415م).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص611.

(٢) سورة الفجر، آية رقم:(7).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ص4.

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج1.ص85.

(٥) الرازي.(1910م).**الصحاح**. مرجع سابق.ج5.ص1859.

(٦) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج17.ص230.

" إِرَم بن سَامٍ بن نُوح وهو جد عاد لأن عاداً هو ابن عُوص بن إِرَم"[١]. ولقد خصهم الله بوصف ذات العماد لما كانت عليها بيوتهم من قوة ومتانة وشدة وكانوا يبنونها فوق أعمدة غليظة ضخمة لتكون علامات ومنارات للمارين في الطرق أثناء السفر. وبالتالي تفردت هنا في هذا السياق؛ لأنها عبَّرت عن قوم حقيقين عاشوا في هذا المكان حقبة من الزمن ثم أهلكهم الله – عزّ وجلّ – بذنوبهم، وهذا استناداً للنصوص التاريخية والتفاسير القديمة.

259– سَوْط: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾[٢]. وسياق الآية في جزاء فرعون وجنوده والكافرين من الأمم السابقة.

يقول ابن فارس: " (سوط) السين والواو والطاء أصلٌ يدلُّ على مخالطة الشَّيءِ الشيءَ . يقال سُطت الشّيءَ: خلطتُ بعضَهُ ببعض. وسَوَّط فلانٌ أمرَهُ تسويطاً ، إذا خَلَطَه... ومن الباب السَّوط، لأنّه يُخالِط الجِلدة؛ يقال سُطْتُهُ بالسَّوط:ضربتُهُ. وأمَّا قولهم في تسمية النَّصيب سَوطاً فهو من هذا . قال الله جلَّ ثناؤه: {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} (الفجر 13)، أي نَصيباً من العذاب"[٣].

واستعمال السوط هنا في مثل هذا السياق لا يغني غيره مكانه؛ لأنه أولاً: من الأدوات التي كانت توجع المذنب وتؤلمه ألماً شديداً ويعرفها العربي جيداً. وثانياً: الكلمة تبث دلالات الأخذ والقوة والبطش وإحكام القبضة والتمكن منهم وإنزال العذاب بهم، ليعتبر من خلفهم، وليكونوا عبرة وآية. وتأكيداً على هذا، يقول الفراء: " هذه كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب، تُدخل فيه السوط . فجرى به الكلام والمثل. ونرى ذلك: أن السوط من عذابهم الذى يعذبون به، فجرى لكل عذاب؛ إذ كان فيه عندهم غاية العذاب"[٤].

وهكذا نجد أن التعبير القرآني قد امتاز بالدقة في اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المقام بما يلائمه . ففي الحديث عن ال عذاب اختار الـسوط، لما في وقْع السوط من شدة وصلابة، والسوط هو أكثر أ دوات العذاب ملاءمةً للبيئة البدوية لما فيها من الشدة والقوة ؛ لذا فإنها ناسبت المقام الذي وردت فيه. والسوط في اللغة ما يضرب به ، والقرآن شبه عذاب النار به ، قال أبو حيان الأندلسي : "ويقال: صب عليه السوط وغشاه وقنعه واستعمل الصب لاقتضائه السرعة

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص231.

(٢) سورة الفجر، آية رقم:(13).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص115، 116.

(٤) الفراء.(1983م).**معاني القرآن**. مرجع سابق.ج3.ص261.

في النزول على المضروب.. وخص السوط فاستعير للعذاب؛ لأنه يقتضى من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره" [(١)]، وقالت بنت الشاطئ: "وصل (صب سوط العذاب) بالتعذيب والعقاب إلى أقصى المدى بما يعني من تدفق وغمر، مع إسناده إلى الخالق الجبار" [(٢)]، وقال سيد قطب: "وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط ، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية "[(٣)].

إن التناسب في الآية بين (صب وسوط) واضح وجلي، وإنه يرسم صورة مجسدة متحركة بشتى أنواعها، والتصوير أداة مهمة يستخدمها القرآن في ألفاظه لعرض صورة المشهد ، ولتقريب الصور إلى الأذهان ، وتجسيدها في صور حسية ، وإعطائها صفة الحياة ، إن " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ؛ وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها نحوها فيمنحها الحياة الشاخصة والحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا اللوحة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شاخص حي وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل "[(٤)].

إن وجه الدلالة في (صب) تجسيد الكثرة والتتالي والسرعة، وفي اجتماع هذه المعاني قوة، فإذا أُسْنِد الفعل (صب) إلى الاسم (السوط) وقع تناسب دلالي، واتساق فعلي، وانسجام معنوي دقيق وجميل، وذلك لأن السوط يستخدم في العذاب ، ويقتضي استعماله التكرار والسرعة والقوة بخلاف السيف، الذي ربما يستعمل لضربة واحدة نافذة وانتهى الأمر . إن هاتين اللفظتين (صب وسوط) تعطيان صورة حية للعذاب الذي نزل بهم، مما يجعلك تهتز لتدرك دقة هذا التصوير الحركي وأبعاده وآثاره على نفس المتلقي وتستحضر صورة هذا العذاب شاخص بين عينيك وأمام ناظريك. "إن القرآن في تناسب آياته ومفرداته وعباراته ، وروعة أسلوبه، وجمال صوره ، وعذوبة موسيقاه يغدو أرقى نص أدبي وأخلده يجتمع فيه: التصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالإيقاع، وكثيرا ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبرات، وموسيقى السياق ، في إبراز صورة من الصور ، تتملّاها العين والأذن والحس والخيال ، والفكر والوجدان ، وهو تصوير

---

(١) الأندلسي.(1420هـ).**البحر المحيط**. مرجع سابق. ج8.ص470

(٢) عبدالرحمن، عائشة(بنت الشاطيء). **التفسير البياني للقرآن الكريم**. مرجع سابق.ص149 -150.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق. ج8.ص34.

(٤) قطب، سيد.(1423/2002). **التصوير الفني في القرآن**.مصر: دار الشروق.ص34.

حي منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة وخطوط جامدة ، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات . فالمعاني ترسم ، وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"(١).

260- جَمًّا: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾(٢). وسياق الآية الرد على جماعة من المشركين ببطلان ادّعائهم من أن الله إذا أغنى أحداً فمن كرامته عليه، وإذا أفقر أحداً فمن هوانه عليه.

يقول ابن فارس: " (جم) الجيم والميم في المضاعف له أصلان: الأوّل كثرةُ الشيء واجتماعه، والثاني عَدَم السِّلاح. واللفظة من الأول فالجَمُّ وهو الكثير"(٣).

والمعنى أنهم يميلون إلى جمع المال ميلاً شديداً يدفعهم إلى الحرص على جمعه والبخل بإنفاقه، وكل ذلك يعني أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة. والكلمة لا تغني غيرها مكانها من مثل: (شديداً-كثيراً)؛ لأن الجم فيها هذه المعاني وزيادة عليها مع الحرص والشره. والجملة مؤكدة بالمفعول المطلق وزيادة في التأكيد ساق هذا الوصف، الذي يشي بشراهة نفوسهم وحرصهم الشديد على الجمع والشعور بلذة الكنز وشهوة الامتلاك. ومما لاشك فيه أ ن حب المال والتملك غريزة فطرية عند الإنسان، وهو مرتبط بشهوة حب النفس؛ لأن المال يتوصل به إلى أغراض النفس والحصول على مشتهياتها ولذلك تعلقت به كثيراً، وكلما ازدادت شهوة حب النفس ازدادت شهوة حب المال، قال-تعالى-:{وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيْدٌ} (٤)، وقد يكون حب المال فضيلة إذا جمع من حلال وأدي حق الله فيه وأنفق في وجوه الخير والطاعة، قال - صلى الله عليه وسلم: "نعم المال الصالح للرجل الصالح"(رواه أحمد والطبراني)، ولكن شهوة حب المال فتنة قل من يصبر عليها ويسلم من آفاتها، قال-تعالى-:﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٥)، والواقع إن شهوة حب المال منزلق خطير، وكثيرا ما تقود صاحبها إلى حد البغي في الأرض والاستغراق في الطمع والجشع، والتعدي على الآخرين، قال

---

(١) السابق،نفسه.

(٢) سورة الفجر، آية رقم:(20).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.مرجع سابق.ج1.ص419، 420.

(٤) سورة العاديات، آية رقم:(8)

(٥) سورة التغابن، آية رقم:(15-16).

تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[١]. و"وصْفُ الحُبِّ بالكثرة مراد به الشدة لأن الحب معنى من المعاني النفسية لا يوصف بالكثرة التي هي وفرة عدد أفراد الجنس. فالجمّ مستعار لمعنى القوي الشديد، أي حبّاً مفرطاً، وذلك محل ذم حب المال، لأن إفراد حبه يوقع في الحِرص على اكتسابه بالوسائل غير الحَق كالغصب والاختلاس والسرقة وأكل الأمانات "[٢].

ويقول حقي في(جمّاً)بأنه: "كثيرا مع حرص وشره ومنع حقوق وعدم انتفاع ف إن الجم الكثير يقال:جم الماء فى الحوض إذا اجتمع فيه وكثر، والمقصود ذمهم ببيان أن حرصهم على الدنيا فقط وأنهم عادلون عن أمر الآخرة وفيه إشارة إلى أن حب المال طبيعى فلا يتخلص منه المرء بالكلية إلا أن يكون من الأقوياء فكأنه أشار إلى أن حبه إذا لم يشتد لا يكون مذمومًا، وقال بعض الكبار وتحبون مال الأعمال السيئة النفسانية والأحوال القبيحة الهو ائية حباً كثيراً"[٣]. وعلى ما تقدم فقد ظهر جلياً سر تفردها في سياقها.

261- كَبَد: ورد في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾[٤]. وسياق الآية هو الحديث عن:حال الإنسان وخلقه في مشقة ومكابدة طوال حياته.

ويقول ابن فارس: " (كبد) الكاف والباء والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على شِدّة في شيء وقُوّة. من ذلك الكَبَد ، وهي المشقّة. يقال: وُلَقِيَ فلانٌ من هذا الأمر كَبَداً ، أي مشَقة . قال- تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾وكابدتُ الأمر: قاسيتُه في مشقّة. ومن الباب الكَبِد، وهي معروفة، سمِّيت كَبِداً لتكبُّدِها "[٥]. وفي معنى الكبد وجوه نقل منها الرازي في تفسيره عن صاحب الكشاف قائلاً: "أحدها: إن الكبد أصله من قولك كبد الرجل كبداً فهو كبد إذا وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة وأصله كبده إذا أصاب كبده، وقال آخرون: الكبد شدة الأمر ومنه تكبد اللبن إذا غلظ واشتد، ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشتد، والفرق بين القولين أن الأول جعل اسم الكبد موضوعاً للكبد، ثم اشتقت منه الشدة. وفي الثاني جعل اللفظ موضوعاً للشدة والغلظ، ثم اشتق منه اسم العضو، الوجه الثاني: أن

---

(١) سورة الشورى،آية رقم : (27).

(٢) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.مرجع سابق.ج16.ص333.

(٣) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج17.ص243.

(٤) سورة البلد، آية رقم:(4).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص153.

الكبد هو الاستواء والاستقامة ، الوجه الثالث:أن الكبد شدة الخلق والقوة، إذا عرفت هذا فنقول أما على الوجه الأول فيحتمل أن يكون المراد شدائد الدنيا فقط، وأن يكون المراد شدائد التكاليف فقط، وأن يكون المراد شدائد الآخرة فقط، وأن يكون المراد كل ذلك"(١).

والكلمة لا تغني غيرها مكانها من مثل(تعب- مشقة- جهد...)؛ لأنها تشمل هذا وفوقه؛ إذ تحمل كل معاني المشقة والمكابدة والمعاناة من المراحل الأولى لخلقه حتى تقرير المصير، سواء في أمور الدنيا من بحث على الأرزاق وتأمين أخطار الحياة من مثل:الأمراض والأوجاع والآلام والمصائب والشدائد وغيرها. أو من أمور الآخرة من أهوال وأحداث جسام تشيب منها الولدان ثم مشقة الحساب ثم تقرير مصيره سواء إلى جنة أو إلى نار. والآية تحتوي على جملة من المؤكدات تبدأ بـ (اللام - قد - الفعل الماضي) وإسناد الفعل الماضي إلى نون العظمة، ثم حرف الجر(في) الذي يدل على أن هذا الكبد يشمل كل حياته وداخل فيها ومستمر معه في الدارين حتى يقرر مصيره إما بزيادته في النار أو بانتهائه وزواله بدخوله الجنة؛ ولذا لم يقل السياق:لقد خلقنا الإنسان كابداً.

وفي الآية التي بعدها بيان للأسباب الموقعة له في النكد، "وهي شهوتان: نفسية وحسية، والنفسية منحصرة في أربع: الأولى أنه يشتهي أن يكون كل من في الوجود في قبضته فأشار إليها (أيحسب) أي هذا الإنسان لضعف عقله مع ما هو فيه من أنواع الشدائد (أن لن يقدر) ولما أكد بالفعلية وخصوص هذا النافي قدم الجار تأكيداً بما يفيد من الاهتمام بالإنسان فقال: (عليه) أي خاصة (أحد) أي من أهل الأرض أو السماء فيغلبه حتى أنه يعاند خالقه مع ما ينظر من اقتداره على أمثاله بنفسه وبمن شاء من جنوده فيعادي رسله عليهم - الصلاة والسلام - ويجحد آياته"(٢).

وهذه الكلمة تناسب جو السورة والآيات كلها، فالجو العام كله فيه ذكر لل م كابدة والمشقة واستحلال الحرمات وما أصاب الرسول في هذا البلد وليس في السورة مجال لذكر الأمن ، فالرسول والصحابة ليسوا آمنين في هذا البلد والرسول -صلى الله عليه وسلم- حلٌ يفعل ما يشاء يوم الفتح فارتفعت عن البلد صفة الأمن في هذه السورة ، فجو السورة في معظمه ليس فيه أمن وأمان ومن ثم جاء جزاء الكافرين المشئمة والنار المؤصدة (والذين كفروا بآيتنا هم أصحاب المشئمة عليهم نار مؤصدة). وبما أنه لا يوجد أمن في البلد ولا الجو العام في السورة فيه أمن ؛ لذا ناسب

(١) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج31.ص167.

(٢) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص228.

النكد والمشقة والشدّة، وتناسقت (ووالد وما ولد) فهي تشير إلى جو الولادة التي هي المكابدة والشدّة والمشقة كذلك مع قوله: (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ثم ارتبطت بآخر السورة (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)؛ لأن الوالد يحتاج في تربية ولده إلى صبر ومرحمة سواء كان من الأناسيّ أو البهائم ولولاهما لما استطاع تربية أبنائه . وهي مناسبة لجو السورة الذي كله يقوم على المكابدة والمشقة والصبر والمرحمة الذي هو الإطار العام للسورة.

262- شَفَتَين: ورد في قوله تعالى:﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾[١]. وسياق الآية في الرد على منكري البعث، وتعداد النعم التي أنعم الله بها على منكريه، ومن بين هذه النعم الشفتين.

شفتا الإنسان: " الجزء اللحمي الظاهر الذي يستر الأسنان ، وهما اللتان يطبقهما الإنسان على فيه ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ وغير ذلك، كما أنه بهما يستر ثغره"[٢].

ونلاحظ تناسب الكلمات التي وردت في تلك الآيات: جاءت كلمة عينين وهما أداة الرؤية مقابل قوله – تعالى- (أيحسب أن لم يره أحد)، وجاءت كلمة لساناً وشفتين مقابل قوله تعالى: (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً)، واللسان والشفتان هما أداة النطق . فكأنما- سبحانه وتعالى- جعل الدليل على علمه وقدرته بما أعطاه للإنسان من وسائل ليستعملها ولما تغطرس الإنسان بقوله أهلكت مالاً لبداً عرّفه الله أنه ما كان له أن يتكلم إلا بما وهبه الله به إذا تكلم الإنسان وأبان عما في نفسه فإنما يفعل ذلك بما وهبه الله من لسان وشفتين، وليس فضل ذلك عائد اً إلى الإنسان ولا من صنعه.

" وذِكْر الشفتين مع اللسان لأن الإبانة تحصل بهما معاً فلا ينطق اللسان بدون الشّفتين ولا تنطق الشفتان بدون اللسان. ومن دقائق القرآن أنه لم يقتصر على اللسان ولا على الشفتين خلاف عادة كلام العرب أن يقتصروا عليه يقولون: ينطق بلسانٍ فصيح، ويقولون: لم ينطق ببنت شفة، أو لم ينبس ببنت شفة، لأن المقام مقام استدلال فجيء فيه بما له مزيد تصوير لخلق آلة النطق"[٣]. ولأهمية الشفة ذكرها الله – عز وجل- هنا في هذا السياق لأنه بهما يُ سْتَر الفم والأسنان، وبهما يُمتص الماء، ومن انفتاحهما وانغلاقهما تتكيف أصوات الحروف التي بها النطق وهو المقصود هنا، وعليه فقد تفردت هنا ولم يغن غيرها مكانها.

---

(١) سورة البلد، آية رقم:(9).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ص30.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص347.

ثم قدم السياق اللسان على الشفتين وقال: " (ولسانا) يترجم به عن ضمائره وبه تنعقد المعاملات وتحصل الشهادات ويدرك الطعوم من الحلو والمر ولو لم يكن اللسان لاحتاج الإنسان إلى الاشارة أو الكتابة فتعسر أمره وإنما تعدد العين والأذن وتفرد اللسان لأن حاجة الانسان إلى السمع والبصر أكثر من حاجته إلى الكلام وفيه تنبيه أيضا على أن يقل من الكلام إلا فى الخير وأن لا يتكلم فيما لا فائدة فيه وهو السر فى أن الله – تعالى– جعل اللسان داخل الفم وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام إلا بفتحهما ليستعين العبد بإطباق شفتيه على رد الكلام، وبهما يستر بهما فاه إذا أراد السكوت ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ، قال السجاوندى[١] خص الشفة لخروج أكثر الحروف منها وفى الدعاء :الحمد لله الذى جعلنا ننطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم قال بعضهم:أسبل الصانع الحكيم أمام الفم ستراً من الشفة ذا طرفين يضمهما عند الحاجة ويمتص بهما المشروب وجعل الشارب محيطاً من العليا ليمنع ما على وجه الشراب من القش والقذى أن يدخل جوفه "[٢].

263– النَّجْدَين: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[٣]. وسياق الآية نفس القياس السابق.

والنجد: "الطريق المرتفع البين الواضح"[٤]. وبهذا يكون النجد هي الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبل، والمراد هنا طريقان نجدان مرتفعان، وقد جعل الله طريقي الخير والشر ك أنهما مكانان مرتفعان واضحان يراهما كل واحد أينما كان، حتى لا يكون لأحد حجة على الله.

واستناداً للمعنى الاشتقاقي من أن المعنى هو الطريق المرتفع، فكأنه لما وضحت الدلائل جعلت كالطريق المرتفعة العالية بسبب أنها واضحة للعقول كوضوح الطريق العالي للأبصار. والنجد هو التعبير الوحيد المستعمل في القرآن فقد ورد في القرآن كلمة السبيل والصراط. والنجد يعني الطريق المرتفع . وأغلب المفسرين قالوا : إنه يعني طريق الخير وطريق الشر. واختيار كلمة النجد مناسب تماماً لجو السورة فلم يقل هديناه السبيل؛ لأن السبيل هو الطريق السهل الميسّر الواضح التي يكثر السير فيها ، أما سلوك النجد ففيه مشقة وصعوبة ومناسب لجو السورة وما فيها من

---

(١) هو محمد طيفور، أبوعبد الله السجاوند الغزنوي، إمام كبير ومحقق مقريء نحوي مفسر، كان وسط المائة السادسة، له تفسير حسن للقرآن، وكتاب علل القراءات وكتاب الوقف والابتداء من تحقيق:د/محسن درويش، نقلاً عن ابن الجزري، غاية النهاية157/25.

(٢) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج17.ص261.(بتصرف يسير)

(٣) سورة البلد، آية رقم:(10).

(٤) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. مرجع سابق.ج14.ص47:45.

مشقة ومكابدة وشدّة وصعوبة.. إذن فلفظ (النجدين) يتواءم مع السورة من حيث القوة والمشقة والمكابدة. وما عليه عامة المفسرين أن النجد هو الطريق، وعن الرسول- صلى الله عليه وسلم-: (لا يكن نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير) وهذا الأقرب. وإذا استخدمت الهداية مع النجدين فهي تكون بمعنى الدلالة على الطريقين طريق الخير وطريق الشرّ (تبصرة للطريق فقط) أي يرشده إلى الطريق؛ لأن الطريق قد تكون مودية إلى الجحيم. إذن هي تبصرة للطريق فقط (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّه يُضِلُّه وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ). "وقد استعيرت الهداية هنا للإلهام الذي جعله الله في الإنسان يدرك به الضارّ والنافع وهو أصل التمدن الإنساني وأصل العلوم والهداية بدين الإسلام إلى ما فيه الفوز. واستعير النجدان للخير والشر ، وجعلا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير فغلِّب على الطريقين، أو لأن كل واحد صعب باعتبار، فطريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه، ولذلك عبر عنه بعدَ هذا بالعقبة"(١). ومن هنا نتبين أن النجدين لم يغن غيرها مكانها من مثل: (الصراط- الطريق- السبيل)؛ لأنه كما سبق أن النجد فيه صعوبة ومشقة ومكابدة وهذا يتناسب وجو السورة العام.

264- مَسْغَبَة: ورد في قوله تعالى: ﴿ **أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ** ﴾(٢). وسياق الآية:هو الحديث عن وجوه وأبواب الخير التي تنفق فيها الأموال.

يقول ابن فارس: " (سغب) السين والغين والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الجوع. فالمَسْغَبَة: المجاعة، يقال سَغِبَ يَسْغَبُ سُغُوباً، وهو ساغب وسغبان. ... وقال بعض أهل اللغة:لا يكون السَّغَب إلا الجوعَ مع التعب "(٣). والكلمة لا يغني غيرها مكانها من مثل: (جوع – سغب – مخمصة..)؛ لأن "هناك مسألتين لاستعمال كلمة مسغبة بدل السغب أو الجوع أولها: أن المسغبة تعني الجوع العام والجماعي وليس للفرد والسغب هو الجوع الفردي . وثانياً: أن المسغبة هي الجوع العام مع التعب والإرهاق ولهذا خصص باستعمال (مسغبة) أما الجوع فلا يرافقه بالضرورة التعب والإرهاق، أما المخمصة فهي الجوع الذي يرافقه ضمور البطن وهذه عقبة من عقبات المجتمع إنه في يوم مجاعة مع التعب والإرهاق وهو اليوم الذي فيه الطعام عزيز وغير مبذول وهو دلالة على شدة الضيق والكرب كما قال بعض المفسرين ، وهناك فرق بين الإنفاق في وقت الطعام فيه متوفر وبين يوم ذي مسغبة وهو ليس كأي يوم من الأيام . واستعمل السياق لفظ (إطعام) وليس طعام

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص347.

(٢) سورة البلد، آية رقم:(14).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص78.

مثلاً أو أن تطعموا ؛ لأنه من الناحية اللغوية من الممكن القول:أن تطعموا ، إطعام أو طعام. فالطعام يحتمل معنيين أولهما أن تكون الكلمة بمعنى المصدر لفعل أطعم وهي تعني عملية الأكل نفسها(فَلْيَنْظُرْ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) وثانيهما: أن يكون هو الأكل نفسه. وكل آية ورد فيها لفظ (طعام) فيها احتمالان في المعنى (الطعام والإطعام) كما قال المفسرون وكلاهما مرادان في المعنى . لكن في هذه السورة ومن سياق الآيات نلاحظ أن الم راد هنا معنى (إطعام)؛ لأن اليوم ذ و مسغبة والمقصود الأكل لأن الجوع مع التعب يُسبب إطعام اً؛ لأن الجائع المتعب يحتاج إلى إطعام من أي شيء وبأي قدر لسد جوعه ليُبْقِي على حياته. أما عدم استعماله لـ (أن تطعموا)؛ لأن الفعل المضارع مع وجود أن يدل معناه على الحدوث مستقبلاً ولكن هذا المعنى لا يصح في الآية لأن المسغبة قائمة ويجب أن يكون الإطعام فوراً ولهذا استخدمت الصيغة الاسمية"[١] ؛ لذا تفردت هنا في هذا السياق. ولأن إخراج الطعام في ذلك اليوم وهو يوم مجاعة أثقل على النفس و أوجب للأجر.

265- التِّين: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾[٢]. والآية في معرض القسم بالتين وجبل الطور والبلد الحرام بخلق الإنسان في أحسن صورة وأجمل خِلْقة.

والتِين: شجرة من فصيلة التوتيات، أصلها من الشرق الأوسط، تزرع اليوم في جميع بلدان المتوسط، وهي لا تحتمل الصقيع، ويعتبر التين من أغنى مصادر الفيتامينات (أ، ب، ث)كما يحتوي على نسبة عالية من المواد المعدنية، وعلى الأخص الحديد، والكلس، والنحاس، وهي المواد البانية لخلايا الجسم، والمولدة لخضاب الدم في حالات فقر الدّم، كما يحتوي على نسبة عالية من السكر تبلغ حوالي 19% من وزنه، وللتين فوائد جمة يضيق المقام بعرضها"[٣]. ويقول ابن فارس: " التاء والياء والنون ليس أصلاً إلا التين وهو معروف، والتين جبل" [٤]. والتينُ "ثمرة يشبه شكلها شكل الكمثرى ذات قشر لونه أزرق إلى السواد، تتفاوت أصنافه في قُتومَة قِشره، سهلة التقشير تحتوي على مثل وعاء أبيضَ في وسطه عَسل طيّبُ الرائحة مخلوط ببزور دقيقة مثل السِمسم الصغير، وهي من أحسن الثمار صورة وطعماً وسهولة مضغ، فحالتُها دالة على دقة صنع الله ومؤذنة بعلمه وقدرته، فالقسم بها لأجل دلالتها على صفات إلهية كما يقسم بالاسم لدلالته على

---

(١) السامرائي.(2009/6/4).**لمسات بيانية** .انظر موقع: www.uqu.edu.sa/page/ar/150063.تاريخ الزيارة: 2013/12/4م

(٢) سورة التين، آية رقم:(1).

(٣) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.مرجع سابق.ص9.

(٤) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج1.ص361.

الذات، مع الإيذان بالمنة على الناس؛ إذ خلَق لهم هذه الفاكهة التي تنبت في كل البلاد والتي هي سهلة النبات لا تحتاج إلى كثرة عمل وعلاج"(١). وأقسم الله بهما لبركتهما وعظيم منفعتهما.

ولقد اختلف المفسرون حول المقصود بالتين والزيتون في هذه الآية: "فمنهم من قال:إنهما التين والزيتون الثمران المعروفان، فقد ذكر الله – تعالى – في كتابه العزيز بعض الثمار كالعنب والنخل والفاكهة والطلح والسدر. ومنهم من قال إن التين إشارة إلى عهد آدم – عليه السلام– حينما كان الإنسان يستر نفسه بورق التين (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ). أما الزيتون فهو إشارة إلى عهد نوح – عليه السلام –، فبعد أن انتهى الطوفان أرسل نوح طيراً فعاد إليه يحمل ورقة زيتون، فعلم أن الطوفان قد انتهى، وأن الأرض عادت تنبت. ومنهم من قال: إن التين والزيتون إشارة إلى القدس وهي مبعث عيسى – عليه السلام –؛ لأنه– تعالى– بعد ذلك أشار إلى طور سيناء ومكة. وطور سيناء هي المكان الذي كلَّم الله فيه موسى – عليه السلام –، وعهد إليه بأن يذهب إلى فرعون، وإن مكة مبعث محمد – صلى الله عليه وسلم –، فيكون –تعالى– قد أقسم بثلاثة مواقع مشرفة ببعثه فيها ثلاثة من الرسل الكرام أولي العزم. وعلى هذا يكون التين والزيتون إشارة إلى أماكن وذكريات ذات علاقة بالدين والإيمان، أو ذات علاقة بنشأة الإنسان"(٢).

وقيل: "خص التين بالقسم لأنها فاكهة مخلصة لا عجم لها (أي:لا بذر فيها)، شبيهة بفواكه الجنة. وخص الزيتون لكثرة منافعه ، ولأنه شجرة مباركة جاء بها الحديث ، وهو ثمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح "(٣). ويرجح صاحب الظلال سبب ذكر التين هنا رأياً يتماشى وهدف السورة الرئيسي قائلاً: " الأقرب أن يكون ذكر التين والزيتون إشارة إلى أماكن أو ذكريات ذات علاقة بالدين والإيمان. أو ذات علاقة بنشأة الإنسان في أحسن تقويم (وربما كان ذلك في الجنة التي بدأ فيها حياته) ؛كي تلتئم هذه الإشارة مع الحقيقة الرئيسية البارزة في السورة ؛ ويتناسق الإطار مع الحقيقة الموضوعة في داخله. على طريقة القرآن "(٤). وعلى ما سبق فقد تبين سر تفرد التين هنا ولم يغن غيرها مكانها.

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص391.

(٢) حومد، أسعد.(د.ت) **أيسر التفاسير**. (د.ن).ج1.ص5976.

(٣) البغوي.(1420هـ).**معالم التنزيل**. مرجع سابق.ج8.ص468.

(٤) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق.ج8.ص60.

266- الزَّبَانِيَة: ورد في قوله تعالى: ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[١]. وسياق الآية في وعيد أبي جهل ومن هو على شاكلة كفره. والزبن في اللغة: " الدفع، والزبانية: الذين يزبنون الناس أي يدفعونهم. قال حسان:

زَبَانِيَةٌ حَولَ أَبْيَاتِهِمْ وَخُـــ ورٌ لَدَى الْحَرْبِ فِي الْمَعْمَعَهْ"[٢].

ومناسبة الآية هو: " ما رواه الترمذي والنسائي عن ابن عباس قال:«كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -يصلي عند المقام فمر به أبو جهل فقال:يا محمد ألم أنهك عن هذا، وتوعَّده، فأغلظ له رسول الله، فقال أبو جهل:يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر أهل هذا الوادي نادياً، فأنزل الله تعالى:{فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} يعني أن أبا جهل أراد بقوله ذلك تهديدَ النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه يغري عليه أهل نادِيه"[٣].

وهذه الآية "معجزة خاصة من معجزات القرآن فإنه تحدى أبا جهل بهذا وقد سمع أبو جهل القرآن وسمعه أنصاره فلم يقدم أحد منهم على السطو على الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن الكلام يلهب حميته"[٤]. ويعلل الآلوسي سر التسمية بهذا الاسم قائلاً: "والزبانية فى الأصل فى كلام العرب الشُرَط كصرد جمع شرط بالضم وهم طائفة من أعوان الولاة سموا بذلك؛ لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها كما فى القاموس والشرط بالتحريك والعلامة والواحد زبنية. .. من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع؛ لأنهم يزبنون الكفار أى يدفعونهم فى جهنم بشدة وبطش يعنى أن ملائكة العذاب سموا بما سمى به الشُرُط تشبيهاً لهم بهم فى البطش والقهر والعنف والدفع وقيل:الواحد زبنى وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير إلى زبانية كأنسى بكسر الهمزة وأصلها زبانى وقيل: زبانية بتعويض التاء عن الياء بعد حذفها للمبالغة فى الدفع "[٥]. وعليه فإن الكلمة تفردت لدلالتها اشتقاقاً وواقعاً على الفعل الذي سيقومون به في الآخرة مع أمثال هؤلاء.

267- ضَبْحاً: وردت في قوله تعالى:﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾[٦]. وسياق الآية هو: قسم الله- الله- سبحانه وتعالى-بخيل المعركة، مع وصف حركاتها واحدة واحدة منذ أن تبدأ عدوها وجريها

---

(١) سورة العلق، آية رقم:(18).

(٢) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**.ج5.ص2130. والبيت في ديوان حسان.ج1.ص521.

(٣) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص412.

(٤) السابق، نفسه.

(٥) الآلوسي.(1415هـ).**روح المعاني**. مرجع سابق.ج30.ص188.

(٦) سورة العاديات، آية رقم:(1).

ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار. على أن الإنسان لربه جاحد.

يقول ابن فارس: "(ضبح) الضاد والباء والحاء أصلانِ صحيحان:أحدهما صوتٌ، والآخَرُ تغيُّرُ لون من فعلِ نار. فالأَوّل قولُهم:ضَبَحَ الثّعلبُ يَضْبَح ضَبْحاً. وصَوْتُهُ الضُّبَاح، وهو ضابح"[١].

والضبح كما سبق: "أصوات أنفاس الخيل يقال:ضبحت الخيل ضبحاً، وذلك إذا عَدَوْن"[٢].

وأيضاً هو: "صوت جهير من أفواهها عند العدو الشديد، ليس بصهيل ولا حمحمة ولا رغاء وهو النفس، وليس من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب، وأصله للثعلب واست عير للخيل، وحكاه ابن عباس رضي الله عنهما فقال:أح أح، أو الضبح عدو دون التقريب"[٣].

وفي الآية يقسم الله – سبحانه وتعالى– بالخيل التي تجري في سبيل الله، فيسمع لها زفير شديد لشدة عدوها. ويُقْسِمُ بها ليُعلي من قدرها في نفوس المؤمنين من عباده، ليعتزوا بها، ويكرموها، ويتخذوها للجهاد في سبيله. وَوَصْفُ – سبحانه وتعالى– الخيل بإصدار هذا الصوت تمام للتبشير بصحتها وسلامتها وعودتها غانمة من الغزو. وخروج هذا الصوت منها للدلالة على سرعة انطلاقها . والمدقق في الفاصلة التي تنتهي بها الآيات الثلاث سيجدها حرف الحاء، والملاحظ أن هناك توافق بين صوت الحاء وأصوات الخيول ووقع حوافرها، والحاء صوت احتكاكي يتناسب مع السياق الدلالي يتجلى في الآتي: أولاً: هناك عدْو ينتج عنه احتكاك واضطراب للنَّفَس داخل الحنجرة مسبباً الضباح هو صوت الخيل إذا جرت أو أسرعت، وهو صوت ليس بصهيل أو حمحمة ، إنما هو صوت أنفاسها ، واعتماداً على البنية المعجمية فإن للخيل ثلاثة أصوات؛ الصهيل والحمحمة والضباح، فالخيل تصهل وهي واقفة، وتحمحم إذا رأت صاحبها، ولكن ضباحها لا يسمع إلا في الجري أو الركض، و قد أفادت الآية الأولى (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً) هذا التخصيص الصوتي، وهو صوت يتماثل تماماً مع آلية نطق صوت الحاء، ثانياً: هناك احتكاك للحوافر بالأحجار التي تركض فوقها فتحدث شراراً، وأي احتكاك ينتج عنه صوت الحاء؛ ولهذا جاءت (فالموريات قدحا)، ومن هنا يتضح سر اختيار هذه الكلمة في هذا السياق.

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص385.

(٢) الزبيدي.(1994م).**تاج العروس**. مرجع سابق.ج14.ص131،

(٣)البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص757.

268- قدحاً: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾[١]. وسياق الآية في نفس سياق الآية السابقة.

القَدْح: "الاستخراج، وقدح الحجر أي حاول استخراج النار منه، والموريات قدحا:هي الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها "[٢]. والقدح: "قدحك الزند بالقداح لتورى، والقِدْحة بالكسر: اسم مشتق من اقتداح النار بالزند" [٣]. ولقد تعددت آراء المفسرين حول المقصود من هذه الآية، فقيل: "المراد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأورت منه النار مثل الزند، وقيل: إيراء الخيل أن تهيج الحرب بين أصحابها وبين عدوهم، وقيل المراد: الألسنة تورى نار العداوة لعظم ما تتكلم به، وقيل: هي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة، والوجه الأول هو الأقرب، لأن لفظ الإيراء حقيقة في إيراء النار وفي غيره مجاز ولا يجوز ترك الحقيقة بغير دليل" [٤]. ويذكر ابن عاشور ما تنطوي عليه الآية من جمال بلاغي قائلاً: " ويجوز أن يكون{الموريات قدحاً}مستعار لإثارة الحرب لأن الحرب تشبَّه بالنار. قال تعالى:{كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللَّه} (المائدة:64)، فيكون{قدحاً}ترشيحاً لاستعارة {الموريات}ومنصوباً على المفعول المطلق لـ{الموريات}ويجوز أن يكون{قدحاً} بمعنى استخراج المرق من القِدر في القداح لإطعام الجيش أو الركْب، وهو مشتق من اسم القَدَح، وهو الصحفة فيكون {قدحاً}مصدراً منصوباً على المفعول لأجله "[٥].

والآية تشي بكناية أيضاً عن الإمعان في العدو وشدة السرعة في السير، وقوة حوافر الخيل وصلابتها، وحماس الخيل الشديد، وهذا يؤكد أصالتها، والله قد أقسم بها فكيف تكون غير ذلك.

وكلمة قدحاً تناسب هذا الجو الصاخب بالأصوات، والمفعم بالحركة والنشاط، المليئ بالخشونة والاحتكاك والمتداخلة عناصره من كل الجهات، فالخيل كل حركة من حركات أعضائها لها صوت وفعل، فمن أعلى بحناجرها تصدر(ضبحا)، ومن أسفل بحوافرها توري (قدحا)؛ لذا ناسب الإيراء القدح، لأنه لا ينتج إلا بعد احتكاك الحوافر الصلبة مع الأحجار الصلبة فتحدث شرراً، وهذا هو القدح. لذا تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها مكانها من مثل:(ناراً — شرراً — لهباً...).

---

(١) سورة العاديات، آية رقم:(2).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. مرجع سابق.ص40.

(٣) ابن منظور.(2000م).**اللسان**. مرجع سابق.ج11.ص50:52.

(٤) القرطبي.(1427/2006).**الجامع لأحكام القرآن**. مرجع سابق.ج10.ص7498.

(٥) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص442.

269- نَقْعا: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾[١]. مازال الحديث عن الخيل المجاهدة في سبيل الله وما تفعله من إثارة للغبار الكثيف.

يقول ابن فارس: " (نقع) النون والقاف والعين أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلُّ على استقرارِ شيءٍ كالمائعِ في قراره، والآخر على صوتٍ من الأصوات"[٢]، ويبدو أن الكلمة من الأصل الثاني؛ لأنه قد يكون من معاني النقع رفع الصوت بالصياح، ومنه قول لبيد:

فَمَتَى يَنقَعْ صُراخٌ صَادِقٌ يَجْلِبُوها ذَاتَ جَرْسٍ وَزَجَلْ[٣].

والنقع: "الغبار الساطع المرتفع"[٤]. وأصله من" نقع الصوت إذا ارتفع فالغبار سمى نقعًا لارتفاعه أو هو من النقع فى الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كما يخوض الرجل فى الماء وتخصص إثارته بالصبح؛ لأنه لا يثور ولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر أن الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل قال سعدى المفتى والفر فى المحاولة أثر المدبر الهارب والمصاولة مع المقبل المحارب فينشأ الغبار الكثير"[٥].

فالعدو والإغارة يكونان مختلفين تارة يميناً وتارة يساراً وتارة أماماً وتارة وراءً حسب الكر والفر، فينشأ عن هذه الحركات الغبار الكثير؛ لأن الهواء أثاره؛ إذ تُحَرِّكُ قوائمه ا. والكلمة لا يغني غيرها مكانها فالنقع هو الغبار الكثيف الذي لا يشق، فمن شدة العدو وقوة ضرب حوافر الخيل في الأرض تثير غباراً وتراباً كثيفاً وهذ الخير دلالة على قوتها ومتانتها. وبالتالي تفردت هنا في سياقها ولا يغني غيرها من مثل: (غبار- تراب- دخان).

وهناك توافق بين المقطعين الإيقاعيين في بداية السورة، المقطع الإيقاعي الأول وهو صوت الحاء الاحتكاكي وحركة الخيل ومسيرتها إلى الحرب وهو يمتد لثلاث آيات، والمقطع الإيقاعي الثاني وهو صوت العين المجهور وأجواء الحرب وهو يمتد لآيتين في قوله تعالى:﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾؛ حيث إن وصول الخيل إلى أرض المعركة يقتضي اختلاف الأصوات ؛ فقد ثار غبار المعركة، وعلت أصوات المتحاربين حتى صارت وغىً ، وتخللها جلبة وصياح ، وهذه الأصوات تنسجم مع صوت العين الاحتكاكي المجهور؛ إذ إن "العين ذات قيمة تعبيرية واضحة في تصوير

---

(١) سورة العاديات، آية رقم:(4).

(٢) ابن عاشور.(2000م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5. 472.

(٣) البيت في ديوان لبيد.ص146.

(٤) الزبيدي.(1427/2006).**تاج العروس**. مرجع سابق.ج11.ص487:486.

(٥) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق.ج17.ص388.

الحركات والأصوات العنيفة "[1]، وهذا هو الفرق الرئيس بين صوت الحاء والعين ؛ إذ إن الحاء صوت احتكاكي مهموس ، والعين صوت احتكاكي مجهور ، ومن المألوف أن تسمع الأصوات المجهورة في ساحة المعركة ، ولا تُسْمع قبل بدء المعركة . "وقد يظن في بعض الأحيان أن الآية تهيئ لفاصلة بعينها، ولكن القرآن الكريم يأتي بغيرها إيثاراً لما هو ألصق بالمعنى، وأشد وفاء بالمراد "[2]، ويعزز ما تقدم ما قيل في تفسير قوله تعالى:﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ﴾ " أن النقع يراد به الصياح، أي:فهيّجن في الْمُغَار عليهم صياحاً وجلبة"[3]. ويجمع بكري شيخ أمين بين الوظيفة الإيقاعية والوظيفة الدلالية للفاصلة؛ إذ "إن الفاصلة ترد وهي تحمل شحنتين في آن واحد:شحنة من الوقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية"[4].

270- كَنُود: ورد في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[5]. وسياق الآية هو الحديث: الحديث: عن كفران نعمة الله من قبل الإنسان والتأكيد على هذا بالقسم.

يقول ابن فارس: " (كند) الكاف والنون والدال أصل صحيحٌ واحد يدلُّ على القَطْع. يقال كَنَدَ الحبْلَ يكنُده كَنْداً. والكَنُود: الكفور للنِّعمة. وهو من الأوَّل، لأنَّه يكنُد الشكر، أي يقطعُه. ومن الباب: الأرضُ الكَنود، وهي التي لا تُنبِت"[6].

والكنود: "كفر النعمة، وقيل: الجحود، وقيل: هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده، ويضرب عبده، وقد ذكر المفسرون أقوالاً مختلفة في شرح هذا اللفظ منها: أن الكنود يذكر المصائب وينسى النعم، وقيل: العاصي، وقيل: البخيل، وقيل: الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم، أو الذي يرى النعمة من نفسه وأعوانه، وقيل: الهلوع، وقيل: الحسود ، وقيل: غير ذلك"[7].

والمدقق في حروف الفعل كند، تجده يبدأ بالكاف والكاف – في الغالب – تأتي في الكلمات التي تدل على القطع والبتر والانفصال وحركة وانقطاع وبالتالي الجحود والمنع من مثل كسر–كبت –كفر– شكى– بكى–كسح– فكَّ– برك – فتك– بكّ– نكر– فرك..)

---

(١) العبد، محمد السيد سليمان.(1989م).**من صور الإعجاز الصوتي في القرآن**.المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م9. ع36.. ص 79

(٢) المرسي، كمال الدين عبد الغني.(1999م).**فواصل الآيات القرآنية**.المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.ص85.

(٣) الزمخشري.(1424/2003). **الكشاف**. مرجع سابق.ص1217.

(٤) أمين، بكري شيخ.(1994م)، **التعبير الفني في القرآن**. دار العلم للملايين، بيروت.ص209.

(٥) سورة العاديات، آية رقم:(6).

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج5.ص140.

(٧) القرطبي.(1427/2006).**الجامع لأحكام القرآن**. مرجع سابق. ج1.ص7501،7502.

والملاحظ أن للكلمة معان ودلالات كثيرة ومتنوعة، ولهذا علمنا سر القسم من الله للتأكيد على هذه المعاني التي يحتملها هذا اللفظ، ونرى أن السياق لم يكتف بمؤكد واحد بل أكثر فبدأ بـ (إن، ولام التوكيد، ثم بصيغة المبالغة لتكرار هذا الفعل منه على الدوام والكثرة فليس بمرة بل مرات. و كنود: كفور للنعمة، وقد عبَّر عنها بصيغة المبالغة إضافة إلى أنه استخدم اسم الجنس(الإنسان)بصيغة العموم ليبين كثرة الجاحدين وقلة المؤمنين حتى ليكاد الإيمان لقلته يكون عدماً، فعبر بالجنس وأراد أكثره للمبالغة. ومناسبة جواب القسم للمقسم به نلمحها في سبب النزول، إضافة إلى ما تشير إليه الآيات من حكاية حال الإنسان الذي تجري به أفكاره الصحيحة والفاسدة كالخيل، فيغير بعضها على بعض، وتكون الغلبة في أكثر الأحيان للفاسدة فيكثر الجاحدون ويقل المؤمنون.

ولقد "أقسم الله تعالى:بأمور ثلاثة وهي العاديات والموريات والمغيرات؛ تعظيماً للمقسم به وهو خيل المجاهدين في سبيل الله .....،وكلام المفسرين كلام حكيم مطابق لروح الدين الإسلامي دين الرجولة الكاملة والبطولة والفروسية والحماية ، والأمان والسلام.ولو تأملنا في قوله تعالى:(إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) الذي يظهر أنه عمود السورة والذي من أجله سيقت الآيات التي وصفت فيها الخيل، لوجدنا أن الله يصف الخيل في هذه السورة بأوصاف ويذكر لها أعمال كلها ترجع إلى الوفاء والفداء والإيثار لسيدها. فهي التي تفديه بنفسها، وتشقى لنعيمه، وتموت لحياته، ولا تعرف لنفسها ولا لحياتها حقاً ، ترمي بنفسها في الخطر وفي النار والبحر وتصبر على الجوع والعطش، وتتحمل المشاق. تفعل الخيل وهي الحيوان غير العاقل كل هذا مع سيدها الإنسان، وهو ليس لها برب، وهو الذي يستخدمها أكثر مما يخدمها . فكيف بالإنسان العاقل الشريف مع ربه وولي نعمه، إن الإنسان لربه لكنو د !، وكنود أي: " لمنوع للخير الذي عليه لربه . فطبيعة الإنسان وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق ، فتؤديها كاملة موفرة ، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية ، إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق، "[1]. وقد سيقت الخيل هنا؛ لبيان الفرق بينها وبين الإنسان الجاحد الذي يكفر نعم ربه. وبالتضاد تتضح الأشياء، فكان من حسن المناسبة والاتساق بين المثالين. وعليه فقد اتسقت الكلمة هنا وتفردت.

---

(١) السعدي.(2000/1420).**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. مرجع سابق.ج1.ص932.

271- الفِيْل: ورد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾[١]. وسياق الآية هو: الحديث عن أبرهة وجيشه وما فعل الله بهم في أطراف مكة.

والفيلُ: "هو هذا الحيوان الضخم المعروف، صاحب خرطوم طويل، يرفع به العلف والماء إلى فمه، ويضرب به، وهو: حيوان عظيم من ذوات الأربع ذواتِ الخف، من حيوان البلاد الحارة ذات الأنهار من الهند والصين والحبشة والسودان، ولا يوجد في غير ذلك إلا مجلوباً، وهو ذكي قابل للتأنس والتربية، ضخم الجثة أضخم من البعير، وأعلى منه بقليل وأكثر لحماً وأكبر بطناً"[٢].

وقصة ذلك الفيل " هي أن الحبشة احتلت اليمن فترة من الزمن، وكان الحبشة من النصارى، ولما رأى حاكم اليمن الحبشي (واسمه أبرهة) تعلق العرب بالكعبة أراد أن يصرفهم عنها. فبنى كنيسة عظيمة، ودعا العرب إلى الحج إليها وزيارتها، بدلا من زيارة الكعبة. فكره العرب ذلك، ودخل بعضهم البناء وأحدث فيه. وقيل إن بعضهم حاول إحراقه. فأقسم أبرهة على أن يهدم الكعبة رداً على هذه الإساءة. وسار بجيش عظيم يتقدمه فيل عظيم "[٣]. والتعريف في الفيل للعهد، وهو فيل أبرهة قائد الجيش ، والكلمة هنا لم يغن غيرها؛ لأن أبرهة اصطحب معه ذلك الفيل وليس شيئاً آخر من الحيوانات.

272- قُرَيْش: ورد في قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾[٤]. وسياق الآية هو الحديث عن رحلة قريش إلى اليمن والشام صيفا وشتاء. واعتيادهم على ذلك.

يقول ابن فارس: " (قرش)القاف والراء والشين أصلٌ صحيح يدلُّ على الجمع والتجمُّع . فالقَرْش: الجمع، يقال تَقَرَّشُوا، إذا تجمَّعوا. ويقولون: إنَّ قُريشاً سمِّيت بذلك "[٥]. وقريش: "قبيلة أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل من كان من أولاد النضر فهو قرشي، وجاء في البحر قريش: بنو فهر بن مالك بن النضر والأول أصح كما قال القرطبي"[٦].

ويعلل أبو السعود سبب التسمية بهذا الاسم قائلاً: "سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم ، وقيل من القرش وهو الكسب

---

(١) سورة الفيل، آية رقم:(1).

(٢) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد**. مرجع سابق.ص40.

(٣) حومد.(د.ت).**أيسر التفاسير**. مرجع سابق.ج1.ص6606.

(٤) سورة قريش، آية رقم:(1).

(٥) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص70، 71.

(٦) الرازي.(1993م).**الصحاح**. مرجع سابق.ج3.ص1016.القرطبي.(1427/2006).**الجامع لأحكام القرآن**. مرجع سابق.ج10.ص7546.

لأنهم كانوا كسّابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد "[١]. وقيل: "سُموا بذلك لتجمعهم إلى الحرم بعد تفرقهم، فإن القرش- كما تقدم - الجمع، وكان المجمع لهم قصياً، والقرش أيضاً الشديد، وقيل: هو من تقرش الرجل- إذا تنزه عن مدانيس الأمور، ومن تقارشت الرماح في الحرب إذا دخل بعضها في بعض. والمادة كلها للشدة والاختلاط، والتعبير بهذا الاسم لمدحهم. وكما أجرى - سبحانه وتعالى- مدحهم على الألسنة جعلهم موضعاً للمدح، قال النبي- صلى الله عليه وسلم- :(إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم) ، وقال- صلى الله عليه وسلم -: (الأئمة من قريش) قال العلماء: وذلك إن طيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق، ومحاسن الأخلاق تؤدي إلى صفاء القلب، وصفاء القلب عون على إدراك العلوم، وبإدراك العلوم تنال الدرجات العلا في الدنيا والآخرة، وصرف الاسم هنا على معنى الحي ليكون الاسم بمادته دالاًّ على الجمع، وبصرفه دالاًّ على الحياة إشارة إلى كمال حياتهم ظاهراً وباطناً "[٢].

إذن لقريش وجوه في تسميتها بهذا الاسم - وحسب ما سبق- والتصغير للتعظيم وإظهار الشدة والقوة كما يكون حوت البحر، ومعلوم أن قريشاً موصوفون بهذه الصفات لعدة أسباب، أولها: "لأنها تلي أمر الأمة فإن الأئمة من قريش، وثانيها: أنه مأخوذ من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد، وثالثها: قال الليث كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوها مسكناً فسموا قريشاً؛ لأن التقرش هو التجمع يقال تقرش القوم إذا اجتمعوا ولذلك سمي قصي مجمعاً لأن به جمع الله القبائل من فهر، ورابعها: أنهم كانوا يسدون خلة محاويج الحاج فسموا بذلك قريشاً لأن القرش التفتيش، ، وخامسها: أن التقرش هو التنزه عن مدانيس الأمور" [٣] ، وهكذا وجدت للكلمة كل هذه الدلالات التي تنطبق على القرشيين، وعليه فلم يغن مكانها غيرها وبالتالي تفردت في سياقها.

273، 274- الشِّتَاء، وَالصَّيْف: وردا في قوله تعالى: ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾[٤]. وسياق الآية في الحديث عن الرحلتين اللتين كانت قريش تقوم بهما إلى اليمن في الشتاء وإلى الشام في الصيف بقصد المرابحة.

---

(١) النسفي.(د.ت).**معالم التنزيل ومدارك التأويل**. مرجع سابق.ج9.ص202.

(٢) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.8.ج.ص534، 535.

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد.(1425/2004).**التفسير الكبير**.بيروت: دار الكتب العلمية.ج16.ص622.

(٤) سورة قريش، آية رقم:(2).

والشتاء يقول عنه ابن فارس: "الشين والتاء والحرف المعتل أصل واحد لزمن من الأزمنة وهو الشتاء خلاف الصيف"[١]. يقول ابن فارس: "(صيف) الصاد والياء والفاء أصلان: أحدهما يدلُّ على زمانٍ، والآخر يدلُّ على مَيْلٍ وعُدول . فالأوَّل الصَّيف، وهو الزَّمانُ بعد الرَّبيع الآخِر"[٢]. والصيف: "واحد فصول السنة بعد الربيع الأول، وقيل القيظ وهو ربع من أرباع السنة"[٣]. والمفسرون يذكرون أقوالا، والمشهور منها وما عليه الجمهور: أنه كانت لقريش رحلتان في الشتاء إلى اليمن؛ لأن اليمن أدفأ وبالصيف إلى الشام " [٤]. "وأفرد الرحلة في موضع التثنية لتشمل كل رحلة – كما هو شأن المصادر وأسماء الأجناس، إشارة لهم بالبشارة بأنهم يتمكنون من قريب من الرحلة إلى أي بلد أرادوا لشمول الأمن لهم وبهم جميع الأرض بما نشره الله – سبحانه وتعالى– من الخير في قلوب عباده في سائر الأرض بواسطة هذا النبي الكريم الذي هو أشرفهم وأعظمهم وأجلهم وأكرمهم"[٥].

وعلى ما تقدم فإن الكلمتين لا يغني غيرهما مكانهما؛ لأنهما هما الوقتان من السنة اللذان كانوا يسافرون فيهما ولكل وقت حكمة للسفر فيه ليسره وسهولته ومناسبة الجو للرحيل أثناء الطريق، وكذا البلد المسافر إليها لوجود البضائع والمقاضي التي يحتاجونها بها، فالذي في اليمن في الشتاء غير موجود بالشام في الصيف، والآية تشي بمقدار تفننهم وذكاء عقولهم وحكمة ورجاحة أفكارهم في التخطيط والتدبير لأمور حياتهم

275– الأَبْتَر: ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[٦]. وسياق الآية هو الحديث عن وصف الكفار للرسول–صلى الله عليه وسلم– بالأبتر الذي لا عقب له وردُّ الله عليهم.

يقول ابن فارس: "(بتر) الباء والتاء والراء أصلٌ واحد، وهو القطع قبل أن تتمَّه. والسيفُ الباتر القَطَّاع. ويقال للرجُل الذي لا عقِب له أَبتَر. وكلُّ من انقطع من الخَيْر أثرُه فهو أَبْتَر ، والأبتر: المعدم و الخاسر"[٧]. والأبتر "حقيقته المقطوع بعضه وغلب على المقطوع ذَنبه من الدواب

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص245.

(٢) السابق.ج3.ص326.

(٣) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**. مرجع سابق.ج4.ص1389.

(٤) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق.ج32.ص654، 655.

(٥) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص536.

(٦) سورة الكوثر، آية رقم:(3).

(٧) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج1.ص194، 195.

الدواب ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيهاً بالدَّابة المقطوع ذَنَبها تشبيه معقول بمحسوس كما في الحديث: " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر " يقال: بَتر شيئاً إذا قطع بعضَه وبَتر بالكسر كفرِح فهو أبتر، ويقال للذي لا عقب له ذكوراً، هو أبتر على الاستعارة تشبيه متخيل بمحسوس شبهوه بالدابة المقطوع ذنبها لأنه قُطع أثره في تخيُّل أهلِ العرف"(١).

والمعنى أن الكفار كانوا يُعَيِّرون النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه أبتر لا ولد لا ولا ذكر، فرد الله عليهم وبيَّن لرسوله أن مبغضه هو الأبتر المقطوع عن الخير والذكر والدعاء وسائر الأعمال الشريفة، فإن ذريته – عليه الصلاة والسلام – من السيدة فاطمة ابنته– رضي الله عنها– قد ملأوا الأرض. أما هؤلاء فليس لهم ذكر ولا تابع، ويكفي الرسول– عليه السلام – تشريفاً قوله– عز وجل–﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾(٢)فشرَّفه ورفع قدره وجعله حبيبه وصفيه"(٣). والآية جاءت جاءت رداً قوياً وعنيفاً على من وصفوه بهذا الوصف. ونقل ابن عاشور سبب نزول الآية عن الواحدي عن ابن عباس قائلاً: " إن العاصي بن وائل السهمي رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المسجد الحرام عند باب بني سهم فتحدث معه وأناسٌ من صناديد قريش في المسجد فلما دخل العاصي عليهم قالوا له: من الذي كنت تتحدث معه فقال: ذلك الأبترُ، وكان قد توفِّي قبل ذلك عبدُ الله ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن مات ابنه القاسم قبلَ عبد الله فانقطع بموت عبد الله الذكورُ من ولده صلى الله عليه وسلم يومئذ، وكانوا يَصِفون من ليس له ابن بالأبتر فأنزل الله هذه السورة "(٤).

والكلمة لايغني غيرها مكانها؛ حيث إن العرب تصف من ليس له ابن بالأبتر، ولكن الله – عز وجل– أعطى مفهوما آخر لهؤلاء وأثبت أن النبي– صلى الله عليه وسلم – أرفع منهم ذكراً وأكثر منهم ترددا على ألسنة الناس؛ حيث يظل إلى يوم القيامة يتردد اسمه بين جنبات هذا الكون، وأين هم لا تسمع لهم صوتاً ولا تذكر لهم اسماً، فقد انمحت أسماؤهم من الدنيا، ويبقى اسم النبي– صلى الله عليه وسلم– تلهج به الألسنة ويتبرك به المحبون ويدندن به العاشقون إلى يوم الدين. إضافة إلى ذلك أن الآية – كما سبق ذكره – في العاص بن وائل وهو على الرغم من

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص483.

(٢) سورة الشرح، آية رقم:(4).

(٣) البقاعي.(1415هـ).**نظم الدرر**. مرجع سابق.ج8.ص549.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتوير**. مرجع سابق.ج16.ص483.

أن له عقب فابنه عمرو بن العاص وابن ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابيان الجليلان، إلا أنه لا ذكر له في الخير مطلقاً. إذن اقتضى المعنى هنا أن يكون الذي لا خير فيه ؛ لذا تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها مكانها. والآية تنطوي على أسلوب من الأساليب البلاغية الرائقة وهو أسلوب القصر في قوله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ)؛ لأن ضمير الفصل يفيد قصر صفة الأبتر على الموصوف وهو شانيء النبي– صلى الله عليه وسلم – وقصرَ فيه المسند على المسند إليه، وهو قصر قلب، أي هو الأبتر لا أنت، وضمير الفصل هنا لتوكيد وتأكيد هذه الحقيقة القطعية.

والآية تنطوي كذلك على فن بلاغي رائق وهو ما يسميه البلاغيون بأسلوب الحكيم وهذا ما يقوله ابن عاشور: " لا عقب له تعيّن أن يكون هذا الإبطال ضرباً من الأسلوب الحكيم وهو تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أن الأحقَّ غيرُ ما عناه من كلامه كقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِ} (البقرة:189). وذلك بصرف مراد القائل عن الأبتر الذي هو عديم الابن الذكر إلى ما هو أجدر بالاعتبار وهو الناقص حظّ الخير، أي ليس بنقص للمرء أنه لا ولد له؛ لأن ذلك لا يعود على المرء بنقص في صفاته وخلائقه وعقله. وهب أنه لم يولد له البتة، وإنما اصطلح الناس على اعتباره نقصاً لرغبتهم في الولد بناءً على ما كانت عليه أحوالهم الاجتماعية من الاعتماد على الجهود البدنية فهم يبتغون من الولد الذكور رجاءَ الاستعانة بهم عند الكبر وذلك أمر قد يعرض، وقد لا يعرض أو لمحبة ذِكر المرء بعد موته وذلك أمر وهمي، والنبي – صلى الله عليه وسلم – قد أغناه الله بالقناعة، وأعزّه بالتأييد، وقد جعل الله له لسان صدق لم يجعل مثله لأحد من خلقه، فتمحض أن كماله الذاتي بما عَلِمه الله فيه؛ إذ جعل فيه رسالته، وأن كماله العرضي بأصحابه وأمته؛ إذ جعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم"[١].

276، 277– جِيْدِها، مَسَد: وردا في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[٢]. وسياق الآية هو الحديث عن زوجة أبي لهب وعذابها في النار بسبب ما كانت تفعله مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

يقول ابن فارس: " (جيد) الجيم والياء والدال أصلٌ واحد ، وهو العُنُق. يقال جِيدٌ وأجْيادٌ"[٣]. والجيد: العنق، وقيل: مقلده، وقيل: مقدمه وقد غلب على عنق المرأة ويستعمل في

---

(١) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج16.ص484.

(٢) سورة المسد، آية رقم:(5).

(٣) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج1.ص498.

مقام المدح، والعنق في الذم " [١]. واستناداً للمعنى الاشتقاقي فإن العنق في مقام الذم وهنا سياق الآية في الذم ومع هذا ذكر الجيد وهذا لنكتة بلاغية ولحكمة إلهية، وهي إنما جاء به على سبيل التهكم والتلميح بجعل الحبل كالعقْد لها. والآية في "امرأة أبي لهب هي أم جَميل، واسمها أرْوَى بنتُ حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان بن حرب، وقيل: اسمها العَوراء، فقيل هو وصف وأنها كانت عوراء، وكانت أم جميل هذه تحمل حطب العضاه والشوكِ فتضعه في الليل في طريق النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي يسلك منه إلى بيته ليعقِر قدميه. فلما حصل لأبي لهب وعيد مقتبس من كنيته جُعل لامرأته وعيد مقتبَس لفظُه من فِعلها وهو حَمْل الحطب في الدنيا، فأُنذرت بأنها تحمل الحطب في جهنم ليوقَد به على زوجها، وذلك خزي لها ولزوجها إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه، وجعلها سبباً لعذاب أعز الناس عليها "[٢]. وقال السهيلي في«الروض»: "والمعروف أن يذكر العنق إذا ذكر الحَلي أو الحُسن فإنما حَسُن هنا ذِكر الجيد في حكم البلاغة؛ لأنها امرأة والنساء تحلي أجيادَهن وأم جميل لا حلي لها في الآخرة إلا الحَبل المجعول في عنقها فلما أقيم لها ذلك مقام الحَلي ذُكر الجيد معه "[٣]، وقدم الخبر من قوله:{في جيدها}للاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عوضت فيها بحبل في جيدها عن العقد الذي كانت تحلي به جيدها في الدنيا فتربط به؛ إذ كانت هي وزوجها من أهل الثراء وسادة أهل البطحاء، وقد ماتت أم جميل على الشرك"[٤]. وزاد قائلاً: " فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب والحطب لا يكون إلا في حبل من ثم جعل الحبل في عنقها، ليقابل الجزاء الفعل. وقوله من مسد هو من مسدت الحبل إذا أحكمت فتله إلا أنه قال من مسد ولم يقل حبل مسد ولا ممسود لمعنى لطيف ذكره بعض أهل التفسير قال المسد يعبر به في العرف عن حبل الدلو وقد روي أنه يصنع بها في النار ما يصنع بالدلو ترفع بالمسد في عنقها إلى شفير جهنم ثم يرمى بها إلى قعرها هكذا أبدا "[٥]. وأما المسد فيقول ابن فارس: "(مسد) الميم والسين والدال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جَدْل شَيءٍ وطَيِّه. فالمِسَد: لِيفٌ يُتَّخذ من جريد النَّخل. والمِسَدُ:حبلٌ يتَّخذ من أوبار الإبل"[٦].

---

(١) ابن منظور.**لسان العرب**. مرجع سابق.ج2.ص433.

(٢) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتوير**. مرجع سابق.ج17.ص1.

(٣) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله.(1967م).**الروض الآنف في شرح السيرة النبوية**. عبد الرحمن الوكيل(محقق). مصر: دار الكتب الإسلامية.ج2.ص134.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج17.ص2.

(٥) السهيلي.(1967م).**الروض الآنف**. مرجع سابق.ج2.ص134.

(٦) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج5.ص323.

واستناداً للمعنى الاشتقاقي فإن هذا المسد هو أشد وأوثق أنواع الألياف التي تصنع منها الحبال ، والحِبال التي تفتل منه تكون قوية وصُلبة. والمعنى "فى عنقها حبل مما مُسِّد من الحبال وإنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيساً لحالها، وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن؛ لتغضب من ذلك ويشق عليها ويغض بعلها أيضا وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة "[١]. والآية فيها " تناسق في اللفظ، وتناسق في الصورة. فجهنم هنا بدت ناراً ذات لهب. يصلاها أبو لهب!وامرأته تحمل الحطب وتلقيه في طريق محمد لإيذائه (بمعناه الحقيقي أو المجازي).. والحطب مما يوقد به اللهب. وهي تحزم الحطب بحبل. فعذابها في النار ذات اللهب أن تغل بحبل من مسد. ليتم الجزاء من جنس العمل، وتتم الصورة بمحتوياتها الساذجة:الحطب والحبل. والنار واللهب. يصلى به أبو لهب وامرأته حمالة الحطب !. وتناسق من لون آخر. في جرس الكلمات، مع الصوت الذي يحدثه شد أحمال الحطب وجذب العنق بحبل من مسد. اقرأ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) تجد فيها عنف الحزم والشد! الشبيه بحزم الحطب وشده، والشبيه كذلك بغلّ العنق وجذبه. والتشبيه بجو الحنق والتهديد الشائع في السورة، وهكذا يلتقي تناسق الجرس الموسيقي، مع حركة العمل الصوتية، بتناسق الصور في جزيئاتها المتناسقة، بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير، ويتسق مع جو السورة وسبب النزول. ويتم هذا كله في خمس فقرات قصار، وفي سورة من أقصر سور القرآن. هذا التناسق القوي في التعبير جعل أم جميل تحسب أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد هجاها بشعر. وبخاصة حين انتشرت هذه السورة وما تحمله من تهديد ومذمة وتصوير زري لأم جميل خاصة. تصوير يثير السخرية من امرأة معجبة بنفسها، مدلة بحسبها ونسبها. ثم ترتسم لها هذه الصورة: (حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد)! في هذا الأسلوب القوي الذي يشيع عند العرب!"[٢]. وعلى ما تقدم فقد تفردت الكلمتان في هذا السياق ولم يغن غيرهما مكانهما.

278- الصَّمَد: ورد في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[٣]. وسياق الآية هو الحديث عن تفرد الله تعالى بالواحدانية والعبودية.

يقول ابن فارس: "(صمد) الصاد والميم والدال أَصلان: أحدهما القَصْد، والآخَر الصَّلابة في الشَّيء. فالأوَّل: الصَّمْد: القصد. يقال صَمَدْتُه صَمْداً. وفلان مُصَمَّدٌ، إذا كان سيِّداً يُقصَدُ

---

(١) حقي.(1287هـ).**روح البيان**. مرجع سابق. ج14.ص456.

(٢) قطب.(1402هـ).**الظلال**. مرجع سابق. ج8.ص125، 126.

(٣) سورة الإخلاص، آية رقم:(2).

إليه في الأمور. وصَمَدٌ أيضاً. والله جلَّ ثناؤه الصَّمَد؛ لأنه يَصْمِد إليه عبادُهُ بالدُّعاء والطَّلَب"[١].

"والصمد: السيد، لأنه صمد إليه في الحوائج؛ لأن الحوائج تتطلب الدعاء، والصمد من صفاته تعالى وتقدس؛ لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره، وقيل الصمد: الذي لا يطعم، وقيل: الدائم الباقي بعد فناء خلقه، وقيل: الذي خلق الأشياء كلها، ومن معانيه أيضاً: الذي انتهت إليه السيادة والشرف فلا سيد فوقه وكل هذه الأوصاف تدل على وحدانيته –عز وجل–"[٢].

ومناسبة الآية كما ورد عن الطبري في تفسيره: " جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: صِفْ لنا ربك يا محمد لعلنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ وهل يأكل ويشرب؟ ومن يرث منه؟ فأنزل الله هذه السورة"[٣].

والصمد معناه: "المفتقر إليه كلُّ ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجودُه إليه والموجود مفتقر في شؤونه إليه. وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى الصمد، وكلها مندرجة تحت هذا المعنى الجامع، وقد أنهاها فخر الدين إلى ثمانية عشر قولاً. ويشمل هذا الاسمُ صفاتِ الله المعنويةَ الإضافية وهي كونه تعالى حيّاً، عالماً، مريداً، قادراً، متكلماً، سميعاً، بصيراً، لأنه لو انتفى عنه أحد هذه الصفات لم يكن مصموداً إليه "[٤]. وصيغة{اللَّه الصمد} تحتوي على ملمح بلاغي وهو "صيغة قصر بسبب تعريف المسند فتفيد قصر صفة الصمدية على الله – تعالى–، وهو قصر قلب لإبطال ما تعوّده أهل الشرك في الجاهلية من دعائهم أصنامهم في حوائجهم والفزع إليها في نوائبهم حتى نَسُوا الله. قال أبو سفيان ليلة فتح مكة وهو بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال له النبي – صلى الله عليه وسلم– "أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله:«لقد علمتُ أن لو كان معه إله آخر لقد أغنى عني شيئاً [٥]. وبناء على كلام المفسرين واللغوين فإن الكلمة لا يغني غيرها مكانها؛ لدلالتها المختلفة والتي تتسق مع الجو العام للآيات.

---

(١) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق.ج3.ص309.

(٢) القالي،أبو علي.(1322هـ). **الأمالي**.مصر: مطبعة بولاق.ج2.ص292.

(٣) أخرجه الطبري:30 / 342 – 343. وانظر:محمد، زين الدين. **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**. أحمد مجتبى(محقق).(د.ت).الرياض: دار العاصمة.ج3.ص 1135، السيوطي، جلال الدين. .(1993م).**الدر المنثور** . بيروت: دار الفكر.ج 8.ص 671.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق.ج17.ص6.

(٥) السابق، نفسه.

279- **كُفُوا**: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[(١)]. وسياق الآية، هو تنزيه ربنا-تبارك وتعالى-عن الشبيه والمثل.

يقول ابن فارس: "(كفأ)الكاف والفاء والهمزة أصلانِ يدلُّ أحدُهما على التَّساوِي في الشَّيئين، ويدلُّ الآخر على المَيْل والإمالة والاعوجاج، فالأول:كافأت فلاناً، إذا قابلتَه بمثل صَنيعه. والكفء:المِثْل. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ والكُفْء والكُفُؤ:المساوي والمماثل في الصفات ، أي النظير "[(٢)]. والمعنى بأن ليس له ند ولا مثيل. وفي هذا نفي لما يعتقده بعض المبطلين من أن لله ندًا في أفعاله كما ذهب إلى ذلك بعض مشركي العرب الذين جعلوا الملائكة شركاء لله. ولم يكن له مماثل ولا مشابه أحد من خلقه، لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو – سبحانه – متفرد بالوجود الحقيقي ومتفرد الوحدانية ومتفرد بالفاعلية- تبارك وتعالى وتقدَّس-. فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات. وقد نفى الله فيها عن نفسه كل أنواع الشرك و أجراسه؛ ولذا كان لابُدَّ من نفي الأنداد والأشباه والنظائر لأنها نوع من أنواع الشرك؛ ولهذا قال السياق: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ والكلمة لا يغني غيرها مكانها من مثل: (مماثل- مكافيء – مشابه..إلخ)؛ لأن هذه الكلمات ربما تنسحب على أنه لا مماثل له في شيء معين، ولكن هناك أشياء أو صفات أو أفعال ربما يماثله فيها أحد. فضلاً عن ذلك أن(كفواً) هنا هي الأبلغ وتتماشى ومراد السياق من أنه ينفي جنس المشابهة والمماثلة من أصلها؛ ولذا عبر بالاسم، ولتأكيد هذا المعنى بدأ بكلمة (أحد) في أول السورة وختم بها السورة أحد لتأكيد أنه واحد لا كثرة في ذاته ، فهو ليس بمركب من جواهر مختلفة مادية ولا من أصول متعدّدة غير مادية؛ لذا تفردت هنا في هذا السياق. وفي هذا يقول صاحب الظلال: " إن السورة تضمنت نفى الشرك بجميع أنواعه، فقد نفى الله عن نفسه أنواع الكثرة بقوله: «اللهُ أَحَدٌ»ونفى عن نفسه أنواع الاحتياج بقوله: « الله الصَّمَدُ »ونفى عن نفسه المجانسة والمشابهة لشيء بقوله: « لَمْ يَلِدْ »ونفى عن نفسه الحدوث والأوّلية بقوله:« وَلَمْ يُولَدْ»ونفى عن نفسه الأنداد والأشباه بقوله:« وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا"[(٣)] .

---

(١) سورة الإخلاص، آية رقم:(4).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج5.ص153.

(٣) قطب.(1402هـ).**الظلال**.مرجع سابق. ج8.ص129.

280- النَّفَاثَات: ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾[(١)]. وسياق الآية هو الحديث عن تلك الساحرات اللاتي يعقدن عقد لأذى الناس والضغط عليهم لتحقيق مأرب من وراء ذلك. "(نفث) النون والفاء والثاء أصلٌ صحيح يدلُّ على خروج شيء من فمٍ أو غيره بأدنَى جَرْس. منه نَفَثَ الرّاقِي رِيقَه ، وهو أقلُّ من التَّفْل . والساحرة تَنْفُثُ السمّ . والنَّفْثُ: قذف الريق القليل من الفم، ويطلق أيضاً على النفخ مع تحريك اللسان دون إخراج ريق، وهو أقل من التفل، والنفاثات هن الساحرات، ينفثن في عُقَدٍ يعقدنها "[(٢)]. ولتأويل كلمة النفاثات وجوه منها: "أحدها أن هذه الصناعة إنما تعرف بالنساء لأنهن يعقدن وينفثن وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر وإحكام الهمة والوهم فيه وذلك إنما يتأتى من النساء لقلة علمهن وشدة شهوتهن فلا جرم كان هذا العمل منهن أقوى . قال أبو عبيدة النَّفَّاثَاتِ هن بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي – صلى الله عليه وسلم – وثانيها أن المراد من النَّفَّاثَاتِ النفوس، وثالثها المراد منها الجماعات وذلك؛ لأنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد أكثر كان التأثير أشد "[(٣)].

وعلة مجيء الكلمة بصفة المؤنث " لأن الغالب عند العرب أن يتعاطى السحرَ النساء لأن نساءهم لا شغل لهن بعد تهيئة لوازم الطعام والماء والنظافة، فلذلك يكثر انكبابهن على مثل هاته السفاسف من السحر والتَّكهن ونحو ذلك، فالأوهام الباطلة تتفشى بينهن، وكان العرب يزعمون أن الغُول ساحرةٌ من الجِن ...، وإنما جعلت الاستعاذة من النفاثات لا من النفْث، فلم يقل:إذا نفثن في العقد، للإشارة إلى أن نفثهن في العُقد ليس بشيء يجلب ضراً بذاته، وإنما يجلب الضر النافثاتُ وهن متعاطيات السحر، لأن الساحر يحرص على أن لا يترك شيئاً مما يحقق له ما يعمله لأجله إلاّ احتال على إيصاله إليه، فربما وضع له في طعامه أو شرابه عناصر مفسدة للعقل أو مهلكة بقصد أو بغير قصد، أو قاذورات يُفسد اختلاطُها بالجسد بعضَ عناصر انتظام الجسم يختلّ بها نشاط أعصابه أو إرادته، وربما أغرى به من يغتاله أو من يتجسس على أحواله ليُرِي لمن يسألونه السحر أن سحره لا يتخلف ولا يخطىء ... وتعريف {النفاثات} باللام إشارة إلى أنهن معهودات بين العرب"[(٤)].

---

(١) سورة الفلق، آية رقم:(4).

(٢) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**. مرجع سابق. ج5.ص366.

(٣) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**. مرجع سابق. ج32.ص179.

(٤) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**. مرجع سابق. ج17.ص12.

وتخصيص شر هؤلاء الأربعة بالذكر " لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به. وقالوا: المداجي(المنافق) الذي يكيدك من حيث لا تشعر. فإن قلت: فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟قلت: عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شريرة، ونكر غاسق، لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضرّ. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات "[1]. والمدقق في حروفها يجدها تشتمل على النون وهي نقطة الانطلاق ثم يأتي بعدها الفاء وهو حرف شفوي ينفتح معه الفم بطريقة خاصة ليخرج منه الهواء منفوحاً ثم الثاء وهو حرف أسناني يخرج فيه اللسان لتخرج معها التمتمات والتعويذات والتخرصات وغالباً بعض التفلات التي تفعلنها الساحرات. واتساق الحروف مع صوت الكلمة يتناسق مع معناها الدلالي وما تفعلنه تلك الساحرات من نفث ونفخ لشرورهن وأذاهن سواء أكان هذا مع تفل وريق أو بدون، وعلى الجملة فهي عملية مقززة مقرفة تتضجر منها النفس وتتأفف، وتنزعج لاحقاً لما يترتب عليها من ضرر وأذى للآخرين. وجاءت على هذه الصيغة بجمع المؤمث السا لم؛ لأنها تعطي مداً صوتياً يتوازى مع حركة النفخ والنفث التي تقوم به الساحرة، والتشديد في بعض حروفها يوحي بقوتهن في بعث ما جمعنه من أقوال وكلام بقصد الإيذاء و السحر. وعليه فقد تفردت الكلمة هنا في سياقها ولم يغن غيرها مكانها.

---

(١) الزمخشري.(2003/1424).**الكشاف**. مرجع سابق.ج4.ص827.

الخاتمة

ومما يعرف أن لكل غرسٍ ثماراً تقتطف إذا حان حينها، وفي وصول البحث إلى غايته التي يرتجيها بعد طواف طويل وبحث وتنقيب في بطون الكتب والرسائل يمكن أن يضع الباحث بين يدي القاريء جملة من النتائج، استقاها من طول استقراء ألفاظ القرآن الكريم، ومعالجتها في نصوص التزيل، فضلاً عن استنطاق كتب السالفين، فكشف ذلك التتبع عن بلاغتها وإعجازها وسر تفردها.

ويمكن أن نُجمل ذلك بالآتي:-

1- إن القرآن الكريم معين لا ينضب وجنة فيحاء لا ينقضي ثمرها، بل يظل ملء السمع والبصر، يملك الفؤاد ويستولى على العقل والوجدان.

2- إن الإعجاز البلاغي واللغوي إعجاز فيّاض عظيم التدفّق لا يقع في حصر. وسبيل التعرّض لفيوضاته وتلمّس أسراره لا يقف عند حد في كلمة أو جملة ، بل يشهد السياق في مجمله بستاناً مورقاً يانع الثمار والأزهار، لاتكاد تمد يداً لقطف ثمرة إلا وتجذبك الأخرى والأخرى... فلا تستطيع الفراغ حتى تأتي على البستان كلّه ، ولم ولن يتح ذلك لأحد لأن عطاءه الثرّ لا ينفد.

3- إن للإعجاز اللغوي والبلاغي خصائص ومميزات يجب الرجوع إليها للوقوف على أوليات هذا الإعجاز.

4- يكاد العلماء جميعاً من(لغويين ومفسريين ومتكلمين ونقاد وبلاغيين)يجمعون على أن إعجاز القرآن يكمن في نظمه وفصاحته وبلاغته.

5- لم يجد الباحث عند النقاد والبلاغيين كلاماً صريحاً ومباشراً عن الفرائد القرآنية.

6- لم تتعرض الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن لأي حديث عن الفرائد.

7- أول من ذكر الفرائد باسمها ووصفها كما هي الحال عليه الآن هو ابن أبي الإصبع المصري في كتابه تحرير التحبير.

8- الفرائد كلمات وردت عن العرب في استعمالاتهم، ولذا استعملها القرآن في آياته، فإذا جهلنا معرفة كنهها، فلا نُلْزِم العرب جهله، وإنما غاب عنا معرفة المعاني الدقيقة فيها لاندثار تلك المعاني بفعل ابتعادنا عن موارد اللغة وصدرها الأول.

9- عدد فرائد القرآن هو:ثلاثمائة وتسعة وتسعون(398)فريدة، تنقسم إلى الآتي:

280 اسماً، **56** فعلاً مضارعاً، **49** فعلاً ماضياً، **10** أفعال للأمر، **3** أسماء للفعل. قد درس منها الدكتور: كمال عبد العزيز الفعل المضارع(56)، وأكمل الباحث الباقي، إذن مجموع ما درسه الباحث هو: (342) ثلاثمائة واثنين وأربعين فريدة بين الاسم واسم الفعل والفعل الماضي وفعل الأمر.

10- هناك جملة من الباحثين ممن تعرض للفرائد، ولكنهم -سهواً- أثبتوا كلمات بأنها فرائد، وهي لم تكن كذلك؛ نظراً لتكرارها في مواضع أخرى أو لتكرار جذرها، وهي:(تثريب- متحرفاً- مذموما- يثرب- المعوقين- كالجواب – ساحة – حينئذ). وهناك من الفرائد التي لم يذكروها، ولعلها كذلك سقطت منه سهواً، وهي: (المروة- طلّ- متحيزاً -كالحون – الضفادع- مواطن – المحال- اطرحوه – توكيدها – أيقاظاً- وفداً- ردءا- تعساً- حرد- الوتين- الكنس- قدحا – شحومهما- كشطت- طحاها- وقب).

11- خلت تماماً بعض سور القرآن الكريم من الفرائد، وبلغ عدد هذه السور ثماني وعشرون سورة هي: (الفاتحة- يونس- فصلت- الزخرف- الجاثية- الحديد- الحشر- الممتحنة- الجمعة- الطلاق- الملك- الانفطار- الانشقاق- الروج- الأعلى- الليل- الشرح- القدر- البينة- الزلزلة- القارعة- التكاثر- العصر- الهمزة- الماعون- الكافرون- النصر- الناس).

12- كثرت الفرائد في بعض السور وقلت في بعضها، فأكثر سور القرآن اشتمالاً على بعض هذه الفرائد هي البقرة؛ حيث بلغ عدد الفرائد فيها ثلاث وعشرون فريدة، ثم تفاوتت السور القرآنية في اشتمالها على هذه الفرائد؛ حيث اشتملت بعض السور على فريدة واحدة.

13- أسهمت الفريدة القرآنية في تبيين جمال الصورة البيانية، فكانت عنصراً مهماً من عناصر الجمال فيه.

14- إن معرفة السياق ودراسة الفريدة من خلاله، وكذا الفرق اللغوي لهما أصدق مقياسين لتحديد تفرد الفريدة.

15- ظهر للباحث أن دلالات الفرائد في القرآن الكريم ارتبطت بالمعنى التفسيري واللغوي إلى حد بعيد ، بل إنه في أحايين كثيرة يكون المعنى اللغوي هو نفس معنى الفريدة في الآية.

16- كثرت الفرائد القرآنية بصفة عامة في سياق القصص القرآني، وجاء كثير منها خاص بسلوكيات الكافرين وأفعالهم، وأيضاً في الحديث عن اليوم الآخر، وما سيحدث فيه من ثواب وعقاب.

17- لكل لفظ في القرآن قصد محقق، وهدف مقصود في سياقها الخاص بها على وجه الإعجاز والتحدي، ولا سبيل لوقوع لفظة مكان أخرى تترادف معها، أو حتى تتبادل موقعها، وهذا ما يأباه الكلام المعجز؛ لأن كل حرف فيه مقصود لسمة تعبيرية أو معنى محدد.

18- ارتبط عدد ليس باليسير بحقائق علمية وبظواهر كونية حدثت في الماضي أو تحدث بشكل مستمر أو ستحدث مستقبلاً ومنها على سبيل المثال:(رتقاً- دحاها - المزن - فتقناهما - أمشاج- انكدرت).

19- اشتملت الفرائد على ألفاظ كانت خاصة بعادات جاهلية، وجاء الإسلام فحرمها وهذه الفرائد هي:(سائبة - الموءودة - منخنقة - موقوذة -نطيحة - نسرا).

20- خلت الفرائد من أسماء الأنبياء الواردة في القرآن، ولكنها انطوت على عدد من أسماء الملائكة وهم:(ميكال — هاروت — ماروت).

21- شملت الفرائد بعضاً من أسماء الشهور وفصول السنة وهي:(رمضان - الشتاء الصيف).

22- جاءت لنا الفرائد بأسماء بعض من الأقوام والأجناس السابقين وهي:(الروم - إرم - المجوس- قريش).

23- انطوت الفرائد على أسماء بلاد وأماكن وهي:(بابل -بكة -مكة - الأحقاف).

24- ورد في الفرائد أسماء حيوانات وحشرات وهي:(الضأن - الماعز - البغال - الضفادع - القمل - بعوضة - عنكبوت — الفيل - الوحوش).

25- انطوت الفرائد على أسماء عملات قديمة كانت مستعملة وهي:(دراهم — دينار).

26- انطوت الفرائد على أسماء لنباتات وفواكه وهي:(بقل-فوم-عدس- بصل- قثاء- تين- خمط- أثل- طلح- زنجبيل- يقطين).

27- ظهر للباحث أن علاقة الصوت بالمعنى حقيقة مسلم بها في اللغة، وليست من الخيال أو الافتراض، وأن محاكاة الأصوات لمعاني ألفاظها التي تتشكل فيها هي محاكاة مقصودة، كما هي حال ألفاظ الأصوات التي يحاكي بها الإنسان أصوات الطبيعة، وتكون دلالة هذه الأصوات على مدلولاتها بالطبع لا بالوضع.

28- كشفت الدراسة عن دور الحرف والكلمة والجملة والتركيب والصورة في الإعجاز القرآني عامة، واللغوي والبياني خاصة. فما دام كل حرف في القرآن يؤدي رسالة، فكل حرف في القرآن يؤدي وظيفة؛ حتى ظِلُّ الحرف وجرسه مقصود ومعناه مرتبط به.

29- قلة تفاعل الناس الآن مع الإعجاز اللغوي والبلاغي في القرآن، وهذا يرجع إلى جهلهم بلغتهم الأم.

30- الفرائد القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة فلا يمكن أن يرادف لفظٌ لفظاً آخر فيتساوى معه في المعنى تمام المساواة، بل إن الكلمة ذاتها لتتكرر في أكثر من سياق لتدلّ على معنى آخر مغاير في كل سياق، فإذا نظرنا إلى دلالة الكلمة المختارة في ظل تقديمها أدّى ذلك إلى إبراز المعنى في قوّة وجلاء، وساعد على تصوير المشهد في تدفّق وحياة.

31- الثراء اللغوي في القرآن الكريم [١]: ومن إعجاز البيان في القرآن الكريم كذلك أن يستخدم القرآن ثلث ألفاظ اللغة العربية(1620)جذرًا(وهذا لم يحدث لأي كتاب عرفه البشر، بالرغم من أن حجم القرآن ليس كبيرا)منه ا(381)جذرًا يرد كل واحد منهم في القرآن مرة واحدة فقط، أي أن 23 % من جذور ألفاظ القرآن ترد مرة واحدة..(وهي نسبة تمثل قيمة بلاغية كبرى لأن استخدام اللفظ مرة واحدة بين أكثر من خمسين ألف من الألفاظ هو قمة البلاغة، وإذا تم هذا فيما يقرب من ربع اللغة المستخدمة كان الإعجاز البلاغي عظيمًا ، فالروس يفخرون بأديبهم "ليو تولستوي" لأنه في روايته "الحرب والسلام" أورد كلمة واحدة فقط لمرة واحدة . كما أن هناك(196)جذرًا يرد في القرآن مرتان فقط، وكذلك(118)جذرًا يرد كل واحد منهم ثلاث مرات فقط . ما كل هذا الثراء في استخدام الألفاظ؟!هذا باب جديد من الإعجاز يسمى الإعجاز الإلكتروني – لأنه يستخدم الحاسوب – أو الإعجاز الإحصائي.

32- إن إعجاز القرآن أمر متعدد النواحي متشعب الاتجاهات، ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخص واحد ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سعة علمهم وإطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم، إنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد . وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال.

33- صادف الباحث كلمتين من الفرائد هما(جبين- جباه)اختلفا في الجذر، وسياق كل منهما مختلف عن الآخر، ولكن معناهما واحد ومدلولهما واحد كما صرح بذلك ابن منظور في لسانه[٢]؛ لذا لم يشرع الباحث في الوقوف عليهما.

---

(١) ينظر:www.alfaseeh.com، تاريخ التصفح:2013/4/10م.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص541.

التوصيات والاقتراحات

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:فهذه بعض من التوصيات والاقتراحات التي وردت إلى الخاطر من واقع هذه الدراسة، الله أسأل أن تجد آذاناً صاغية من القائمين والمسئولين والباحثين، تتمثل في الآتي:

١ -تأليف كتاب جامع في الإعجاز؛ إذ لا يوجد حتى الآن- حسب علمي- كتاب مصنف جامع لوجوه الإعجاز المتنوعة؛ لذا أقترح على الدارسين والباحثين في الجامعات والمعاهد العلمية التعاون لإخراج مثل هذا المصنف النافع، والجامع لما تفرق في بطون الكتب القديمة والحديثة.

٢ -التوسع في بيان الإعجاز البياني، والكشف عن أسراره؛ إذ قد تاه أكثر جوانبه في أودية البلاغة ومصطلحاتها ومعانيها، ولهذا لم يعد واضحاً لعامة الناس أثر الإعجاز البياني وأهميته.

٣ -الحرص على تقريب معاني القرآن للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية:(قراءةً ودراسةً وتعلماً)، وتشجيع الباحثين المثاليين وتوفير كافة الإمكانات المتاحة لهم.

٤ -تقرير مادة تسمى"مفردات أو فرائد القرآن"على أقسام طلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، لتقرب الطلاب من كتاب ربهم ومن لغته التي تسهم في معرفة المزيد عن دينهم ويقوى بها إيمانهم.

٥ -مراجعة مقررات المواد القرآنية وتوصيف مفرداتها والكتب الرئيسة المنهجية والمساعدة في المؤسسات التعليمية والتعليم العالي في الجامعات، بما يتناسب مع علوم القرآن لإعداد الجيل القرآني الواعد.

٦ -تقديم أو تطوير مشاريع قرآنية كبيرة، والعمل على التنسيق بين الجهود في نشاطات بحثية مشتركة والتعاون فيما بين الباحثين والجامعات والجمعيات والمراكز البحثية لإنجاز تلك المشاريع العلمية، وكذلك اشتراك أكثر من تخصص معرفي وعلمي في إنجاز بحوث قرآنية جديدة.

٧ -ضرورة التعرف على مناهج العلماء القدامى والمحدثين في البحث القرآني، والإفادة منها في الدراسات المقارنة، وطرائق البحث في المؤلفات القرآنية القديمة والحديثة وكيفية التعامل معها.

٨ -توجيه دعوة إلى البلاد العربية والإسلامية شعوباً وحكومات ومؤسسات إلى مزيد من العناية بالقرآن الكريم وعلومه، وتطوير الجهود السابقة وتحسينها بما يتناسب وعظمة القرآن الكريم.

٩ -بذل المزيد من الجهود العلمية في موضوع الإعجاز القرآني بوجوهه المتعددة والمتجددة وتقديم دراسات حديثة في هذا الموضع وربطها بالتطور والتقدم العلميين.

10- إجراء مزيد من البحوث المركزة في جز ئيات الموضوعات القرآنية، والابتعاد عن تكرار الجهود السابقة، وكذلك تخصيص دراسات ومشاريع بحثية للموضوعات القرآنية التي لم تنل العناية البحثية الكافية، وخاصة ما يتعلق منها بالمناهج المعاصرة.

11- معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا الراهنة للأمة الإسلامية بم نظور قرآني منضبط، وتقديم حلول من الهدي القرآني الخالد المعجز، لهداية الناس إلى القرآن الكريم كونه صالحاً ومصلحاً لكل زمان ومكان، وكذلك ترجمة البحوث المتميزة إلى اللغات العالمية الحية للتعريف بآخر الدراسات القرآنية وأهمها، لتكون منافذ دعوية للآخرين.

12- العناية بعلوم القرآن وآلاته المساعد ة في فهم هذا الكتاب العظيم ، من علوم ال لغة العربية، والفقه وأصوله، والحديث وعلومه وغيرها، من أجل التمكن في البحث القرآني.

13- العناية بلغة القرآن الكريم ونحوه وأسلوبه وقراءاته ومعانية وأحكامه وحكمه ومقاصده بما يعين على فهم القرآن الكريم وتدبره.

14- أدعو الباحثين والدارسين في أقسام البلاغة والدراسات القرآنية أن يمعنوا النظر في هذه الفرائد مرة أخرى لعل الله يفتح لأحدهم مالا يخطر على بالنا، وما لم نثبته في هذا البحث المتواضع، فالله يفتح لعباده ما شاء لمن يشاء وقتما شاء.

وأخيرا أحمد الله على إتمام هذا البحث على الرغم من كل العوائق والصعوبات التي مر بهابها إلا إنه أبى إلَّا أن يظهر للنور عملاً مثمرًا مرصّعًا بأغلى لؤلؤ وأثمنه ألا وهو ألفاظ القرآن الكريم. ومع هذا كانت رحلة طويلة كابدت فيها عناء البحث، وتجرعت فيها مر الصبر وإن كانت تتخللها عند اقتناص الفوائد العلمية، واكتشاف مذخورها لحظات لذة ونشوة، مثلما يجد الظافر بالصيد بعد عناء البحث عنه، فلله الحمد والشكر أولاً وآخراً على أن قدر فهدى وأعان فأنجح.

ولا أدعي في بحثي هذا أني قد بلغت الغاية، بل هو غيض من فيض؛ وما ذكرته من توجيه الفرائد إنما اجتهدت رأيي ولم آلُ، وليس لي موئلٌ إلاَّ أن أُقر بعجزي عن الوصول إلى كثير من الأسرار الدقيقة للفريدة؛ إذ إن أسرار القرآن لا يحدها حصر فيعرب عنها ناطق بفمٍ، ولا سبيل لي إلاَّ أن أتمثل بقول الخطيب الإسكافي(٤٢٠هـ)؛ إذ يقول: " إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظةٍ مخصوصة، ثم أعادها في موضعٍ آخر من القرآن، وقد غيّر فيها لفظة كما كانت

عليه في الأولى، فلابد من حكمةٍ هناك تُطلَب، فإذا أدركتموها فقد ظفرتم ، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم "[1] .

ويحضرني قول الرافعي؛ إذ يقول: "هذا وقد قلنا بمقدار ما فهمنا ، وما شهدنا — يعلم الله – إلا بما علمنا . على أننا إن كنا قد عجزنا ، ووعدنا الكلام أكثر مما أنجزنا ، فلا ضير أن نصف النجم في سراه ، وإن لم نستقر في ذراه ، ونستدل بما رأينا منه، وإن لم ننفذ فيما وراه ، وإذا خطر الفكر الضئيل في مثل هذه الحقيقة السامية فقل إنها خطرة طيف ، وإذا اجتمع للقلم سواد في تلك السماء العالية فقل إنما هي سحابة صيف ، ولعمر الله كيف نضرب بالغاية على تلك البلاغة التي لا تحدَّ ، وكيف نمضي بعد أن كلَّ حدُّ الفكر ووقفنا عند هذا الحدّ "
وختامًا نرجو من الله – جلَّ وعلا – أن نكون قد وفقنا في مسعانا وإن كنّا لم نبلغ الغاية التي تطمح إليها نفوسنا، فما وفقنا فيه إلى الصواب فبتوفيق من الله– سبحانه وتعالى– ثم بتوجيه أستاذيّ الجليلين، وما فيه من تقصير فمن نفسي ومن الشيطان..،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الخطيب الإسكافي ، محمد بن عبد الله(ت ٤٢٠ هـ)، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشبهات في كتاب الله العزيز /٢٠، ٢١(دار الآفاق الجديدة) — بيروت.د.ت .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً:القرآن الكريم.

ثانياً:المراجع

١ -إبراهيم، كمال عبد العزيز، (2006م).بلاغة الفرائد الفذَّة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)، الدار الثقافية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة.

2-إبراهيم، كمال عبد العزيز،(2010م).لغة الجسد في القرآن الكريم دراسة بلاغية. الدار الثقافية.مصر.

3- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله محمد بن عبد الكريم، (1995م).المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت،

4- الأخفش، سعيد بن مسعدة،(1411هـ/1991م).معاني القرآن، ت/هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي،القاهرة.

5- الأسد آبادي، القاضي أبو الحسن عبد الجبار، (1380هـ/1960م).المغني في أبواب التوحيد والعدل، ت/ أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، ومابعدها، القاهرة،

6- أسليم.محمد.الإسلام والسحر.دت.دم.

7- إسماعيل، تحية عبد العزيز.التفسير العلمي لحروف أوائل سورالقرآن(1990م).القاهرة.(د.ن).

8- ابن أبي الأصبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد، (1983م) .تحرير التحبير، تحقيق د/ حفنى شرف، ط:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،

9- الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد،(1412هـ).المفردات في غريب القرآن، ت/ صفوان عدنان داودي، دار العلم، بيروت.

10- الآلوسي، محمود بن عبدالله،(1415هـ).روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ت/علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

11- الآمدي، أبو القاسم، (1992م).الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ت/السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.

12- أمين، بكري شيخ،(1994م).التعبير الفني في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت.

13- الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس ت/حاتم الضامن. مؤسسة الرسالة. 1992م.

14- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، (1420هـ).البحر المحيط، ت/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.
15- الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عطية . (1413هـ. 1993م).المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت/عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان،
16- الأنصاري، أبوزيد، (1981م).النوادر في اللغة، ت/محمد عبد القادر، دار الشروق، ط1،
17- الأنصاري، عبد القدوس. (1355هـ)الصيام وتفاسير الأحكام.المدينة المنورة.د.ن.
18- أنيس، إبراهيم، الأصوات العربية، ط:مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
19- الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب،(1954م).إعجاز القرآن، ت/ السيد أحمد صقر، دارالمعارف، مصر.
20- الباقلاني، أبي بكر محمد الطيب، نكت الانتصار لنقل القرآن، ت/ محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، دار بورسعيد الطباعة، مصر،(د.ت).
21- البخاري، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله.(1407هـ/1987م).الجامع الصحيح المختصر[صحيح البخاري]، دار ابن كثير، اليمامة -بيروت، ط3.
22- البسومي، باسل سعيد، (2001م).معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للدراسات، رام الله.
23- بشر، كمال محمد، (1998م).الأصوات العربية، مكتبة الشباب، مصر.
24- البقاعي، أبي الحسن إبراهيم بن عمر،(1415هـ).نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ت/عبد الرازق غالب مهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،
25- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (1408هـ /1988م).دلائل النبوة، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه:الدكتور/عبد المعطى قلعجى دار الكتب العلمية. ودار الريان للتراث.
26- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين ، (1410هـ).شعب الإيمان ت/ محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت،
27- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي ، الجامع الصحيح سنن الترمذي، أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي-بيروت،(د.ت).
28- التوحيدي، أبوحيان(400هـ)، البصائر والذخائر، تح/ إبراهيم الكيلاني، مط/ الإنشاء، دمشق،(د.ت).
29- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف . الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت.د.ن.

30- ثعلب، أحمد بن يحى الشيباني،(1966م).قواعد الشعر، ت/ د.رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة.
31- الجاحظ، عمروبن بحر(ت 255هـ)، (1356هـ/ 1938م).الحيوان، تح/ عبد السلام هارون، مط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، مصر،
32- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن،(1991م).أسرار البلاغة، ت/محمود شاكر، مكتبة الخانجي،القاهرة.
33- الجرجاني، عبد القاهربن عبد الرحمن،(1422هـ / 2002م).دلائل الإعجاز، شرح وتخريج وتقديم وتعليق/ د.ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، المطبعة العصرية، ط 1، بيروت.
34- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت/محمد خلف الله، د/محمد زغلول سلام، نشر دار المعارف.ط4. القاهرة.
35- الجرجاني، عبدالقاهر،(1403هـ/ 1983م).التعريفات، ت/إبراهيم الإبياري، دار الريان للتراث. د.ت.، مطابع دار الكتاب العلمية.
36- الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط:عيس البابي الحلبي وشركاه،(د.ت).
37- جعفر، قدامه، نقد الشعر، ت/محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).
38- الجوزي، عبدالرحمن بن علي.زاد المسير في علم التفسير.(د.ن).(د.م).
39- حقي، إسماعيل، (1287هـ).روح البيان في تفسير القرآن(تفسير حقي)، مطبعة العامرة.
40- الحلي، صف الدين، (1983م) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ت.د/نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
41- حمادة، شوقي،(2000 م).معجم عجائب اللغة، دار صادر، ، بيروت.
42- الخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها:محمد خلف الله، ومحمدزغلول سلام، دار المعارف، مصر،(د.ت).
43- الخفاجي، عبدالله بن سنان، (1982م).سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت.
44- خلف، يونس حمش. الصوت في القرآن الكريم أنماطه ودلالاته. الموصل.(د.ن)،(د.ت).

45- ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، (1415هـ/ 1994م).ت/ محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلامي.
46- ديوان الحطيئة، برواية شرح ابن السكيت،جرول بن أوس العبسي، ت د/نعمان محمد أمين طه، دار صادر، 1407هـ/1987م. نشر مكتبة الخانجي. القاهرة.
47- ديوان عروة بن الورد، عروة بن الورد بن زيد العبسي، (1418هـ/1998م) ت، أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، ، بيروت.
48- ديوان كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، (1979م).دارالثقافة، بيروت.
49- ديوان مجنون ليلى،قيس ابن الملوح بن مزاحم العامري، (1420هـ/ 1999م).ت/ يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت.
50- ديوان أبى نواس ،الحسن بن هانئ،(1984م).تحقيق وشرح:أحمد عبد المجيد الغزالى ط. دار الكتابالعربى. بيروت.
51- الرازي، أبو حاتم.(1957م)، الزينة في الكلمات العربية الإسلامية. ت/حسين الهمداني.. ط2.دار الكتاب العربي.القاهرة.
52- الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت/ إبراهيم السامرائي، ومحمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمان، 1985م.
53- الرازي، محمد بن أبي بكر، (1910م). مختار الصحاح، الأميرية، ط2، مصر.
54- الرازي، محمد بن عمر، (1993م).مفاتيح الغيب، دار الغد العربي، بيروت.
55- الرافعي، مصطفى صادق،(1393هـ/1973م).إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ط9، بيروت،
56- رضا، محمد رشيد. (1990م).تفسير المنار، الهيئة العامة المصرية للكتاب مصر.
57- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت/ محمد خلف الله، وزغلول سلام، دارالمعارف، مصر،(د.ت).
58- الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ت/ علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1994م.
59- الزجاج، علي إبراهيم،(1988)م.معاني القرآن وإعرابه، ت/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط1، بيروت،
60- الزحيلي، وهبة، (1422هـ).التفسير الوسيط، دار الفكر، ط1، دمشق،

61- ، ــــــــــــ،(1418هـ).المنير في العقيدة الشريعة والمنهج، دارالفكرالمعاصر، ط2، دمشق.

62- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله(ت 794)،(1376هـ/1957م)...البرهان في علوم القرآن، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، مصر.

63- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر،(1424هـ / 2003م).الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، صححه/ عبد الرازق المهدي،، دار إحياء التراث، بيروت،

64 - ، ـــــــــــ، (1407م).الكشاف، دار الكتاب العربي، 397/2، بيروت.

65- الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، (1383هـ / 1964م).التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ت/ أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، م/ العاني، ط 1، بغداد.

66- ، ـــــــــ،الكشاف عن إعجاز القرآن،(1394هـ/1974م). ت/ أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، م/ العاني، ط1، بغداد.

67- ، ــــــــ،المجيد في إعجاز القرآن المجيد، ت.د/شعبان صلاح، الدار الثقافية للنشر والطباعة، القاهرة،1410هـ.

68- السامرائي، فاضل.الكبيسي، أحمدلمسات بيانية.(د.م).(د.ن).(د.ت).

69- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (1420هـ -2000م)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.ت/عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة.

70-السعران، محمود،(1418هـ /1997م). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،ط 2.دار الفكر العربي.

71- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.(د.ت).

72- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد،(1402هـ / 1982م).مفتاح العلوم، ت/ أكرم عثمان يوسف، م/ الرسالة، بغداد.

73- السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم .بحر العلوم. ت/د.محمود مطرجي ، دار الفكر – بيروت

74- السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون.(د.ن)،(د.ت).

75- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله.(1967م)الروض الآنف في شرح السيرة النبوية.ت/عبد الرحمن الوكيل.دار الكتب الإسلامية.مصر.

76- ابن السيد البطليموسي، عبد الله بن محمد،(1401هـ/1981م)، المثلَّث، ت/صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد، العراق.

77- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، ط1، 1387هـ /1967م.

78- ،ـــــــبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، بيروت. 1399هـ/1978م.

79- ،ـــــــ،التحبير في علم التفسير، ت/دفتحي عبد القادر فريد، نشر دار العلوم.الرياض.ط1. 1402هـ.

80 - ،ـــــــتنوير الحوالك شرح موطأ مالك، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1389 – 1969م.

81 - ،ـــــــشرح عقود الجمان، دارالفكر.د.ت.

82 - ،ـــــــ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت/محمدجاد المولى، ط:الحلبي، مصر، د.ت.

83- شادي، محمد إبراهيم، البلاغة الصوتية في القرآن، دار الرسالة، ط1، القاهرة، 1988م.

84- ابن الشجري، هبة الله بن علي،(1413هـ/ 1992م)، ما اتفق لفظه واختلف معناه، ت/عطية رزق، الفرطوسي، دار النشر. بيروت.

85- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، د.ت.

86- شرف، حفني محمد،(1390هـ/ 1970م).إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، مطابع الأهرام التجارية.

87- الشوكاني، محمد بن علي، (1415هـ، 1994م).فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت/د.عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر.

88- الشيخ، عادل، مقدمة في علم الأصوات، م الجامعة الإسلامية، ط1، 2004م.

89- شيخون، محمود السيد،(1398هـ/1978م).الإعجاز في نظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

90- صافي، محمود عبد الرحيم.الجدول في إعراب القرآن.(1418هـ).دمشق:دار الرشيد.ط4.

91- الصغير، محمد حسين علي،(1420هـ). الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت.
92- الضامن، حاتم، (1979م).نظرية النظم تأريخ وتطور، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد،
93- ضيف، شوقي.(1997م).البحث الأدبي(أصوله – مناهجه – مصادره)، ط 8، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر
94- الطباطبائي، السيد.الميزان في تفسير القرآن.مؤسسة الأعلمي.د.ت.
95- ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن إبراهيم،(2005م). عيار الشعر، ت/عباس عبد الستار ونعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
96- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد ، المعجم الأوسط ، ت/ طارق بن عوض الله ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (1415هـ). دار الحرمين – القاهرة.
97- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.
98- الطبري، ابن جرير، (2000م).جامع البيان في تأويل القرآن. مصر:مؤسسة الرسالة.
99- ،______، (1423هـ / 2002م). جامع البيان في تأويل القرآن، ت/ مكتب الإعداد العلمي في دار الإعلام، دار ابن حزم، بيروت لبنان، دار الإعلام، الأردن، ط1،
100- طنطاوي، محمد سيد.(1406هـ/1978م)، التفسير الوسيط، ط 3.دار نهضة مصر.مصر.
101- ابن عاشور، محمد بن الطاهر، (2000م).التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، بيروت.
102- أبو عبيدة، معمر بن المثنى،(1981م). مجاز القرآن، ت/ محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
103- ابن عطية، عبد الحق،(1398هـ /1977م). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ت/ الرحالي الفاروق وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. قطر، مؤسسة العلوم، الدوحة.
104- عبد الجبار، أبوالحسن الأسد آبادي،(1380هـ / 1960م). المغني في أبواب التوحيد والعدل، قوّم نصه/ أمين الخولي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة دار الكتب، العراق.
105- عبد الرحمن، عائشة، (1966م). التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط2،مصر.

106- عبد العزيز، تحية.(1990م). التفسير العلمي لحروف أوائل سور القرآن الكريم.القاهرة
107- العبد، محمد السيدسليمان،(1989م). من صور الإعجاز الصوتي في القرآن.المجلة العربية للعلوم الإنسانية،
108- العسكري، أبو هلال الحسن بن سهل، الصناعتين، ت/ علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط2، مصر،(د.ت).
109-،________اللغوية، ت/حسام الدين القدسي. دار الكتب العلمية.لبنان.(د.ت).
110- العلوي، يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (1332هـ/1914م).الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، م/ المقتطف، مصر.
111- عياض، القاضي، شرح الشفا، شرحه/ الملا علي القاري، دارالكتب العلمية، بيروت،(د.ت).
112- غريب، مجد متولي. إشارات هندسية في آيات قرآنية. القاهرة:دار المجد للدراسات والبحوث الهندسية.(د.ت).
113- ابن فارس، (1991م).مقاييس اللغة، ت/عبدالسلام هارون، دار الجيل، مصر.
114- الفارسي، أبو علي،(1999م).كتاب التكملة،ت/د:كاظم بحر المرجان.عالم الكتب.ط2.
115- الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد،(1983م). معاني القرآن، دار الكتب، ط3.بيروت.
116- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب،(1973م). بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز، ت/ عبدالعليم الطحاوي، القاهرة.
117- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، د.ت.
118- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم،(1322هـ). الأمالي، مطبعة بولاق، بعناية /إسماعيل يوسف التونسي، مصر.
119- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن(ت276هـ)، شرح وتحقيق/ السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة،1373هـ/1954م.
120- القرطاجني، أبو الحسن حازم، (1986م). منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ت/ محمد الحبيب ابن الخوجة، دار العرب الإسلامي، ط3، بيروت.
121- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، (1427هـ، 2006م). الجامع لأحكام القرآن، ت:د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط2.

122- القرطبي، محمد بن أحمد،(1964م).الجامع لأحكام القرآن، ت/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دارالكتب المصرية، ط2، القاهرة.
123- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب، (1350هـ/ 1932م). التلخيص علوم البلاغة، ضبط وشرح/ عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، ط2، مصر.
124- ـــــــــــ، (1904م).التلخيص في وجوه البلاغة، ت/عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.
125- القطان، إبراهيم، (1404هـ).تيسير التفسير، ت/عمر أبو حجلة، د.ن،
126- قطب، سيد، (1423هـ /2002م).التصوير الفني في القرآن، دار الشروق.ط16.
127- ـــــــــــ، (1402هـ).في ظلال القرآن، دار الشروق، ط11، مصر.
128- ـــــــــــ، (2002م).مشاهد القيامة، دار الشروق، ط4، مصر.
129- القماش، عبد الرحمن محمدالحاوي في تفسير القرآن.الإمارات.2009م.
130- القيرواني، ابن رشيق،(2004م).العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت/عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، القاهرة.
131- الكاتب، ابن وهب،(1980م). نقد النثر(البرهان في وجوه البيان)، دار الكتب العلمية، بيروت.
132- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر،(1420هـ/ 1999م).تفسير القرآن العظيم، ت/سامي بن محمد سلامة، دارطيبة، ط2، الرياض.
133- متولي، أحمد مصطفى،(2005م). الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة.
134- المدني، علي صدر الدين بن معصوم،(1388هـ). أنوار الربيع في أنواع البديع(مخطوط)، ت/شاكر هادي شكر، م:النعمان، النجف الأشرف.
135- المرسي، كمال الدين عبد الغني.(1999م)فواصلالآيات القرآنية. المكتب الجامعيالحديث، الإسكندرية.
136- المصري، ابن أبي الأصبع، بديع القرآن، ت/ حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، ط 2، القاهرة،(د.ت).
137- مطلوب، أحمد، (1403هـ / 1983م).معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، م/ المجمع العلمي العراقي، بغداد.

138- ــــــــــ، أحمد، (1989م). معجم النقد العربي القديم، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد.
139- ابن المعتز، عبدالله محمد،(1983م). البديع، ت/إغناطيوس كراتشقوفسكي، دارالمسيرة،، ط3، الكويت.
140- المعجم الوجيز.(1421هـ.2000م). مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر.
141- المعجم الوسيط، (2004م).مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4،
142- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف(1031هـ)، الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، ت/ أحمد مجتبى، دار العاصمة – الرياض.
143- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت 711هـ)،(2000م). لسان العرب، دارصادر، ط 1، بيروت.
144- النابلسي، عبد الغني، (1299هـ). نفحات الأزهار على نسمات الأسحارفي مدح النبي المختار بفن البديع، مطبعة نهج الصواب، دمشق.
145- ابن النديم، محمد بن إسحاق(ت 380هـ)،(1985م). الفهرست، تح/ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، قطر.
146- النسفي، عبدالله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، د.ت، د.ط.
147- نور الدين، عصام، (1995م)علم الأصوات اللغوية:الفونتيكا، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت.
148- النويري، أحمدبن عبدالوهاب، (1424هـ/2004م). نهاية الأرب في فنون الأدب، ت/مفيدقميحة وجماعة، دارالكتب العلمية، بيروت.
149- الهاشمي، السيد أحمد، (1999م).جواهرالبلاغة. المكتبة العصرية.
150- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب، السيرة النبوية، ت/ مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، مصر.(د.ت).
151- هلال، ماهر مهدي،(1980م). جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الرشيد، ط1، بغداد.
152- هيتو، محمد حسن، (1998م)المعجزة القرآنية(الإعجاز العلمي والغيبي)، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت.

153- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي،(1388 هـ – 1968م). أسباب النزول، ت/عصام بن عبد المحسن الحميدان، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. مصر.

154- ياسوف، أحمد، (1994م).جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز، دار المكتبي، ط 1، سوريا.

155- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى ، (1404 – 1984م).مسند أبي يعلى، ت/ حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى.

- **الرسائل العلمية:**

1- مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم(دراسة لغوية)، محمود عبد الله عبد المقصود يونس، رسالة ماجستير- كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر،، مصر1421هـ/2000م.

- **المجلات والدوريات والندوات:**

- مجلة الداعي الشهرية، الصادرة عن دار العلوم ديبوند، ع(11)، س(33)، ذوالقعدة1430هـ نوفمبر2009م.

- مجلة الدعوة، العدد(2172)، 20ذو الحجة1429هـ، أ.د/توفيق علوان، أصحاب الكهف.

- المجلة العربية.السعودية.عدد رمضان 1420 هـ.

- مجمع اللغة العربية، مجلة المجمع، مصر،1984.

- مجلة المنار، محمد رشيد رضا، العدد(33)، ذو الحجة1352هـ/1934م.

- ندوة جمعية الإعجازالعلمي في القرآن والسنة، الأحد 24 من ربيع الثاني 1425هـ /الموافق 13يونيو 2004 العدد(7635).

- مجلة وجهات نظر.(2002م). العدد(44).

- جريدة الميثاق الوطني.الملحق الثقافي.العدد7444.الأحد13-14أغسطس(2000م).

***برامج تلفزيونية:**

- برنامج لمسات بيانية، تقديم/ محمد خالد، ودإبراهيم السامرائي، تاريخ المشاهدة2010/4/9م.قناة الشارقة.

***المواقع الإلكترونية التي تم الرجوع إليها:**

www.quran-m.com
www.ijaaz.com
www.islam2all.com
www.alshieh.org.net
www.balagh.com
www.رابطة أدباء الشام. com

www.55a.net/firas/arabic
www.AnsarSunna.com
www.موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. com
www,kaheel17.com/ar
www.منتدى أنصار السنة. com
www.منتديات أتباع الإسلام. com
www.tafsir.net
www.factway.net
www.arabnet.com
www.muslim.net.
www.alargam.com
www.ar.wikipedia.org
www.alfaseeh.com
www.dr-mahmoud.com
www.nabulsi.com
www.ejapat google.com
www.هدي الإسلام.com